Scientific Journal of Faculty of Education

A biannual refereed journal issued by the
Faculty of Education, Misurata University - Libya

المراسلات : كلية التربية جامعة مصراتة – ليبيا

هاتف

00218512631845

00218512631846

فاكس

00218512632517

صندوق البريد : 2478

الموقع الإلكتروني للكلية

ttp://edu.misuratau.edu.ly

البريد الإلكتروني للمجلة

Journal_edu.misurata@yahoo.com

جامعة مصراتة — كلية التربية

Volume 2 — السنة الثانية

Issue 4 — العدد الرابع

Dec 2015 — ديسمبر 2015

المجلة العلمية لكلية التربية

المجلة العلمية لكلية التربية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية التربية جامعة مصراتة

الشيخ الدردير ومنهجه في كتابه الشرح الصغير..... د. أحمد الكميتي

إعادة العصمة الزوجية والمقصد الشرعي منها.... د. عبد العظيم الأجطل

روافد مصطلح غريب الحديث ..... د. عبد الوهاب عبد العالي

المقدمة الأوحدية لتوضيح القواعد الصرفية ..... د. عمر الباروني

التوظيف الصوفي في الشعر الحديث ..... د. عبد الله الغويل

خصائص شعر الخوارج ..... أ. عبد الله البيوضي

مستويات اللغة الروائية ..... أ. نجوى السوسي

تقنيات العمل الروائي عند الكوني ..... د. إسماعيل فتاتيت

أثر المسافة في تشكيل الصورة التشبيهية..... د. عبد السلام الشيماوي

التّجّاني ومنهجه في كتابة رحلته ..... أ. أحمد اسبيطه

الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية ..... أ. إبراهيم شيره

الخط العربي في العصر الجاهلي..... أ. فتحي احجيبه

الشك واليقين عند ديكارت ..... د. مصطفى قصيبات

الإرهاصات الأولى للفن ..... د. فيصل الخراز

مستويات الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب ..... أ. سامي المخلوف

أثر تقنية المعلومات والاتصالات.. أ . أبوبكر القطار & أ. عز الدين عياد

صورة الجسم وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي ... د. حسين الأطرش

التباين الفصلي في تركيز المغذيات ..... د. البشير الجطلاوي

تأثير إضافة الجليسرول على تحلل نموذج نشط لـ DNA د. محمد ساسي

Ambiguity Concerning Homonymy and Polysem. ..... Dr. Omar Albukbak

he Attitudes Of Teachers And Students. ..... Mr. Abdelkareem A. Ben Mustafa

The Problems Encountered by Faculty of Education. Mr. Mohammed AbuMustafa

An Evaluation of Teaching Practice. .. Mr.Ahmad Shteiwi & Mr. Mustafa Hamuda

Thermal Effect On Material. ..... Mr. Salah Echrif & Mr. Amer Akier

المجلة العلمية لكلية التربية

مجلة علمية مُحكمة نصف سنوية تصدر عن
كلية التربية جامعة مصراتة – ليبيا

تعنى بنشر البحوث والدراسات
في العلوم الإنسانية والأساسية والبحتة

العدد الرابع
ربيع أول 1437هـ – ديسمبر 2015 م

المراسلات : كلية التربية – جامعة مصراتة - منطقة الجزيرة

هـــــــــــــــاتف : 00218512631845

00218512631846

فـــــــــــــــاكس : 00218512632517

صـــــــندوق البريـــــــد : 2478

الموقــع الإلكتروني للكليـة : http://edu.misuratau.edu.ly

البريـد الإلكترونـي للكليـة : edu.misurata@yahoo.com

البريـد الإلكترونـي للمجلـة : Journal_edu.misurata@yahoo.com

الآراء الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير أو سياسة الكلية أو الجامعة

جميع الحقوق محفوظة للمجلة العلمية

كلية التربية ـ جامعة مصراتة 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل رب زدني علما

صدق الله العظيم

هيئة التحرير

المشرف العام

د. عزالدين أحمد عبد العالي

رئيس التحرير

د. محمـــد ســـليمان ساســـي

مدير التحرير

إبـــراهيم محمـــد النيحـــوي

التصحيح اللغوي للعدد

د. مصـــطفى ســـالم المـــازق

الهيئة الاستشارية

أ.د / عقيـــل محمـــد البربـــار

أ.د / عبـــد الله محمـــد الأشـــهب

أ.د / محمـد محمـود بـن حميـدة

أ.د / محمـــد حســـن أبوبكـــر

أ.د / أحمد عبد العالي هب الريح

د / مصـطفى محمـد أبـو شـعالة

د / الطـاهر محمـد بـن مسـعود

د / محمـــد حســـين محجـــوب

د / إبـــراهيم مختـــار بوختالـــة

د / مفتـــاح محمـــد ابشـــير

قواعد النشر بالمجلة

المجلة العلمية لكلية التربية – جامعة مصراتة مجلة محكمة تهتم بنشر البحوث والدراسات العلمية الجادة والجديدة في العلوم الإنسانية والأساسية والبحتة وفقا للضوابط التالية:

- تقبل البحوث باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية، مصحوبة بملخص للبحث فيما لا يجاوز **100** كلمة.
- تخضع البحوث للتقييم من قبل محكمين مختصين تختارهم هيئة التحرير **(سرياً)** والمجلة غير ملزمة برد البحوث ، نشرت أم لم تنشر.
- ضرورة أن تكون البحوث مبتكرة ولم يسبق نشرها أو الدفع بها لأي مطبوعة أخرى وليست جزءاً من دراسة سابقة أعدت لنيل درجة علمية.
- التقيد بالأصول العلمية للبحث العلمي، وتكون الاقتباسات والتضمينات والهوامش متسلسلة الأرقام في نهاية البحث ويكتفى بالهوامش دون المراجع وذلك على النحو التالي:
  1. **بالنسبة للكتاب: اسم المؤلف ولقبه، العنوان، دار النشر، مكان النشر، سنة النشر.**
  2. **بالنسبة للدورية: اسم المؤلف ولقبه، السنة، عنوان البحث، اسم الدورية، مكان صدورها، العدد، الصفحة.**
  3. **بالنسبة للمواقع: اسم الموقع وتفاصيله، اسم المؤلف ولقبه، تاريخ الزيارة.**
- لا يزيد البحث في صفحاته عن ثلاثين في العلوم الإنسانية، وعشرين في العلوم البحتة والتطبيقية.
- ترسل البحوث على قرص مرن أو قرص مدمج، مرفقة بعدد ثلاث نسخ ورقية، مع مراعاة ترك هامش علوي بواقع 5 سم وسفلي 5 سم و 4 سم على يمين ويسار الصفحة، وخط Simplified Arabic بحجم 14 و12 للهامش، والعنوان الرئيس بحجم 16 غامق، والعناوين الفرعية بحجم 14 غامق، وترك مسافة واحدة فقط بين الأسطر.
- ترسل إلى صاحب البحث المنشور ثلاث نسخ من المجلة.
- تكون المراسلات باسم رئيس أو مدير التحرير.
- يرسل الباحث السيرة الذاتية لغرض التعريف والتوثيق.

هيئة تحرير المجلة

الفهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
الشيخ الدردير ومنهجه في كتابه الشرح الصغير..... د. أحمد الكميتي	11
إعادة العصمة الزوجية والمقصد الشرعي منها ..... د. عبد العظيم الأجطل	25
روافد مصطلح غريب الحديث..... د. عبد الوهاب عبد العالي	38
المقدمة الأوحدية لتوضيح القواعد الصرفية ..... د. عمر الباروني	62
التوظيف الصوفي في الشعر الحديث ..... د. عبد الله الغويل	81
خصائص شعر الخوارج ..... أ. عبد الله البيوضي	103
مستويات اللغة الروائية ..... أ. نجوى السوسي	126
تقنيات العمل الروائي عند إبراهيم الكوني ..... د. إسماعيل فتاتيت	151
أثر المسافة في تشكيل الصورة التشبيهية ..... د. عبد السلام الشيماوي	171
التّجّاني ومنهجه في كتابة رحلته ..... أ. أحمد اسبيطه	192
الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية ..... أ. إبراهيم شيره	216
الخط العربي في العصر الجاهلي ..... أ. فتحي احجيبه	234
الشك واليقين عند ديكارت ..... د. مصطفى قصيبات	245
الإرهاصات الأولى للفنّ ..... د. فيصل الخراز	272
مستويات الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب ..... أ. سامي المخلوف	288

313	**أثر تقنية المعلومات والاتصالات ICT** ..... أ. أبو بكر القطار/ أ. عز الدين عياد
331	**صورة الجسم وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي** ..... د. حسين الأطرش
361	**التباين الفصلي في تركيز المغذيات** ..... د. البشير الجطلاوي/ فاطمة قزيط
373	**تأثير إضافة الجليسرول على تحلل نموذج نشط لـ DNA** ..... د. محمد ساسي
3	**Ambiguity Concerning Homonymy and Polysemy** ……..... Dr. Omar Albukbak
13	**The Attitudes Of Teachers And Student** ……. Mr. Abdelkareem Ben Mustafa
31	**The Problems Encountered by Faculty of Education**....Mr. Mohammed Abu Mustafa
49	**An Evaluation of Teaching Practice …** Mr. Ahmad Shteiwi & Mr. Mustafa Hamuda
59	**Thermal Effect On Material .....** Mr. Salah Echrif & Mr. Amer Akier

مفتتح

الحَمدُ لوليه، والصلاة والسلام على نبيه، أما بعد:

فها هو العدد الثاني من مجلتكم الفتية "المجلة العلمية لكلية التربية"، وقد تنوعت أبحاثه بين مختلف أفرع المعرفة التي تختص المجلة بنشرها؛ فمن بلاغة القرآن إلى اللغة و علومها، إلى التاريخ والتصوف إلى النقد العربي وعلم النفس والرياضيات. كما ضم هذا العدد أيضا بحثا حول تأثير اللغة الإنجليزية على تعلم اللغة الفرنسية.

ويسر المجلة أن يسهم في أبحاثها أساتذة من مختلف الجامعات الليبية وأن تمتد اهتماماتها حتى لتغطي ما يقع في نطاق اختصاصها، والأمل منعقد على تطويرها إصدارا بعد إصدار. كما أنه من دواعي السرور أن يزداد عدد الباحثين الراغبين في النشر فيها، فلله الحمد والمنة.

ويقتضي الواجب أن تتقدم المجلة بالشكر الجزيل لكل من أسهم في هذا العدد باحثاً أو مراجعاً أو مدقّقاً أو مقيّماً، كما تتقدم أيضا بالشكر لعمادة كلية التربية وإدارة جامعة مصراتة الفتية، فهي من يتولى التمويل والدعم المالي لهذه المطبوعة الوليدة التي بين أيديكم.

والله وليّ التوفيق

رئيس التحرير

كلية التربية في سطور

تُعتبر كلية التربية أكبر كليات جامعة مصراتة من حيث كثافة الطلاب والأساتذة، وهي قلعة علمية شامخة أُنشئت من أجل سد النقص في احتياجات المنطقة من المعلمين والمعلمات في مختلف التخصصات العلمية، وتقع الكلية في منطقة الجزيرة بمصراتة قريباً من شاطئ البحر الأبيض المتوسط غربي مركز مدينة مصراتة بحوالي (8) كيلومتر في منطقة تجمع بين نسيم البحر العليل وفيح الأشجار الظليلة.

أُنشئ هذا المرفق التعليمي بموجب القرار رقم 1258 لسنة 1996 م، بشأن إنشاء المعهد العالي لإعداد المعلمين، وافتُتح هذا الصرح التعليمي يوم الخميس الموافق 17 / 10 / 1996 م.

واعتباراً من 1 / 1 / 2005 م آلت تبعية المعهد إلى جامعة السابع من أكتوبر تحت مسمى كلية المعلمين بمصراتة بموجب القرار الوزاري رقم (2) لسنة 2005 م، ثم سُميت باسم كلية التربية اعتباراً من فصل الخريف من العام الجامعي 2009 – 2010 م، بناءً على قرار اللجنة الوطنية للجامعات.

وفي فصل الربيع 2010 م، تم تغيير اسم جامعة 7 أكتوبر إلى "جامعة مصراتة"، وآلت تبعية الكلية لها تحت مسماها الحالي " **كلية التربية – جامعة مصراتة** ".

وتضم الكلية الآن 17 قسماً علمياً وأدبياً، وتعمل الكلية على تقديم التعليم الجامعي وتطويره وفق المعايير الوطنية والدولية، ساعيةً أن تكون مركزاً للأنشطة والخدمات والبرامج المحفزة لتنمية الكوادر البشرية التربوية، والارتقاء بالمجتمع لمواكبة مطالب العصر ومتغيراته المحلية والدولية، وتسعى إلى تحقيق الريادة في تدريس العلوم بمختلف فروعها وتنمية المهارات الفكرية والسلوكية، والتواصل مع الثقافات الأخرى بطريقة تضمن الحفاظ على هويتنا العربية والإسلامية.

الشيخ أحمد الدردير ومنهجه في كتابه الشرح الصغير

د. أحمد عمران الكميتي*

مقدمة

الحمد لله، وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين.

وبعد، فقد كان لكتاب الشرح الصغير للشيخ الدردير الصدارة لدى المتأخرين من فقهاء المالكية؛ حيث كان عليه مدارهم في التدريس والفتوى، مما جعلهم يولونه عناية كبيرة، تجلت في التعليق عليه بحواش كثيرة، ونظمه مرات عديدة .

وقد كان هذا الاهتمام هو الباعث الأساس لكتابة هذا البحث الذي أروم فيه بيان منهج الشيخ الدردير – رحمه الله– في كتابه هذا الموسوم بالشرح الصغير، وأتوخى في بياني له وصف طريقة الشيخ في التعقب والاستدراك، والاختلاف والترجيح، والاستدلال والتعليل، ونحو ذلك من الأمور، وسأعرِّج قبل ذلك للتعريف بالشارح وشرحه، وتأثير بيئة الشارح في الشرح.

ولست أعلم فيما مضى بحثًا كتب في هذا الموضوع أو تناول قضية من قضاياه.

وقد قام هذا البحث في أغلب مباحثه على المنهج الوصفي، وكانت خطته على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الدردير وكتابه الشرح الصغير، وأثر بيئة الشيخ في شرحه، وقد جاء في ثلاثة مطالب:

الأول: التعريف بالشيخ الدردير.

الثاني: التعريف بالشرح الصغير.

الثالث: بيئة الشيخ الدردير وأثرها في الشرح الصغير.

المبحث الثاني: منهج الشيخ الدرير في كتابه الشرح الصغير، وجاء في ثلاثة مطالب أيضاً:

الأول: منهج الشيخ الدردير في التعقب والاستدراك على مختصر خليل.

الثاني: منهج الشيخ الدردير في الاختلاف والترجيح.

الثالث: منهج الشيخ الدردير في الاستدلال.

الخاتمة: ولخصتُ فيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

* كلية الدراسات الإسلامية– جامعة مصراتة.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الدردير وكتابه الشرح الصغير وأثر بيئة الشيخ في شرحه

المطلب الأول: التعريف بالشيخ الدردير

هو أبو البركات أحمد بن محمد العدوي، المشهور بالدردير، ولد سنة 1127هـ.

وقد درس على ثُلَّة من علماء عصره كان من أبرزهم: الشيخ علي الصعيدي[1]، والشيخ أحمد الصباغ[2]، وغيرهم.

ولم يزل يعرج في مدارج العلم ويرتقي سُلَّمه حتى غدا رأساً من رؤوس الإفتاء في مصر وشيخاً للمالكية في ذلك العصر، وقد اشتهر في سلوكه بالتزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان يصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم.

توفي – رحمه الله– سنة 1201هـ، وترك عددًا من المصنفات لعل من أهمها: شرح مختصر خليل، وأقرب المسالك لمذهب الإمام مالك وشرحه، ورسالة في متشابهات القرآن، ورسالة في علم المعاني والبيان[3].

المطلب الثاني: التعريف بالشرح الصغير

الشرح الصغير هو شرح الشيخ أحمد الدردير لكتابه الشهير بأقرب المسالك، وجاءت تسميته بالصغير في مقابل شرحه الكبير على مختصر الشيخ خليل، وقد تميز هذا الشرح –أعني الصغير– بأسلوبه السهل مع الإيجاز والدقة، اعتمد فيه الشيخ ذِكْرَ المشهور من أقوال المالكية مع بعض الترجيحات، وكذا الاستدراك على بعض الأقوال كما سيتضح في المطالب القادمة من هذا البحث إن شاء الله.

وقد تعددت المصادر التي استند عليها الشيخ في شرحه لأقرب المسالك، وهي في غالبها ما اعتمده علماء المذهب.

فجاء القرآن الكريم في مقدمة مصادره، تلته السنة النبوية إذ هي المصدر الثاني للتشريع، ثم الإجماع، والقياس، وعمل الصحابة، والعرف، إلى غير ذلك من مصادر التشريع.

كما اعتمد الشيخ الدردير في شرحه على أمّهات المذهب، التي اعتمدها أهل العلم ووجدت منهم قبولاً واستحساناً، كموطأ مالك، ومدونة سحنون، والواضحة لابن حبيب، والعتبية لمحمد العتبي، والموازية لابن المواز، والمجموعة لابن عبدوس[4]. إلى غير ذلك من المصادر التي استند عليها الشيخ في شرحه، فكان بذلك جامعاً لكثير من أقوال علماء المذهب وآرائهم، وقد ازداد بذلك قوة وثراء، حتى صار على رأس الكتب التي يعتمد عليها في التدريس والفتوى.

وقد أثنى على هذا الكتاب جمع كبير من العلماء قديماً وحديثاً، ومن أبرز أهل العلم المعاصرين الذين أشادوا بالقيمة العلمية لهذا الكتاب الشيخ: محمد مفتاح قريو –رحمه الله تعالى–، حيث قال في منظومته التي نظم بها متن أقرب المسالك للشيخ الدردير:

"وكنــتُ إذْ قـــرأتُ فقـهَ مـالـك

مستحـسنـاً لأقــرب المســالــك"[5]

المطلب الثالث: بيئة الشيخ الدردير وأثرها في الشرح الصغير

لم يكن الشيخ في شرحه بمنأى عن المجتمع الذي عاصر أهله والبيئة التي عاش فيها، ولا غرو فالعالم ابن بيئته يؤثّر فيها ويتأثر بها، ولذا كثيراً ما كان الشيخ الدردير يربط تقريره للمسائل الفقهية في شرحه بالواقع الذي يعيشه الناس آنذاك ويضرب لذلك أمثلة وشواهد، بل إنه كان يذكر أحياناً النوازل المعاصرة الواقعة في زمانه ويحاول أن يجد لها حكمًا قياساً على مثيلاتها من المسائل التي تشترك معها في العلة.

فنجده مثلاً ينكر على المصلين الذين يرفعون أصواتهم بالذكر في الدعاء على هيئة الغناء والترنم، ويرى الشيخ أن ذلك من البدع المذمومة فيقول: "ومن البدع المحرمة ما يقع بدكَّة المبلّغين بالقطر المصري من الصريخ على صورة الغناء والترنُم، ولا ينكر عليهم أحد من أهل العلم"[6].

وأيضاً في باب الذكاة عند تعرضه لمكروهاتها حيث قال: "ومنها الذبح بدون حفرة، وهو ما يعمله من يشتغلون في المذابح السلطانية؛ لما فيه من رؤية الذبائح بعضها بعضاً، وهو من تعذيبها؛ لأن لها تمييزاً وإشعاراً، ولما فيه من عدم الاستقبال لأكثرها"[7].

وكإنكاره على بعض نظّار الوقف من بيعهم الحوانيت الموقوفة على أحد المساجد، والمشتري منهم يوقفه على نفسه أو ذريته، وقد يبيعه، حيث قال: " وتوضيحه على ما شاهدناه من أهل مصر أن الحوانيت الموقوفة على المسجد الغوري والأشرفي والناصري وغيرها يبيعها الناظر بثمن كثيرٍ... لا لغرض سوى حب الدنيا والإعراض عن حب الآخرة" [8].

كما بحث الشيخ الدردير مسألة الصيد بالرصاص، وهي من النوازل الواقعة في عصره، حيث لم يؤثر عن المتقدمين فيها نص، وذلك لعدم وقوعها في زمانهم ، فأفتى– رحمه الله تعالى– بجواز الصيد به[9].

المبحث الثاني: منهج الشيخ الدردير في كتابه الشرح الصغير

تقدم أن الدراسة المقصودة من هذا البحث هي المنهجية التي سلكها الشيخ الدردير في شرحه لكتابه أقرب المسالك.

ومما يميز هذا الشرح أنه جاء ممزوجًا بالمتن حتى كأنهما شيء واحد، وقد تعددت منهجية الشيخ في شرحه حيث تناولت جوانب عدة أكسبت الشرح تنوعاً ومنحته حسناً، إذ نجده أحياناً يعرض للاختلاف ويرجح بين الأقوال في المسألة إن لم يجد إلى التوفيق بينها سبيلاً، والشرح مليء أيضاً بالاستدلال على كثير من الأحكام وبخاصة في باب المعاملات؛ إذ الدليل فيها أوسع أفقاً وأعمق أثراً، والمقصود هنا الدليلُ بمفهومه الواسع الشامل لمقصد الشارع، وقرائن الأحوال ونحو ذلك، كما نجده يستدرك أحياناً على متن الشيخ خليل في مناسبات كثيرة وفي مواطن عدة.

وتفصيل ذلك وبيانه يأتي في المطالب التالية:

المطلب الأول: منهج الشيخ الدردير في التعقب والاستدراك على مختصر خليل

الشرح الصغير يقوم أساساً على بيان وتوضيح أقرب المسالك الذي انتخبه الشارح أصلاً من مختصر الشيخ خليل، حيث جاء في مقدمته: "فهذا شرح لطيف على كتابنا المسمى بأقرب المسالك... اقتطفته من ثمار مختصر الإمام خليل..." (10).

وهذا ما دعا الشيخ الدردير إلى العناية في شرحه بربط متن أقرب المسالك بأصله المتمثل في مختصر الشيخ خليل، وقد ظهر ذلك جليًّا في كثير من المواطن، والجدير بالذكر أن الشيخ الدردير لم يزل من حين لآخر يذكّر بهذا الارتباط من أول الشرح إلى آخره، وهذا ما يلاحظه قارئ الكتاب من بدايته إلى نهايته.

وقد جاء هذا الربط على هيئة تعقبات استدركها الشيخ الدردير على الأصل.

والاستدراكات أو التعقبات التي أتى بها الشيخ الدردير في شرحه الصغير، اختلفت اتجاهاتها ومقاصدها، فمنها ما يرجع سببه إلى ضعف ما قرره الشيخ خليل في الأصل فيرى الشيخ الدردير استبداله بما هو أقوى، وهذا هو الكثير الغالب، ومنها ما يرجع إلى صياغة العبارة، إذ قد تكون عبارة الأصل في نظر الدردير قاصرة عن الشمول والإحاطة، أو لا تفي بالغرض، أوْ لاَ تناسب المقام، إلى غير ذلك مما سيتضح في الصور التالية.

صور استدراك الشيخ الدردير على الأصل

أولاً: استدراكاته على الأصل بسبب ضعف ما مشى عليه الشيخ خليل، وقد أخذت حيزاً كبيراً من الكتاب، فمن ذلك فيما يتعلق بأحكام المياه:

1. الماء الطهور إذا طرح فيه ملح قصداً، فالذي رجّحه الشيخ خليل أن هذا الماء قد سلبت طهوريته[11]. وقد ضَعَّف الشيخ الدردير هذا الترجيح بقوله: "وكذا لا يضر التغير بما طرح فيه من أجزاء الأرض كالملح أو الطَّفل[12]، ونحو ذلك، ولو قصدًا، وقول الشيخ: (والأرجح السلب بالملح) ضعيف"[13].
2. قيّد الشيخ خليل جواز المسح على الخفين في السفر بكونه سفراً مباحاً[14]. ولكن الدردير– رحمه الله– ضعف ذلك في شرحه فقال "وما مشى عليه المصنف من التقييد بالمباح ضعيف"[15].

هذه بعض الاستدراكات التي أثبتها الشيخ الدردير في شرحه باعتبار ضعف ما قرره الشيخ خليل في الأصل، وهي مبثوثة في عدة مواضع من شرحه، ولعل المقام يطول بذكرها ولذا سأكتفي بالإشارة إليها.

ومن تلك الاستدراكات ما جاء في فصل الأعيان الطاهرة والنجسة [16]، وكذلك في حكم إزالة النجاسة أو ما يعفى عنه من النجاسات[17]، ونحوها في فصل الاستخلاف[18]، وكذا في حكم البيوع المنهي عنها[19]، ومثلها ما جاء في باب الإقرار[20]، إلى غير ذلك من الاستدراكات التي يمكن أن تكون محلاً لمزيد من الدراسة والبحث .

ثانياً: استدراكاته على الأصل بسبب خلل في صياغة العبارة:

ومن تلك الاستدراكات التي ارتآها الشيخ الدردير، قول الشيخ خليل في الأصل " أو كانت أسفل نعل فخلعها"[21]. حيث استدرك الشيخ الدردير على لفظ خلع، واستبدلها بلفظ سَلَّ، وعلل ذلك بقوله "والتعبير بسلّ أولى من التعبير بخلع؛ لأن السل يفيد الخفة، والخلع يصدق ولو مع رفع نعله "[22]. ومن رفع نعله المتنجس أسفله وهو في صلاة بطلت.

وكذلك قول الشيخ خليل في الأصل: "وإنما يخرّص الثمر والعنب ... نخلة نخلةً"[23]. حيث استدرك الشيخ الدردير على لفظ نخلة، واستبدلها بلفظ شجرة، وعلّل ذلك بقوله "هذا أعم من قوله –رحمه الله– نخلة؛ لأنه لا يشمل العنب إلا بتجوز[24]، أو حذف العاطف والمعطوف"[25].

المطلب الثاني: منهج الشيخ الدردير في الاختلاف والترجيح

أولاً: منهجه في عرض الخلاف:

المسألة الفقهية الواحدة قد يكون لأهل العلم فيها أكثر من رأي، وقد انتهج الشيخ الدردير عند تعرضه لتلك المسائل في شرحه مسلكين:

المسلك الأول: اختيار أحدهما مع ذكر سبب الاختيار، وذلك لكون العمل جرى به، أو لكونه موافقاً لقواعد الشرع، إلى غير ذلك من أسباب الترجيح التي ستذكر لاحقاً.

المسلك الثاني: ذكر المسألة مع ذكر الخلاف والاقتصار على ذلك.

والمسلك الأول هو الغالب، والشيخ إذ ينتهج هذا المسلك، يضفي على الشرح قيمة علمية وثروة فقهية، فالشّرح ليس نقلاً حرفياً لأقوال السابقين، وإنما قوامه النقل والترجيح كما ستبين الأمثلة، وهو مزية أيضاً لمؤلف الكتاب تتجلى بها درجته العلمية، فقد أظهرت مقدرته على الترجيح أنه في درجة مجتهدي الفتيا، حيث تقرر في علم الأصول أن من تمكن من ترجيح قول على آخر، وكان إمامه قد تركهما من غير ترجيح استحق أن يوصف بأنه مجتهد فتيا [26].

ثانياً: منهجه في الترجيح:

سبقت الإشارة إلى أنّ الشيخ الدردير لم يكن يكتفي بإيراد المسائل، بل إنه يرجح عند الاختلاف، وهذه هي السمة الغالبة على هذا الشرح؛ حيث اشترط على نفسه ذلك في أول كتابه، وفيما يلي جملة من التطبيقات على ذلك:

أ. من كان عادمًا للماء، وأراد إبطال طهارته بموجب للغسل، من غير ضرر يلحقه، فإن لأهل العلم في المسألة رأيين: الكراهة والحرمة، وقد ذهب الشيخ الدردير إلى ترجيح القول بالكراهة؛ معللاً ذلك بانتقاله من التيمم للأصغر إلى التيمم للأكبر[27].

ب. فاقد الطهورين التيمم والماء: لأهل العلم فيه أربعة أقوال، يصلي ثم يقضي بعد ذلك، وعكسه، وقيل يصلي ولا قضاء عليه، والقول الرابع: تسقط الصلاة عنه أداء ويطالب بها قضاء، وقد رجح الدردير القول بسقوط الصلاة في القضاء، وذلك لعدم التمكن من الطهارة عادة[28].

مستندات الترجيح عند الشيخ الدردير:

عندما يختار الشيخ رأياً من الآراء في المسألة المختلف فيها ويرجحه على غيره، كثيرًا ما كان يبين سبب اختياره له ومستنده في ترجيحه، ومن جملة الأمور التي اعتمد عليها في الترجيح ما يلي:

1. ما به العمل: وذلك كما في باب الضمان، فيما إذا حصل تنازع بين الضامن والدائن في ملاء المدين وعدمه، فالذي رجحه الدردير: أن القول للطالب، وسنده في ترجيح ذلك أن العمل جرى عند التنازع أن القول للطالب أي الدائن، قال: "فيكون هو الراجح"[29].

2. الموافقة لقواعد الشرع: الرأي الموافق لقواعد الشرع أولى في الاعتماد من غيره لدى الشيخ الدردير، وذلك نحو ما جاء في مسألة إقرار المكره، حيث ذهب بعض أئمة المذهب إلى أن المكره يؤاخذ بإقراره حال كونه ذا تهمة ، أما الشيخ الدردير فقد شهَّر عدم مؤاخذة المكره بإقراره ولو كان متهماً، قال: "وهو الموافق لقواعد الشرع"[30].

ومن المرجحات أيضاً أن يكون القول الذي اختاره – رحمه الله– ورجحه موافقاً لعرف بلده[31]، ومعلوم أن العرف من مصادر التشريع في المذهب[32].

وكذلك إذا كان الرأي الذي اختاره موافقاً لما به الفتوى[33]، أو كان موافقاً لما في المدونة[34]، وللمدونة المكانة السامية في المذهب[35]، إلى غير ذلك من المرجحات التي امتلأ بها الشرح وفاض.

أساليب الترجيح:

لم يقتصر الشيخ الدردير على أسلوب واحد وصيغة محددة للترجيح، بل تعددت أساليبه وعباراته الدالة على بيان الراجح من المرجوح، فقد يصرح الشيخ أحياناً بلفظ (الراجح)، وقد يأتي أحياناً بلفظ يقوم مقامه.

فمن الأول: تصريحه بترجيح كراهة تلطخ الجسم بالنجاسة في مسألة: حكم الانتفاع بالمتنجس، حيث قال: "إلاّ الآدمي، فلا يجوز له الانتفاع به أكلاً أو شرباً، ولا يدهن به بناء على أن التلطخ بالمتنجس حرام، والراجح أنه مكروه"[36].

ومن الثاني: ما جاء في مسألة عادم الطهورين، حيث صحَّح الشيخ جواز التيمم على الحائط المبني بالحجارة أو بالطوب النيئ بقوله "الصحيح أنه يجوز للصحيح العادم للماء أن يتيمم بحائط مبني بالطوب النيئ"[37].

ومن الألفاظ التي استعملها أيضاً في بيان الراجح من المرجوح: المعول عليه، والتحقيق، والأوجه، ونحو ذلك[38].

المطلب الثالث: منهج الشيخ الدردير في الاستدلال

قبل بيان منهجية الشيخ في الاستدلال على الأحكام يحسن التذكير بأمر مفاده: أن الأحكام الشرعية في مجملها عبادات ومعاملات، فالعبادات أحكامها توقيفية ذكرت في القرآن مجملة، وجاءت السنة مبينة لما أُجمل فيه، فأغلب مسائل العبادات وأدلتها منصوص عليها حقيقة أو حكماً، أما الجانب الثاني من التشريع وهو المعاملات، فالغالب على أدلتها أنها نصوص عامة وقواعد كلية، سواء ما جاء منها في الكتاب أو في السنة، وإرجاع الجزئيات إلى تلك النصوص والكليات يحتاج إلى جهد وإعمال فكر، وقد نبه على ذلك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حيث قال : "بل إن الأدلة على ذلك متفاوتة الكثرة والقلة في أنواع التشريعات... ألا ترى أن مسائل العبادات والآداب الشرعية أكثر أدلة وآثاراً عن الشارع من مسائل المعاملات والنوازل"[39].

والاستدلال للمسائل الفقهية في هذا الشرح له حضور، كما سيظهر من الأمثلة، ولكن لما كان المستهدف من هذا الشرح فئة خاصة من أهل العلم، وهم المبتدئون[40]. والمبتدئ عند أهل العلم هو الشارع في العلم الذي لم يقف على أصوله[41]، جاءت المسائل خالية من الدليل غالباً، وخاصة في بداية الشرح، وهو المخصص لجانب العبادات، وقد تقدم أن مسائل هذا الجانب توقيفية، ولذلك اكتفى الشارح فيه من الدليل بما يحقق المقصود، والإعداد لمرحلة يكون فيها المبتدئ قد أنست نفسه بالعلم وألفته، وتهيأت لدراسة المسائل بأدلتها، وهو ما يلاحظه القارئ بعد ذلك في جانب المعاملات التي يغلب على أدلتها أن تكون كلية وقواعد عامة، ولا ريب أنه ميدان فسيح لإجالة النظر وإعمال الفكر، وقد اخترت نماذج من الجانبين: العبادات والمعاملات لتكون شواهد على منهجية الشارح في استدلاله للمسائل الفقهية.

نماذج من استدلالات الدردير في جانب العبادات

غلب على الاستدلال في هذا الجانب أن يكون نقليًّا باعتبار أن العبادات توقيفية كما أسلفت، ومن أمثلة ذلك في شرح الدردير استدلاله –رحمه الله– لوجوب الهدي على المتمتع بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [42].

ومن ذلك استدلاله على الأحكام بما ورد في السنة، وإن كان الغالب عليه أن يشير إلى ورود الحكم في السنة إجمالاً دون ذكر لنص الحديث المتعلق بكل مسألة من المسائل، وذلك كما في ندب الدعاء في السجود، حيث قال: "كسجود يندب فيه التسبيح والدعاء أيضاً كما ورد في السنة"[43].

وقد كان الإجماع[44] أيضاً من الأدلة التي برزت في شرح الدردير، حيث استدل به في مواضع كثيرة، منها ما جاء في تحريم الصور المجسمة للحيوانات، حيث قال: "والحاصل أن تصاوير الحيوانات تحرم إجماعاً إن كانت كاملة لها ظل .... " الخ[45].

إلى غير ذلك من مصادر التشريع التي كان لها حضور في الشرح الصغير علاوة على بعض الأدلة ذات السمة الاجتهادية كالقياس[46]، والاستحسان[47]، ونحو ذلك.

نماذج من استدلالات الدردير في جانب المعاملات

وقد تقدم أن الاستدلال في جانب المعاملات مرده إلى نصوص عامة وقواعد كلية وضوابط فقهية، وقد استمد الشيخ الدردير –رحمه الله– من ذلك كثيراً من الأحكام، وقرر بناء على ذلك مسائل عدة وفروعاً شتى، فمن ذلك ما جاء في باب البيوع:

حيث قرّر أن المشتري إذا قبض السلعة في البيع الفاسد فإنه يفوز بالغلة، وذلك: لأن الغلة بالضمان[48]، وهذه القاعدة لها فروع وتطبيقات عدة يرجع إليها في مظانها[49].

وقد مال في مسألة صرف الريال الواحد بدراهم فضة، إلى قول من يرى الجواز على الرغم من عدم التماثل الذي هو شرط عند اتحاد الجنس، وذلك مراعاة لحاجة الناس[50]، واستناداً منه إلى قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) [51].

كما كانت قاعدة: (المباشر مقدم على المتسبب)، أصل لعدة أحكام ذكرها الشيخ الدردير في شرحه الصغير، ومن ذلك: أن المكره يقدم في الضمان على من أكرهه، والظالم يقدّم على من دَلَّهُ أو أغراه على التلف، إلى غير ذلك من التفريعات[52].

وهناك قواعد وضوابط أخرى ذكرها الشيخ في شرحه أكتفي بعرضها دون ذكر لما تفرع عنها خوف الإطالة، وذلك كقاعدة: (من عَجَّل المؤجّل عُدّ مسلفاً)[53]. وقاعدة: (الغيْبة على المثلي تعد سلفاً)[54]، وقاعدة: (الظالم أحق بالحمل عليه)[55].

وأرى أن هذه القواعد والضوابط، محل لدراسة معمقة تقوم على استخراجها من هذا الشرح مشفوعة بما تفرع عنها من مسائل فقهية.

الخاتمة

وفيها ألخص أهم ما توصلتُ إليه من نتائج، وكذا ما أرومه من توصيات، وهي كالتالي:

1. متن أقرب المسالك مستمد من مختصر خليل، ولذا ظهر واضحاً ارتباط الفرع بالأصل في صورة استدراكات، ومناقشات، أثرى بها الشيخ الدردير تقريره لبعض المسائل في شرحه .
2. لم يكن الشيخ الدردير في شرحه الصغير بمنأى عن البيئة التي عاش فيها، فهو يربط بين شرحه للمتن وواقع مجتمعه كلما دعته الحاجة لذلك، ناقداً تارةً، وموجهًا تارةً، ومبيناً لأحكام ما يستجدُّ في عصره من قضايا تارةً أخرى.
3. لم يكن الشيخ الدردير في شرحه الصغير ناقلاً للمسائل مكتفياً بسرد ما تشتمل عليه من آراء، بل كثيراً ما كان يرجح منها ما يراه موافقاً للدليل ومتماشياً مع قواعد الشرع.
4. الشرح الصغير وإن كان موضوعاً في الأصل للمبتدئين، إلا أن الشارح –رحمه الله– لم يهمل جانب الاستدلال خصوصاً في جانب المعاملات؛ التي تحظى بالنصيب الأوفر من القواعد الكلية والضوابط العامة .
5. أوصي بأن تكون استدراكات الشيخ الدردير وكذا ترجيحاته في الشرح الصغير، محلاً لعناية الباحثين في الفقه المالكي، فإن كلاً منهما حَرِيٌّ بدراسة علمية مستقلة.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

[1] هو الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الصعيدي العدوي، نسبة إلى بني عدي قرية بالقرب من منفلوط بمصر، كان شيخ شيوخ المالكية في عصره، من أشهر مؤلفاته: حاشية على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وحاشية على شرح جوهرة التوحيد، وحاشية على شرح السلم في المنطق، توفي سنة 1189هـ. ينظر فهرس الفهارس (109/2-110)، والأعلام (260/4).

[2] هو الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى الصباغ الإسكندري، تفقه بالأزهر، وكان من علماء المالكية الذين اشتغلوا بالحديث، توفي بالقاهرة سنة 1163هـ. ينظر: فهرس الفهارس (702/2)، والأعلام (257/1).

[3] ينظر: شجرة النور الزكية(5/1-6)، وطبقات المالكية (ص45).

[4] ينظر: اصطلاح المذهب عند المالكية (145-154).

[5] منظومة جواهر الفقه (ص 7).

[6] الشرح الصغير على أقرب المسالك (182/1).

[7] المصدر نفسه (319/1).

[8] الشرح الصغير على أقرب المسالك (297/2).

[9] يُنظر: المصدر نفسه (315/1).

[10] الشرح الصغير على أقرب المسالك (3/1-7).

[11] ينظر: مختصر خليل (ص 13).

[12] الطَّفْلُ : طين أصفرُ يتجمد على هيئةِ رقائقَ بتأثير ضغط ما فوقَهُ من صَخور ، وتُصبغ به الثياب مادة إذا أضيف إليها الماء تكوّنت منها طينة تقبل التشكّل، ومن مثلها تصنع الأواني الفَخَّارية.

[13] الشرح الصغير على أقرب المسالك (14/1).

[14] ينظر: مختصر خليل (ص23).

[15] الشرح الصغير على أقرب المسالك (58/1).

[16] ينظر: المصدر نفسه (20/1).

[17] ينظر: المصدر نفسه (30/1).

[18] ينظر: المصدر نفسه (169/1).

[19] ينظر: المصدر نفسه (32/1).

[20] ينظر: المصدر نفسه (197/1).

[21] مختصر خليل (ص15).

[22] الشرح الصغير على أقرب المسالك (28/1).

[23] مختصر خليل (ص65).

[24] أي من إطلاق الخاص وإرادة العام، ينظر: حاشية الصّاوي على الشرح الصغير (217/1).

[25] الشرح الصغير على أقرب المسالك (217/1).

[26] يُنظر: نثر الورود على مراقي السعود (628/2).

[27] يُنظر: شرح الصغير على أقرب المسالك (75/1).

[28] ينظر: المصدر نفسه (96/2).

[29] الشرح الصغير على أقرب المسالك (158/2).

[30] المصدر نفسه (334/2).

[31] ينظر: المصدر نفسه (306/2).

[32] ينظر: إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك (ص201).

[33] ينظر الشرح الصغير على أقرب المسالك (179/2).

[34] ينظر: المصدر نفسه (210/2).

[35] ينظر: اصطلاح المذهب عند المالكية (ص148).

[36] الشرح الصغير على أقرب المسالك (24/1).

[37] المصدر نفسه، (75/1).

[38] المصدر نفسه (95/1، 152. 480).

[39] مقاصد الشريعة الإسلامية (ص232).

[40] يُنظر: الشرح الصغير على أقرب المسالك (3/1).

[41] يُنظر: بلغة السالك لأقرب المسالك (3/1).

[42] سورة البقرة: 196

[43] الشرح الصغير على أقرب المسالك (300/1).

[44] الإجماع اصطلاحاً: اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الأمور" القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين (ص14).

[45] الشرح الصغير على أقرب المسالك (119/1).

[46] القياس اصطلاحاً: (إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت) معراج المنهاج (ص 485).

[47] اختلف الأصوليون في تعريفه، وعرفه الباجي بقوله: "هو القول بأقوى الدليلين" كتاب الإشارة في معرفة الأصول (ص354)، وعن بعض الأصوليين أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعده العبارة عنه تقريب الوصول إلى علم الأصول (ص 147).

[48] ينظر الشرح الصغير على أقرب المسالك (38/2).

[49] ينظر الإسعاف بالطلب (ص251).

[50] ينظر الشرح الصغير على أقرب المسالك (18/1).

[51] ينظر خواتم الذهب على المنهج المنتخب (ص 276).

[52] ينظر: الشرح الصغير على أقرب المسالك (211/2).

(53) المصدر نفسه (16/2).

(54) المصدر نفسه 43/2.

(55) المصدر نفسه 213/2.

المصادر والمراجع

1. الإشارة: أبو الوليد الباجي، تح: محمد فركوس، دار العواصم الجزائر، ط: 3، 2014 م.
2. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة: ابن نجيم، تح: عبدالكريم الفصلي، المكتبة العصرية، ط: 1، 1998.
3. اصطلاح المذهب عند المالكية: محمد إبراهيم علي، دار البحوث، ط: الثانية، 2002م.
4. الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 15، 2002م.
5. إيصال السالك إلى أصول مذهب مالك: محمد يحيى الولاتي، مراد بو ضالية، دار ابن حزم، ط: 1 2006م.
6. بلغة السالك لأقرب المسالك: أحمد بن محمد الصاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: 1952م.
7. تقريب الأصول إلى علم الأصول: ابن جزي الغرناطي، تح: محمد فركوس، دار الأقصى: ط: 1990.
8. خواتم الذهب على المنهج المنتخب: عبد الواحد الهلالي، تح: أحمد عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه القاهرة، ط: 1، 2012م.
9. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 2003م.
10. الشرح الصغير على أقرب المسالك: أحمد الدردير الحلبي، ط: الأخيرة، 1952م.
11. فهرس الفهارس: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1982م.
12. القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين: محمد عثمان، دار الحديث القاهرة، ط: 1، 2000م.
13. معراج المنهاج، البيضاوي، تح: شعبان إسماعيل، دار ابن حزم، ط: 1، 2003.
14. مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور، أحمد الميساوي، دار النفاش، ط: 2، 2001م.
15. منظومة جواهر الفقه: محمد مفتاح قريو، دار الكتب الوطنية بنغازي، ط: 1، 1994م.
16. نثر الورود على مراقي السعود: محمد الأمين الشنقيطي، دار المنارة، السعودية، ط: 1، 1999.

إعادة العصمة الزوجية والمقصد الشرعي منها

د. عبد العظيم محمد الأجطل*

تقديم:

أتناول في هذا البحث جانبا من جوانب الأحوال الشخصية، ألا وهو: إعادة العصمة الزوجية لسابق عهدها، والمقصد الشرعي منها، وهو الذي عبر عنه الفقهاء بالرجعة.

وهذه الرجعة إن دلت على شيء، فإنما تدل على مدى حرص الشارع الحكيم على استمرارية، ودوام عقد النكاح المقدس، الذي بدأه الزوجان بحياة زوجية استطعما آثارها، ولمسا نتائجها، وبالفرقة وانفصالهما عن بعضهما صارا كالأجنبيين، ولن تتجدد حياتهما الزوجية إلا بالرجعة، حيث ينعم الجميع بعشرة حسنة، وعلاقة جديدة من خلالها يفهم كل منهما صاحبه في الغالب.

إن أهمية هذا البحث تكمن في تبصير القارئ الكريم، ببعض أحكام الأسرة المسلمة من خلال الخطوات العملية، التي يجب على الزوج فعلها، إذا غضب ووقع منه طلاق لزوجته، فيردها لعصمته دون رضاها، وبلا تجديد عقد، ولا ولي، ولا صداق، ولا إيجاب وقبول، إذا كانت رجعته لزوجته في عدتها، وما يلزمه فعله في حال خروجها من عدتها، فيحرص على مراجعتها قبله، وما يترتب على تعدد طلاقه، وزيادته عن مرتين من حرمانه منها، وتحريمها عليه حتى تنكح زوجا غيره، الأمر الذي تنفر الطباع السليمة منه وتكرهه، فينزجر عن الطلاق، ويحرص على تجنبه، فتستقر حياتهما الزوجية، وهذا هدف مهم، وغاية نبيلة حث الشارع الحكيم على تحقيقها؛ لأنها من مقاصد الشريعة الإسلامية.

تناولت هذا الموضوع المهم في خمسة مذاهب فقهية؛ الأربعة الأكثر شهرة وانتشاراً، والمذهب الظاهري، يقف القارئ من خلالها على ما أجمعوا وما اتفقوا عليه، وما اختلفوا فيه.

الأمر الذي من شأنه طمأنة قلب القارئ الكريم، وراحة نفسه واستقرارها؛ ذلك أن في اتفاقهم وإجماعهم ضرورة الالتزام والتطبيق؛ لاعتماد جميع أقوالهم وآرائهم على أدلة شرعية، وفي اختلاف أقوالهم وآرائهم رحمة بالعباد، على اعتبار أن لكل منها دليل شرعي معتبر يعوّل عليه، ولا يخفى ما في ذلك من توسعة في تشريع الأحكام، وهذا هو منهاج الشريعة الإسلامية الغراء، المستمد من يسر

* كلية التربية – جامعة مصراتة.

الدين وسماحته، المتمثل في رفع الحرج عن العباد، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1].

صدرت هذا البحث بالمقصد الشرعي من الرجعة، ثم تناولت تعريفها، وحكمها، ودليلها النقلي من الكتاب والسنة والإجماع، وكذلك دليلها من الجانب العقلي، وأركانها، وأنواعها، وشروطها، ومتى تثبت وتتحقق شرعا، وما يترتب على ذلك من لزوم عودة الزوجة إلى عصمة زوجها عند التقاضي، هذا بالإضافة إلى بيان الحقيقة لصاحب الحق الشرعي عند اختلاف الزوجين وتنازعهم فيها.

ثم ختمته بأهم النتائج التي توصلت إليها، والله – تعالى – أسأل أن يستفيد منه قارئه، والمطلع عليه، وأن يكون التوفيق وحسن الختام حليفنا جميعا، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

من المعروف " أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين"[2]، وتدرأ أعظم المفسدتين والشرَّين؛ ذلك أن "من تتبع مقاصد الشارع في جلب المصالح ودرء المفاسد، حصل له من مجموع ذلك اعتقاد، أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص، ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك[3]." وعليه إذا اختل المقصد الشرعي من النكاح، بسبب من الأسباب المانعة من بقائه واستقراره، واستمرار العشرة الزوجية ودوامها؛ كسوء عشرة الزوجة أو قلة دينها، ونحو ذلك... أجاز الشارع الحكيم للزوج أن يطلق زوجته، بعد وعظها وإرشادها، واتخاذ كافة التدابير اللازمة، والمهمة لعلاجها وإصلاحها؛ لكي تستقر في بيت زوجها، الذي قدَّره الله لها في هذه الدنيا، ورضيت به غالبا، وهذا هو المقصد الشرعي من إعادة العصمة الزوجية إلى سابق عهدها؛ ذلك أن "مقاصد التشريع العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"[4].

على أن سبب الفرقة بين الزوجين، قد يكون ناجماً عن رغبة وإصرار الزوج، أو الزوجة، وقد يكون بسبب تافه من أحدهما، وقد يكون بسبب مهم يمكن علاجه مع بقاء النكاح، ودون اللجوء إلى الطلاق، وقد يكون نتيجة غضب وحمق من أحدهما أو كليهما، فيقع الطلاق من الزوج، وتمر الأيام فيلحق الندم أحدهما أو كليهما، وفي هذه الحالة شرع الله – تعالى – الرجعة، التي يستأنف الزوجان بها نكاحهما الذي رغب فيه الشارع، وحث عليه، ويقبلان على بناء علاقة جديدة بمقتضى هذه الرجعة، التي مكنتهما من العودة إلى تجديد تاريخهما الحافل بالذكريات، والمعاشرة الزوجية الهادئة

الهائئة، ويتحاش كل منهما ما يثير ويغضب صاحبه، وهذا تطبيق لأوامر الشارع الحكيم، على اعتبار " أن المراد بمقاصد التشريع : الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[5]. ومن ثم يتحقق المقصد الشرعي من النكاح، بإعفاف النفوس وتكثير النسل، وحسن العشرة بين الزوجين، اللذين مرت بهما عاصفة هوجاء، أدت إلى افتراقهما الذي لمسا مرارته، وحرمانه من المتعة الزوجية، وبالرجعة يلتئم شمل الأسرة من جديد، ولا يلحق الضرر أحد الزوجين أو كليهما، ولا يلحق الضياع والتشرد لأطفالهما – إن كان لهما أطفال – فيهنأ الجميع بإعادة العصمة إلى سابق عهدها، ويستمر النكاح بين الزوجين، ولهما " تحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما"[6]؛ لأن عناية الشارع الحكيم بدرء المفاسد، أكبر من عنايته بجلب المصالح[7].

وبما أن الطلاق الذي اقتضت حكمة الله – تعالى – أن يكون لمن أخذ بالساق، والآخذ بالساق هو الزوج، فالطلاق له، والرجعة له أيضاً دون المرأة، فله أن يراجع زوجته متى شاء ما لم تخرج من عدتها، إذ بخروجها من عدتها تملك نفسها، وتنحل عقدة النكاح التي بينها وبين زوجها، فلا تستمر حريته في إرجاع مطلقته، التي منحها الشارع له في زمن العدة ؛ لأنها بانت منه بينونة صغرى.

والبينونة الصغرى تتحقق في أحوال متعددة منها:1– التطليقة الواحدة.2– أو التطليقتين بالنسبة للزوجة المدخول بها، وخروجها من العدة.3– ومنها: طلاق غير المدخول بها.4 – ومنها: طلاق المختلعة[8].

فهذه الأحول وأمثالها، مما يكون الطلاق فيها بائناً بينونة صغرى، لا يحق للزوج أن يراجع زوجته إلا بإذنها ورضاها، وبعقد ومهر جديدين، عقوبة له على تهاونه بعدم الإسراع في إرجاع زوجته إلى عصمته ؛ كما في الحالتين الأولى والثانية، وتسرعه بإيقاع الطلاق دون تعقل وتروٍ بشكل عام.

وإذا تكرر الطلاق بين الزوجين بحيث زاد عن اثنتين، فقد بانت الزوجة من زوجها بينونة كبرى، ولا رجعة للزوج، ولا عودة للنكاح بين الزوجين في الطلاق البائن بينونة كبرى، وهو التطليقة الثالثة بينهما، فلا تحل الزوجة لزوجها إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره؛ بعقد ودخول صحيحين، وهذه عقوبة أشد على الزوج من الصداق والعقد الجديدين؛ لأنه يغار على زوجته التي تزوجت من غيره، ولا سبيل إليها إلا بعد موت أو طلاق هذا الزوج الجديد، الذي وجد زوجته في عصمته، وبخاصة إذا كان طلاقه لها نتيجة غضب، أو بسبب تافه يمكن تفاديه وعلاجه.

فالحمد لله الذي أباح النكاح، وشرع له الطرق الكفيلة لبقائه واستقراره، والمحققة لتجدده ودوامه واستمراره، وحرم البغي والسفاح، اللذين حرمتهما جميع الشرائع، والشكر والمنة له – جلَ وعلا – أن جعل لنا من كل شدة فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً.

تعريف الرجعة:

الرجعة لغة : المرَة من الرجوع. "وارتجع المرأة وراجعها مراجعة ورِجاعا : رجعها إلى نفسه بعد الطلاق، يقال : طلق فلان فلانة، طلاقا يملك فيه الرَّجعة والرَجعة، والفتح أفصح"[9]. واصطلاحا عند الجمهور: إعادة المطلقة طلاقاً رجعياً إلى الزواج في العدة بغير عقد. والطلاق الرجعي ينهي العلاقة بين الزوجين كالبائن، إلا أن الرجعي ينتهي ويسقط بالرجعة دون البائن[10]. وهي عند الحنفية: " استدامة الملك القائم بلا عوض ما دامت في العدة"[11]. وهذا التعريف يعني أيضاً قطع الطلاق وإلغاءه، واستمرار العصمة الزوجية في حال عدة الزوجة.

حكم الرجعة [12]:

الرجعة مشروعة في الطلاق الرجعي، قبل مضي وانتهاء زمن العدة، برضا الزوجة ومن دونه، بالقول أو الفعل، على جهة الجواز والندب، وهي في الطلاق البائن ببينونة صغرى، برضا الزوجة، وبعقد وصداق جديدين، وتكون بالقول لا الفعل.

دليلها: أولا: من النقل:

1– من الكتاب العزيز: قال الله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾[13] والمراد بالرد: الرجعة، فردهن أي : رجعتهن إلى أزواجهن. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ[14]﴾، وقال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[15]، والإمساك بمعروف الرجعة.

2 – من السنة : عن ابن عباس عن عمر–رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (طلق حفصة ثم راجعها)[16]. وقوله –صلى الله عليه وسلم– لسيدنا عمر– رضي الله عنه– لما طلق ابنه زوجته: (مره فليراجعها)[17].

3– من الإجماع : أجمع العلماء على أن من طلق امرأته أقل من ثلاث تطليقات، له حق مراجعتها ما دامت في العدة[18].

ثانيا: من العقل:

"ومن المعقول : فلأن الحاجة تمس إلى الرجعة ؛ لأن الإنسان قد يطلق امرأته ثم يندم على ذلك، على ما أشار الرب –جل جلاله– بقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[19]، فيحتاج

إلى التدارك، فلو لم تثبت الرجعة لا يمكنه التدارك، لما عسى لا توافقه المرأة في تجديد النكاح، ولا يمكنه الصبر عنها فيقع في الزنا"[20].

الفرق بين الطلاق الرجعي والبائن :

الطلاق الرجعي يقطع وينهي العلاقة بين الزوجين كالبائن، إلا أن الرجعي ينتهي ويسقط بالرجعة، وأما البائن فلا يسقط بالرجعة.

أركان الرجعة وأنواعها[21]:

ذهب الحنفية إلى أن أركان الرجعة: الصيغة أو الفعل، وهي عند الجمهور ثلاثة: مرتجع، وزوجة، وصيغة قولية، أو فعل ونية عند المالكية، وأضاف الحنابلة الوطء.

أنواعها: وأنواع الرجعة اثنان:

أولها: رجعة من طلاق رجعي.

والرجعة من الطلاق الرجعي لا توجب عقدا، ولا صداقا جديدين، وتكون بالقول أو بالفعل اتفاقا، وتكون بإذن المرأة ومن دونه، ولا يلزم لها ولي، ولكن يشترط لها بقاء الزوجة في زمن العدة.

ثانيها: رجعة من طلاق بائن، والرجعة من الطلاق البائن وإن لم تخرج المطلقة من عدتها؛ كطلاق غير المدخول بها، والمطلقة طلاقاً رجعياً في ما دون ثلاث تطليقات، وخرجت من عدتها، لا بد لها من إنشاء عقد وصداق جديدين، وإذن المرأة ورضاها، وتولي وليها العقد.

شروط الرجعة[22]:

أولاً: الزوج المرتجع: اشترط جمهور الفقهاء في المرتجع أهلية الزواج بنفسه، التي تكون بالتكليف، الذي يعني: البلوغ والعقل، كما اشترطوا عدم الإكراه، والارتداد، ولم يشترط الحنفية هذه الشروط، فأجازوا رجعة الصبي والمجنون، والمعتوه والمكره.

ثانياً: المرأة المرتجعة: أن تكون مدخولاً بها، وأن يكون طلاقها من نكاح صحيح؛ لأن غير الصحيح يفسخ قبل الدخول وبعده، ولا تتحقق فيه الرجعة، وألا يكون طلاقها بعوض؛ لأن الطلاق بعوض – يسمى خلعا– تملك الزوجة به أمر نفسها، فيكون طلاقها بائناً، وألا يكون طلاقها ثلاثاً، أو طلقتها الثالثة؛ لأن هذه تجعلها بائنة، لا رجعة لزوجها عليها، وألا تخرج المرتجعة من عدتها، فإن خرجت من عدتها فقد بانت، وأن تكون قابلة لحل الزوجية، احترازا من الصغيرة.

ثالثاً: الصيغة[23]: ذهب الجمهور إلى تحقق الرجعة بالقول أو بالفعل، ومن الفعل الخلوة، أما القول الصريح فلا يحتاج إلى نية عند الحنفية؛ كقوله: راجعتك، وارتجعتك، ورددتك إليّ، أو إلى

عصمتي، ونحو ذلك... وهذا الحكم يختلف عن ألفاظ الكناية المحتملة للرجعة وعدمها؛ كأنت عندي، وأنت امرأتي، ونحو ذلك... فهذه تحتاج إلى نية؛ لاحتمالها إرادة الإرجاع وعدمه.

ثبوت وتحقق الرجعة:

تثبت وتتحقق الرجعة بالفعل، بكل ما يوجب حرمة المصاهرة؛ كالوطء، ومقدمات الجماع عند جمهور الفقهاء، غير الشافعية والظاهرية، وأضاف الحنفية أن اللمس، والاختلاس للفعل، وفي حال النوم أيضا، وكذلك الإكراه على الوطء يعد إرجاعاً للزوجة، وفعل المرأة يقع به الإرجاع أيضاً، وخالفهم في ذلك الحنابلة؛ لأن فعل المرأة صادر عن رغبتها لا رغبة الزوج، والذي يملك الرجعة الزوج، وزاد المالكية تحقق الرجعة بالنية، واقتصر الشافعية على القول دون غيره، وهو قول الظاهرية، ومن شروط الرجعة: أن تكون منجزة، فلا يصح فيها التعليق بزمن، أو بشرط شيء، أو مشيئة.

الإشهاد على الرجعة[24]:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الإشهاد على الرجعة لا يجب، فهو ليس من شروطها، لكنه مستحب فقط، وهو قول الإمام الشافعي في الجديد، وأصح الروايتين عن الإمام أحمد ؛ قطعاً للشك، وبعداً عن التهمة في العودة إلى الزوجة ؛ ولأنها لا تحتاج إلى قبول، ولا ولي، ولا صداق، فلم يجب فيها الإشهاد.

وخالف في ذلك الظاهرية، لقولهم بوجوب الإشهاد على الرجعة، تمسكاً بظاهر قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم﴾[25] لأنه أمر والأمر يقتضي الوجوب، زد على ذلك أنه استباحة بضع مقصود، تجب الشهادة فيه كالنكاح.

"وسبب الخلاف معارضة القياس للظاهر، وذلك أن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ يقتضي الوجوب، وتشبيه هذا الحق بسائر الحقوق التي يقبضها الإنسان، يقتضي أن لا يجب الإشهاد، فكان الجمع بين القياس والآية حمل الآية على الندب "[26].

الأحكام التي تلحق الرجعية :

والمطلقة الرجعية زوجة حكما، تلحقها أحكام النكاح؛ لأنها مطلقة طلاقاً رجعياً في زمن العدة[27]؛ تجب لها النفقة والكسوة والسكنى، ويصح إيقاع الطلاق عليها، والإيلاء، والظهار منها، ولعانها، ويصح التوارث بين الرجعية وبين زوجها، ويصح إرجاعها في زمن الإحرام بالحج أو العمرة، وكذلك في زماني الحيض أو المرض، وهي بذلك كالزوجة الحقيقية، ولا تختلف معها إلا في منع الاستمتاع بها.

الاستمتاع بالرجعية [28]:

جوَز السادة الحنفية والحنابلة والظاهرية، الاستمتاع بالرجعية، وجوَز الحنفية القسم لها؛ لصحة إيقاع الطلاق ونحوه عليها.

ومنع الاستمتاع بها المالكية والشافعية، قبل الإرجاع، أو نية الإرجاع؛ لوقوع التفريق بينهما، فهي كالبائن؛ لأن الاستمتاع بها مباح بالنكاح، وهذا المباح قد حرمه الطلاق؛ لأنه ضده ومناقض له، فلا يجتمع الاستمتاع مع الطلاق.

والرأي: أن إباحة الاستمتاع بالرجعية فيه انتهاك لحرمة الطلاق، فالمنع منه أولى من إباحته، ودرءًا لمفسدة التلاعب بالنساء، وصونا لحرمة الأبضاع من اعتداء العابثين، وخداع الماكرين.

على أن ما تقرر شرعا من تقديم درء المفاسد، وأنه مقدم على جلب المصالح، الذي يعد من أهم مقاصد الشريعة الغرَاء يمنع ذلك. والله – تعالى – أعلى وأعلم.

حق الرجعة:

يعطي الشارع الحكيم للزوج حقا شرعيا آخر لا ينازعه فيه أحد، بالإضافة لحقه الخالص في الطلاق، إذ ليس لغير الزوج المطلق حق ارتجاع زوجته، ويكون بإذنها، ومن دون إذنها، ولا يقبل هذا الحق السقوط، أو الإسقاط منه، أي: تجزئته وتبعيضه، إذا كان الطلاق رجعيا، ولم ينقض زمن عدة الزوجة المطلقة[29].

اختلاف الزوجين في الرجعة وأقل مدتها[30]:

لا يخلو حال الزوجين عند اختلافهما في الرجعة عن أمرين هما:

1 – وقوعها: فإن كان اختلافهما في وقوع الرجعة، بأن قال الزوج: راجعتك، وأنكرت الزوجة، وكان ذلك في زمن العدة، فالقول قول الزوج؛ لأنه يملك الرجعة من دون علمها ورضاها، وإن كان بعد خروج الزوجة من العدة، فلا تقبل دعواه إلا ببينة تؤيد دعواه، أو تصديقها له.

وعليه يكون القول قول الزوجة في عدم بينته، أو تصديقها له بيمين، وقيل: لا تلزمها اليمين؛ لأنها تدعي الأصل، وهو عدم الرجعة والبينونة، وهو قول أبي حنيفة، وكذلك إن كان الاختلاف في حصول الوطء، فالقول قولها بيمين؛ لأن الأصل عدمه، وهي منكرة فتلزمها اليمين.

2– صحتها: وإذا كان اختلاف الزوجين في صحة الرجعة، فادعى صحتها الزوج، وقالت الزوجة ببطلانها؛ لوقوعها بعد انقضاء العدة، فالقول للزوجة إن كان ما ادعته ممكناً، بأن كانت المدة يمكن أن تتحقق فيها ثلاثة قروء، ولا يقبل قولها إن كان ذلك بعيد الاحتمال وغير ممكن، لكذب دعواها بانتهاء المدة.

أقل مدة العدة التي تصح فيها الرجعة:

أقل المدة التي تنقضي فيها العدة عند الحنفية، ثلاثة قروء – حيضات – وتكون ستون يوماً، لكل حيضة عشرة أيام يتخللها طهران، مدتهما ثلاثون يوماً، لأن أقل طهر مدته خمسة عشر يوماً، فيكون مجموع المدة ستين يوماً.

وبعيد من هذا القول ما قرره الحنابلة، الذين ذهبوا إلى أن أقل مدة لانقضاء العدة هي: تسعة وعشرون يوماً ولحظة، تتحقق بثلاثة أقراء – حيض– وأقله يوم وليلة يتخللها طهران، مدتهما ستة وعشرون يوماً، لكل طهر ثلاثة عشر يوماً، وبتطليقها في آخر يوم من طهرها، تستقبل قرءا بيوم وليلة، ثم ثلاثة عشر يوما، ثم يوم وليلة قرء ثان، ثم ثلاثة عشر يوما طهر ثان، ثم يوم وليلة قرء ثالث، فيكون مجموع ذلك تسعة وعشرون يوماً ولحظة، واللحظة هي : بداية اليوم الجديد في الطهر الثالث الذي يخرجها من عدتها.

وذهب المالكية إلى أن القرء هو: الطهر، والمدة التي تنتهي بها العدة ثلاثون يوماً، ومدة الحيض يوم أو بعض يوم، فتطليق الزوجة في آخر طهرها واستقبالها حيض يوم، ثم خمسة عشر يوماً طهر، ثم حيض يوم، ثم طهر بقية الشهر، وبانقضائه تخرج من عدتها لتمام ثلاثة أطهار، الطهر الذي طلقها فيه، والطهران الآخران.

وقال الشافعية: إن أقل مدة تنتهي فيها العدة اثنان وثلاثون يوماً ولحظتان، ولا يتصور أقل من ذلك عندهم، والقرء هو: الطهر، ومدته خمسة عشر يوماً. وأقل الحيض يوم وليلة؛ فمن طلقت للحظة من طهرها، واستقبلت حيض يوم وليلة، ثم خمسة عشر يوماً قرء ثان، ثم حيض يوم وليلة، ثم خمسة عشر يوماً قرء ثالث، ثم حاضت للحظة، انتهت عدتها بمجموع اثنين وثلاثين يوماً ولحظتين.

دعوى انقضاء العدة:

قد تدعي المرأة انقضاء عدتها، بسبب عدم رغبتها في الرجوع إلى زوجها، وفي دعوى المرأة انقضاء عدتها بوضع حملها، يقبل قولها، إذا كان الحمل لأكثر من ستة أشهر من إمكان الوطء بعد العقد، ولا يقبل لأقل من ذلك، لأن أقل مدة الحمل ستة أشهر.

وفي دعوى انقضاء عدتها بالأشهر؛ ليأسها من الحيض بصغرها لا يقبل قولها؛ لأن المعول عليه في هذه المسألة قول الزوج ؛ لارتباطه بإيقاعه للطلاق في الزمن الذي يعرفه هو دونها، لكنه إن ادعى خروجها من العدة بغرض تخلصه من نفقتها، فالقول قولها للتهمة في دعواه.

الخاتمة:

وتتضمن أهم نتائج البحث التي ألخصها في الآتي:

* المصلحة هدف ومقصد من مقاصد التشريع الإسلامي، وأن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح.

* من مقا صد الشريعة الغراء، المحافظة على كيان الأسرة المسلمة وترابطها، واستمرار العلاقة الزوجية بين الأزواج، التي قد تشوبها بعض المنغصات فتكدر صفوها.

* حكمة الشارع الحكيم ورأفته بعباده، فمن يرتكب منهم حماقة بالفراق، نتيجة ضعفه وعدم سيطرته على نفسه، يجد الرجعة توقف التفريق الذي أحدته، وتردُّ العلاقة الزوجية إلى سابق عهدها.

* تنوع الرجعة بتنوع التفريق الذي يحدثه الزوج، فالطلاق الرجعي – عند إرادة الرجعة – لا يحتاج إلى رضا الزوجة وموافقتها، أو وليها ما دامت في عدتها ولم تخرج منها، فضلاً عن حاجتها إلى صداق، وولي، وشاهدين عدلين.

* اختلاف البينونة بالطلاق، فالزوجة المطلقة قد تبين من زوجها بينونة صغرى، وهذه تفيد فيها الرجعة، لكن برضا الزوجة، وتحديد صداق وولي جديدين، ويدخل في هذا النوع طلاق غير المدخول بها، والطلاق لمرة أو مرتين، وخرجت من عدتها.

* البينونة الكبرى لا تفيد فيها الرجعة؛ وذلك كالطلاق للمرة الثالثة، أي: التي سبقتها تطليقتين، وكذلك التطليق بالثلاثة، وما في حكمه كالخلع.

* الرجعية كالزوجة لها نفس الحقوق؛ كالنفقة والسكنى، وعليها نفس الواجبات، فتلحقها كافة أحكام الزوجة ؛ يقع عليها الطلاق والإيلاء، والظهار واللعان، فهي زوجة حكما لا حقيقة.

* الرجعة حق خالص للزوج وحده، لا يشاركه فيها أحد، وإن خالفته الزوجة فيها، فالبينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، فيحكم له القاضي، أو يحكم عليه.

الهوامش:

[1] سورة الحج من الآية: 78.

[2] مجموع الفتاوى لابن تيمية (48/20).

[3] قواعد الأحكام لآبن عبد السلام (2 /181).

[4] مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور (51).

[5] مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفاسي (3).

[6] مجموع الفتاوى لابن تيمية (48/20).

[7] ينظر الفروق للإمام القرافي(2/ 126، 188).

[8] ينظر بدائع الصنائع للكاساني (3/2/ 181)، ورد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (3/ 436)، وبداية المجتهد لابن رشد (2/ 105)، وأقرب المسالك للدردير (1/ 472)، وتكملة مجموع النووي للمطيعي (18/ 407) ونهاية المحتاج للرملي (7/ 57) والمغني لابن قدامة (8 /471) والشرح الكبير للمقدسي (8:/ 471،472)، والفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي (9 / 6986) ط 4، وأحكام الأسرة في الإسلام لمحمد شلبي (525،526).

[9] لسان العرب لابن منظور مادة رجع (8: 115).

[10] ينظر نهاية المحتاج للرملي (7/ 57). وأقرب المسالك (1/ 472).

[11] رد المحتار على الدر المختار (3/ 436). وينظر بدائع الصنائع.(2/ 3/ 181)، والفقه الإسلامي وأدلته (9 / 6986) ط 4، وأحكام الأسرة في الإسلام (525،526).

[12] ينظر بدائع الصنائع (3/2/ 181)، وبداية المجتهد (2/ 105)، وتكملة مجموع النووي (18/ 407)، والمغني (8 /471)، والشرح الكبير (8/ 471،472.).

[13] سورة البقرة من الآية: 232.

[14] سورة البقرة من الآية: 228.

[15] سورة البقرة من الآية: 229.

[16] أخرجه أبو داوود في سننه كتاب الطلاق باب في المراجعة حديث رقم (2283). (294/2/1). وابن ماجة في سننه 10 كتاب الطلاق 1 باب حدثنا سويد بن سعيد حديث رقم (2016). (650/1)، والحاكم في المستدرك كتاب الطلاق حديث رقم (6753، 6754) (197/2).

[17] أخرجه مسلم في صحيحه 18 كتاب الطلاق 1باب تحريم طلاق الحائض حديث رقم (1-1471). (271/3). والترمذي في سننه 11 كتاب الطلاق واللعان1 باب ما جاء في طلاق السنة حديث رقم (1176)، (470/3). وابن ماجة في سننه 10 كتاب الطلاق3 باب الحامل كيف تطلق حديث رقم (2023)(650/1).

[18] ينظر نهاية المحتاج (57/7)، وبدائع الصنائع (181/3/2)، وبداية المجتهد (107/2)، والمغني (471/8).

[19] سورة الطلاق من الآية :1.

[20] بدائع الصنائع (181/3/2).

[21] ينظر المرجع نفسه. وشرح الخرشي على مختصر خليل (79/4/2)، والقوانين الفقهية لابن جزي(239)، ونهاية المحتاج (57/7)، والفقه الإسلامي وأدلته (6987،6988/9).

[22] ينظر نهاية المحتاج (61،60/7)، وتكملة المجموع (410/18)، وشرح الخرشي على مختصر خليل (79/4/2− 81)، وبدائع الصنائع (181/3/2− 183،187)، ورد المحتار 449/3 وما بعدها. والمغني (473/8−475)، والشرح الكبير (8/ 495−498)، والفقه الإسلامي وأدلته (6990،6995/9).

[23] ينظر نهاية المحتاج (58،59/7)، وتكملة المجموع (18/ 410−412)، وأقرب المسالك (472،473/1)، وبدائع الصنائع (183/3/2)، ورد المحتار (447/3)، والمغني (483/8)، والشرح الكبير (8/ 472−473)، والفقه الإسلامي وأدلته (6991،6993/9).

[24] ينظر بداية المجتهد (105/2)، وشرح الخرشي على مختصر خليل (87/4/2)، وبدائع الصنائع (181/3/2)، ورد المحتار (440/3)، ونهاية المحتاج (58/7)، وتكملة المجموع (413/18)، والشرح الكبير (473،474/8)، والمغني(482،483/8)، والمحلى(253/10)، والفقه الإسلامي وأدلته (6995،6996/9).

[25] سورة الطلاق من الآية: 2.

[26] بداية المجتهد (2 : 105).

[27] ينظر بداية المجتهد (105،106/2)، وشرح الخرشي على مختصر خليل (79/4/2)، وبدائع الصنائع (180/3/2)، ورد المحتار (437،438/3)، ونهاية المحتاج (63/7)، وتكملة المجموع (408/18)، والشرح الكبير(475/8−477)، والمغني(487،488/8)، والمحلى (251/10)، والفقه الإسلامي وأدلته (6988/9، 6989).

[28] ينظر بداية المجتهد (106/2)، وبدائع الصنائع (180/3/2)، ورد المحتار (448،449/3)، وتكملة المجموع (408/18)، والشرح الكبير (475،476/8). والمغني (478،479/8). والمحلى (251/10).

[29] ينظر بداية المجتهد (105/2)، وبدائع الصنائع (186/3/2)، ورد المحتار (436/3)، ونهاية المحتاج (57/7)، وتكملة المجموع (408/18)، والشرح الكبير (472/8)، والمغني (477/8)، والمحلى (153/10).

[30] ينظر بدائع الصنائع (183،184/3/2)، وشرح الخرشي على مختصر خليل (82/2−86)، ورد المحتار (441/3−446،459−461)، والقوانين الفقهية (239)، ونهاية المحتاج (60،63/7)، وتكملة المجموع (415/18−417)، والشرح الكبير (484/8−491)، والمغني (487،492/8)، والفقه الإسلامي وأدلته (6997/9، 7000).

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم مصحف المدينة المنورة رواية ورش عن نافع.
1. أحكام الأسرة في الإسلام، د. محمد شلبي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 1983م.
2. أقرب المسالك (الشرح الصغير) أحمد الدردير، شركة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر، ط1، 1952م.
3. الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.
4. الفروق، للقرافي، دار المعرفة، بيروت، ط1.
5. الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط4، 1997م.
6. القوانين الفقهية، محمد بن جزي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1، 1982م.
7. المحلى، لابن حزم، تحقيق: لجنة التراث العربي، دار الجيل والآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط1، 1352هـ.
8. المستدرك، للحاكم النيسابوري، إشراف: د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
9. المغني على متن المقنع، ابن قدامة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.
10. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد (الحفيد)، مراجعة وتصحيح: عبد الحليم محمود وعبد الرحمن حسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط 1، 1992م.
11. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.
12. تكملة وتعليق وتحقيق المطيعي على مجموع النووي، شرح المهذب مكتبة الإرشاد، جده، السعودية، ط1.
13. رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، ومعه تكملة نجل المؤلف، دار الفكر، بيروت، ط1، 1995م.
14. سنن أبي داوود، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1.

15. سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1994.
16. سنن الترمذي (الجامع الصغير) تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1.
17. شرح الخرشي على مختصر خليل بهامش حاشية العدوي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1.
18. صحيح مسلم، تحقيق: د. موسى شاهين لاشين ود. عمر هاشم، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
19. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، ط1.
20. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية.
21. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، طبع تونس، ط1، 1366هـ.
22. مقاصد الشريعة ومكارمه، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993م.
23. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994م.
24. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، أحمد الرملي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

روافد مصطلح غريب الحديث

رافد الدخيل المعرّب الفارسي نموذجًا- دراسة لغوية تأصيلية دلالية

د. عبد الوهاب محمد عبد العالي*

الهدف:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد مجموعة الألفاظ الدخيلة المعربة من اللغة الفارسية، الواردة في أحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- من خلال كتب غريب الحديث وإجراء الدراسات الصوتية وتصنيفها إلى حقول دلالية، مع توضيح التطور الدلالي الذي أصابها، وتعد هذه الدراسة محاولة للرد على آراء بعض العلماء- قدامى ومحدثين- الذين يجمعهم الرأي القائل بأن الدخيل إذا جرت عليه التعديلات الصوتية وتشكل في القوالب اللفظية يصبح جزءا من الثروة اللغوية كأصيلها.

المشكلة (النقطة البحثية):

هي محاولة التوفيق بين نقائض، تتمثل في تصنيف العلماء القدماء لمجموع المفردات الدخيلة المعرّبة من الفارسية، الواردة في الأحاديث النبوية تحت مصطلح الغريب، لماذا استعانوا بها في توضيح وتقريب وتفسير بعض المفردات العربية ؟

وكذلك ورود الدخيل المعرّب الفارسي في بعض الأحاديث بجانب ألفاظ لهجية ولم يصنف في الغريب، وصنفت اللهجة من الغريب.

مجال الدراسة:

من المسلم به علمياً عدم خلو لغة من اللغات الحية من وجود ألفاظ دخيلة عليها، أجنبية عنها، وهذا الوجود أجمع عليه علماء اللغات القدامى والمحدثون؛ فهو أمر طبعي غير محلٍّ جدل ونقاش بينهم على اختلاف مشاربهم وتعدد آرائهم؛ فلم يحتج منهم إلى البحث عن دليل لإثبات وجوده على مرّ العصور قديمها وحديثها.

والعربية شأنها شأن جميع اللغات، تؤثر وتتأثر بالجوار مع مجموعة اللغات المحيطة بها جغرافيا، ويشجع على ذلك العوامل الاقتصادية والسياسية والدينية، وفي بعض الأحيان الثقافية، وإذا ما قسنا العربية بما اقترضته من الفارسية – مثلا- نجده في نصوص غريب الحديث من القلة بحيث لا يكاد يذكر، إذ لا يزيد على إحدى وخمسين لفظة، كما ذكرها صاحب النهاية في غريب الحديث والأثر – موضوع البحث.

* كلية التربية – جامعة مصراتة.

وقد اعتمدت في إثبات النصوص النبوية – محل الشاهد– على كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت606هـ)؛ لأسباب علمية ذكرها المؤلف في مقدمة كتابه، وهو من وجهة نظري أوسع الكتب المصنفة في غريب الحديث، ولعلي في مجال دراستي هذه أحاول تحقيق طلب أراده ابن الأثير من طلاب العلم، أودعه في مقدمته بقوله: (وأنا أسأل من وقف على كتابي هذا، أو رأى فيه خطأ، أو خللاً، أن يصلحه، وينبه عليه ويوضحه، ويشير إليه حائزًا مني شكرًا جميلًا ومن الله تعالى أجرًا جزيلًا).

مدخل الدراسة:

ليس ثمة شك في أن الاقتراض اللغوي وسيلة مهمة لنمو اللغة، وثراء مكتنزها اللفظي؛ وزيادة في رصيدها المفردي، تحتاجه عندما تشعر بفراغ قوالبها من مفرداته؛ فتدخله في استعمالاتها في مرحلة اللاوعي في التفكير اللغوي؛ فتنجرف تلك الألفاظ مستعملة أنساقاً متعددة متنازلة عن بعض مكوناتها الصوتية الأصلية، حالّةً أخرى بدائل عنها، متقولبة في صيغ وأنماط القوالب اللفظية في ظاهرة تعرف بالمعرّب.

لقد دعا وجود مثل هذه المفردات المعرّبة في ألفاظ الحديث النبوي الشريف إلى توجه مجموعة من العلماء القدامى لتنكب على دراسة نصه، واقتناص فوائده، معرجين على أحاديث يكتنفها إشكال له أسباب متباينة، فطفق بعضهم يفاتش ما استغلق معناه على أبناء اللغة، وعلى بعض بحاثها، بتفسيرها، وبيان غريبها، ومشكل إعرابها، وبديع أسلوبها، الأمر الذي أنتج مجموعة من المصنفات في علم غريب الحديث؛ فتعددت حقول اهتمامها، فمنها ما ركّز على بيان الغريب في لفظه وأسلوبه وإعرابه كغريب الحديث للهروي (ت224هـ)، وغريب الحديث لابن قتيبة (ت267هـ)، وغريب الحديث للحربي (ت285هـ)، وغريب الحديث للخطابي (ت 388هـ)، والفائق في غريب الحديث للزمخشري (ت538هـ)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ت606هـ)، ومنها ما خصص لمعالجة مشكل بعينه، ككتاب مشكل الحديث وغريبه لابن فُوْرَك (ت406هـ)، وتأويل الأحاديث الموهمة للتشبيه للسيوطي (ت911هـ)، فقد عنى المصنفان بدراسة وتأويل الأحاديث التي ظاهرها يوهم التشبيه والتجسيم؛ ومنها ما صنّف باعتبار أحاديث كتب معينة: كتفسير غريب ما في الصحيحين، لأبي عبد الله محمد الحميدي (ت488هـ)، وكتاب مشكلات مالك بن أنس، لعبد الله بن السيد البطليوسي (ت521هـ)، وكتاب مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لأبي الفضل عياض اليحصبي (ت544هـ)، فجعلت بعض هذه المؤلفات من اللفظ الدخيل المعرّب الفارسي في الحديث النبوي معيارا لرصده تحت مصطلح الغريب.

فقد شمل هذا المصطلح أشياء متعددة يختلف مفهومها ودلالتها الاستعمالية عند علماء الحديث، فأفردت له الكتب والمصنفات التي عالجت ظاهرة الغريب بعمومه وأنماطه، والسؤال الذي يطرح نفسه على البحث، لماذا صنف العلماء القدامى مجموعة من المفردات الواردة في الأحاديث النبوية تحت مصطلح الغريب؟

وقبل الإسعاف بالإجابة يتوجب عليّ توضيح مصطلح الغريب ومدلولاته من جميع المنحنيات الفكرية.

معنى الغرابة لغة:

جاء في لسان العرب مادة (غ – ر– ب) الغريب: هو الغامض من الكلام، وفي موضع آخر: إنما هو الغامض البعيد عن الفهم[1].

وفي كتب المصطلحات والتعريفات: كل شيء فيما بين جنسه عديم فهو غريب[2].

وفي مصطلح الحديث النبوي: ما تفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرّد به من مواضع السند، وإن كان واحدا[3].

ويلقي بظلاله الإمام أبو سليمان حمد الخطابي موضحا هذا المصطلح بقوله: (الغريب من الكلام إنما هو البعيد من الفهم، كما أن الغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل، والغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أنه يراد به أنه بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به كلام من بَعُدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها)[4].

وفسر بعضهم المصطلح – الغريب – بقليل الاستعمال، أو دقيق في المعنى، فقد ورد في كتب الحديث المعتبرة : أن ما وقع في متن الحديث من الألفاظ الغامضة لقلة استعمالها، أو لدقة معناها، يسمى غريبا[5].

وقد حدد السيوطي مفاهيم المصطلح بقوله: "والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها؛ فيحتاج في معرفتها إلى أن يُنَقّر عنها في كتب اللغة المبسوطة، أو يخرج لها وجه بعيد"[6]. كمخالفة الأوزان العربية، فقد تكون الألفاظ الغريبة (أسماء أماكن، وليس كل امرئ يعرف تلك الأسماء، أو يتمثل مواضعها، ومنها: (في حديث خيبر: سلك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في مسيره إليها على عَصَر)، وهو بفتحتين: جبل بين المدينة ووادي الفُرع، وهو عنده مسجد صلى به النبي –صلى الله عليه وسلم– [7]. وقد تكون الغرابة متمثلة في (أسماء الأطعمة أو صفاتها[8]، فقد

ورد في الحديث شيء من هذا، ومن ذلك أن النبي – صلى الله عليه وسلم– دخل على عمِّه حَمْزة فصُنِعَت لهم سخينة فأكلوا منها [9].

وقد تتجلى الغرابة في الألفاظ (من ذكر أسماء بعض النبات؛ وذلك نحو: حديثه – صلى الله عليه وسلم– عن الدجال والمسيح)[10] : "لا شجر ولا حجر ولا دابة إلا فيقول: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله إلا الغرقدة..."[11].

وقد تتجلى الغرابة في (أسماء الأدوات، ومن ذلك أنه نهى عن أوعية تحدث في الشراب التغير، كالحنتم، والمُزَفَّت، والنقير، فالحنتم: جِرارٌ خضر، والمُزَفَّت الوعاء المطلي بالزفت، والنقير: أصل خشبة تنقر)[12].

وقد تتجلى الغرابة – أيضًا– في ذكر(أعضاء الجسم؛ جسم الإنسان أو الحيوان، وهذا مما قد يدق على أهل اللغة نفسها)[13]، ومن ذلك: "أنه بال قائمًا لِعلَّة بمَأبِضَيْه، والمأبض: باطن الركبة"[14].

وقد تتجلى الغرابة في ألفاظ الأوزان والمقادير؛ ذلك أن مقدار بعضها كان متباينا بتباين المكان، أو لم يكن لبعضها عمومية مذاعة مشتهرة[15]؛ ومن ذلك حديثه – صلى الله عليه وسلم –: "البُرُّ بالبُرّ مُدْيٌ بِمُدْي "، أي: مِكْيالٌ بمكيال. والمُدْي: مكيال لأهل الشام يَسَع خمسةَ عشرَ مَكُّوكاً، والمكّوك: صاع ونصف[16].

وإذا كانت هذه الألفاظ تعدّ غريبة؛ لأنها من أصول فارسية فنراهم في مواضع أُخَر يستعينون بالألفاظ الفارسية؛ لفهم ما استغلق عليهم فهمه من المفردات العربية وتقريب الصورة، ومنها: حديث ابن عمرو (من أشراط الساعة أن يُقرأ فيما بينهم بالمَثْناة، ليس أحد يغيرها) قيل: وما المثناة؟ قال: ما استكتب من غير كتاب الله –تعالى–. وقيل: إن المثناة هي أن أحبار بني إسرائيل بعد موسى –عليه السلام– وضعوا كتابًا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله، فهو المَثْناة، فكأن ابن عمرو كره الأخذ عن أهل الكتاب، وقد كانت عنده كتب وقعت إليه يوم اليرموك منهم، فقال هذا لمعرفته بما فيها. قال الجوهري: المثناة التي تُسمّى بالفارسية دُوبَيْتي، وهو الغناء[17].

وفي حديث علي –رضي الله عنه–: (أنه أباح أكل الجِرِّيث)، وهو نوع من السمك، يشبه الحيات. يقال له بالفارسية: المَارْماهِي[18].

وفي حديث فاطمة بنت قيس: (إني أخاف عليك سَفَاسِفَه) هكذا أخرجه أبو موسى في السين والقاف، ولم يُفسّره. وقال العسكري بالفاء والقاف، ولم يورده –أيضًا– في السين والقاف... أما سفاسفه

بالفاء أو القاف فلا أعرفه، إلا أن يكون من قولهم: لطرائق السيف سَفَاسِقه، بفاء بعدها قاف، وهي التي يقال لها: الفِرِندُ، فارسية مُعرّبة[19].

ويجب ألا ننسى –أيضاً– أن البيئات التي أخذ اللغويون منها مادتهم تختلف غرابة باختلاف لهجاتها؛ فهناك لهجات اتفق العلماء على وفرة غريبها ووحشيها، وخروجها عن سائر اللهجات، كظاهرة الشرود اللغوي، إن صح التعبير، وغيرها من الأمور التي حصرت تحت مسمى الغريب في الحديث والأثر.

ومن مثل ما تقدم في حديث المَبْعَث (فشق عن قلبه وجيء بطَسْتٍ رهْرهة)، قال القُتيبي: سألت أبا حاتم عنها فلم يعرفها. وقال: سألت الأصمعي عنها فلم يعرفها. قال القتيبي: كأنه أراد بطَسْتٍ رحْرَحة بالحاء، وهي الواسعة، فأبدل الهاء من الحاء، كما قالوا: مدَهْت في مَدَحْت)[20].

والغريب أن اللفظة الفارسية (طست) لم تصنف من الغريب في هذا الموضوع، واللهجة التي حصل فيها إبدال صنفت ضمن الغريب، وقد أوردت كتب الإبدال والمعاقبة صورًا لإبدال الحاء هاءً، وذكرت على ذلك مجموعة من أمثال العرب نثرًا وشعرًا[21].

وأعتقد أن الغرابة فيما تقدم باعثها أن اللغويين لم يقعدوا العربية من جميع لهجاتها، بل تخيروا قبائل مخصوصة، واستثنوا أخرى، وإذا ما عرض شيءٌ مما استثني عُدّ غريبًا[22].

ومن خلال ما تقدم نستطيع أن نقول: إن أسباب الغرابة متباينة ونسبية، فما هو معروف عند جماعة من مأكل، وملبس، ومشرب، مجهول عند آخرين، وأسماء الأماكن تتعدد وتشتبه، وألفاظ الموازين والمكاييل والأقيسة تختلف في مسمياتها واستعمالاتها من بيئة إلى أخرى.

ولعل علاقة الجوار بين العرب والفرس من أهم الأسباب التي أدت إلى سياحة الألفاظ في اللغتين، ومما لا شك فيه أن الشعوب المتجاورة لا يمكن أن تعيش بعضها بمعزل عن بعض، وصورة الشعب الذي لم يتأثر بالشعوب المجاورة، له صورة مثالية لم تعرفها التجارب الإنسانية في التاريخ المعروف[23]؛ فإنه حين يهاجر شعب إلى غير أرضه، تحتك لغته بلغة أهل الأرض الجديدة، وبانهزام إحدى اللغتين انهزاماً كلياً أو جزئياً، تحمل الغالبة آثار المغلوبة، والمتتبع لتاريخ العرب قبل الإسلام، يجدهم تجاوروا مع شعوب تتحدث بلغات مختلفة في نفس المنطقة من الأرض التي عاشوا عليها، فنتج عن ذلك أن تحمل على أثره إحدى اللغتين أو كلتاهما آثار الأخرى من مفردات، ومن ذلك ما ذكره الجاحظ: أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفُرس في قديم الدّهر عَلِقوا بألفاظٍ من ألفاظهم؛ ولذلك يسمون البطيخ: الخِرْبِزْ، ويسمُّون السميط: الرزدق، ويسمون المَصُوص: المَزُوز، ويسمون الشّطِرنج: الأشْتَرَنج، في غير ذلك من الأسماء، فإنهم يسمُّون المِسحاة: بَال، وبَال بالفارسية[24].

ويذكر الأزهري: أن العرب قد أخذوا عن الفرس كلمات وقاموا بتعريبها، وكانت هذه الكلمات من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها[25]؛ كما استعمل عرب العراق أشياء من الفارسية[26]، وقد نبه العلماء القدامى إلى عامل الاختلاط والتجاور، وما نتج عنهما من آثار سلبية نتيجة تداخل اللغات، واقتراض المفردات، الأمر الذي برر رفضهم أخذ اللغة من بعض القبائل المندمجة بالأمم الأعجمية[27].

ويحصر الفارابي القبائل التي أخذت منها اللغة، معلّلاً سبب رفضهم لغيرها بقوله: (وهم قيس، وتميم، وأسد، وطيء، ثم هذيل، فإن هؤلاء معظم من نُقل عنه لسان العرب. وأما الباقون فلم يؤخذ عنهم شيء؛ لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم، مطبوعين على سرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المحيطة بهم)[28].

هذا لا يعني أن الدخيل المعرّب هو دائما وليد الحاجة الملحة والضرورة القصوى، فليس كل دخيل في العربية دليلا على خلو العربية من مقابله الذي يناظره، ويؤدي معناه، فاستعمل فصحاء العرب كثيراً من الألفاظ الدخيلة مع وجود نظائرها في لغتهم؛ فساد الدخيل وطغى على مقابله العربي فَيَشيع استعماله، حتى يتوارى إلى جانبه اللفظ العربي ويندر تداوله[29]، وقد أفرد السيوطي لهذا النوع فصلا في كتابه المزهر تحت عنوان: المعرّب الذي له اسم في لغة العرب[30]، وعند محاولة تتبع تلك المفردات الدخيلة التي لها نظير في لغة العرب طال الأمر من غير طائل، ولاسيما أن من تلك الألفاظ ما يقابله في العربية لفظان، كالسمس والسجلاط (للياسمين)، ومنها ما يقابله ثلاثة ألفاظ، كالقهة والقهد والعيهر (للنرجس)، ومنها ما يقابله سبع كلمات، كاللواص والملوص واللمس والمزعزع والمزعفر والمرطراط والسرطراط (للفالوذج)[31]، فشأن الألفاظ المعربة الواردة في الحديث النبوي والمصنفة تحت الغريب، مثل غيرها من المعربات الأخرى الواردة في لغة العرب؛ لذلك يهمنا القيمة اللغوية للأحاديث التي تضمنت ألفاظاً فارسية معرّبة كمصدر للتقعيد اللغوي، فقد جاء في مقدمة مجموعة من المعربات[32]: اعلم أن العرب تكلمت بشيء من الأعجمي، والصحيح منه ما وقع في القرآن، أو الحديث الشريف، أو الشعر القديم، أو كلام من يوثق بعربيته.

ولقد اعتقد كثير من الواهمين لمّا سمعوا هذه الألفاظ الفارسية في كلام المصطفى – عليه السلام– أنه كان يتكلم الفارسية بدليل أنه لم يأنف استعمال ألفاظها إن عرضت له في سياق الكلام.

وحقيقة الأمر لا تعدو أن تكون استعمالًا لما شاع بين العرب واشتهر بينهم، أو التلطف كما في قوله – صلى الله عليه وسلم– لأبي هريرة حين صلى جالساً: اشكنب درد[33]، يريد هل وجعك بطنك؟ فقالها تلطفاً وتملحاً[34].

وأرجح قلة دورانها – حسب رأيي– إلى غنى العربية وقدرتها على توليد مفردات جديدة، وإعطاء دلالات حديثة لمفردات قديمة، وسلبها معانيها القديمة.

والمتتبع للألفاظ المقترضة من الفارسية – حسب رأيي– يجد أغلبها ينحصر في المفردات الدالة على الحضارة، كالآلات، وبعض اللباس، والأدوية، والألفاظ الدالة على المجون، وأسماء الخمور والزهور، مما خلت منه البيئة العربية الاستعمالية.

وما نلاحظه في تلك الأحاديث التي تضمنت المعربات ضابطه ثلاثة أنواع: النوع الأول: مروي عن لسانه – صلى الله عليه وسلم– مثل قولهم: (من لعب بالإِسْبِرَنْجِ والنرد فقد غمس يده في دم خنزير) إسبرنج: هو اسم الفَرَس الذي في الشطرنج . واللفظة فارسية[35].

النوع الثاني: محكي عنه – عليه الصلاة والسلام– كقولهم: روي في حديث عائشة – رضي الله عنها– (كان إذا اغتسل من الجنابة دعَا بشيء مثل الجُلاّب فأخذ بكَفِّه)، قال الأزهري: أراه أراد بالجُلاّب ماء الوَرْد، وهو فارسي مُعرّب[36].

فهذا النوع ليس من كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم–؛ ولكنه دليل على معرفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بتلك الألفاظ وإن كان لم يستعملها.

النوع الثالث: اختلف في روايته، فهو في بعضها مروي عن لسانه، وبعضها الآخر محكي عنه، ففي رواية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم– فيه: (لا آكل في سُكُرُجة)، هي بضم السين والكاف والراء والتشديد: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأُدْم، وهي فارسية[37]، وفي رواية أخرى في أحد كتب الصحاح[38] عن قتادة، عن أنس بن مالك؛ قال: ما أكل النبي – صلى الله عليه وسلم– على خوانٍ، ولا في سُكُرَّجَةٍ. قال: فعلام كانوا يأكلون ؟ قال : عَلى السُّفَرِ.

وهذا النوع أصح أحواله أن يعامل معاملة ما يرجع انتماؤه إليه.

لعلنا بعد ذلك، نستطيع أن نقول – في ضوء ما تقدم –: إن اقتباس اللغة للكلمات الأجنبية عنها أمر طبعي، وسنة من سنن الحياة، لا تستطيع يد الإنسان إيقاف نشاطها؛ لأن بها تنمو اللغة وتتسع دائراتها، فلا يعيب اللغة إذن اقتباس الألفاظ الأجنبية عنها؛ لأن مقدرة لغة ما على تمثل الكلام الأجنبي تُعدّ ميزة وخصيصة لها، إذا هي صاغته على أوزانها، وأنزلته على أحكامها، وجعلته جزءاً لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها[39]، وهذا ما فعلته العربية، وهذا ما يحدث غالبا في سائر اللغات؛ لأن بقاء اللفظ الدخيل على حاله دون تغيير في أصواته أو صيغته لا يحدث كثيراً[40]، ولما كان الغالب في الدخيل أن تستوعبه اللغة الآخذة على نحو يجعله جزءاً لا يتجزأ من أصول مادتها؛ أجرت عليه

مجموعة من التعديلات الصوتية الخاصة بالمفردات الدخيلة، وما يهمنا في هذا البحث التعديلات التي أجرتها العربية على الألفاظ الدخيلة من اللغة الفارسية.

ولم تخرج الكتب التي تناولت الدخيل على ما أورده سيبويه في كتابه[41]، ووظفه الجواليقي في معربه، وسار عليه من جاء بعدهما من الباحثين، فقد قسمت الكلمات الدخيلة على نوعين:

الأول: خاص بالصوامت، ويتمثل في الآتي:

1- إبدال حرف من حرف.

2- زيادة حرف.

3- نقصان حرف.

النوع الثاني: خاص بالصوائت، ويتمثل في الآتي:

1- إبدال حركة بحركة.

2- إسكان متحرك.

3- تحريك ساكن.

وقد أوردت القوانين الصوتية للإبدال المطرد (اللازم) ويقصد به: إبدال الحروف الأعجمية إلى الحروف العربية عند التعريب، وتمثلت في القوانين الآتية:

1- صوت (كَ) الفارسي يتحول في العربية إلى جيم، أو قاف، أوكاف.

2- صوت الشين الفارسي يتحول في العربية إلى سين.

3- صوت (پ) الفارسي يتحول في العربية إلى فاء، أو باء.

4- صوت الزاي الفارسي يتحول في العربية إلى اللام.

5- صوت الكاف الفارسي يتحول في العربية إلى قاف.

6- صوت الجيم الفارسي يتحول في العربية إلى شين.

7- صوت الألف الفارسي يتحول في العربية إلى العين.

8- حركة الفتحة إلى كسرة في العربية[42].

لقد استخدمت الفارسية الحديثة الحروف العربية في الكتابة، فتعرض الخط العربي إلى تعديلات مختلفة، فالأصفهاني يشير إلى أحرف وردت في الفارسية ولا وجود لها في العربية، وهذه الأحرف هي:

پ: بين الفاء والباء في البداية والنهاية.

چ: بين الجيم والصاد.

ژ: بين الجيم والزاي.

گ: بين الكاف والغين[43].

وينطقون هذه الحروف كالآتي: (پ) تنطق كحرف (p) في الإنجليزية، و(چ) ينطق (ch)، و(ژ) ينطق كحرف (J) في الإنجليزية، و(گ) ينطق كحرف (g) في الإنجليزية. أما باقي الحروف فينطقونها كما ينطقها العرب ما عدا (ث) ينطق (س)، و(ج) تنطق (ه)، و(ص) تنطق (س)، و(ض) تنطق (ز)، و(ط) تنطق (ت)، و(ظ) تنطق (ز)، و(ع) تنطق (ق)، و(ق) تنطق (غ) في أكثر الأحيان.

ولا شك أن ما حدث لهذه الأصوات الأربعة – التي لا وجود لها في العربية– من تغير يدخل في إطار التغيرات الصوتية غير المشروطة، سواء أكانت قوانين صوتية مطردة، بمعنى أنها تسير على وتيرة واحدة، أم قوانين صوتية شبه مطردة، أي أن الألفاظ تسير في إطار هذا القانون مع وجود بعض الكلمات التي شذّت عن هذه القاعدة الصوتية[44].

التطور الدلالي لألفاظ الدخيل المعرّب:

من الظواهر الشائعة في جميع اللغات الحية: خضوع المفردات لناموس التطور الدلالي بجميع مناحيه؛ فهو لا يقتصر على ألفاظ اللغة الأصلية، بل يتعداها إلى دخيلها، فشأن المعرّب أن ينقل من لغته الأصلية، محافظا على دلالته العرفية من اللغة التي نقل منها للحاجة إليه؛ للتعبير عن معنى معين مفقود في اللغة التي نقل إليها، أو لعلةٍ من العلل المذكورة في بداية الدراسة، ولكن الملاحظ من خلال الدراسة وجود بعض الألفاظ المعرّبة ما تطورت دلالته اللغوية بعد تعريبه، وقد أكّد ذلك القدماء في مؤلفاتهم بقولهم[45]: وقد يُعَرّب لفظ يستعمل في معنى آخر غير ما كان موضوعا له، كـ(خُرَّم) اسم نبت يشبه به الشيب، وهو سراج القطرب، واستعماله بهذا المعنى المخصص له في لغته الداخل منها لا يسمى معربا؛ بحجة أن التعريب لا بدّ أن يكون في اللفظ والمعنى[46]، ورُدَّ هذا القول بأنه من خواص التعريب: كونه وضعا ثانيا، ولا ينافي وضع الكلمة للمعنى الجديد، وقد أقرّ بهذا التطور في دلالات الألفاظ بعض علماء العربية قديمًا وحديثًا، فقد ذكر ابن قتيبة (ت276هـ) ما يفيد ذلك بقوله: (وكان بعض أصحاب اللغة يذهب في قول الناس: (خرجنا نتنزه) إذا خرجوا إلى البساتين إلى الغَلَطِ، وقال: إنما التنزه التباعد عن المياه والريف، ومنه يقال: (فلان يتنزه عن الأقذار)، أي: يباعد نفسه عنها، و(فلان نزيه كريم) إذا كان بعيدا عن اللؤم، وليس هذا عندي خطأ؛ لأن البساتين في كل مصر وفي كل بلد، وإنما تكون خارج المصر؛ فإذا أراد الرجل أن يأتيها فقد أراد أن يتنزه، أي: يتباعد عن المنازل والبيوت، ثم كَثُرَ هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود في الخُضَر والجنان)[47].

وقد أكد ذلك من المحدثين الأب الكرملي بقوله: (إن العرب عند تعريبهم الكلمة قد يتحكمون في تعيين معانيها على ما يَهْوون، من غير أن يحق للأعاجم أو لبعض المتنطّعين أن يردوهم عن قصدهم ويقولوا لهم: أخطأتم في المعنى؛ لأن المعنى ليس في الأصل، أو أن يقولوا لهم: أخطأتم في إفراغ الكلمة الدخيلة بهذا القالب، الذي ينكره الأجانب على الناطقين بالضاد، فكل ذلك مُماحَكات لا معنى لها[48].

وهذا التطور الدلالي لم تسلم منه الألفاظ الدخيلة المعرّبة، خاصة في فترات النهوض الحضاري التي مرّت بها اللغة، وخاصة في كثير من المصطلحات العلمية التي عرّبت في العصر العباسي، أو في عصرنا الحاضر، وهذا التطور يمكن حصره في مجموعة صور على النحو الآتي:

1- تعدد المعاني في أصل اللفظ الدخيل؛ فيكون تعدد معاني اللفظ في العربية نتيجة لتعددها في أصله الفارسي، منها (بيك) لها معنيان: الشرطي، ورسول السلطان على رجاله، وهو الذي يسعى بالكتب على قدميه، ثم عربت إلى فيج[49]، فنتج عن ذلك تعدد دلالتها، وقد وردت اللفظة في النهاية: فيه ذكر الفيج، وهو المسرع في مشيه الذي يحمل الأخبار من بلد إلى بلد، والجمع فُيُوج، وهو فارسي معرّب[50].

2- قد تتطور دلالة اللفظ الدخيل نتيجة تركيبه مع آخر عربي ليعطيا معًا معنى جديدًا، ومنه لفظ البربط، وهي آلة موسيقية تشبه العود، مركبة من الكلمة الفارسية (بر) بمعنى صدر، وكلمة (بط) العربية –اسم الطائر الداجن- أي: صدر البط؛ لأن العود يشبه صدر البط[51]، وقد وردت اللفظة في النهاية: (لا قُدّست أمة فيها البَرْبَط). البربط: ملهاة تشبه العود، وهو فارسي. أصله بَرْبَتْ؛ لأن الضارب به يَضُمه على صدره، واسم الصدر: بر[52].

3- قد تتأثر دلالة المعنى في الألفاظ ذات الصيغة الواحدة، والتي يفرق الضبط بالحركات في تمييز المعاني فيها، ومن ذلك لفظة قيروان بفتح الراء الجيش، وبضمها القافلة. ذكر ذلك ابن القطاع[53]، واللفظة فارسية، معَرّب كارْوان: بمعنى القافلة[54]. وفي النهاية: (يغدو الشيطان بقيروانه إلى السوق)[55]، وقد وردت في الشعر في قصيدة لامرئ القيس الكندي[56]:

وغارة ذات قيرَوان كأن ذات أسرابها الرِّعال

ومثل هذه الصور قليلة الورود في النصوص محل الدراسة فقلتها تضعف الأخذ بها.

وبعد إجراء الدراسة فقد تمّ حصر المفردات الفارسية المعرّبة، والتي هي محل استعمال مصطلح الغريب في الأحاديث، فوجدتها تنحصر في ثمانٍ وأربعين لفظة، بعد حذف المكرر منها، ذكرها ابن الأثير كُلا في نصه، مرتبًا إياها على الترتيب الألف بائي، مصنفًا إياها حسب مادتها

اللغوية، وكان لزامًا علينا تقسيمها إلى مجموعة من الحقول الدلالية؛ لمعرفة عدد المفردات المعرّبة في كل حقل، وأكثرها دورانًا واستعمالًا في اللغة، وأخذ عينة من كل حقل والتطبيق عليه –ذلك لعدم إمكانية دراستها منفردة؛ نظرًا لطبيعة الناشر– مقسمًا إياها إلى مجموعة حقول دلالية، يجمع بين أفراد كل حقل علاقات ترتبط فيما بينها، مُستعينًا بمعجمي الألفاظ الفارسية المعرّبة، لأدي شير، ومعجم المعربات الفارسية، لمحمد التونجي؛ وذلك للوقوف على المعاني الخاصة بكل لفظة قبل وبعد عملية التعريب؛ ولتتبع عملية التطور الدلالي الخاص بكل مفردة، وذكرت مكان ورودها في كتاب النهاية، ورمزت له بحرف النون اختصارًا، ثم ذكرت الجزء والصفحة، فكان التقسيم على النحو الآتي:

أولًا: حقل الملابس:

ر.م	الكلمة	المعني	الجزء والصفحة
1	استبرق	غليظ الحرير	ن: 1 : 47
2	تسخن	الخفاف والطيالس	ن: 1: 189+ 2: 352
3	زرمق	جبة صوف	ن: 2: 301
4	سبج	قميص	ن: 1: 331
5	سبنج	ثوب	ن: 2: 340
6	تسخان	مكرر مع رقم 2	
7	مستق	فرو طويل الكمّين	ن: 4: 326
8	موزج	الخف	ن: 4: 372
9	سَرَقّ	الحرير الأبيض	ن: 2: 362
10	موق	الخف	ن: 2: 372
11	قفش	الحذاء	ن: 4: 90
12	انْدرَوديه	اسم نوع من السراويل قصير	ن: 1: 74
13	قرطق	ثوب قصير بلا كمّين	ن: 4: 42
14	يرمق	القباء، والثوب المبطّن بقطن ناعم	ن: 5: 295

ثانيًا: حقل أسماء الأشخاص والصفات:

ر.م	الكلمة	المعني	الجزء والصفحة
1	أسبذ	تطلق على مجموعة من عباد الفرس	ن: 1: 47
2	البريد	الرسول	ن: 1: 115
3	برازق	جماعات	ن: 1: 118
4	بيذق	الرجل، والجندي من المشاة	ن: 1: 171
5	فيج	المسرع في مشيه	ن: 3: 483
6	قهرم	الخازن	ن: 4: 129
7	الكران	ضارب العود	ن: 4: 202
8	مرزبان	فارس شجاع	ن: 4: 318
9	قيروان	الجيش	ن: 4: 131
10	البأج	الشيء الواحد	ن: 1: 160
11	بهرج	الرديء المغشوش	ن: 1: 166

ثالثًا: حقل الأطعمة والأشربة والأواني:

ر.م	الكلمة	المعني	الجزء والصفحة
1	بختج	العصير المطبوخ	ن: 1: 101
2	بذق	اسم للخمر	ن: 1: 111
3	الدِّسْتِفْشَار	ما عُصِر بالأيدي	ن: 1: 149
4	بيشيارج	ما يُقدم للضيف	ن: 1: 171
5	الجلاب	ماء الورد	ن: 1: 282
6	سكرجة	إناء صغير	ن: 2: 384
7	سور	مائدة	ن: 2: 420
8	طازج	الطري النقي	ن: 3: 123
9	كركم	نوع من التوابل والنكهات	ن: 4: 166
10	طست	إناء من نحاس لغسل اليدين	ن: 3: 124

رابعًا: حقل أسماء الآلات والملاهي:

ر.م	الكلمة	المعني	الجزء والصفحة
1	نيزك	الرمح القصير	ن: 5: 141
2	بربط	اسم العود	ن: 1: 112
3	زرنق	آلة يسقى بها	ن: 2: 301
4	الفرند	السيف	ن: 2: 374
5	طسق	اسم نوع من المكاييل	ن: 3: 124
6	سدّر	اسم لعبة للصبيان	ن: 2: 254

خامسًا: حقل أسماء الحيوانات:

ر.م	الكلمة	المعني	الجزء والصفحة
1	البرق	الحمل	ن: 1: 119
2	الموشان	نوع من الفئران	ن: 1: 258
3	مَارْماهي	نوع من السمك	ن: 2: 260

سادسًا: حقل أسماء الألوان وأدوات الزينة:

ر.م	الكلمة	المعني	الجزء والصفحة
1	اسبرج	لون الفرس الذي في الشطرنج	ن: 1: 74
2	الألوة	عود بخور	ن: 1: 63
3	**قرمز**	أداة صبغ	ن: 4: 50

سابعًا: حقل الأفعال:

ر.م	الكلمة	المعني	الجزء والصفحة
1	أندرم	أأدخل	ن: 1: 74

1- حقل الملابس:

سبج:

فِي حَدِيثِ قَيْلة «وَعَلَيْهَا سُبَيِّجٌ لَهَا» هُوَ تَصْغير سَبِيجٍ، كَرغِيفٍ ورُغَيّف وَهُوَ مُعَرَّبُ شَبَى، لِلْقَمِيصِ بِالْفَارِسِيَّةِ. وَقِيلَ: هُوَ ثوبُ صُوفٍ أسْود. (النهاية 331/2).

في معاجم العربية: السّبجة والسّبيجة: دِرع عرْض بدَنِه عظمة الذراع، وله كمّ صغير نحو الشبر، تلبسه ربات البيوت، وقيل: هي بردة من صوف فيها سواد وبياض، وقيل: السّبجة والسّبيجة: ثوب له جيب ولا كُمّين له... والسّبيجة: القميص، فارسي معرب[57]، ويطلق على ثوب له كمّ صغير تبتذله المرأة في بيتها معرّب، وسُبْجَة القميص: ما يوسع به بدنه[58]. وفي المعجم العربي لأسماء الملابس: السّبجة والسبيج والسّبيجة الثلاثة بمعنى واحد، فارسي معرّب، وأصله في الفارسية، شبّي، ومعناه في الفارسية: القميص. والمذكور في المعاجم الفارسية: شِب: نسيج حريري غالي الثمن. سبيده: أبيض، أو الثوب الأبيض[59]. وفي معاجم الدخيل المعرب: أصله بالفارسية (شَبِي) برد يُشق فيلبس بلا كُمّين ولا جيب، وهو معرّب، وقد وردت اللفظة في الشعر العربي القديم، قال العجاج:

كَالحَبَشِيِّ التَفَّ أَو تَسَبَّجا

وقول حميد بن ثور:

إنَّ سُلَيمى واضِــحٌ لَبّاتُــها
لَيّنَةُ الأَبدانِ مِن تَحت السُّبَج [60]

وفي المعجم الفارسي: شبه: نسبة إلى الليل[61]، ومعناه اللغوي: ثوب يلبس بالليل، قميص بلا كُمّين[62].

لم يعد لهذه اللفظة تداول استعمالي في حقل الملبوسات نتيجة التطور الحضاري.

2- حقل الأطعمة والأشربة والأواني:

الجُلّاب:

وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: «كَانَ إِذَا اغْتَسل مِنَ الْجَنَابَةِ دعَا بِشَيْءٍ مِثْل الجُلَّاب فأَخَذ بكَفِّه» قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: أَرَاه أَرَادَ بالجُلَّابِ مَاء الوَرْد، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرّب، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ خِلاف وَكَلَامٌ فِيهِ طُولٌ، وسَنذكُره فِي (حَلب) مِنْ حَرْفِ الْحَاءِ. (النهاية 282/1).

في معاجم العربية: الجُلّاب: ماء الورد، فارسي معرّب، يقال له: جل وآب[63]، وفي معاجم الدخيل المعرّب: ماء الورد فارسي معرّب[64]. وذكرت بعض المصادر أنه شراب يُعقَد بالسُّكر أو العسل وماء الورد والزَّهْر. معرّب كل: زهر+ آب: ماء، اقتبسها الفرنسيون، فقالوا: julep[65]. وفي

المعجم الفارسي الكبير: نوع من النيلوفر المائي ذو ألوان متعددة[66]. الصيغة المعرّبة لم يعد لها تداولية، وحلّت محلها الصيغة العربية (ماء الورد) وطغت عليها، وأعتقد أن ذلك عائد لانتشار زراعة الورد العربي، ورواج حرفة تقطير أزهاره في كثير من المدن العربية، كالطائف في المملكة السعودية، وكثير من بلاد المغرب العربي، كمدينة طرابلس في مرحلة زمنية.

3- حقل أسماء الآلات والملاهي:

بَرْبَطٌ:

فِي حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ «لَا قُدِّسَتْ أُمّة فِيهَا البَرْبَط» البَرْبَط: مَلْهاة تُشْبه العُود، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. وَأَصْلُهُ بَرْبَت؛ لِأَنَّ الضَّارِبَ بِهِ يضَعُه عَلَى صَدْرِهِ، وَاسْمُ الصَّدر: بَر. (النهاية 285/1).

في معاجم اللغة: البربط: العود، أعجمي، ليس من ملاهي العرب فأعربته حين سمعت به، ومعناه: صدر البط [67]، وفي معاجم الدخيل المعرّب: من الملاهي، عود الطرب معرّب، شبه بصدر البط، والصدر بالفارسية (بر)[68]، واللفظة مركبة من بر: صدر+ بت: البط، أي: صدر البط، ويطلق على العود [69]، وفي المعجم الفارسي: بربط: العود [70]، وقد وردت اللفظة في الشعر الجاهلي ذكرها الأعشى في شعر له بقوله [71]:

وبربطنا معمل دائم فقد كان يغلب إسكارها

وقد استغنى في وقتنا الحاضر عن دلالة لفظة (البربط) مع بقاء معناها في لفظة أخرى المعروفة بآلة العود[72].

4- حقل أسماء الأشخاص والصفات:

البَرِيد:

وفي الحديث: (إنّي لا أخِيسُ بالعَهد ولا أحْبسُ البُرْد)، أي لا أحبس الرسُل الوارِدين عليَّ. قال الزمخشري: البُرْد – يعني ساكنا –: جمع بريد وهو الرسُول، مُخَفَّف من بُرُد، كرُسْل مخفف من رُسُل، وإنما خفَّفه ها هنا ليُزاوج العَهد. كلمة فارسية يُرادُ بها في الأصل: البَغلُ، وأصلها: (بريده دم)، أي: محذوف الذَّنَب؛ لأن بغال البَرِيد كانت محذوفة الأذناب كالعَلاَمَة لها، فأعْرِبت وخُفِّفَت. ثم سمي الرسول الذي يركبه بريدا، والمسافةُ التي بَيْن السّكَّتَين بريداً، والسكةُ موضع كان يَسْكنُه الفُيوج المرتَّبون من بيت، أو قبَّة، أوْ رِباط، وكان يُرتِّب في كل سكة بِغال. وبُعْد ما بين السكتين فرسخان، وقيل: أربعة. (النهاية في غريب الأثر 1: 293).

في معاجم العربية: البريد: كلمة فارسية يراد بها في الأصل: البَرْد، وأصلها: (بريدة دم) أي: محذوف الذنب؛ لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها، ثم سمي الرسول الذي يركبه بريداً، والرسائل، والمسافة بين كل منزلتين من منازل الطريق [73]. وفي معاجم الدخيل المعرب: تطلق في الأصل على البَغْل، من بُرَيدة: مقطوع + دُم: ذنب، هكذا يقال لدابّة البريد، وعلى الرسول، وعلى المسافة التي يقطعها الرسول وهي 12 ميلاً تقريباً، ثم غدت تطلق على الرسائل والرّزم [74]، وفي المعجم الفارسي: بريده دم : الحيوان مقطوع الذنب [75]، وقد وردت هذه اللفظة في الشعر الجاهلي في قول امرئ القيس [76]:

على كل مفصوص الذنابي معاودٍ بريد السّرى بالليل من خيل بَرْبَرا

وقد حدث لهذه اللفظة تطور في الدلالة حيث انتقلت في مجموعة صور إلى أن أصبحت تطلق في عصرنا الحاضر على الأماكن المهتمة بإجراء الاتصالات بكافة أنواعها.

5- حقل أسماء الحيوانات:

البرَق:

فِيهِ: «أَبْرِقُوا فإنَّ دَمَ عَفْراء أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْ دَم سَوْدَاوَيْن» أَيْ: ضَحُّوا بالبَرْقَاء، وَهِيَ الشَّاةُ الَّتِي فِي خِلال صُوفها الأَبيض طَاقَاتٌ سُود. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ اطْلُبُوا الدَّسم والسِّمنَ. مِنْ بَرَقْتُ لَهُ إِذَا دسَّمتَ طَعَامَهُ بالسَّمْن.

وَفِي حَدِيثِ الدَّجَّالِ: «إِنَّ صَاحِبَ رَايَتِهِ فِي عَجْب ذَنَبه مثلُ أَلْية البَرَق، وَفِيهِ هُلْبات كهلْبات الفَرس» البَرَق بِفَتْحِ الْبَاءِ وَالرَّاءِ: الحَمَل، وَهُوَ تَعْرِيبُ برَه بِالْفَارِسِيَّةِ. (النهاية 119/1).

في معاجم العربية: البرق: الحمل، فارسي معرب، جمعه أبْرق وبُرقان وبِرقان، وهو تعريب (بره) بالفارسية [77]، وفي معاجم الدخيل المعرّب: البرق – محركة– الحمل، معرّب أصله بالفارسية: بَرَه [78]، وفي المعجم الفارسي: بَرّه: حمل الخروف أو الغزال [79]، واللفظة لم يعد لها دلالة في الاستعمال اللغوي.

6- حقل أسماء الألوان وأدوات الزينة:

الأَلُوَّة:

في صفة أهل الجنة: (ومَجامرهُمُ الأَلُوَّة). هو العُود الذي يُتَبَخَّر به، وتُفتح همزتها، وتضم، وهمزتها أصلية، وقيل: زائدة.(النهاية في غريب الأثر 1 : 157)

في معاجم العربية: الأَلُوّة والأُلُوّة – بفتح الهمزة وضمها والتشديد لغتان –: العود الذي يتبخر به، فارسي مُعرّب [80] وفي معاجم الدخيل المعرب: العود الذي يتبخر به فارسي معرّب [81]، وقد وردت اللفظة في الشعر العربي قال حسان [82]:

ألاَ دفنتم رَسول الله في سَفَطٍ من الألوة والكافور منضود

وفي معجم المعربات الفارسية: معرّب (ألْوا): الصَّبْر الأصفر، صَمْغ شديد المرارة، ولم يتعرض لها المعجم الذهبي، وفي معجم غرائب اللغة [83]: ألْوّة: مقتبسة من اللغة اليونانية: aloy، وقد انتقلت إلى العربية من اليونانية عن طريق لغة وسيطة، وهي الفارسية، ولم يعد لهذه اللفظة استعمال في حقل أدوات الزينة والطيب عند الرجال.

7– حقل الأفعال:

أندرم:

(أندرم) في حديث عبد الرحمن بن زيد: (وسئل كيف يُسَلِّم على أهل الذمة؟ فقال: قل: أَنْدَرَايْنِم). قال أبو عبيد: وهذه كلمة فارسية، معناها: أأدْخُل. ولم يُرِدْ أن يَخُصَّهُم بالاسْتِئذان بالفارسية، ولكنّهم كانوا مَجُوسا فأمره أن يُخَاطِبَهُم بلِسَانهم. والذي يُراد منه أنه لم يذكر السَّلام قَبْل الاسْتئذان، ألاَ تَرَى أنه لم يقل: السلام عليكم أندرايِنم. (النهاية في غريب الأثر 1: 178).

في معاجم العربية: قال أبو عبيد: هي كلمة فارسية، معناها: أ أدخل [84]، وفي معاجم الدخيل المعرّب: كلمة فارسية معناها: أ أدخل [85]، وفي المعجم الفارسي: آنْدر: ظرف بمعنى: في، تحت، داخل، وسط، وتأتي وصلة في أول الأفعال؛ فتعطي معنى الدخول (اندر آمدن)[86]، هذه اللفظة ليس لها دلالة، وغير مستعملة.

النتائج:

وبعد هذه المحاولة في تحديد معيارية مصطلح الغريب في كتب الحديث وسبر غور رافد من روافده، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج العلمية، مسبوقة إلى بعضها فأكدته، وسابقة في بعضها فانفردت به، فكانت على النحو الآتي:

1– مصطلح الغريب يشمل الدخيل المعرّب من اللغة الفارسية.

2–مصطلح الغريب في كتب الأحاديث مصطلح عام يشتمل من ضمن ما يشمل على مجموعة من الشوارد اللغوية.

3– تداولية الدخيل المعرّب من الفارسية أكثر دورانًا من الرديف الفصيح في بعض المفردات.

4– العلماء القدماء لا يجدون غضاضة في الاستعانة بالمفردات المعرّبة في تقريب الصورة.

5- أكثر المفردات الدخيلة من الفارسية غير معروفة عند العرب، وتحمل في طبيعتها الطابع الحضاري.

6- اختفاء الدلالة الاستعمالية للمفردة الدخيلة؛ نتيجة للتطور الحضاري.

7- بقاء بعض المفردات الدخيلة بصيغها مع اكتسابها دلالات جديدة.

8- غرابة المفردة الدخيلة المعرّبة ترجع إلى أصولها، لا لغموض معناها وعدم تداولها.

الهوامش

[1]. لسان العرب مادة: غرب.
[2]. الدلالات المعجمية في غريب الحديث والأثر 11.
[3]. الكليات 296:3.
[4]. كتاب الغريبين، المقدمة 9.
[5]. الدلالات المعجمية في غريب الحديث والأثر 11.
[6]. المزهر 186:1.
[7]. المصدر نفسه 186:1.
[8]. ظاهرة اللبس في العربية 340.
[9]. النهاية، 892:2.
[10]. ظاهرة اللبس في العربية 340.
[11]. النهاية، 667:3.
[12]. ظاهرة اللبس في العربية 341.
[13]. المصدر نفسه، 342.
[14].النهاية ، 595:4.
[15]. ظاهرة اللبس في العربية، 342.
[16].النهاية، 652:4.
[17]. النهاية، 225:1،226.
[18]. المصدر نفسه 254:1.
[19]. المصدر نفسه 374:1.
[20].المصدر نفسه 281:2.
[21]. الإبدال والمعاقبة والنظائر، 101،102.
[22]. الدلالة المعجمية في غريب الحديث والأثر، 11.
[23]. التعريب في القديم والحديث 9.
[24]. البيان والتبيين 19:1.
[25]. التهذيب 585:10.
[26]. المعرّب، 216.
[27]. الترجمة غير الواعية 13.
[28]. كتاب الحروف 147.
[29]. الترجمة غير الواعية 17–18.
[30]. المزهر 283:1.
[31]. التعريب في ضوء علم اللغة الحديث 51.

[32]. المعرّب، المقدمة، شفاء الغليل، المقدمة، جامع التعريب، المقدمة.
[33]. مسند الإمام أحمد بن حنبل، 15: 29–30.
[34]. التعريب في ضوء علم اللغة الحديث، 195.
[35]. النهاية، 47:1.
[36]. المصدر السابق، 282:1.
[37]. المصدر السابق، 384:1.
[38]. سنن ابن ماجه، 1095:2، كتاب الأطعمة.
[39]. دراسات في فقه اللغة، 314.
[40]. التعريب في ضوء علم اللغة الحديث، 32.
[41]. الكتاب، 234–235، 620.
[42]. الترجمة غير الواعية، 83.
[43]. التنبيه على حدوث التصحيف، 20.
[44]. الترجمة غير الواعية، 85.
[45]. شفاء الغليل، 34، 136.
[46]. مخطوط لف القماط، المقدمة، لوحة 3.
[47]. أدب الكاتب، 34.
[48]. نشوء اللغة، 83.
[49]. معجم المعرّبات الفارسية، 40.
[50]. النهاية، 483:3.
[51]. معجم المعرّبات الفارسية، 40.
[52]. النهاية، 112:1.
[53]. التعريب في ضوء علم اللغة، 151.
[54]. معجم المعرّبات الفارسية، 149.
[55]. النهاية، 131:4.
[56]. ديوان امرئ القيس، 126.
[57]. لسان العرب: مادة: سبج.
[58]. المعجم الوسيط: مادة: سبج.
[59]. المعجم العربي لأسماء الملابس، 244.
[60]. المعرّب، 182–183، جامع التعريب، 157.
[61]. المعجم الذهبي 368.
[62]. المعرّب والدخيل 381، معجم غرائب اللغة 233.
[63]. لسان العرب: مادة: جلب.

(64). المعرّب، 106، جامع التعريب، 93.
(65). معجم المعربات الفارسية 52، المعرّبات الرشيدية 120.
(66). المعجم الفارسي الكبير، 3: 2448.
(67). لسان العرب مادة: بربط ، المعجم الوسيط مادة: البربط.
(68). المعرّب، 71، جامع التعريب، 51.
(69). المعربات الرشيدية 170.
(70). المعجم الذهبي 106.
(71). ديوان الأعشى، 78.
(72). المعجم التأثيلي 69.
(73). اللسان، مادة: برد، المعجم الوسيط : مادة: برد.
(74). جامع التعريب، 56، معجم المعربات الفارسية 29.
(75). المعجم الذهبي، 111.
(76). ديوان امرئ القيس، 189.
(77). اللسان: مادة: برق ،المعجم الوسيط مادة: برق.
(78). المعرّب، 45، معجم المعربات الفارسية 27.
(79). المعجم الذهبي، 111.
(80). اللسان، مادة: ألا.
(81). المعرّب، 44، جامع التعريب 35.
(82). ديوان حسان، 157.
(83).غرائب اللغة، 253.
(84). اللسان، مادة: أندرم.
(85). جامع التعريب، 38.
(86). المعجم الذهبي، 78.

المصادر والمراجع:

1. أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، د.ط، 2005م.
2. البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط.ت.
3. الترجمة غير الواعية، عبد الوهاب محمد عبد العالي، جامعة 7 أكتوبر، مصراتة، ط (1)، 2007م.
4. التعريب في ضوء علم اللغة المعاصرة، عبد المنهم محمد الحسن، دار جامعة الخرطوم للنشر، د.ط، 1986م.
5. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، د.ط.ت.
6. جامع التعريب، جمال الدين عبد الله بن أحمد البشبيشي، تحقيق: نصوحي أونال، جامعة القاهرة، ط (1)، 2005م.
7. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط (7)، 1978م.
8. الدلالة المعجمية في غريب الحديث والأثر، جاسب فالح الربيعي، جامعة سبها، د.ط، 1986م.
9. ديوان الأعشى، ميمون بن قيس، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (1)، د.ت.
10. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد رضا مروة، الدار العالمية، بيروت، ط (1)، 1993م.
11. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: عبد الرحمن البرقوي، دار الأندلس للطباعة والنشر، د.ط.ت.
12. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة إحياء الكتب العربية، د.ط.ت.
13. ظاهرة اللبس في العربية، مهدي أسعد عرار، دار وائل للنشر، ط (1)، 2003م.
14. غرائب اللغة العربية، رفائيل نخلة اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط (4)، 1960م.
15. كتاب الحروف، أبو نصر الفارابي، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق بيروت، د.ط.ت.
16. كتاب الغريبين، لأبي عبيد الهروي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، لجنة إحياء التراث، القاهرة، د.ط، 1970م.

17. الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش وآخر، وزارة الثقافة، دمشق، ط (2)، 1982م.
18. لسان العرب، محمد بن مكرّم ابن منظور، تصحيح: أيمن محمد عبد الوهاب، وآخر، د.ط.ت.
19. المزهر في علوم اللغة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، دار الحرم للتراث، القاهرة، د.ط.ت.
20. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤطي، وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (2)، 2008م.
21. معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة، أدي شير، مكتبة لبنان، بيروت، 1990م.
22. المعجم التأثيلي، عبد الوهاب محمد عبد العالي، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراتة، ط(1)، 2008م.
23. المعجم الذهبي، فارسي –عربي، محمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت، ط (2)، 1980م.
24. المعجم العربي لأسماء الملابس، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق، القاهرة، ط (1)، 2002م.
25. المعجم الفارسي الكبير، إبراهيم شوقي الدسوقي، مكتبة مدبولي القاهرة، د.ط، 1992م.
26. معجم المعرّبات الفارسية، محمد التونجي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط، 1998م.
27. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار العودة، د.ط، 1989م.
28. المعرّب في القرآن الكريم، أحمد القوصي، تحقيق: عبد الوهاب محمد عبد العالي، جامعة مصراتة، ط(1)، 2015م.
29. المعرّب من الكلام الأعجمي، موهوب بن أحمد الجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية، ط (3)، القاهرة، 1995م.
30. المعرّبات الرشيدية، عبد الرشيد عبد الصبور الحسيني، ترجمة: نور الدين آل علي، مطبعة دار الثقافة، القاهرة، د.ط، 1979م.
31. نشوء اللغة ونموّها واكتمالها، أنستاس ماري الكرملي، المطبعة العصرية بالفجالة، د.ط.ت.

32. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك الجزري، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي وآخر، دار الفكر، بيروت، د.ط، 2000م.

المخطوطات:

- لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرّب والدخيل والمولد والأغلاط، صديق بن حسن القونجي.

المُقدِّمةُ الأوحدِيَّة لتوضيح القواعد الصرفيَّة

لأحمد بن صالح السباعي

تحقيق وتعليق د. عمر علي البارونيّ*

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن علم الصرف من أجل علوم العربية، وهو أول ما يجب أن يلم به طالب العلم؛ إذ به تُعرف أحوال الكلمات، وما يعتريها من أحكام، ومن بعدها يُؤخذ في تركيبها جملًا وعبارات، وهذا لا يكون إلا بصحة المبنى. من هنا اهتم علماء اللغة بأبواب التصريف، وصاروا يفصلونها عن أبواب النحو؛ فؤلفت فيها المؤلفات المطولة والقصيرة، ولما كان علم الصرف معتمدًا على الدقة والحذق، اختصر كثير من العلماء أبوابه تسهيلًا على الطلاب المبتدئين، وكان من هؤلاء العلماء الأجلاء: أحمد السباعي (ت1266هـ)، الذي وضع هذا المختصر، فجاء مثالًا في حسن الاختصار والتلخيص.

ولما وقفت على مخطوطة هذا الكتاب، رأيت أن أخرجه إلى النور؛ إحياءً لذكر صاحبه وتعريفًا به وبفضله، ولتزويد الطلاب المبتدئين بمختصر في علم الصرف.

وقد قدمت للتحقيق بقسم دراسي موجز جدًّا، ذكرت فيه تعريفًا بصاحب الكتاب، وتعريفًا بكتابه. واعتمدت في تحقيقي المخطوطة على نسخة فريدة، وقد سرتُ في تحقيقها على النهج الآتي:

شرح بعض الألفاظ وضبطها بالشكل.

إضافة بعض العناوين، وما يقتضيه المقام، ووضع كل ذلك بين قوسين معقوفين [ ].

تصحيح الأخطاء الواردة في النص، سواء أكانت إملائية أم غيرها.

وضع علامات الترقيم المتعارف عليها عند تحقيقي المخطوطة.

وضع فهرس للمصادر والمراجع.

القسم الدراسي

أولًا– التعريف بالمؤلف[1]:

لم تزودنا كتب التراجم والمؤلفين عن حياة المؤلف شيئًا ذا بال؛ فكان ما ذكرته على النحو الآتي:

* كلية التربية – جامعة مصراتة.

1- (اسمه)

هو أحمد بن صالح بن محمد بن صالح السباعي، العدوي، المالكي، الشريف الحسني، الأزهري.

2- (مولده ونشأته)

لم يرد تاريخ ميلاد المؤلف في كتب التراجم، ولكن ورد مكان ولادته ونشأته؛ فذُكر أنه ولد بمصر، ونشأ بها.

3- (صفاته)

وصف المؤلف- رحمه الله- بأنه فقيه، عالم، بحر، حبر، فهامة، وعلى لوحة غلاف الكتاب وصف بالعلامة الأستاذ الشيخ.

4- (تحصيله العلمي)

بدأ السباعي بقراءة القرآن فحفظه، ثم طلب الفنون والعلوم الأخرى؛ فحفظ كثيرًا من المتون. وحضر على أشياخ الأزهر، وكان مجدًّا في طلب العلم حتى صار نابغًا في العلوم، وتوسع في الفنون، وتصدر للتدريس بالأزهر، وانتفع به كثير من الطلاب.

5- (مؤلفاته)

للسباعي مؤلفات جليلة، ذكرتها بعض المصادر التي ترجمت له، منها:

حاشية على متن الألفية.

حاشية على متن السنوسية.

رسالة في مبادئ العلوم.

البدر المنير اللامع في تحقيق الثلاثة الجوامع (رسالة).

مقدمة في الصرف (وهو الكتاب الذي بين أيدينا).

كتاب منحة الوهاب لمن خصه بالاقتراب، يبدو أنه في التصوف.

6- (شيوخه)

ذكر الأزهري أن السباعي أخذ الطريقة الخلوتية عن:

والده السيد صالح السباعي.

الأستاذ عبد الله الخلوتي الشرقاوي.

7- (تلاميذه)

لم تذكر كتب التراجم التي ترجمت للسباعي أن له تلاميذ أخذوا عنه.

8- (تاريخ وفاته)

قال الأزهري: "ولم يزل السباعي قائمًا بمعالم العلم والدين والعبادة"، ومداومًا على طلب العلم تحصيلًا وتدريسًا وتصنيفًا، حتى توفي سنة ست وستين ومائتين وألف من الهجرة، (1266هـ= 1850 م)، "ودفن بمدفن أسلافه بزاوية الشيخ أحمد الدردير"، رحمه الله- تعالى.

ثانيًا- التعريف بالكتاب:

كما بخلت كتب التراجم بمعلومات عن المؤلف، بخلت أيضًا بذكر معلومات عن الكتاب، ويمكن تفصيل القول حوله على النحو الآتي:

1- (عنوان الكتاب)

لم يرد الكتاب بعنوان (المقدمة الأوحدية في القواعد الصرفية)، في كتب التراجم والمؤلفين وفهارس المخطوطات التي تمكنت من الاطلاع عليها؛ ولكنه ورد بهذا العنوان في مقدمة المؤلف كاملًا، وهو ما ورد- أيضًا- على لوحة الغلاف. وذكر الأزهري في اليواقيت الثمينة أن للسباعي مقدمة في الصرف، وأغلب الظن أنها هذا الكتاب المحقق.

2- (نسبة الكتاب إلى المؤلف)

وردت نسبة الكتاب إلى المؤلف في مقدمته، بعنوان (المقدمة الأوحدية في القواعد الصرفية)، ولم ينسب الكتاب إلى المؤلف أو لغيره في أي مصدر من مصادر التراجم والمؤلفين، وذكر الأزهري في اليواقيت أن للسباعي مقدمة في الصرف.

3- (محتوى الكتاب)

تناول المؤلف في كتابه بعض الأبواب الصرفية بشكل مختصر جدًّا، ولم يتناول كل الأبواب. وجاءت عبارته مختصرة جدًّا، تصل في بعض المواضع إلى اللبس وصعوبة الفهم؛ مما اضطرني في كثير من الأحيان إلى الإطناب في توضيح بعض المسائل، وفي بعضها الآخر إلى زيادة ما هو ضروري للتوضيح، أو لإصلاح عبارة غير سوية، بسبب النسخ.

4- (سبب تأليفه)

ذكر المؤلف في مقدمته سبب تأليف الكتاب بقوله: "الداعي لتحرير هذه المقدمة الصرفية؛ تسهيل قواعد الفن على المبتدئ؛ لكونها ذُكرت في محالها مشتتة غير مضبوطة، فأردت جمعها على أحسن وجه وأتمه، وأعظم نظام وأثمره".

5- (القيمة العلمية للكتاب)

يعد هذا الكتاب- من وجهة نظري- كتابًا جيدًا للمبتدئين في علم الصرف، خاصة في المراحل المتوسطة من مراحل التعليم، لا أقول الأولى منها؛ فهو عليهم صعب، ولا أقول المتقدمة؛ فهم بحاجة إلى ما هو أوسع عبارة، وتشعبًا في المسائل، وإنما لمن هم في مرحلة التعليم الثانوي.

6- (وصف نسخة الكتاب)

بعد البحث والتنقيب عن نسخ للكتاب، لم أتحصل إلا على نسخة فريدة ليست بخط المؤلف، وهي نسخة جامعة الملك سعود، المحفوظة برقم (414 م. س) (3472).

وتقع هذه النسخة في (10) عشر قطع، في كل قطعة (13) ثلاثة عشر سطرًا، بمقاس (17×10).

وهي نسخة حسنة، خطها نسخ معتاد، نسخها عبد الكريم أحمد الملوي، ولم يرد بها تاريخ النسخ.

(نماذج من المخطوط)

صورة الغلاف صورة اللوحة الأولى صورة اللوحة الأخيرة

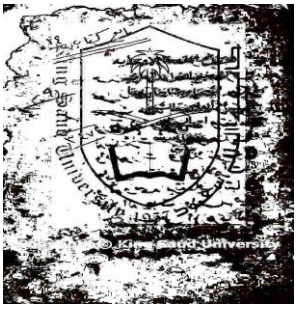

القسم التحقيقي

[مقمة المصنف]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن أفاض علينا بمعارف عوارف هيئات الكلمات، وشكرًا له حيث مدنا بمعرفة أصولها وزوائدها والنكات، وتضاعفت لدينا ثمرات صحيحها ومعتلها والمهموزات، وصلاة وسلامًا على واسطتنا في جميع الخيرات، وآله وصحبه المرتفعين باتباعه أعلى الدرجات، وبعد؛

فيقول أحمد السباعي الأزهري: الداعي لتحرير هذه المقدمة الصرفية تسهيل قواعد الفن على المبتدئ؛ لكونها ذُكرت في محالها مشتتة غير مضبوطة، فأردت جمعها على أحسن وجه وأتمه، وأعظم نظام وأثمره، مجتنبًا كثرة الأمثلة التي لا طائل تحتها، والمسائل المفهومة من مثلها، مرتكبًا[2] تسهيل العبارة فهي جوهرة الفن لا محالة؛ فلذا سميتها: المقدمة الأوحدية لتوضيح القواعد الصرفية، فأقول- وبالله التوفيق:

[مدخل]

اعلم أن هذا الفن يبحث عن الكلمات العربية، من حيث معرفة هيئاتها وعدد حروفها، والأصلي منها والزائد، والمضاعف[3] من الكلمات والمدغم والمعتل، وبيان ذلك أن الكلمات العربية ثلاثة: حرف، واسم، وفعل. والاسم تارة يشبه الحرف، وتارة لا يشبهه. والفعل متصرف وغير متصرف[4]؛ فالحرف ومشابهه من الأسماء لا يبحثون[5] عنهما علماء الفن، وكذلك الفعل الجامد[6]، ولعل هذا لعدم تركب الحروف من ثلاثة في الغالب، وأقل ما يبحثون عنه المركب من ثلاث، ولعدم تغير الأفعال الجامدة، وهو مناط أبحاثهم.

[تقسيم الاسم إلى مجرد ومزيد]

فأما الاسم المتمكن[7] فينقسم إلى: مجرد من الحروف الزائدة، وغير مجرد[8]. والمراد بزيادة الحرف: زيادته على أصل الوضع، والحروف الأصلية بعكسها، والعلامة الدالة على زيادة الحرف: عدم ذكره في تصاريف الكلمة. والمجرد تنتهي حروفه إلى خمسة كـ(سَفَرْجَل)[9]، والزائد تنتهي حروفه إلى سبعة، كـ(اشْهِيبابًا)[10]، [وهو] بيّن[11]. والحروف التي تزاد يجمعها قولك: سألتمونيها[12].

[الميزان الصرفي]

وقد وضعوا لمعرفة الأصلي والزائد ميزانًا؛ فالثلاثي المجرد قابلوه بـ(فَعَل) بفتح العين، والرباعي قابلوه بـ(فَعْلَلَ)، بفتح اللامين، فما قابل الفاء والعين واللام أصول، وما بقي بعد المقابلة فزوائد، فما قابل الفاء يسمى: فاء الكلمة، وما قابل العين يسمى: عينها، وما قابل اللام يسمى: لامها؛ فهي تسمية مجازية، والحرف الزائد يذكر في الميزان بلفظه، ما لم يكن آخرًا؛ فإن اللام تكرر بحسبه[13].

والأول من الاسم الثلاثي المجرد يحرك بالحركات الثلاث، وفي كل منها يجوز في الثاني الحركات الثلاث والسكون، فالصور اثنا عشر[14]، لكن كَسْر الأول مع ضم الثاني مُهمل عندهم[15]، وضَمّ الأول وكَسْر الثاني قليل[16].

[أوزان الاسم الرباعي المجرد]

و[الاسم الرباعي المجرد][17] له هيئاتٌ ستة[18]: [الأول]: (فَعْلَلُ) بفتح الأول والثالث وسكون الثاني وضم الآخر، كـ(جَعْفَر)[19]. الثاني: (فِعْلِلُ) بكسر الأول والثالث وسكون الثاني وضم الآخر، كـ(زِبْرِج)[20]. الثالث: (فِعْلَلُ) بكسر الأول وسكون الثاني وفتح الثالث وضم الآخر، كـ(دِرْهَم). الرابع: (فُعْلُلُ) بضم الأول والثالث والآخر وسكون الثاني، كـ(بُرْثُن[21])[22]. الخامس: (فِعَلٌّ) بكسر الأول وفتح الثاني وسكون الثالث، كـ(زِبَرّ)[23]. السادس[24]: (فُعْلَلُ) بضم الأول والآخر وسكون الثاني وفتح الثالث، كـ(جُخْدَب)[25].

[التقسيم الزمني للفعل]

وأما الفعل فينقسم إلى أقسام ثلاثة[26]: ماضٍ[27]، ومضارع، وأمر.

[أولًا- الماضي]

فأما الماضي فينقسم إلى: ثلاثي، ورباعي، وكل منهما إما مجرد، أو مزيد، وكل منهما إما مضعف، أو معتل، أو مهموز، أو سالم من ذلك[28].

[أوزان الماضي الثلاثي المجرد]

فأما الثلاثي المجرد فله هيئات ثلاث[29]: (فَعَلَ) بفتح الثلاثة. و(فَعِلَ) بفتح الأول والآخر وكسر الثاني. و(فَعُلَ) بفتح الأول والآخر وضم الثاني.

والموازن لـ(فَعَلَ) الأول ينقسم إلى قسمين؛ لأنه تارة تكون العين واللام من حروف الحلق، وتارة لا. وحروف الحلق ستة: الهمزة، والهاء، والحاء، والخاء، والعين، والغين[30].

[المضارع من الثلاثي المجرد مفتوح العين]

فإن كانت عينه أو لامه كذلك؛ جاء مضارعه على (يَفْعَل) بفتح العين لا غير، كـ(مَنَعَ يَمْنَع)، و(سَأَلَ يَسْأَل)، وإن لم تكن عينه أو لامه بهذه المثابة؛ جاء مضارعه على وزن (يَفْعُل)، كـ(نَصَرَ يَنْصُر)، وعلى وزن (يَفْعِل) أخرى، كـ(ضَرَبَ يَضْرِب)[31].

[المضارع من الثلاثي المجرد مكسور العين]

و[أما][32] الثلاثي المجرد الموازن لـ(فَعِل) بالكسر؛ فمضارعه على وزن (يَفْعَل) بالفتح لا غير، كـ(عَلِمَ يَعْلَم)[33].

[المضارع من الثلاثي المجرد مضموم العين]

و[أما][34] الموازن لـ(فَعُل) بالضم؛ فمضارعه (يَفْعُل) بالضم- أيضًا- لا غير، كـ(حَسُنَ يَحْسُن)[35].

[أوزان الماضي الثلاثي المزيد]

والثلاثي المزيد يزاد فيه حرفٌ واحدٌ، كـ(أَكْرَمَ)، أو حرفان، كـ(تَبَاعَدَ)، أو ثلاثة، كـ(اسْتَخْرَجَ)، ولا يزاد فيه أكثر من ذلك؛ لئلا يلزم مزية الفرع على الأصل[36].

[وزن الماضي الرباعي المجرد]

والرباعي المجرد، ووزنه (فَعْلَلَ) بالفتح[37].

[أوزان الماضي الرباعي المزيد]

والمزيد فيه وزنه (تَفَعْلَلَ)، كـ(تَدَحْرَجَ)، و(افْعَنْلَلَ)[38]، كـ(احْرَنْجَمَ)، و(افْعَلَلَّ)، كـ(اقْشَعَرَّ)؛ فله أوزان ثلاثة[39].

[اسما الفاعل المفعول من الماضي الثلاثي المجرد]

واسم الفاعل من الثلاثي المجرد على (فَاعِل)، كـ(ضَارِب)[40]. واسم المفعول منه على (مَفْعُول)، كـ(مَضْرُوب)[41].

[اسما الفاعل والمفعول من الماضي الثلاثي المزيد]

والمزيد إذا أريد إتيان اسم الفاعل والمفعول منه؛ فإنه يزاد في أوله ميم، ويُكسر ما قبل الآخر في اسم الفاعل[42]، ويُفتح في اسم المفعول، وذلك كـ(مُسْتَخْرِج) بالكسر والفتح[43].

[أوزان الفعل المضاعف من الماضي الثلاثي والرباعي المجرديْن والمزيديْن]

والمضاعف[44] تارة يكون ثلاثيًّا مجردًا، وأخرى مزيدًا، وتارة يكون رباعيًّا مجردًا، وتضعيفُ كلٍّ مختلف؛ فتضعيف الثلاثي المجرد والمزيد أن تكون عينه ولامه من جنس واحد، كـ(رَدَّ)، وتضعيف الرباعي المجرد كون فائه ولامه الأولى من جنس واحد، كـ(زَلْزَلَ)، أو عينه ولامه الثاني، كـ(زَلْزَلَ) أيضًا[45].

[حكم إدغام الحرف الأول من الفعل المضعف]

والحرف الأول المضعف ينقسم- بحسب وجوب الإدغام وعدمه- إلى أقسام ثلاثة[46]: فيجب إن لم يتصل بالكلمة شيء[47]، وكان الثاني حرف لين[48]. ويمتنع إن اتصل به ضمير

المتكلم، أو المخاطب، أو لم يكن الثاني لينًا[49]. ويجوز إن كان في فعل مسند إلى الواحد ودخل عليه الجازم، كـ(لَمْ يَعَضَّ)[50].

[حكم حركة الحرف الثاني من الفعل المضعف]

والحرف الثاني المضعف تارة تجوز فيه الحركات الثلاث، وذلك إن ضُمت العين، كـ(لَمْ يَهُدّ)، والفتح والكسر فقط إن فتحت أو كسرت[51].

[أنواع الفعل المعتل]

والمعتل يتنوع إلى أنواع سبعة[52]: معتل الفاء[53]. و[معتل] العين [54]. و[معتل] اللام[55]. ومعتل العين واللام معًا، كـ(قَوِيَ)[56]، ويسمى: اللفيف المقرون، وعلة التسمية لا خفاء فيها. ومعتل الفاء والعين، كـ(وَيْل)[57]. ومعتل الفاء واللام، ويسمى: اللفيف المفروق، وعلة التسمية لا خفاء فيها أيضًا، وذلك كـ(وَفَى)[58]. ومعتل الثلاثة، وذلك كاسمي الواو والياء[59].

[إعلال الفعل الثلاثي المجرد]

[الإعلال بالحذف]

ومعتل الفاء، إن كانت فاؤه واوًا، فإنها تحذف من المضارع إذا كان على وزن (يَفْعِل) بالكسر، كـ(وَعَدَ يَعِدُ)، وذلك لعدم مناسبة الواو للكسرة، ولا تحذف من المضارع إذا كان على غير هذا الوزن[60].

[الإعلال بالقلب]

وأما إذا كانت فاؤه ياءً فلا تحذف من المضارع مطلقًا، نحو: (يَمُنَ يَيْمُنُ)، و(يَسَرَ يَيْسِرُ)، و(يَئِسَ يَيْأَسُ)[61]. ومعتل العين إذا كان ثلاثيًّا مجردًا، وكانت عينه واوًا أو ياءً متحركة، وانفتح ما قبلها؛ قُلبت ألفًا وجوبًا، نحو: (صَانَ)، و(بَاعَ)[62]. فإن اتصل به ضمير المتكلم، أو المخاطب، أو جمع المؤنث الغائب، نُقل الفعل إلى (فَعُل) بالضم إن كان واويًّا، وإلى (فَعِل) بالكسر إن كان يائيًّا[63].

[الإعلال بالنقل والحذف معًا]

وأما إذا كان معتل العين على وزن (فَعُل) بالضم، أو (فَعِل) بالكسر، فإن الضمة والكسرة يُنقلان إلى الفاء، وتُحذف العين؛ لدفع التقاء الساكنين[64].

[إعلال الفعل الثلاثي المزيد]

وأما الثلاثي المزيد فلا تُعتلَّ عينُه إلا في أربعة أوزان[65]: أَجَابَ، واسْتَقَامَ، وانْقَادَ، واخْتَارَ[66].

[بناء اسم الفاعل واسم المفعول من الثلاثي المجرد معتل العين]

واسم الفاعل من المجرد معتل العين يُعتلُّ بالهمز كـ(صَائن). واسم المفعول منه يُعتلُّ بالحذف والنقل، كـ(مَصُون)[67].

[بناء اسم الفاعل من الثلاثي المزيد معتل العين]

واسم الفاعل من المزيد معتل العين يُعتلُّ بما اعْتَلَّ به المضارع، كـ(مُجِيب)، و(مُسْتَقِيم)[68].

[بناء اسم المفعول من الثلاثي المزيد معتل العين]

واسم المفعول من المزيد يُعتلُّ بالنقل والقلب إن اعْتَلَّ فعله، كـ(مُجَاب)، و(مُستجَاب)[69].

[بناء اسم المفعول من الثلاثي المزيد معتل اللام]

وأما معتل اللام فإنها تحذف لامه إذا كانت واوًا أو ياءً متحركة وانفتح ما قبلها مطلقًا[70].

[إعلال الفعل الثلاثي الماضي معتل اللام]

وتحذف أيضا– اللام– في الماضي إذا كان على وزن (فعلوا)[71] مطلقا، انفتحت العين أوْ لاَ، وعلى وزن (فَعَلَتْ) و(فَعَلَتَا)، بشرط فتح العين[72].

[بناء اسم الفاعل واسم المفعول من الثلاثي المهموز المجرد والمزيد]

وأما المهموز فكل ما تعلق بالصحيح يتعلق به، والكلمة المهموزة تارة تهمز بهمزة واحدة، وتارة بهمزتين، كـ(أَمَلَ يَأْمُلُ)[73]، والمهموز بهمزتين تُقلب الثانية من جنس حركة ما قبلها[74]، كـ(أمل) المتقدم[75].

تنبيهات

[إلى ما يتعلق بصوغ بعض أبنية الأسماء والأفعال]

<u>الأول:</u> اسم الزمان والمكان يأتي على[76]: (مَفْعِل) من (يَفْعِل)، كـ(المَجْلِس). وعلى (مَفْعَل) من (يَفْعَل)، و(يَفْعُل)، بالفتح والضم، كـ(المَذْهَب)، و(المَقْتَل)[77].

وأما اسم الآلة فله هيئات أربع[78]: مِفْعَل، كـ(مِحْلَب)[79]. ومِفْعَلَة، كـ(مِكْسَحَة)[80]. ومِفْعَال، كـ(مِفْتَاح). ومُفْعَال، كـ(مُفْصَاح)[81].

الثاني: مصدر الثلاثي المجرد يفيد المرة الواحدة إذا كان على وزن (فَعْلَة)، كـ(ضَرَبَ ضَرْبَة)[82].

ومصدر الزائد يدل على المرة بزيادة الهاء، كـ(الانطلاقة)[83]، ما لم يكن الثلاثي والزائد[84] مقرونًا بتاء التأنيث؛ فإن مصدره يدل المرة الواحدة بلفظ الواحدة، كـ(رَحِمْتُهُ رَحْمَةً واحدة)، و(دَحْرَجْتُهُ دَحْرَجَةً واحدة)[85].

الثالث: الماضي يُبنى للفاعل بفتح أوله، وللمفعول بضمه وكسر ما قبل آخره[86]. والمضارع يُبنى للفاعل بفتح حرف المضارعة، وكسر ما قبل الآخر. وللمفعول بضم حرف المضارعة وفتح ما قبل الآخر[87].

الرابع: إذا كان المضارع[88] على وزن (أَفْتَعِلُ)، وكانت فاؤه من حروف الإطباق الأربعة؛ فإنها تُقلب تاؤُه طاءً، كـ(أَصْطَلِحُ)[89]. وإن كانت فاؤه دالًا أو ذالًا أو زايًا، قُلبت دالًا كـ(ازْدَجَرَ)[90].

وهو[91] أصله الماضي[92]؛ فلما أريد الدلالة على حصول الحدث في المستقبل أو الحال أدخلوا عليه الأحرف الأربعة: (التاء، والياء، والنون، والهمزة)، وكل من الأربعة يدل على معنى زائد[93]: فـ(التاء) تدل على أن الفاعل المخاطب مطلقًا، مفردًا كان أو مثنًى أو مجموعًا، وقد تدل على أن الفاعل الغائبة مطلقًا، مفردة كانت أو مثناة. و(الياء) تدل على أنه الغائب المذكر مطلقًا، مفردًا كان أو مثنًى أو مجموعًا، وقد تدل على أنه جمع المؤنث الغائب. و(النون) تدل على أنه المتكلم ومعه غيره، أو المتكلم فقط، مجازًا[94]. والهمزة تدل على أنه المتكلم وحده. ويتعين للحال أو الاستقبال[95] بالقرينة[96]، وللاستقبال إن دخلت عليه السين أو سوف[97].

وصيغة المضارع لا تتغير بدخول حرف النفي[98]، بخلاف حروف الجزم والنصب؛ فإن حرف الجزم يزيل حركة المسند للواحد، ونون المسند للاثنين، أو الجماعة، والواحدة المخاطبة، بخلاف نون ضمير جمع المؤنث؛ فلا يزيلها؛ لأنه في مقابلة واو جمع المذكر[99].

وحرف النصب يغير هيئة الفعل من الرفع إلى النصب[100]، ويحذف النونيْن السابقين[101].

وإذا بُني المضارع للفاعل فُتحَ أولُه وكُسر ما قبل آخره، وللمفعول ضُمَّ أولُه وفُتح ما قبل آخره[102].

وتُدْخِلُ عليه نوني التوكيد لتدل على الجزم[103] بوقوع الفعل؛ فتفتح الثقيلة، وتسكن الخفيفة، ما لم تكن الثقيلة في فعل مسند لاثنين أو جماعة النسوة؛ فإنها تُكسر دائمًا[104].

والفعل المؤكد: يُفتح إذا أسند للواحد المذكر، والواحدة الغائبة[105]. ويُضم إذا أسند لجماعة الذكور. ويُكسر إذا أُسند للواحدة المخاطبة؛ فله هيئات ثلاث[106].

تتمة

كل ما ثبت للماضي يثبت للمضارع؛ لِمَا علمت أنه أصله[107]؛ وإنما اختصرنا في الكلام على المضارع ونونيه[108]، وأجملنا العبارة، وتركنا الأمثلة؛ لمَّا اشتهر ذلك في كتب النحو؛ فصار ضروريًّا للمبتدئ فضلًا عن غيره.

والأمر دائمًا يأتي على لفظ المضارع[109]؛ فإذا أريد جعله أمرًا وكان ما بعد حرف المضارعة متحركًا جيء به كذلك، وبما بعده ساكنًا؛ فتقول في الأمر من (تَدَحْرَجَ): دَحْرِجْ. وإن كان ما بعده ساكنًا[110] جيء به وبما بعده كذلك، مع زيادة همزة وصل في أوله، كـ(انْصُرْ)[111]، والله أعلم.

[خاتمة المصنف]

هذا ما سمح به الفكر القاصر، والذهن الفاتر، من رقم هذه القواعد الصرفية، والمقدمة الأوحدية، والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[خاتمة الناسخ]

تمت هذه النسخة على يد كاتبها الفقير إلى مولاه القوي: عبد الكريم أحمد الملوي[112]، غفر الله له ولوالديه ومشايخه وكل المسلمين أجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

1- ينظر في ترجمته: السباعي، مقدمة هذا الكتاب، والأزهري، محمد البشير ظافر: اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، طبع بمطبعة الملاجئ العباسية التابعة لجمعية العروة الوثقى، 1324هـ، ص:73، وكحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، 251/1.

2- كذا بالأصل، ولعل الصواب (مركبًا).

3- "ويسمّى مطابقًا أيضًا". الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن: المفتاح في الصرف، حققه وقدم له: علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1407هـ- 1987م، ص:39.

4- ينظر: ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط2، (د. ن)، (د. ت)، 28/1، 30-32.

5- "الفعلُ- من حيث أداؤُهُ معنًى لا يتعلَّقُ بزمان، أو يَتعلقُ به- قسمان: جامدٌ، ومُتصرفٌ؛ لأنه إن تعلق بزمان؛ كان ذلك داعيًا إلى اختلاف صوره، لإفادة حدوثه في زمان مخصوص، وإن لم يتعلق بزمان، كان هذا موجبًا لجموده على صورة واحدة". غلاييني، مصطفى: جامع الدروس العربية، راجعه ونقحه: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط18، 1406هـ- 1986م، 55/1.

6- قوله: (يبحثون) هو على لغة طيئ، وهي اللغة التي تسمى بلغة أكلوني البراغيث، وهي: اتصال ضمير الرفع بالفعل المسند إلى الظاهر. ينظر: المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1403هـ- 1983م، ص:149، و"أنكر قوم من النحويين هذه اللغة، وتأولوا ما ورد منها، ولا يقبل قولهم في ذلك؛ بل هي ثابتة بنقل الأئمة". المرادي، الجنى الداني، ص:170.

7- الاسم المتمكن هو المعرب. ينظر: ابن عقيل: شرح ابن عقيل 36/1، والأشموني، علي بن محمد بن عيسى: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (د. تح.)، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ- 1999م، 83/1.

8- ينظر: ابن هشام، عبد الله بن يوسف جمال الدين: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمود مصطفى حلاوي، وأحمد سليم الحمصي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م، 303/4.

9- السفرجل: من الفواكه معروف، واحدته: سفرجلة. ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ت: (سفرجل). أو هو شجر مثمر من الفصيلة الوردية، يجمع على (سفارج). ينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار عمران، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية، ط3، 1985م، (سفرجل).

10- في الأصل: كاشهابا. والتصويب من اللباب في علل البناء والإعراب 211/2. قال ابن منظور: "والشَّهَبُ والشُّهْبَةُ لَونُ بَياضٍ يَصْدَعُه سَوادٌ في خِلالِه...، وقيل الشُّهْبة البَياضُ الذي غَلَبَ على السَّوادِ...، وفَرَسٌ أَشْهَبُ وقدِ اشْهَبَّ اشْهِباباً واشْهابَّ اشْهيباباً مثله وأَشْهَبَ الرجلُ إذا كان نَسْلُ خَيْلِهِ شُهْباً". ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1999م، (شهب).

11- ينظر: ابن هشام: أوضح المسالك 303/4.

12- ينظر: ابن الحاجب: الشافية، ص:70، وغلاييني: جامع الدروس العربية 54/1.

13- "ويعبر عنها بالفاء والعين واللام، وما زاد بلام ثانية وثالثة، ويعبر عن الزائد بلفظه، إلا المبدل من تاء الافتعال فإنه بالتاء، وإلا المكرر للإلحاق". ابن الحاجب: الشافية، ص:6.

14- "لِلثُّلاثِيِّ عَشَرَةُ أَبْنِيَةٍ، والقِسْمَةُ تَقْتَضِي اثْنَيْ عَشَرَ بِنَاءً، سَقَطَ (فِعْل)، بِكَسْرِ الفَاءِ وضَمِّ العَيْنِ، و(فُعِل)، بِضمِّ الفَاءِ وَكَسْرِ العَيْنِ، وقَدْ جَاءَ (حِبْك)، و(دُئِل)، وهُمَا نَادِرَانِ؛ فَلا يَكُونَانِ أَصْلًا في الوَزْنِ". الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:29- 30، وينظر: ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي: الممتع في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب، ط5، 1403هـ- 1983م، 60/1. وأبنيته العشرة هي: (فَعْل) ككَلْبٍ، و(فَعَل) كفَرَسٍ، و(فَعُل) كرَجُل، و(فَعِل) ككَبِد، و(فُعُل) كعُنُق، و(فُعَل) كصُرَد، و(فُعْل) كقُفْل، و(فِعْل) كحِمْل، و(فِعِل) كإبِل، و(فِعَل) كعِنَب. ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:30-32، والثمانيني، عمر بن ثابت: شرح التصريف، تحقيق: إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض- السعودية، ط1، 1999م، ص:204.

15- ينظر: ابن هشام: أوضح المسالك 304/4، والمرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 2008م، 1512/3.

16- ينظر: الأستراباذي، رضي الدين: شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده، لعبد القادر البغدادي، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، 1395هـ- 1975م، 39/1، والمرادي: توضيح المقاصد 1513/3.

17- ما بين معقوفين زيادة من المحقق. والظاهر أنه ساقط من الناسخ.

18- ينظر: المبرد، أبو العباس: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، 66/1-67، وابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ- 1987م، 182/3، والثمانيني: شرح التصريف، ص:205- 206، والمرادي: توضيح المقاصد 1519/3-1520، والأشموني: شرح الأشموني 1752/4- 1753.

19- الجعفر: "النهر الصغير والكبير الواسع، ضد، أو النهر الملآن، أو فوق الجدول. والناقة الغزيرة". القاموس المحيط (نهر). والغزيرة أي: غزيرة اللبن. ينظر: المعجم الوسيط (نهر).

20- الزبرج: "الزينة من وشي أو جوهر والذهب والسحاب الرقيق فيه حمرة". الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (د. تح)، عالم الكتب بيروت، د. ت: (زبرج).

21- في الأصل: برسن. والتصويب من الشافية، ص:14.

22- "البُرْثُنُ: مِخْلَبُ الأَسَد. وقيل: هو للسبُع كالإِصْبَع للإِنسان. وقيل: البُرْثُنُ الكَفُّ بكمالها مع الأَصابع". ابن منظور: لسان العرب (برثن).

23- قال ابن منظور: "الزِّبرُّ- بالكسر والتشديد- من الرجال الشديد القوي". ابن منظور: لسان العرب (زبر).

24- هذا البناء زاده الأخفش. ينظر: ابن الحاجب: الشافية، ص:14. قال ابن جني:" وخالفه جميع البصريين إلا من قال بقوله، والذي رواه الناس غيره (جُخْدُب) بضم الدال". ابن جني، أبو الفتح عثمان: المنصف، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1999م، ص:55.

25- الجُخْدُبُ، والجُخْدَبُ: الضَّخْم الغليظُ من الرِّجال والجِمال. ينظر: لسان العرب (جخدب). أو هو ضرب من الجنادب ومن الجراد ومن الخنفساء ضخم. وكقنفذ وجندب: الأسد. ينظر: القاموس المحيط (جخدب). ولم يذكر المصنف أوزان الخماسي المجرد، وهي: (فَعَلَّلٌ)، كسَفَرْجَل، و(فِعْلَلٌّ)، كقِرْطَعْب، و(فُعَلَّلٌ)، كقُذَعْمِل، و(فَعْلَلِلٌ)، كجَحْمَرِش. ينظر: المبرد: المقتضب 68/1، والثمانيني: شرح التصريف، ص:208، والعكبري، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر- دمشق، ط1، 1995م، 213/2، والمرادي: توضيح المقاصد 1524/3.

26- ينظر: ابن يعيش، موفق الدين: شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط1، 1393هـ- 1973م، ص:37- 38، والمرادي: توضيح المقاصد 305/1، 1518/3، وابن عقيل: شرح ابن عقيل 24/1، والأشموني: شرح الأشموني 1748/4. ويعبر بعض النحويين عن الفعل المضارع المسبوق بـ(لا) الناهية بـ(فعل النهي). ينظر: ابن يعيش: شرح الملوكي، ص:37- 38، 62- 63، والأشموني في شرح الألفية 1396/3.

27- ويسمى غابرًا. ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:53. وهو "ما دلَّ على معنىً في نفسه مقترنٍ بالزمان الماضي". غلاييني: جامع الدروس العربية 33/1.

28- قال الجرجاني: "ويسمّى مطابقًا أيضًا". الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:39.

29- ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:36، والزنجاني: التصريف العزي، ص:3- 4.

30- ينظر: ابن السراج: الأصول في النحو 181/3، والزنجاني: التصريف العزي، ص:4- 5، والثمانيني: شرح التصريف، ص:431. وأوزانه هي: (فَعَلَ يَفْعُلُ، فَعَلَ يَفْعِلُ، فَعِلَ يَفْعَلُ، فَعَلَ يَفْعَلُ، فَعِلَ يَفْعِلُ، فَعُلَ يَفْعُلُ). ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:36- 38.

31- ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:36، والزنجاني: التصريف العزي، ص:4.

32- زيادة من المحقق.

33- ينظر: المصدران السابقان.

34- زيادة من المحقق.

35- ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:37، والزنجاني: التصريف العزي، ص:5.

36- ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:38، والزنجاني: التصريف العزي، ص:5.

37- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:6- 7، والثمانيني: شرح التصريف، ص:194.

38- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:5.

39- في الأصل: (افْعَلَّلَ). والتصويب من: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:46، والزمخشري، أبي القاسم جار الله محود بن عمر: المفصل في صنعة الإعراب، ومعه المفضل في شرح أبيات المفصل، للنعساني، تقديم وتبويب: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط1، 1993م، ص:375، والعكبري: اللباب في علل البناء والإعراب 218/2.

40- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:8.

41- ينظر: ابن الحاجب، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر: الكافية، (ضمن كتاب مجموع مهمات المتون)، تصحيح: أحمد سعد علي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط4، 1949م،: الكافية،

ص:412، والأستراباذي، رضي الدين: شرح كافية ابن الحاجب، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1419هـ– 1998م، 413/3.

42– ينظر: ابن الحاجب: الكافية، ص:412، والأستراباذي: شرح الكافية 427/3.

43– ينظر: ابن الحاجب: الكافية، ص:412، والأستراباذي: شرح الكافية 414/3.

44– ينظر: ابن الحاجب: الكافية، ص:413، والأستراباذي: شرح الكافية 428/3.

45– ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:39، والثمانيني: شرح التصريف، ص:194، وعبد الحميد: تكملة في تصريف الأفعال بذيل شرح ابن عقيل 609/2.

46– ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:25– 27، والأستراباذي: شرح الشافية 235/3.

47– يقصد عدم اتصال الضمير بها.

48– "اللين أعم من المد، وحرف العلة يطلق على الألف والواو والياء، سواء أكانت متحركة أم ساكنة، وسواء أكانت مسبوقة بحركة أم لا، وسواء أكانت الحركة السابقة مجانسة أم لا، فهو أعم من المد واللين جميعا، وعلى ذلك يكون واو (عصفور)، وألف (قرطاس)، وياء (قنديل)؛ حروف علة ومد ولين، ويكون واو يوم وياء (بين) و(بيع) حروف علة ولين، وليس حروف مد، ويكون ياء (بيان)، وواو (وعد) و(نزوان)، حروف علة، وليست مدًّا ولا لينًا". الأستراباذي: شرح الشافية 250/1، هامش المحققين. وقال الرضي: "ومع المد الذي في حروف اللين يشترط في الساكن الثاني أحد الشرطين: أحدهما أن يكون مدغمًا بشرط أن يكون المدغم والمدغم فيه معًا من كلمة حرف المد...، الشرط الثاني من الشرطين المعتبر واحد منهما في الساكن الثاني: أن يكون موقوفا عليه بالسكون، أو مجرى مجرى الموقوف عليه، وذلك لأن الوقف لقصد الاستراحة، ومشارفة الراحة تهون عليك أمر الثقل الذى كنت فيه". الأستراباذي: شرح الشافية 212/2، 213– 215.

49– ينظر: الأستراباذي: شرح الشافية 244/3.

50– ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:39، والأستراباذي: شرح الشافية 244/3. قال الرضي: "لغة أهل الحجاز فيه ترك الإدغام، وأجاز غيرهم الإدغام أيضًا؛ لأن أصل الحرف الثاني الحركة". السابق 264/3.

51– ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:27، والأستراباذي: شرح الشافية 243/2– 246، وابن عصفور: الممتع 659/2.

52– ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:28– 47.

53– ويقال له: المثال، مثل: وَعَدَ. ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:28– 29.

54– "ويقال له: الأجوف، وذو الثلاثة؛ لكون ماضيه على ثلاث أحرف إذا أخبرت عن نفسك". الزنجاني: التصريف العزي، ص:31.

55– "ويقال له: الناقص، وذو الأربعة؛ لكون ماضيه على أربعة أحرف إذا أخبرت عن نفسك، نحو: غزوتُ". الزنجاني: التصريف العزي، ص:36.

56– ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:42.

57– وهو" في الاسم لا غير". الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:42.

58– ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:44، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:42.

59- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:47. أي: كأن يقال: هذه واوٌ، وهذه ياءٌ؛ إذ يرى بعض النحويين أن الهمزة حرف علة، منهم: الخليل بن أحمد. ينظر: الفراهيدي: كتاب العين 43/1. ومنهم: الفارسي. ينظر: الأشموني: شرح الأشموني 1816/4، وهو رأي ابن مالك. ينظر: الألفية، ص:110، والمرادي: توضيح المقاصد 1605/3، والأستراباذي: شرح الشافية 71/3، هامش المحققِين. وبعضهم يرى أن الهمزة شبيهة بحرف العلة، وبعضهم أنها حرف صحيح. ينظر: الأشموني: شرح الأشموني 1816/4، وقد جمع الغلاييني بين هذين الرأيين بقوله: "الهمزة من الحروف الصحيحة، غيرَ أنها تُشْبِهُ أحرفَ العِلة؛ لذلك تقْبَل الإعلالَ مثلَها، فتتقلبُ إليها في بعض المواضع". غلاييني: جامع الدروس العربية 117/2.

60- ينظر: العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب 353/2- 355.

61- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:30، والثمانيني: شرح التصريف، ص:431، والمصدر السابق؛ وذلك لخفتها. ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:71.

62- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:31، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:72، وابن الحاجب: الشافية، ص:96، وابن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، ص:218، والأستراباذي: شرح الشافية 2/1.

63- فأصل قال وباع: قَوَلَ، وبَيِعَ. ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار القلم، القاهرة، 1385هـ- 1966م، 342/4- 343، وابن السراج: الأصول في النحو 279/3- 281، والزنجاني: التصريف العزي، ص:31- 32.

64- ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، (د. ت)، 342/2، 348، والثمانيني: شرح التصريف، ص:435- 438، 443.

65- هي: (أَفْعَلَ، واسْتَفْعَلَ، وانْفَعَلَ، وافْتَعَلَ). ينظر: الأستراباذي: شرح الكافية 132/4.

66- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:34.

67- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:35- 36، والأستراباذي: شرح الكافية 130/4، وابن عقيل: شرح ابن عقيل 575/2- 576.

68- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:35، والثمانيني: شرح التصريف، ص:460.

69- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:36، والثمانيني: شرح التصريف، ص:461، 468، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:84، والأستراباذي: شرح الكافية 132/4.

70- مثل: المُعطَى، والمُشْتَرَى. ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:37.

71- في الأصل: على وزن (فعل). والتصويب من الزنجاني: التصريف العزي، ص:37.

72- مثل: غزوْا، غزَتْ، غزَتا. ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:37.

73- ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تحقيق: أحمد فريد أحمد، تقديم: فتحي عبد الرحمن حجازي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د. ت)، 664/2، وغلاييني: جامع الدروس العربية 117/2- 118، وحسن، عباس: النحو الوافي، دار المعارف بمصر، (د. ت)، 771/4.

74- ينظر: الأستراباذي: شرح الشافية 305/3.

75- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:48.

76- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:52.

77- وشذّ نحو: المسجِد، والمسكِن، والمنبِت، وقياسها الفتح؛ لأن مضارعها مضموم العين. واسم الزمان والمكان من الرباعي كمفعولهما، نحو: مُدَحْرَج، ومُكْرَم. ينظر: الجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:59- 61.

78- له ثلاثة أبنية: مِفْعَل، ومِفْعَال، ومِفْعَلَة. ينظر: التصريف العزي، ص:54، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:61، وابن الحاجب: الشافية، ص:31، والزمخشري: المفصل، ص:307.

79- المحلب: الإناء الذي يحلب فيه اللبن. ينظر: ابن منظور: لسان العرب (حلب).

80- قال ابن منظور: "الكَسْحُ: الكَنْسُ، كَسَحَ البيتَ والبئر يَكْسَحُه كَسْحًا: كَنَسه، والمِكْسَحة المِكْنَسةُ". لسان العرب (كسح).

81- كذا ضبطها في الأصل. ولم أقف- فيما اطلعت عليه من مصادر- على من ذكر هذا الوزن من أوزان اسم الآلة، أو معنى كلمة (مفصاح) على أنها اسم آلة. وقد خالف المصنف ما ذكره علماء الصرف بزيادته هذا الوزن؛ بل إن المصنف على الرغم من أن كتابه هذا مختصر من التصريف العزي؛ لم يلتزم بما فيه من الأوزان الثلاثة؛ فزاد عليها هذا الوزن الرابع، والله أعلم.

82- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:54، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:65، وابن الحاجب: الشافية، ص:29، والزمخشري: المفصل، ص:280.

83- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:55، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:66، وابن الحاجب: الشافية، ص:29، والزمخشري: المفصل، ص:280.

84- في الأصل: والزيد.

85- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:55، والزمخشري: المفصل، ص:280.

86- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:9- 11، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:67، والعكبري: اللباب في علل البناء والإعراب 157/1، والأستراباذي: شرح الكافية 128/4- 129.

87- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:12- 13، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:68، والأستراباذي: شرح الكافية 128/4.

88- كذا بالأصل، وهو ما جعلني أضبطها بصيغة المضارع، وما يُذكر في كل المصادر والمراجع بصيغة الماضي. ينظر- مثلًا-: الزنجاني: التصريف العزي، ص:19، وابن الحاجب الشافية، ص:118، والأستراباذي: شرح الشافية 227/3، 229.

89- ينظر: ابن الحاجب، جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر: الشافية، (ضمن كتاب مجموع مهمات المتون)، تصحيح: أحمد سعد علي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط4، 1369هـ- 1949م، ص:128، والعكبري: اللباب في علل البناء والإعراب 346/2- 347، والأستراباذي: شرح الشافية 226/3، وابن عقيل: شرح ابن عقيل 582/2.

90- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:19، وابن الحاجب: الشافية، ص:118، والعكبري: اللباب في علل البناء والإعراب 348/2- 349، والزمخشري: المفصل، ص:516، والأستراباذي: شرح الشافية 227/3- 229.

91- يقصد: المضارع.

92- الماضي أصل للمضارع. ينظر: الأستراباذي: شرح الشافية 145/3.

93- ينظر في هذه المعاني: الزنجاني: التصريف العزي، ص:11، وابن الحاجب: الكافية، ص:415، والأستراباذي: شرح الكافية 18/4- 19.

94- في الأصل: مجاز.

قال الرضي: "ويقول الواحد المعظم، أيضًا: نفعل، وفعلنا، وهو مجاز عن الجمع، لعدهم المعظم كالجماعة، ولم يجئ للواحد الغائب والمخاطب المعظمين: فعلوا، وفعلتم، في الكلام القديم المعتد به، وإنما هو استعمال المولدين". شرح الكافية 18/4.

95- ينظر: ابن السراج: الأصول في النحو 41/1. وينظر: ابن يعيش: شرح الملوكي، ص:62. وهذه الحروف "تنبئ أن الفعل لم يحصل بعد لفاعله، وأن بينه وبين تحصيله جزءًا من الزمان". السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: نتائج الفكر في النحو، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1992م، ص:91.

96- القرينة مثل: (يفعل الآن)، أو (يفعل غدًا). ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:12.

97- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:12. لأنهما لا يسبقان من الأفعال سوى الفعل المضارع؛ لإفادة التنفيس. ينظر: سيبويه: الكتاب 233/4، والمرادي: الجنى الداني، ص:458. ولإفادة الاستقبال. ينظر: ابن السراج: الأصول في النحو 42/1، والزمخشري: المفصل، ص:452، وابن يعيش، موفق الدين: شرح المفصل، (د. تح.)، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، 148/8. ويقصد بالتنفيس: تخليص المضارع وقلبُه من الزمن الضيّق، وهو الحال، إلى الزمن الواسع، وهو الاستقبال. ينظر: ابن يعيش: شرح المفصل 148/8، وابن هشام، عبد الله بن يوسف جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985م، 148/1.

98- يقصد بالنافي هنا: (ما)، و(لا). ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:14.

99- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:15.

100- ينظر: العكبري: اللباب في علل البناء والإعراب 47/2، وغلاييني: جامع الدروس العربية 167/2، 183.

101- أي: نون المسند للاثنين، ونون ضمير جمع المؤنث. ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:15.

102- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:12، 14، والجرجاني: المفتاح في الصرف، ص:58- 59، وابن الحاجب: الكافية، ص:412- 413، والأستراباذي: شرح الكافية 128/4، 133.

103- يقصد بالجزم: التوكيد.

104- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:20، والأستراباذي: شرح الشافية 213/2، وابن عقيل: شرح ابن عقيل 315/2- 316.

105- في الأصل: (والواحدة المخاطبة). وهو سهو من الناسخ. والتصويب من الزنجاني: التصريف العزي، ص:21. مثل: لَيَنْصُرَنَّ (هو)، ولَتَنْصُرَنَّ (هي).

106- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:21، وعبد الحميد، محمد محيي الدين: تكملة في تصريف الأفعال، بذيل شرح ابن عقيل، ط2، (د. ن)، (د. ت)، 649/2.

107- ينظر: الأستراباذي: شرح الشافية 145/3.

108- يقصد بالنونين: نوني التوكيد، الثقيلة والخفيفة.

109- الأمر جارٍ على لفظ المضارع المجزوم. ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:16. أو هو مقتطع من المضارع. ينظر: عبد الحميد: تكملة في تصريف الأفعال بذيل شرح ابن عقيل 650/2.

110- في الأصل: (ساكن).

111- ينظر: الزنجاني: التصريف العزي، ص:16-17، والزمخشري: المفصل، ص:339، وعبد الحميد: تكملة تصريف الأفعال بذيل شرح ابن عقيل 650/2.

112- لم أقف له على ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر.

Scientific Journal of Faculty of Education

A biannual refereed journal issued by the
Faculty of Education, Misurata University - Libya

المراسلات : كلية التربية جامعة مصراتة – ليبيا

هاتف

00218512631845

00218512631846

فاكس

00218512632517

صندوق البريد : 2478

الموقع الإلكتروني للكلية

ttp://edu.misuratau.edu.ly

البريد الإلكتروني للمجلة

Journal_edu.misurata@yahoo.com

جامعة مصراتة — كلية التربية

Volume 2 — السنة الثانية

Issue 4 — العدد الرابع

Dec 2015 — ديسمبر 2015

المجلة العلمية لكلية التربية

المجلة العلمية لكلية التربية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية التربية جامعة مصراتة

الشيخ الدردير ومنهجه في كتابه الشرح الصغير..... د. أحمد الكميتي

إعادة العصمة الزوجية والمقصد الشرعي منها.... د. عبد العظيم الأجطل

روافد مصطلح غريب الحديث ..... د. عبد الوهاب عبد العالي

المقدمة الأوحدية لتوضيح القواعد الصرفية ..... د. عمر الباروني

التوظيف الصوفي في الشعر الحديث ..... د. عبد الله الغويل

خصائص شعر الخوارج ..... أ. عبد الله البيوضي

مستويات اللغة الروائية ..... أ. نجوى السوسي

تقنيات العمل الروائي عند الكوني ..... د. إسماعيل فتاتيت

أثر المسافة في تشكيل الصورة التشبيهية..... د. عبد السلام الشيماوي

التّجّاني ومنهجه في كتابة رحلته ..... أ. أحمد اسبيطه

الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية ..... أ. إبراهيم شيره

الخط العربي في العصر الجاهلي..... أ. فتحي احجيبه

الشك واليقين عند ديكارت ..... د. مصطفى قصيبات

الإرهاصات الأولى للفن ..... د. فيصل الخراز

مستويات الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب ..... أ. سامي المخلوف

أثر تقنية المعلومات والاتصالات.. أ . أبوبكر القطار & أ. عز الدين عياد

صورة الجسم وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي ... د. حسين الأطرش

التباين الفصلي في تركيز المغذيات ..... د. البشير الجطلاوي

تأثير إضافة الجليسرول على تحلل نموذج نشط لـ DNA د. محمد ساسي

Ambiguity Concerning Homonymy and Polysem. ..... Dr. Omar Albukbak

he Attitudes Of Teachers And Students. ..... Mr. Abdelkareem A. Ben Mustafa

The Problems Encountered by Faculty of Education. Mr. Mohammed AbuMustafa

An Evaluation of Teaching Practice. .. Mr.Ahmad Shteiwi & Mr. Mustafa Hamuda

Thermal Effect On Material. ..... Mr. Salah Echrif & Mr. Amer Akier

التوظيف الصوفي في الشعر العربي الحديث

د. عبد الله عبد الرحمن الغويل*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

احتاج الشاعر العربي المعاصر إلى وسائل يعبر بها عن رفضه لواقعه، الذي رآه مهينا فاسدا؛ لأسباب كثيرة، سياسية واجتماعية، ولكي يستمر في رسالته ويحمي نفسه من هذا الواقع، وليكون علاجه فنيًّا له وقعه الخاص في النفوس، كان عليه أن يتجه في تجربته الشعرية إلى الرمز والقناع، للتعبير عن رغباته وطموحاته، وقد وجد في التجربة الصوفية خير طريق لهذا التعبير؛ وذلك لقرب التجربتين من بعضهما.

وقد حاولت هنا أن أؤكد وجود البعد الصوفي في الشعر العربي المعاصر، مستعينا على ذلك بعد الله – تعالى – بعدد من المصادر، لعل أهمها: بحث محمد مصطفى هدارة. في مجلة (فصول) بعنوان: النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، والذي أخذ منه أكثر الذين اطلعت على كتاباتهم في هذا الموضوع، وكتاب الشعر والصوفية، لكولن ولسن، وكتاب الرمز الشعري عند الصوفية، لعاطف جودة نصر، فضلا عن دواوين من تمّ اختيارهم من الشعراء في هذا البحث.

معنى التصوف وعلاقته بالأدب الحديث

ذهبت التأويلات في أصل الاشتقاق لكلمة (تصوّف) مذاهب شتّى، وظهرت العديد من الآراء التي أعادت التسمية إلى عدّة أصول، منها ما يوافق القواعد الصرفية، ومنها ما يخالفها، وقد رُشِّحَت ألفاظ عديدة لتكون أصلا لكلمة (صوفي) منها: الصفاء، الصفوة، الصف، الصُّفة، الصوف، صوفة القفا، الصوفة المرميّة، بنو صوفة، أو كلمة سوفيا اليونانية، التي تعني الحكمة[1].

وقد اعتمد المفكرون والباحثون الصوفيون في اشتقاقاتهم لاسم الصوفية على مرتكز أساسي، وهو مدى ارتباط هذا الاسم بفكرهم، ولو كان هذا الاشتقاق لا يتفق وقواعد الاشتقاق اللغوي في أكثر الألفاظ المرشحة، "ولكنهم اتفقوا على أن أقرب الاشتقاقات هي المشتقة من كلمة (صوف)؛ لأنها الأصح لغويا من جهة، والأكثر ارتباطا بمظهر الصوفية من جهة أخرى"[2].

* كلية التربية – جامعة مصراتة.

وقد وجد الباحثون صعوبة في إيجاد تعريف للتصوف، وسبب ذلك أن الصوفيين أنفسهم استعصى عليهم إيجاد وصف دقيق لتجاربهم الروحية، وسبب آخر وهو كثرة التعريفات التي يضعها كل شيخ حسب رؤيته؛ ولكن هذا لم يقف دون محاولة بعضهم وضع تعريفات للتصوف والصوفي، يقول أبو العلا عفيفي: "وقد كنا نطمع بعد دراسة خمسة وستين تعريفا للتصوف أن نجد معنى عاما مشتركا ينتظمها جميعا، ولكنا لم نظفر بهذا المعنى على وجه التحديد، ووصلنا إلى معنى قريب ... وهو أن التصوف في أساسه وجوهره "فقدٌ ووجودٌ" فقدٌ لآنيّة العبد، ووجود له بالله، أو في الله. أي: فناء عن الذات المشخصة وأوصافها وآثارها، وبقاء في الله، أو أنه بعبارة أخرى، الجذبة في الله"[3]. ويعرفه رضوان الكردي بعد أن ذكر أن للتصوف نحو ألفي تعريف بقوله: "التصوف: هو علم يعرف به أحوال النفس محمودها ومذمومها، وكيفية تطهيرها من المذموم وتحليتها بالاتصاف بالمحمود"[4].

وما يعنينا هنا، ليس معنى التصوف من حيث هو التزام بطريقة معينة، ولكن الذي يعنينا هو التصوف بمعناه العام، وبكونه ظاهرة إنسانية عامة، وجدت في كل العصور والأديان، بل عند كل الناس كما يقول كولن ولسن[5]. وعلاقة هذا التصوف بالشعر العربي الحديث. فلا بدّ لدارس البعد الصوفي في الشعر الحديث أن يميز بين الشاعر الصوفي، والشاعر الذي يستخدم التراث الصوفي للوصول إلى هدف معين، وهذا النوع الأخير هو المقصود هنا، أما الشعراء المتصوفون فهم في رأيي لا يختلفون عن الشعراء الصوفيين القدامى، كرابعة العدوية، والبوصيري، وعبد الغني النابلسي، وغيرهم؛ فهدف هؤلاء من الشعر هو إظهار تصوفهم، وهيامهم بمن أحبوا.

أما أولئك الذين استخدموا الصوفية للنظر إلى الناس والأشياء لذاتها، ومشاهدة الجمال في غير ما يحس فيه البشر العاديون جمالا، ويربطون بين الأشياء عن طريق التصوف؛ لترى بصورة جديدة، فهم الذين يمثلون ظاهرة البعد الصوفي في الشعر العربي الحديث، موضوع البحث؛ لهذا نجد من الباحثين من يعيب على بعض الشعراء مباشرته في التصريح بالنزعة الصوفية، يقول راشد عيسى عن الشاعر السعودي جاسم الصحيح: "وجاسم الصحيح من أغزر الشعراء الجدد الذين يستدعون المنابع الصوفية القديمة للاستيحاء منها، وليس لإحيائها، وإن كان يؤخذ عليه أحيانا بعض مباشرته في التصريح، كقوله: لم يبق لي غير التصوف، ما زلت أفتش عن خرقة صوف... إذ التلميح والإيحاء، وعبقرية الكنايات، وسلطة الرمز، من أهم أدوات الشاعر الصوفي إلى رؤياه، ومن العيب الفني التصريح بطبيعة المنزع.. فقصيدة الرؤيا الصوفية تنبئ عن نفسها بنفسها، وليس بإعلانات خارجية يحتاجها المتلقي، فالخطاب الصوفي لخاصة الخاصة"[6]، يقول محمد هدارة: "معنى أي شيء

في التجربة الصوفية له كثير من الدلالات"[7]، أما كولن ولسن فيقول: "كالشظية من العظم التي يمكن أن يتصور منها الباحث الأثري هيكلا كاملا لحيوان منقرض"[8].

فالتصوف في الشعر يعني التصوف بمعناه العام، من حيث هو تجربة روحية، تخص جميع الديانات، وتحدد موقف البشر من الوجود والحياة، "وهو بهذه الصورة ظاهرة إنسانية عامة، ليست محدودة بدين، أو حدود مادية زمانية أو مكانية، ومن ثم يمكن القول: بأن التجربة الصوفية قد تنشأ بعيدًا عن الدين"[9].

ولا يعني ذلك نفي وجود أثر التصوف الإسلامي الخاص في الشعر العربي الحديث، فللتصوف الإسلامي أثره حتى في شعر غير العرب، فهيجل– مثلا – يرى: "أن ظاهرة فقدان الشعور بالأنا، نابعة من التصوف الإسلامي. فهو يقول: إن الشاعر المسلم الصوفي إذ يسعى إلى استشفاف الله في الكائنات يتخلى عن أناه الخاصة، وهذا ما يعود عليه بالبهجة والسعادة الروحية، فهو يعزف عن ذاته، ليستغرق في الأزل والمطلق"[10].

وعن أثر الصوفية في الأدب الحديث بصفة عامة يقول أحد الباحثين: "لا أحد ينكر أن التيار الصوفي يشكل مكونا أساسيا من مكونات الفكر العربي المعاصر... وبخاصة أن النتاجات الصوفية المختلفة قد شكلت مادة ثرية خصبة لعديد النتاجات الأدبية الحديثة والمعاصرة... وقادت بالنتيجة إلى أن تصبح المكونات الصوفية جزءًا مهما في لحمة النص الأدبي الحديث، وقد ترقى في بعض الأعمال إلى المكوّن الأساس الذي يتماهى معه المبدع، ويوظفه بكيفية ما"[11].

إذن فبين التصوف والأدب بعامة، والشعر بخاصة، وشائج قربى تتمثل في أن كلا منها يحيل على العاطفة والوجدان والغموض؛ والشعور الكامل بالتحرر من كافة القيود التي تشعر الإنسان بعبوديته، وحين يصل الصوفي إلى درجة الفناء، فهو كالشاعر في حالة الإلهام.

التجربة الصوفية، والتجربة الشعرية

قوة العلاقة بين التجربتين

تتشابه التجربتان الصوفية والشعرية في جوانب متعددة، عرض كثير من الباحثين وجوها منها في دراساتهم حول علاقة التصوف بالشعر، ولعل التشابه الأكثر حساسية – كما يرى صلاح عبد الصبور– هو "ما تسعى إليه كل من التجربتين، فكلاهما محاولة للإمساك بالحقيقة، والوصول إلى جوهر الأشياء"[12].

والتجربتان تقومان كذلك على التغيير المستمر، والمعاناة والاضطراب. ونرى أن بعض أحوال الصوفية كالمراقبة والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين، هي أحوال الشاعر في تجربته، ونجد أن التجربتين تتفقان في المنبع والغاية، "فمن حيث المنبع تلتقي التجربتان في الرؤيا، التي تدفع صاحبها إلى استبطان العالم، ومن حيث الغاية فإنهما تلتقيان في خلق عالم لا واقعي، عن طريق توحيد المتناقضات، أو توحيد ما يبدو متناقضا"[13].

وسأحاول هنا أن أوضح قوة العلاقة بين التجربتين، من خلال تناولهما للمعرفة والرفض، والخيال والإلهام، واللغة والرمز، بشيء من الاختصار الذي تفرضه طبيعة هذا البحث.

أولا : المعرفة بين التجربتين

وسيلة المعرفة عند الصوفية هي القلب، فالقلب عند الصوفيين أهم من العقل؛ ولذلك نفت المسافة بين الذات العارفة، والموضوع المعروف. فجعلوا العلاقة بينهما علاقة حب، تفنى فيها الذات بالموضوع، وحتى يتم هذا الفناء – الذي يؤدي إلى المعرفة – لا بدّ للصوفي أن يصفو، وأن يغيب عن بشريته؛ لمعرفة الحقائق والوصول إليها.

ونجد أن هذه الوسيلة للمعرفة – وهي القلب – متبعة عند الشعراء، وخاصة في الشعر الحديث، يقول محمد هدارة: "إن التأمل بالوجدان والقلب، وسيلة مهمة عند الشاعر والمتصوف على السواء"[14]؛ لذلك نجد أن لا مكان للتفكير العقلي المجرد في الشعر الصوفي الحديث، فالعقل يحلل العلوم، والتجربة الشعرية بعيدة عن العلوم، يقول أدونيس: "الشعر الجديد نوع من المعرفة التي لها قوانينها الخاصة، في معزل عن قوانين العلم"، ويقول ألفرد دي موسيه: "إن أول مسألة هي ألاّ تلقي بالاً إلى العقل"[15] .

إذن فالشعر والتصوف كلاهما يرفض الحلول الجاهزة، أو آلية التفكير العلمي الصارمة؛ لاعتمادهما على القلب في المعرفة والرؤية، التي يتفوق فيها الشاعر على الصوفي، كما يرى عز الدين إسماعيل إذ يقول: "ربما استطاع الصوفي أن يعبر عن رؤيته أحيانا، ولكن في مراحلها الأولى، ولكنه عندما يوغل في الطريق يستعصي عليه أن يعبر عن هذه الرؤية، والغالب أنه هو نفسه في هذه المرحلة المتقدمة لا يرغب في أن يعبر عن رؤيته، أما الشاعر فإنه يعبر بمجرد أن يرى، أي أن الرؤية وسيلة إلى التعبير، مهما أوغل في الرؤية، وفرق آخر هو أن موضوع الرؤية يظل واضحا أمام الشاعر في كل لحظة، في حين أنه يختفي في التجربة الصوفية "[16].

ثانيا : الرفض بين التجربتين

الصوفي يرى خواء العالم المادي، ويرى الهوّة عميقة بين الواقع المادي، والواقع المتأمل والمنشود؛ لذلك يفرُّ الصوفي من الواقع إلى المثال، من المحدود إلى اللانهائي، وفي هذا يلتقي التصوف مع التجربة الشعرية، التي عرّفها أدونيس بأنها "تغيير في نظام الأشياء، وفي نظام النظر إليها"[17]، وقد وجد الشاعر في الرؤيا الصوفية وسيلة لتحقيق هذا الأمر، المتمثل في رفض الواقع، والسمو نحو عالم أفضل، فالتجربة الشعرية ترفض معطيات الوجود على ما هي عليه؛ لذلك تنسحب منها إلى عالم تكشفه وتخلقه بنفسها من خلال الشعر، وهذا الأمر يؤدي إلى الوقوع في مأساة الغربة، لدى الصوفي والشاعر على حدّ سواء. يقول أحد الباحثين: "فالرفض في الشعر كما في التجربة الصوفية، إيجابي بنَّاء، فهو تعبير عن رغبة حقيقية في الهدم من أجل البناء؛ لذا فإن الشاعر الرافض يقع في مأساة الغربة، التي وقع فيها الصوفي"[18].

ثالثا: الخيال والإلهام بين التجربتين

الخيال عند الصوفية يجسم المعاني، ويكشف التجليات الإلهية في الكون، ويتعرف على الحقائق العلويّة، ويعبر عنها، ويجسدها بما هو موجود في عالم الحواس، وهو ينسج المعاني صورًا وتشكيلات لا نهاية لها.

والباحث في هذا المجال يجد أن "الخيال أداة مشتركة بين الشعر والصوفية، والشاعر والمتصوف يرقيان بالمادي المحسوس إلى مراق شاهقة من التصوير المرمّز، بواسطة الجنون العلوي، وهو الخيال"[19]، لقد حلّق الشعراء بخيالهم إلى الماضي البعيد، وإلى المستقبل الغامض، فرفعوا بذلك من قيمة الخيال، ربما بسبب انطوائهم على أنفسهم، وتمردهم على العالم، فأرادوا أن يعوضوا بالخيال ما فقدوه في واقعهم.

أما الإلهام، فهو ما يتمّ من خلاله إلقاء المعرفة في قلب الصوفي، أو الشعر في قلب الشاعر دون استئذان، ودون حول منهما ولا قوّة، وقد أخذت المعرفة التي نتجت عن الإلهام مسميات متعددة مثل: التجلّي، والمشاهدة، والكشف. وذكر أحد الباحثين أن الإبداع والمعرفة مرتبطان بالإلهام من عصر أفلاطون، الذي يرى الإبداع ضربا من الإلهام، أو الجنون الإلهي، والشاعر عند هوميروس متلق للغيب يوحى له، ويؤكد سقراط ذلك بقوله: وعندئذ أدركت على الفور أن الشعراء لا يصدرون في الشعر على حكمة، ولكنه ضرب من النبوغ والإلهام[20].

إذن فارتباط الشعر والشعراء بالإلهام اعتقاد قديم، وقد ظل سائدا إلى وقتنا الحاضر، ونرى التشابه واضحا بين الإلهام الصوفي المؤدي إلى المعرفة، وبين الإلهام الفني المؤدي إلى الإبداع. والتجربتان تنطويان –على حد قول كولن ولسن – "على إزاحة النفايات التي تميل إلى أن تتراكم، حين نسمح للوعي أن يظل سلبيا مدة أطول مما ينبغي"[21]، ففي التجربتين ننخرط "في وعينا الداخلي الذي لا يفتأ يأخذ في الاتساع والنمو والتمدد"[22].

فالصوفي والشاعر يتفقان على أن الواقع لا يعبر عن آمالهما، لذلك فهما يلجآن إلى الخيال؛ كمعين لا ينضب، وطريق إلى الإلهام.

رابعا: اللغة والرمز بين التجربتين

بما أن التجربة الصوفية تختلف عن غيرها في أداة المعرفة القائمة على الخيال والإلهام، فإن نقل هذه المعرفة لا يتأتَّى باللغة العادية؛ لذلك نجدهم يستخدمون لغة مختلفة عن غيرها، بل مختلفة من صوفي لآخر، حسب اختلاف التجربة ذاتها. وهذا يؤدي إلى ظهور لغة رمزية دقيقة غامضة، يصعب على غيرهم فهمها؛ لسدّ الثغرة ما بين تجربتهم واللغة، التي يتهمونها بالقصور عن التعبير عن حالهم، ولأن التجربة الصوفية تجربة ذوقية؛ فلا بدّ إذن من لغة ذوقيّة تناسبها، من هنا وجد الشعراء في اللغة الصوفية، والرمز الصوفي، ميداناً واسعاً لهم للتعبير عن أحاسيسهم وأذواقهم الشعرية، أو لعل السبب كما يقول أبو العلا عفيفي هو أن "التجارب الصوفية أشبه شيء بالتجارب الفنية: والرمز – لا الإفصاح – هو التعبير الوحيد عن هذه التجارب"[23].

وترى بعض المذاهب الأدبية الحديثة – كالسريالية – أن اللغة التي تفلت من رقابة الوعي، تُظهر طاقة إبداعيّة كثيرا ما يهدرها الوعي؛ ولهذا تخرج صورهم شديدة الغموض؛ لاعتمادها على اللاّوعي، يقول محمد هدارة: "ولا شك في أن الرمزيين استعانوا بوسائل المتصوفة وتصوراتهم، فكانوا في أشعارهم يتجاوزون الدلالة اللغوية للألفاظ"[24].

الصوفية والمذاهب الأدبية الحديثة

يقول محمد هدارة: "النزعة الصوفية في الشعر الحديث لا ترتبط ارتباطا عضويا بمذهب أدبي بعينه، فقد توجد في الكلاسيكية، أو الرومانسية، أو الواقعية، أو الرمزية، أو السريالية، أو أي مذهب أدبي آخر، ولكن في نطاق شعراء أفراد بحسب تكويناتهم الثقافية، واستعدادهم الطبيعي، لا بحسب ما يدينون به من اتجاه أدبي أو أيديولوجي"[25].

فالنزعة الصوفية لا ينحصر ظهورها في مذهب معين، وإن كان ظهورها في بعض المذاهب أظهر وأقوى، كالمذهب الرومانسي، الذي يسعى أتباعه دائما بالارتفاع إلى الكمال الإنساني، الذي لا يوجد في دنيا الحقيقة؛ ولذلك قدموا القلب على العقل كما فعل الصوفيون "بوصفه هاديا للإنسان – بحكم الدوافع الطبيعية – إلى مجالات الحق والخير والجمال، واقترن القلب بقوة الروح عند الرومانسيين؛ ليقفوا ضدّ تيار المادية"[26].

وتلتقي الصوفية كذلك بالسريالية في لغتها ووسائلها، "حتى الكتابة الآلية – كما يسميها السرياليون – مارسها المتصوفة باسم: الإملاء، أو الفيض، أو الشطح، ... ويأتي أدونيس في مقدمة الشعراء العرب المعاصرين ذوي الاتجاه الغامض، الذي تمتزج فيه السريالية بالصوفية امتزاجا قويا"[27].

وعن هذه العلاقة بين التصوف والسريالية يقول راشد عيسى: "وقد بدا المذهب السوريالي أقرب المذاهب الأدبية الحديثة إلى طبيعة الأدب الصوفي وفكره؛ لما يتضمنه من رموز عالية، تعتمد الإيحاء البعيد في مفرداتها وتركيبها"[28]. ويقول علي عشري زايد: "لقد أحسّ شعراؤنا المعاصرون – خصوصا ذوي النزعة السريالية الملموسة –بمدى قوّة هذه الصلة التي تربط بين تجربتهم، والتجربة الصوفية، وعبّروا عن هذا الإحساس، وعن أبرز مجالات هذه الصلة بين التجربتين"[29].

واستعان الرمزيون بوسائل المتصوفة، وتصوراتهم، فكانوا في أشعارهم يتجاوزون الدلالة اللغوية للألفاظ، ويعتمدون على الاتجاه الغيبي في فهم العلاقات، أو ما يسمونه بنظرية التراسل، واعتمدوا على الموسيقى في الإيحاء بالمعنى، كما يعتمد الصوفي عليها في حلقات ذكره، فهم يقولون: إن موسيقى الشعر ليست نغماً وإيقاعاً، بل نشوة استغراق جمالي[30]، ومن الرمزيين من يجنح إلى الإشراق الصوفي، واستخدام التعبيرات الصوفية، كالسكر والوجد والقطب، وغيرها.

يتضح مما سبق شدّة ارتباط التجربة الصوفية بالمذاهب الأدبية الحديثة، وأنها لا ترتبط بمذهب أدبي معين، كما سبق ذكره.

الشخصيات الصوفية ومصطلحاتها في الشعر العربي الحديث

استخدم الشعراء المعاصرون شخصيات صوفية، ولكنها قليلة إذا ما قورنت باستخدامهم لشخصيات التراث الأخرى، كالتراث التاريخي – مثلا – ومن هذه الشخصيات: الحلاّج، والنفري، وابن عربي، والسهروردي، والغزالي، وجلال الدين الرومي، والعطار، والجنيد، وبشر الحافي، وغيرهم.

واستخدموا رموز الصوفية ومصطلحاتها، مثل: السِّفْر، والسُكْر، والرقص، والموت، والكشف، والتوحد، والمريد، والفقر... ومن ذلك استخدامهم لعبارات الصوفيين المشهورة، مثل: عبارة الحلاج: يا من أسكرني بحبه، وحيرني في ميادين قربه، وعبارة محيي الدين بن عربي: فكل اسم أذكره في هذا الجزء فعنها أكني، وكل دار أندبها فدارها أعني[31].

وقد يستخدمون صيغا صوفية عامة لا تخص صوفيا دون غيره، مثل: كلمني السيد، والعاشق، والمملوك، والبرق، والسحابة، والقطب، والمريد، وغير ذلك كثير. يقول سامح الرواشدة، فيما يخص شعر البياتي فقط: "وكذلك فإن من يستقصي النصوص التي وظفت بها شخصية السهروردي، وفريد الدين العطار، والخيام، يجد بعض المفردات التي تعود إلى المعجم الصوفي، من مثل: الخمر والسكر والحانة والتقويم والرغيف..." [32].

وإذا نظرنا إلى الشخصيات الصوفية التي استخدمها الشعراء العرب في العصر الحديث نجد أن أهم هذه الشخصيات – والتي استقطبت القسم الأعظم من الشعراء – هي شخصية الحلاّج[33]، "حتى أن ما كتب حولها من الأعمال، تفوق في عددها وكمّها مجموع ما تتناول باقي الشخصيات من أعمال"[34]. فقد تناولها عبد الوهاب البياتي كثيرا في شعره، وله قصيدة طويلة بعنوان: (عذاب الحلاج)، وكانت شخصية الحلاج محورا لمسرحية شعرية طويلة لصلاح عبد الصبور، (مأساة الحلاج)، وكتب عنها أدونيس قصيدة عنوانها: (مرثية الحلاج).

ويرى بعض النقاد أن اهتمام الشعراء العرب المعاصرين، بشخصية الحلاج، جاء من اهتمام المستشرقين بهذه الشخصية، قائلا: "إن شخصية الحلاج كانت أوفى شخصيات تراثنا الصوفي حظا من اهتمام المستشرقين وعنايتهم، ... ولقد كان لهذا الاهتمام البالغ من المستشرقين بشخصية الحلاج، صداه لدى شعرائنا المعاصرين"[35]، وقد يكون سبب الاهتمام الكبير بالحلاج نابعاً من تجربته الفريدة، وموقفه الصلب، كصوفي لم يكن يأبه بالموت؛ لأنه كان يرى فيه الحياة، فوجد فيه الشعراء المعاصرون ضالتهم؛ للتعبير عن طموحاتهم.

فأدونيس تناول الحلاج على أنه شخصية متميزة، تجمع بين الثنائيات الضدية، ومنحه القدرة على تغيير العالم، ويرمز به إلى خلود الكلمة الصادقة.

أما البياتي فعلاقته مع الحلاج "تأخذ أكثر من وجه، فهما شاعران ومفكران، وقد عانيا الغربة عن الوطن، والمطاردة، وكلاهما قد حارب عن موقفه بالكلمة، ولهذا التشابه الشديد بين الشخصين، نجد تعاطفا واضحا مع الحلاج؛ إذ يربطه بشخصية المسيح، فيدل الرمزان على التضحية

والفداء"[36]، وتتكرر صورة الحلاج المصلوب بقميص الدم مرارا في ديوان البياتي، كاشفة عظمة التضحية، ونبل الشهادة، وجسارة الموقف الذي يمثله.

أما صلاح عبدالصبور، فيظهر الحلاج في مسرحيته بصورة الفادي، الذي ضحى بحياته، من أجل الحياة الخالدة، صورة صاحب الكلمة الذي لم يستطع السكوت، فباح بما في نفسه، فدفع ثمن ذلك حياته.

وإلى جانب الحلاج كثيرا ما يستدعي عبدالصبور شخصية (بشر الحافي)[37] ؛ ليعبر بها عن فكرة الانسحاب من الحياة، واليأس من صلاح الإنسان؛ لما في هذه الحياة من الفساد، ولعل قصيدته: مذكرات بشر الحافي[38]، من أهم الدلائل على ذلك؛ الأمر الذي جعل محمد هدارة يقول: "إنها إذن مذكرات: بشر عبدالصبور، أو صلاح الحافي. لا فرق، فالزمن واحد، والإنسان واحد، وهو في صراع أبدي بين المثال والواقع"[39].

مما سبق يتضح أن الشعراء المعاصرين أسندوا لهذه الشخصيات أدواراً مهمة، منها: دور الفادي؛ الذي يقدم نفسه فداء لأمته؛ للوصول بها إلى عالم الحقيقة، متجاوزا بذلك الواقع بسلبياته، وأسند إليهم دور الراثي، والإنسان المتميز، والإنسان الثائر على الظلم والفساد.

أسباب وجود التصوف في الشعر العربي الحديث

يوظف الشعراء المفردات الصوفية وقيمها – كما يقول علي عشري زايد – " للإيحاء بروحانية التجربة الشعرية، وضرورة تجرد الشاعر لها، وفنائه فيها"[40]، فقد فتنوا بالموروث الصوفي بصفة خاصة، فاستمدوا منه في قصائدهم، مستعيرين ذلك الجو الصوفي الشفاف، الذي يفيض بالصفاء، فتفننوا في تصوير ملامحه، واستعاروا من المعجم الصوفي في حوارهم الذي كان يدور في القصيدة، مع شخصياتهم الصوفية التي اختاروها؛ وليس غريبا أن يعبر الشاعر المعاصر في تجربته الشعرية من خلال أصوات صوفية؛ فالصلة بين التجربتين جد وثيقة، وقد أشار كثير من الشعراء والنقاد إلى هذه الصلة، يقول صلاح عبد الصبور: "التجربة الصوفية والتجربة الفنيّة، تنبعان من منبع واحد وتلتقيان عند نفس الغاية، وهي العودة بالكون إلى صفائه وانسجامه، بعد أن يخوض غمار التجربة"[41]. ومن أبرز أدباء العصر الحديث الذين أكدوا العلاقة بين الشعر والصوفية، كولن ولسن، حين قال: إن "الشعر والتأمل الديني متشابهان في أساسهما، فلهما نفس الهدف".

والشعر "أول الفنون المؤهلة للتعبير الصوفي الملغز، حتى لكأن الشعر– أو هو كذلك– معاناة صوفية، فكلاهما منذور لثنائية الظاهر والباطن... وكلاهما نابع من الوعي السحيق... وهو

وعي متعال إلى الجميل والجليل، في رحلة فردية عامرة باللذّات والنشوات، ومستغرقة بالكشف الذوقي المحض"[42].

والشاعر حين يلجأ إلى الصوفية إنما يهدف إلى تجاوز الإحساس بضيق الرؤية، التي هي مشكلة الإنسان المعاصر، والانسحاب من هذا الوجود الظاهري، بالتأمل والخروج عن المألوف، حتى يصل إلى الحقيقة، ويشعر بالتحرر الكامل من كافة القيود التي تشعر الإنسان بعبوديته[43].

وقد "يُعد توظيف الشاعر بعض شخصيات الفكر الصوفي كالحلاج، ومحيي الدين بن عربي، وجلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار، مؤشرا على تعاطفه مع تجاربهم الصوفية، إذ يوظف جوانب دقيقة من تجربة كل واحد منهم ضمن النصوص الخاصة التي استوحيت فيها شخصياتهم"[44].

ومن أسباب عودة الشاعر المعاصر إلى التراث بصفة عامةٍ، والصوفية بصفةٍ خاصة، الشعور بالغربة، فكثيرا ما كان ينتاب شاعرنا المعاصر إحساس بالغربة في هذا العالم، ناشئ عن شعوره بما يسود هذا العالم من تعقيد وتصنع، وبُعد عن عفوية الحياة الأولى وبساطتها، مما كان يدفعه إلى الهرب من هذا الواقع إلى واقع أكثر نضارة وبساطة[45].

أهم ظواهر النزعة الصوفية في الشعر الحديث

ذكر محمد مصطفى هدارة في بحثه: النزعة الصوفية في الشعر العربي المعاصر عددا من هذه الظواهر، أهمها[46]:

1- **الانسحاب من الحياة**، ومعناه: إقصاء العقل بصورة متعمدة عن الأشياء التي يمكن أن تتجاوز حقائقها الظاهرة، والشعور الكامل بالتحرر من كافة القيود التي تشعر الإنسان بعبوديته، وهو يفعل ذلك لأنه يحس بانهزامه وتفاهته، وفكرة الانسحاب هذه نجدها في قصائد كثيرة لشعرائنا المعاصرين، لعل من أهمها: قصيدة صلاح عبد الصبور (مذكرات الصوفي بشر الحافي).

2- **فقدان الشعور بالأنا**، تتعلق بظاهرة الانسحاب من الحياة ظاهرة أخرى يسميها هدارة: ظاهرة فقدان الشعور بالأنا، ويقول: "ولا شك في أن التجربة تأكيد للوعي ينطوي على فقدان كامل للشعور بالأنا"، وقد تعمق الشاعر العربي المعاصر في البعد عن أناه، ويظهر ذلك كثيرا في شعر أدونيس، وخاصة في ديوانه: (مفرد بصيغة الجمع) وهو عنوان مقتبس من اصطلاح صوفي قديم.

3- **التَّبَصُّر**، رؤية الأشياء الكائنة في صورة مختلفة عن حقيقتها الظاهرة، هو ما يسميه هدارة: التبصر، فالإنسان الذي يخوض التجربة الصوفية يرى هذه الأشياء من داخل نفسه، ويعبر أحد

الغربيين عن هذه الظاهرة بقوله: إنني لا آمل أن أحظى من الأشكال في الخارج لا بالعاطفة ولا بالحياة، إن ينابيعهما في الداخل[47].

ويرى محمد هدارة أن قلة من شعرائنا المعاصرين يتمتعون بهذه القدرة على التبصر، التي تستطيع أن تشهد الجمال في غير ما يحس فيه البشر العاديون جمالاً[48].

4- **الإحساس العنيف بالقلق والغربة**، يبدو الشاعر المعاصر ذو النزعة الصوفية كالصوفي، في سعي دائم للوصول إلى الحقيقة التي ينشدها، وفي معاناة مستمرة من أجل الخلاص من سجن المادة والزمن، فالقلق يستبد به ويعتصره، وهو في معاناة، وذهول عن الزمن في تلك المعاناة، ونحس وقع هذه المعاناة عند كثيرين منهم.

5- **الرفض**، ينتج الرفض بسبب الإحساس العنيف بالقلق والغربة، والإحساس بالضياع في هذا العالم الحقيقي من حيث ظاهره، وما فيه من قيم يراها الصوفي والشاعر عفنة متآكلة، بعد التعرف عليها، فيثوران على هذا الواقع، كل حسب طريقته، بهدف الكشف عن هذا الزيف والفساد على أرض الواقع برؤية فنية مبدعة، ويظهر لنا هذا الرفض في كثير من الشعر العربي الحديث.

6- **الغموض**، بسبب وسائل الصوفية الغامضة في إدراك الأشياء والتعبير عنها، كان من الطبيعي أن يظلل الغموض أقوالهم وأشعارهم، وقد تسرب هذا الغموض إلى الشعر المعاصر، من حيث علاقته بالصوفية وما يتصل بلغتها من رموز وإيحاءات، ويأتي (أدونيس) في مقدمة الشعراء العرب المعاصرين ذوي الاتجاه الغامض، الذي تمتزج فيه السريالية بالصوفية امتزاجا قويا، وهذا الغموض يحتم على القارئ أن يخوض تجربة عنيفة ليصل إلى المضمون الحقيقي لهذه الأشعار.

نماذج للتوظيف الصوفي في الشعر العربي الحديث

عرف الشعر العربي الحديث كثيرًا من الشعراء الذين استفادوا من توظيف الشخصيات الصوفية ومصطلحاتهم في شعرهم، لعل من أبرزهم: البياتي، وأدونيس، وصلاح عبد الصبور، ولبروز هؤلاء سأكتفي هنا بذكر نماذج من شعرهم مع شيء من التفسير والتحليل.

1-عبد الوهاب البياتي[49]:

يصف سامح الرواشدة قصيدة البياتي(المعبودة) بأنها: "تصلح أن تتخذ مثالا على هذا التوجه الفني، إذ تتجسد فيها كثير من خصائص التجربة الصوفية"[50]، يبحث الشاعر في النص عن الحب الذي أمضى زمنا طويلا في البحث عنه، فعثر عليه في النهاية في وطنه، ويبدأ النص بخطاب يوجهه إلى المعبودة، مظهراً وجده وحبه، يقول[51]:

انتظرتكِ عشرين عاما في المنفى دون جدوى
حتى وجدتكِ في الوطن
أيتها المعبودة، أيتها الحمامة المقدسة
أنت منفاي ووطني
وقصيدتي المنتظرة

وفي هذه القصيدة تضيع من الصوفي (ساعة الكشف) قدرته على التمييز، ويختلط عليه الزمان والمكان:

كأنا وُلِدنا من جديد بكوكب
هو الوطن المفقود أو هو أبعد
أقول لعينيك اللتين تلاقتا
بعيني: أكان الأمس مرَّ أو الغد

ولعل المقطوعة الثالثة عشرة، والتي يبرز فيها اهتمامه بالحروف وما تحمله من رموز صوفية مصطبغة بطابع عرفاني تقع في صميم التجربة الصوفية، يقول:

فإذا أرسلتك تنظر في أمر الحرف
فلتخرج ألفا من باء
باءً من باء
ألفا من ألف
مولاتي خامرها الخوف

فالألف يرمز للذات الإلهية وعلوها، وصفتها الأزلية الأبدية، والباء يرمز للاستخلاف في الأرض، ونيابة الإنسان في عبوديته الخالصة مناب الحق[52].

وللبياتي قصيدة: عذاب الحلاج، التي يظهر فيها الحلاج ببعد جديد غير التصوف والصراع بالكلمة والفعل من أجل الحقيقة، يتمثل هذا البُعد في نضاله من أجل الفقراء، وقدرته على الحلول في روح الجماهير وقابلية التجدد في كل عصر[53]، ويجعله رمزا للفادي. يقول البياتي على لسان الحلاج[54]:

سقطتَ في العتمة والفراغ
تلطختْ روحك بالأصباغ
شربتَ من آبارهم

أصابك الدوار

تلوثت يداك بالحبر وبالغبار

هذه الحياة ملوثة لا شيء فيها على حقيقته، وهو متردد بين السكوت والبقاء في صومعة الصوفية، أو عدم السكوت على هذا الواقع، ولكنه يختار الثورة:

ما أوحش الليل إذا انطفأ المصباح

وأكلتْ خبزَ الجياع الكادحين زمرُ الذئاب

وصائدو الذباب

2- صلاح عبد الصبور[55]، ومذكرات صوفي:

تناول عبد الصبور شخصية الصوفي (بشر الحافي) رمزاً للإنسان الذي نظر إلى الحياة متفكرا فوجد ما فيها الفساد، وتمنى الخلاص، ولكنه وصل إلى اليأس من صلاح الإنسان في هذه الحياة فانسحب منها؛ لأن صاحب النفس العالية لا يملك إلا رفض هذا الواقع والخروج عليه.

يقول صلاح عبد الصبور على لسان بشر الحافي [56]:

حين فقدنا الرضا

بما يريد القضا

لم تنزل الأمطارْ

لم تورق الأشجار

فهو يؤكد أن فساد النفس الإنسانية فساد للكون، وهذا الفساد لم يقتصر على ظاهر الحياة، بل وصل إلى باطنها، وذلك بسب عدم الاهتمام بالحقيقة، يقول:

حين فقدنا جوهر اليقين

تشوهت أجنة الحبالى في البطون

الشعر ينمو في مغاور العيون

والذقن معقود على الجبين

جيل من الشياطين

جيل من الشياطين

وهذا منتهى اليأس عند الشاعر أو هذا الصوفي، ولذلك فهو يلجأ إلى الرفض. يقول:

احرص ألا تسمع

احرص ألا تنظر
احرص ألا تلمس
احرص ألا تتكلم
قف! ..
وتعلق في حبل الصمت المُبْرم

ونتيجة لهذا اليأس والرفض والرغبة في الانسحاب من هذه الحياة فهو يطلب الموت. يقول:

تعالى الله، هذا الكون موبوء، ولا بُرْء
ولو يُنصفنا الرحمن عجّل لنا بالموت
تعالى الله، هذا الكون لا يصلحه شيء
فأين الموت، أين الموت، أين الموت

ويعمق رفضه لهذا الواقع بتأكيده على تغيّر صورة الإنسان في هذا الواقع، الإنسان يتحول إلى رموز حيوانية، يأكل القوي منها الضعيف، ويتوجه (بشر الحافي) إلى شيخه بسام الدين طالبا منه الإجابة، فيحاول شيخه أن يزرع في نفسه شيئا من الأمل بولادة جديدة، لكنه في آخر القصيدة يؤكد تلاشي هذا الأمل يقول:

شيخي (بسام الدين) يقول:

يا بشر.. اصبر
دنيانا أجمل مما تذكر
ها أنت ترى الدنيا، من قمة وجْدِك
لا تبصر إلا الأنقاض السوداء
ونزلنا نحو السوق أنا والشيخ
كان الإنسان الأفعى يجهد أن يلتفَّ على الإنسان الكركي
فمشى من بينهما الإنسان الثعلب
عجبا، ...
زور الإنسان الكركي في فك الإنسان الثعلب
نزل السوق الإنسانُ الكلب
كي يفقأ عين الإنسان الثعلب
ويدوس دماغ الإنسان الأفعى

واهتزّ السوق بخطوات الإنسان الفهد

.....

يا شيخي بسام الدين

قل لي.. (أين الإنسان الإنسان؟)

شيخي بسام الدين يقول:

"اصبر، ... سيجيء

سيهُلّ على الدنيا يوماً ركبه"

3. **علي أحمد سعيد (أدونيس)**[57]:

يقول محمد هدارة: واهتم بعض الشعراء العرب المعاصرين بإيجاد رابطة عضوية بين الشعر والتصوف، ويأتي علي أحمد سعيد (أدونيس) في مقدمة هؤلاء، لا بما كتب من شعر فحسب، بل بما قدم في دراساته الأدبية أيضا"[58].

يقول أدونيس في إحدى قصائد ديوانه: (مفرد بصيغة الجمع)، متأثرا بالصوفية في البعد عن الأنا، ومعبرا عن وجدان الإنسان المعاصر، الذي يملُّ الأشياء الثابتة ولو كانت الشمس بضيائها وحرارتها وقدرتها على صنع الوجود، يقول[59]:

إن لأيامي سفنا تنقل الشواطئ

لكن،

كيف تهدأ مَرَاسٍ تحرس الموج ؟

وأنتِ

أيتها الشمس ماذا تريدين مني ؟

أبحث عما لا يلاقيني

باسمه أنغرس وردةَ رياحٍ

شمالا جنوبا شرقا غربا

وأضيف العلوَّ والعمق

لكن، كيف أتجه ؟

لعينيَّ لون كسرة الخبز

وجسدي يهبط نحو داء له عذوبة الزغب

لا الحب يطاولني

ولا تصل إلى الكراهية.

وأدونيس كغيره من الشعراء المعاصرين الذين استفادوا من التجربة الصوفية، استخدم الشخصيات الصوفية، ووظفها في شعره، فاستخدم شخصية الغزالي، والنفري، والحلاج وغيرهم، فقد تناول الحلاج . مثلا . على أنه شخصية متميزة، تجمع بين الثنائيات الضدية في آن واحد، ومنحه القدرة على تغيير العالم. يقول في قصيدته (مرثية الحلاج) [60]:

ريشتك المسمومة الخضراء
ريشتك المنفوخة الأوداج باللهيب
بالكوكب الطالع من بغداد
تاريخنا وبعثنا القريب
في أرضنا، في موتنا المعادْ
.....
يا ريشة مسمومة خضراء
لم يبق للآتين من بعيد
مع الصدى والموت والجليد
في هذه الأرض النشورية
لم يبق إلا أنت والحضور
يا لغة الرعد الجليدية
في هذه الأرض القشورية
يا شاعر الأسرار والجذور.

فالريشة أداة للكتابة، تشير إلى فكر الحلاج، الذي ضحى بروحه من أجله، وهذه الريشة وإن كانت في الظاهر مسمومة خضراء، والسم موت، والخضرة حياة؛ لكن هذا السم خلاّق في سياقه؛ لأنه لمحاربة الواقع الفاسد، فالسم هنا هو الخضرة، ولا تناقض، ولا تناقض كذلك بين الريشة الخضراء، والريشة المنفوخة الأوداج باللهب؛ لأن اللهب سيحرق ما لا يصلح للحياة.

الخاتمة

لا شكَّ في أن النزعة الصوفية بمعناها الإنساني العام، أو بمعناها الإسلامي الخاص، قد كانت ذات أثر في شعرنا العربي الحديث، وأنها منحت الشاعر المعاصر طاقات فنيّة، وآفاقاً واسعة،

استطاع من خلالها أن يجسِّد بعض معاناته، وهمومه، وهذا الأثر للنزعة الصوفية في الشعر يحتاج منَّا- كما قال محمد هدارة – " إلى تتبُّع دقيق، لا يكتفي بظواهر الأشياء"[61].

لقد أظهر استخدام الشعراء للتجربة الصوفية مدى قرب التجربتين من بعضهما، سواء في أسباب النَّشأة، أو في خصائص كلٍّ منهما، كالنظرة إلى الذات، وتمجيد العاطفة، والشعور بالغربة، والاعتماد على القلب والإلهام في المعرفة والإبداع، وعشق الطبيعة، وتشابه المحسوس باللامحسوس، والتعبير بلغة انزياحيّة رمزية، ومحاولة الوصول إلى عالم أكثر كمالا من عالم الواقع، حتى لكأن الشعر – أو هو كذلك – معاناة صوفية.

والشاعر المعاصر في توظيفه للتجربة الصوفية، لا يعني ذلك أنه يفكر بعقليَّة دينية، فالاتفاق بينهما يكمن في البعد الفني، دون العقائدي، والشاعر إنما يتخذ من التجربة الصوفية وسيلة للتعبير عن رؤية واضحة أمامه، مرتبطة بحاضره وواقعه، وهي – أيضا – منهج للبحث والمعرفة الإنسانية، ووسيلة فنية تعينه على مواصلة رحلته الشعرية، وقد رآها بعضهم وسيلة للإيحاء بروحانية التجربة الشعرية، وضرورة تجرد الشاعر لها، وفنائه فيها.

الهوامش

(1) ينظر: أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، الطبعة الأولى 1963م، ص27 وما بعدها. وكذلك إيمان عمر، الشعر الصوفي عند الشعراء الرومانسيين، (رسالة ماجستير) جامعة عدن، 2002م، ص16 وما بعدها.

(2) الشعر الصوفي عند الشعراء الرومانسيين، ص13.

(3) التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ص35.

(4) رضوان محمد الكردي، الشاغوري شاعر التصوف في القرن العشرين، دار الفتح، عمّان، الطبعة الأولى 2002م، ص43.

(5) كولن ولسن، الشعر والصوفية، ترجمة: عمر الديراوي أبو حجلة، دار الآداب بيروت، الطبعة الأولى 1972م.

(6) راشد عيسى، الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر، وزارة الثقافة عمّان الأردن،2006م، ص117.

(7) محمد مصطفى هدارة، النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، مجلة فصول، مجلد1، عدد4، 1981م، ص114.

(8) الشعر والصوفية، ص128.

(9) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص107.

(10) نفسه، ص114.

(11) محمد علي كندي، في لغة القصيدة الشعرية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2010م، ص43.

(12) صلاح عبدالصبور، تجربتي الشعرية، نقلا عن شعر عبدالوهاب البياتي والتراث، سامح الرواشدة، (رسالة ماجستير) جامعة اليرموك 1988م، ص114.

(13) منير خليل الخطيب، الأبعاد الصوفية في شعر أدونيس، (رسالة ماجستير) جامعة اليرموك، 2000م، ص7.

(14) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص107.

(15) الأبعاد الصوفية في شعر أدونيس، ص21.

(16) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ص197.

(17) علي سعيد(أدونيس)، زمن الشعر، دار الساقي الطبعة6، 2005م، ص151.

(18) الأبعاد الصوفية في شعر أدونيس، ص24.

(19) الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر، ص40.

(20) الأبعاد الصوفية في شعر أدونيس، ص44 وما بعدها.

(21) الشعر والصوفية، ص301.

(22) عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس بيروت، الطبعة الأولى 1978م، ص503.

(23) التصوف الثورة الروحية في الإسلام، ص250.

(24) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص120.

(25) نفسه، ص108.

(26) نفسه، ص108.

(27) نفسه، ص120.

(28) الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر، ص64.

(29) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا، الطبعة الأولى 1987م، ص133.

(30) ينظر: النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص120.

(31) شعر عبدالوهاب البياتي والتراث، ص167، 168.

(32) نفسه، 168.

(33) هو الحسين بن منصور الحلاج، توفي سنة 309هـ، ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية، لأبي عبدالرحمن السلمي، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1986م، ص307.

(34) استدعاء الشخصيات التراثية، ص137.

(35) نفسه، ص138،137.

(36) شعر عبدالوهاب البياتي والتراث، ص38.

(37) بشر بن الحارث الحافي، توفي سنة 227هـ، ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية، ص39.

(38) المسرحية في ديوانه، المجلد الثاني، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى 1972م، ص103 وما بعدها.

(39) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص114.

(40) علي عشري زايد، قراءات في شعرنا المعاصر، مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1992م، ص71.

(41) الشعر والصوفية، ص51.

(42) الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر، ص40.

(43) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص112.

(44) شعر عبدالوهاب البياتي والتراث، ص115.

(45) استدعاء الشخصيات التراثية، ص54.

(46) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص112 وما بعدها.

(47) الشعر والصوفية، ص168.

(48) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص114.

(49) عبدالوهاب أحمد البياتي، ولد في بغداد عام 1926م، شاعر مجيد، من رواد شعر الحداثة في العصر

الحديث، توفي سنة 1999م. ينظر ترجمته في: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، لكامل الجبوري 173/4، ومعجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة لإميل يعقوب، 778/2.

(50) شعر عبدالوهاب البياتي والتراث، ص119.

(51) نفسه، ص119.

(52) الرمز الشعري عند الصوفية، ص413 وما بعدها.

(53) شعر عبدالوهاب البياتي والتراث، ص39.

(54) القصيدة في ديوانه، الفقر والثورة، عبدالوهاب البياتي، دار الآداب بيروت، الطبعة الثانية مايو 1969م، ص 10 وما بعدها.

(55) صلاح الدين عبدالصبور، شاعر مصري، ولد في الزقازيق سنة 1932م، مؤسس مدرسة الشعر الحر في مصر، توفي سنة 1981م. ينظر ترجمته في: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، 216/3، وفي معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، 579/2.

(56) القصيدة في ديوانه، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى، 1972م، ص261.

(57) أدونيس، واسمه: علي أحمد سعيد إسبر، شاعر سوري، من رواد شعر الحداثة في الأدب المعاصر، ولد في قرية قصابين التابعة لمحافظة اللاذقية في سوريا. ينظر ترجمته في: معجم الشعراء منذ عصر النهضة، 146/1.

(58) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص107، 108.

(59) أدونيس، مفرد بصيغة الجمع، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى، ص131.

(60) القصيدة في الآثار الكاملة، المجلد الأول/ دار العودة بيروت، الطبعة الأولى 1971م، ص506.

(61) النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، ص121.

المصادر والمراجع:

- **أولا: الكتب.**
- أدونيس، علي أحمد سعيد،
  - الآثار الكاملة، دار العودة، م1، 1971م، م2، 1972م.
  - زمن الشعر، دار الساقي، الطبعة السادسة، 2005م.
  - مفرد بصيغة الجمع، دار العودة بيروت، بدون تاريخ.
- إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.
- البياتي، عبدالوهاب،
  - الديوان، دار العودة بيروت، 1971م
  - سفر الفقر والثورة، دار الآداب بيروت، الطبعة الثانية، 1969م.
- الجبوري، كامل سليمان، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2003م.
- زايد، علي عشري،
  - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا، الطبعة الأولى 1987م.
  - قراءات في شعرنا المعاصر، مكتبة الشباب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1992م.
- السلمي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1986م.
- عبد الصبور، صلاح، الديوان، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى 1972م.
- عفيفي، أبو العُلا، التصوف، الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، الطبعة الأولى 1963م.
- عيسى، راشد، الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر، وزارة الثقافة، عمّان . الأردن، 2006م.
- الكردي، رضوان محمد، الشاغوري شاعر التصوف في القرن العشرين، دار الفتح عمّان، الطبعة الأولى 2002م.

- كندي، محمد علي، في لغة القصيدة الشعرية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2010م.
- نصر، عاطف جودة، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى 1978م.
- ولسن، كولن، الشعر والصوفية، ترجمة: عمر الديراوي أبو حجلة، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى 1972م.
- يعقوب، إميل، معجم الشعراء منذ بدء عصر النهضة، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 2004م.

ثانيا: الرسائل الجامعية والدوريات.

- الخطيب، منير خليل، الأبعاد الصوفية في شعر أدونيس، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1987م.
- الرواشدة، سامح عبدالعزيز، شعر عبدالوهاب البياتي والتراث، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، 1988م.
- عمر، إيمان، الشعر الصوفي عند الشعراء الرومانسيين، رسالة ماجستير، جامعة عدن، 2002م.
- هدارة، محمد مصطفى، النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث، مجلة فصول، مجلد 1، عدد4، 1981م.

خصائص شعر الخوارج عمران بن حطان أنموذجا

أ. عبد الله أبوبكر البيوضي*

مقدمة

إن الأدب في مجمله – شعرا ونثرا – وجد مع الإنسان، فهو التعبير القولي عن كوامن الإنسان وأحاسيسه ومشاعره الداخلية، وتجسيد لما يدور حوله من مفاهيم، وأغراض، وأيدلوجيات، وتوجهات، وغرائز، وصراعات، هذه الأمور وغيرها يشخصها الأديب ويبرزها من خلال رؤيته وانتمائه، فيحسِّن ويقبِّح، ويثني ويلوم، ويفتخر ويهجو، ويثبت وينفي، ويمدح ويزدري، ويحب ويكره، ويختلف الدافع من عصر إلى آخر، ففي العصر الجاهلي يكون ذلك لشخص الشاعر، أو قبيلته، أو أصحاب العطاء له – ولو كانوا من غير قبيلته – كمُدّاح المناذرة والغساسنة، أو مُدّاح أصحاب المواقف، كمدح زهير لهرم بن سنان والحارث بن عوف، وما قيل في معركة ذي قار، وغير ذلك.

ولما جاء الإسلام تحول الأدب إلى جبهتين: مؤيدةٍ للإسلام ومدافعةٍ عنه، ومبرزة فضائله، ونعمه، وهديه، وجبهةٍ أخرى معارضة له، تحاول تشويهه والنيل من أتباعه.

ثم جاءت المرحلة الثالثة، والتي نشأت فيها الأحزاب الأربعة: الأمويون، والشيعة، والزبيريون، والخوارج، وصار لكل حزب مبادؤه، وأهدافه، وأتباعه من العامة والخاصة، من أدباء، وعلماء، ورجال حرب وسياسة، وبدأ الصراع سياسيا حول من يتولى أمر الأمة، تغذّيه الأيدولوجيا والفكر، حيث تكونت المجموعات على اعتبار فكري لا قبلي.

ومن بين أبرز هذه المكونات :حزب الخوارج، والذي –إن جاز لي أن أسميه حزبا– اختط لنفسه منهجا، وجعل له أهدافا سعى لتحقيقها، مستخدما كل الأدوات: الدين، والسيف والقرطاس، والقلم، وشعاره –كأي حزب– الدفاع عن الحق، واسترجاعه من مغتصبيه، وتخليص الأمة.

وقد برز للدفاع عن فكر الخوارج وعقيدتهم شعراء فحول، من أبرزهم عمران بن حطان، أحد أعلام هذا الحزب، وأشهر المدافعين عنه، والداعين إليه، بالكلمة شعرا ونثرا، والمرسخين لفكره تطبيقا وعملا، وقد اخترته موضوعا لهذا البحث، حيث إنني سأدرس فيه خصائص شعر الخوارج من خلال شعر عمران بن حطان.

* كلية التربية – جامعة مصراتة.

الخوارج ونشأتهم:

التعريف بالخوارج

الخوارج في اللغة: اسم مشتق من خرج، والخاء والراء والجيم أصل يدل على النفاذ من الشيء، يقال: خرج يخرج خروجا، فهو خارجي، والخارجيّ هو الرجل المسوَّد بنفسه من غير أن يكون له قديم[1]، وقد أطلق أهل اللغة كلمة الخوارج على طائفة من أهل الآراء والأهواء؛ لخروجها على الدين أو لخروجهم على الناس[2]. أو هم كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفق الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم في عهد التابعين، والأئمة في كل زمان[3].

نشأة الخوارج

بعد استشهاد عثمان بن عفان –رضي الله عنه– بايع جمهور المسلمين الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ورفض المبايعة والي الشام معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– وبدأ الخلاف، فكانت موقعة الجمل بالقرب من البصرة سنة (35هـ)، ثم تلتها موقعة صفين سنة (36هـ)، ونادى أتباع معاوية بالتحكيم، غير أن الإمام عليا –رضي الله عنه– لم يطمئن لهذا الطلب، لكنه قبل استجابة لقبول أكثر أصحابه، فبدأ الخلاف بين صفوفه فتشاتموا وتضاربوا، وأصبحت تلك المجموعات المصرة على التحكيم هي غير الراضية به، وتتهم الإمام بشتى التهم وتحمله مسؤولية آرائهم وأفعالهم، فخرجوا عليه ولم يدخلوا معه الكوفة، بل ذهبوا إلى حروراء، ويقال إن عددهم اثنا عشر ألفا فجعلوا (شبث بن ربع) أميرهم على القتال، وأميرهم على الصلاة (عبدالله بن الكواء اليشكري) وتنادوا بأن الأمر شورى، وقالوا لا حكم إلا لله، فلما سمعها الإمام قال: كلمة عادلة يراد بها جور، إنما يقولون لا إمارة ولا بد من إمارة برة أو فاجرة[4]، فناظرهم الإمام ذاكرا لهم الوقائع فأقروا بها، فقال لهم فعلام خالفتموني ونابذتموني؟ فقالوا: أتينا ذنبا عظيما وتبنا منه، فتب واستغفر الله نعد إليك، فقال: استغفر الله من كل ذنب، فرجعوا،[5] ولكنهم ما لبثوا أن خرجوا مرة أخرى قائلين: إن عليا أتى أمرا عظيما حينما حكّم الرجال في الدماء، ولا حكم إلا لله، ومحا اسمه من خلافة المسلمين، فرد عليهم ابن عباس مبعوث الإمام إليهم: أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته، وما علمتم أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمسك على القتال في الحديبية، وكذلك محا اسمه من النبوة عند صلح الحديبية، ولكنه ظل نبيا، فلما أعياهم الحق قالوا: لا تحاجوا هذا، فإنه من القوم الذين قال الله فيهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[6]، واجتمع الحكمان في دومة الجندل

في رمضان سنة (37هـ)، وكانت نتيجة التحكيم مغذية للفرقة، وأعطت مبررا للخارجين عن الإمام، ولم يعد هناك أمل في عودتهم إليه.

في هذه الفترة تكوّن حزب الخوارج، وبدأت أفكاره تبرز وتنتشر بين أفراد الأمة، والناس بين مؤيد ومعارض، حيث كانت أفكارهم العنيفة المنحرفة عن فهم المسلمين، والمخالفة لرأي الجماعة، فقد كفّروا عثمان وعلياً –رضي الله عنهما– وكفروا أصحاب الجمل، واستباحوا قتل كل من لم ينضم إليهم، إذ عدوا من سواهم كفاراً مرتدين[7].

يتساءل الإنسان هل للخوارج وفرقهم المتعددة سبب مقنع فيما فعلوه ويفعلونه من أعمال نحو إخوتهم المسلمين؟! يقول أحمد شلبي:((لا يكاد الباحث يجد سببا حقيقيا جديرا بأن يدفع الخوارج إلى إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح، وسلب الأموال، وقتل النساء والأطفال))[8]، ومن خلال الفكر والحجة بالحجة هزم الخوارج أمام الإمام علي، ولم تكن لهم حجة عند حوار ابن عباس، كما ألزمهم الحجة عمر بن عبدالعزيز؛ ولذلك تقرر أنه لم تكن هناك أسباب حقيقية ذات شأن تدفعهم لما ارتكبوه، وما شغلوا به جيوش المسلمين وجهد القادة، سوى أن أغلب أتباعهم من الأعراب الذين لم يبتعدوا كثيرا عن ثقافة الثأر، حيث كانوا يثورون لأتفه الأسباب كما يتضح لكل دارس لأيام العرب، كما في داحس والغبراء، والبسوس، وزرقاء اليمامة وغيرها، فهم يقاتلون لأتفه الأسباب، حتى أصبح عندهم أشبه بالعمل العادي، يقول ابن عبد ربه: ((كانت الخوارج تقاتل على السوط يؤخذ منها والعلق الخسيس أشدَّ قتال، سقط في بعض أيامهم رمح لرجل من مراد من الخوارج، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل، فقال المرادي يرتجز:

اللَيْلُ لَيْلٌ فِيهِ وَيْلٌ وَيْلُ وَسَالَ بِالْقَوْمِ الشُّرَاةِ السَّيْلُ

إِنْ جَازَ لِلْأَعْدَاءِ فِينَا قَوْلُ))[9]

كذلك لا يخلو حالهم من الأثر العربي الجاهلي في الأخذ بالثأر، فإنه لمّا انتصر عليهم الإمام في النهروان، وقتل أكثرهم، كانوا يأتون مصارع إخوانهم فيتوضؤون ويصلون ويتذاكرون ويبكون ثم يهبون للأخذ بثأرهم.

وأهم سبب يبرز لأفعالهم ويتضح من خلال تصرفهم هو مبالغتهم في تقديرهم لرأيهم، فإنهم يرون الرأي فيصبح عندهم عقيدة ولا يحيدون عنه، حتى وإن كان عنيفا خطير النتائج، فهم عبيد مخلصون لآرائهم، لا يقيمون وزنا لسواها، قتلوا عبدالله بن خباب –رضي الله عنه– وبقروا بطن زوجته قائلين: إن القرآن الذي على صدرك يأمرنا بقتلك، وقطعا لا يأمر

القرآن بقتل مسلم لم يرتكب موجبا للقتل، ولكن هكذا أعتقد الخوارج، فكانوا يستحلون دم المسلم ويحفظون دم المشرك ويحفظونه[10].

ملامحهم الغالبة

برز هؤلاء الخوارج كمجموعة ذات توجه مشترك يتمثل في الآتي:

1- الغلو في الدين.

2- الجهل في الدين.

3- شق عصا الطاعة.

4- التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين.

5- التضليل والطعن.

6- سوء الظن.

برزت هذه النقاط من خلال البساطة والسطحية وعدم العمق في فهم الدين، وأخذهم بالظاهر الخاطئ، كاستدلال (نافع الأزرق) على قتل النساء والأطفال وغيرهم[11]، ومن ملامحهم الواضحة كثرة الانشقاق والخروج عن بعضهم بعضا لأوهى الأسباب، كذلك التكفير للرؤساء، بل وتكفير الناس بسببٍ وبدون سبب، حتى قال بعض غلاتهم: "إن الإمام إذا كفر كفرت الرعية"[12]، وهذا التشدد في العبادة والمبالغة فيها لا يدانيهم فيه أحد من حيث الصورة والشكل، أخبر بذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– الأمة عنهم، ووصفهم بأنهم طائفة مارقة، وليس لهم من الإيمان إلا النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وعند قراءتهم القرآن يظنون لسوء الفهم أنه لهم، وهو عليهم.

فعن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسّم قسما، أتاه ذو الخويصرة– وهو رجل من تميم–فقال: يا رسول الله، اعدل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ويلك، ومن يعدل إن لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أعدل، فقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: يا رسول الله، ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضّيه فلا يوجد فيه شيء– وهو القدح– ثم ينظر إلى قدده فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود أحد عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فُرقة من الناس"[13].

وأحاديث كثيرة جاءت عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– توضح حقيقتهم لا يسع هذا البحث عرضها ومناقشتها، وقد كانوا متحدين في بداية نشأتهم إلى ما يقرب من سنة (65هـ)، ولكنهم بعد ذلك تفرقوا وتعددت فرقهم، يقول الشهرستاني[14]: ((وكبار الفرق منهم المحكمة، الأزارقة، النجدات، البيهسية، العجاردة، الثعالبة، الإباضية، الصفرية، والباقون فروعهم)) وقد صور هذا التفرق –الذي سببه الجدال فيما بينهم– الصلتُ بن مرة الخارجي[15] مخاطبا قطري بن الفجاءة[16]: [بحر البسيط]

قُـل لِلْمُحِلِّيـنَ قَـدْ قَـرَّتْ عُيُونُكُمُ بِفُرقةِ الْقَومِ وَالْبَغْضَـــاءِ والْهَرَبِ
كُنَّا أُناسـاً عَلَـى دِيـنٍ فغيَّرَنـا طُولُ الجِدالِ وخَلْطُ الجِدِّ باللَّعِبِ
مَا كانَ أَغْنى رجالاً ضَلَّ سعيُهُمُ عنِ الجِدالِ وأَغنَاهُمْ عنِ الخُطَبِ

ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي –رضي الله عنهما– ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً.

كما كانت لهم آراء حول الخلافة، وهم يرون أن الخلافة حق لكل مسلم، ويفضلون أن يكون غير قرشي ليسهل عزله، والخليفة ينتخبه المسلمون انتخابا حرا، ويتفقون على أن السلطان إذا جار وجب عزله فإن امتنع وجب قتله[17].

يقول عبدالله بن وهب الراسبي[18]: [بحر الطويل]

نُقَاتِلُكُمْ كَيْ تَلْزَمُوا الْحَقَّ وَحْـدَه وَنَضْرِبُكُـمْ حَتَّى يَكُـــونَ لَنَا الْحُكْـــمُ
فَـإِنْ تَبْتَغُوا حُكْمَ الْإِلَهِ نَكُنْ لَكُمْ إِذَا مَا اصْطَلَحْنَا الْحَقُّ وَالْأَمْنُ وَالسِّلْمُ
وَإِلاَّ فَـــإِنَّ الْمِشْـرَفِيَّةَ مِحْـــذَمٍ بِأَيْـدِي رِجَـالٍ فِيهِمُ الدِيـــنُ وَالْعِلْـــمُ

يقول عبدالله بن يحي الكندي[19]مرتجزا:

أَضْرِبُ قَوْمًا حَبِطَتْ أَعْمَالُهُـم اللهُ مَـــوْلاَنَـــا وَلاَ مَـوْلى لَهُـــــم

الدعوة من قبل علمائهم وأدبائهم إلى مبادئ حزبهم، والدفاع عنه، وتسفيه الخصوم، ورميهم بالكفر، وحض أتباعهم على الثورة، وإسقاط الخصوم، حيث يرون أنهم أولى بقيادة الأمة من سواهم يقول شبيل بن عزرة[20]: [بحر الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ نَصْرَهُ وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْـــرِ بْنِ وَائِلِ

ويقول عتبان بن وصيلة الشيباني[21]: [بحر الطويل]

فَلاَ صُلْحَ مَا دَامَتْ مَنَابِرُ أَرْضِنَا يَقُـومُ عَلَيْهَا مِنْ ثَقِيف خَطِيبُ

فَإِنْ يَكُ مِنْهُمْ كَـانَ مَرْوَانُ وَابْنُـه وَعَمْرٌو وَمِنْهُمْ هَاشِـمٌ وَحَبِيـبُ
فَمِنَّـا سُوَيْـدٌ وَالْبَطِـينُ وَقَعْنَـبٌ وَمِنَّا أَمِـيرُ الْمُـؤْمِنِينَ شَبِيبُ

ولتمسكهم بعقيدتهم التي حرفوها وخالفوا فيها أمر الجماعة أثر غريب في التمسك بها، والثبات عليها، فهذا حوثرة يدعوه أبوه إلى الرجوع إلى مذهب الجماعة فأبى، فقال له مخاطبا فطرة حب الولد أجيئك بابنك لعلك تراه فتحن إليه، فقال: يا أبت، أنا والله إلى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني إلى ابني، ونظر إلى أهل الكوفة وقال: يا أعداء الله، أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه، واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه، فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز فقال: يا أبت لك في غيري مندوحة، ولي في غيرك عنك مذهب [22].

وقد بلغ هذا التمسك مبلغا كبيرا انصهرت فيه انتماءاتهم القبلية، ولم يضعفه الترف، كما حدث في الأحزاب الأخرى: الأمويين، والشيعة، والزبيريين، فدعوا إلى مذهبهم دون تفضيل لأحد منهم على أحد، فتجد الأزد من اليمن وبنو تميم من مضر يحاربون إخوانهم التابعين لبني أمية أو الشيعة أو الزبيريين، فلا أثر لجنس الإنسان أو قبيلته، يقول عمران بن حطان[23] [بحر الطويل]

فَنَحْنُ بَنُو الْإِسْلاَمِ وَاللهُ وَاحِدُ وَأَوْلَى عِبَادُ اللهِ بِاللهِ مَنْ شَكَرْ

ولم يكن هذا خاصا بالرجال، فالجهاد في حق الجميع واجب، ومن يترك القتال يجب قتاله، ولذا كانت النساء ذوات شجاعة وبسالة، وكن يدافعن عن مذهبهن، ويسجلن المواقف النادرة، فقد ذكر أن غزالة زوج شبيب نذرت لتصلين في مسجد الكوفة، فأوفت بنذرها زمن الحجاج، حيث دخل جماعتهم وأرهبوا الجميع، حتى الحجاج تخندق في قصر الخلافة، فصلّت في المسجد بسورتي البقرة وآل عمران كما نذرت، وقد قال بعض الناس في زمنها[24]: [بحر الوافر]

وَفَـتِ الْغَـزَالَـةُ نَـذْرَهَا يَـا رَبُّ لاَ تَغْفِـرْ لَهَـا

وقد سخر عمران بن حطان من الحجاج لتحصنه وعدم مواجهته لغزالة ومن جاء معها، ووثق هذه السخرية بقوله[25]: [بحر الكامل]

أَسدٌ عَـلَيَّ وفِي الحُرُوبِ نَعَامـةٌ رَبْدَاءُ تَجْفُلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّـافِرِ
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَالَةَ فِي الـوَغَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحَيْ طَائِرِ
صَـدَعَتْ غَـزَالَةُ قَلْبَـهُ بِفَـوَارِسٍ تَرَكَتْ مَـدَابَرَهُ كَـأَمْسِ الـدَّابِرِ
أَلْقِ السِّلاَحَ وخُذْ وِشَاحَـيْ مُعْصِرٍ وَاعْمِدْ لِمَنْـزِلَةِ الجَبَـانِ الكَافِرِ

شعراء الخوارج وخصائصهم

كان للشعراء دور بارز في تحميس الخوارج للقتال، والموت في سبيل مبادئهم، والثناء، والرثاء للمضحين المخلصين من أجلها، وترغيبهم في الموت لينالوا الجنة من أقصر الطرق، وتبعا لتعدد الخوارج وتعدد فرقهم كثر شعرهم وشعراؤهم، غير أن من أشهر شعرائهم عمران بن حطان، وقطري بن الفجاءة، والطرماح بن حكيم، وإذا استثنينا الطرماح وجدنا بقية شعرائهم – حتى من لم نذكر– يغلب على شعرهم أغراض الحماسة والرثاء والزهد، وحماستهم لا تحركها العصبيات القديمة– عصبية القبيلة– بل تحركها عصبية جديدة أيدولوجية وسياسية، ترفع من الدين شعارا، ويجاهدون في سبيل فكرتهم وعقيدتهم التي يرونها بعين الرضى ومفتاح الجنة[26].

كما أن شعرهم في رثاء إخوانهم اتخذ منهجا مختلفا عما ألفه السابقون، فهو يصور شعوراً حزينا لفقد الأحبة، ولكنك لا تجد فيه بكاءً يعدد محامدهم التي يرونها دنيوية، كالنجدة والكرم ونصرة المظلوم وغيرها، بل تجد لديهم ذكراً لصفات يدّعون أنها لهم، من تقوى، وورع، وزهد في الدنيا، وانصراف للآخرة، والزهد في الدنيا يمثل جزءاً من عقيدتهم، فالعيش في الدنيا يرونه شقاءً وعذاباً، فهم في دعوة مستمرة لتركها، والابتعاد عن مباهجها، ويجب أن يكون الموت حاضرا في كل أوقاتهم، وخاصة تحت ظلال السيوف.

يقول مالك بن الوضاح[27]: [بحر البسيط]

إِنِّي لَبَائِــعٌ مَا يَفْـنَى بِبَاقِـيَةٍ وَلَا يــرِيدُ لَدَى الهَيْجَاءِ تَرْبِيضاً

ويقول الطرماح بن حكيم[28]: [بحر البسيط]

لَقَدْ شَقِيتُ شَقَاءً لَا انْقِطَـاعَ لَـهُ إِنْ لَمْ أَفُــزْ فَــوْزَةً تُنجِــي منَ النَّــارِ

والنـار لم ينج من روعاتها أحدٌ إلَّا المُنيبُ بِقَــلْبِ المخْلصِ الشَّــارِي

خصائص شعر الخوارج

تميز شعر الخوارج في مجمله بعدة خصائص، ميَزته عن كثير من شعر غيرهم، ويمكن تصور خصائص شعرهم في:

أولا: الدعوة للتمسك بعقيدتهم:

يصور شعرهم التمسك بعقيدتهم التي تدعوهم لنبذ الدنيا والإسراع في نيل الآخرة فهم يرون أن من مات منهم حقق سعادته الأبدية وهذا واضح لديهم حتى في رثاء الأمهات لأبنائهن مثل عمرة أم عمران الراسبي حيث رثته بقولها[29]: [بحر البسيط]

اللهُ أَيَّـــدَ عِمْرَانًا وطَهَّـــرَه وكانَ عِمْرَانُ يَدْعُو اللهَ فِي السَّحَرِ
يَدْعُوهُ سِرًّا وَإِعْلاَناً لِيَرْزُقَــه شَهَادَةً بِيَدَيْ مِلْحَــادَةٍ غُـــــدرِ

وقد بالغوا في هذا التمسك حتى أباحوا قتال المسلمين بمبدأ تكفيرهم رغم إحسانهم لمن لا يوحدون الله، يقول الوليد بن طريف[30]: [بحر الوافر]

سَتَعْلَمُ يَا يَزِيـدُ إِذَا الْتَقَيْنَا بِشَطِّ الزَّابِ أَيَّ فتًى يَكُـــونُ

كما أن سبرة بن الجعد وهو أحد شعرائهم كان سميرا للحجاج وهو لا يعلم حقيقته، ثم تركه خفية، تاركا قصيدة يكفر فيها مخالفيه من أهل الإسلام ويلعنهم، والتي منها[31]: [بحر الطويل]

فَمَنْ مُبْلِـغُ الْحَـجَّاجَ أَنْ سَمِـــيرَهُ قَلَى كُلَّ دِينٍ غَيْرَ دِينِ الْخَـــوَارِجِ
رَأَى النَّاسَ إِلَّا مَــنْ رَأَى مِثْــلَ رَأْيِهِ مَلَاعِينَ تَرَاكِينَ قَصْــدَ الْمَنَـــاهِجِ
وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا الدِّينُ لَمْ يَكُــنْ صَحِيحاً وَلَمْ يَصْمُدْ لِقَصْدِ الْمَخَـارِجِ

ثانيا: الزهد:

يتميز شعر الخوارج بكثرة الدعوة إلى الزهد، وترك الدنيا، فهم لا يتناولونها إلا كونها نقيصة، ولا يجب الالتفات إليها تحت أي مطلب، يقول الصحاري بن شبيب[32]: [بحر المديد]

إِنَّنِـي شَارٍ بِنَفْسِي لِرَبِّي تاركٌ قيــلَ لَدَيْهِمْ وَقَـــالَا
بائـعٌ أهلِي ومالِيَ أرجُو في جِنَان الخُلْد أهلاً ومالَا

ويقول الشاعر المرادي[33][بحر البسيط]

إِنِّــي لَبَائِـعٌ مَا يَفْنَـى لِبَاقِيَــةٍ إِنْ لَمْ يَعُقْنِي رَجَاءُ العَيْشِ تَرْبِيصَا
وأَسْأَلُ اللهَ بَيْعَ النَّفْسِ مُحْتَسِباً حَتَّى أُلَاقِيَ فِي الفِرْدَوسِ حُرْقُوصَا[34]

ثالثا: جزالة الأسلوب وقوته:

يتميز الخوارج بجزالة أسلوبهم، سواء الشعري أو النثري، ولعل من شواهد ذلك أنه أتي برجل من الخوارج إلى عبدالملك بن مروان فبحثه، فرأى منه ما شاء فهما وعلما، ورأى إربا ودهيا، فرغب فيه واستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه، فقال الخارجي: لتغنك الأولى عن الثانية، وقد قلتَ فسمعتُ، فاسمع أقل، فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له مذهبهم بلسان طلق، وألفاظ بينة، ومعانٍ قريبة، فقال عبدالملك بعد ذلك على معرفته: لقد كان يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم، وأنا أولى بالجهاد منهم، ثم رجعت إلى ما ثبَّت الله عليّ من الحجة وقرر في قلبي من الحق، فقلت له: لله الآخرة والدنيا، وقد سلطنا الله في الدنيا، ومكَّن لنا فيها، وأمر بقتله، ثم

خففه إلى سجنه، وقال: من شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله، فغير بعيد أن يستهوي من بعدي. وكان عبدالملك من الرأي والعلم بموضع[35].

رابعا: وحدة الموضوع :

اتخذ شعر الخوارج طابعا عاما، والموضوع الغالب على شعرهم هو الحماسة، فقلّما استهل بالغزل على غرار ما هو سائد وقتئذ، مع تشابهه في المواضيع والمعاني، حتى إنه شاع كثيرا نسبة شعر بعضهم لبعض، واختلف في القصيدة الواحدة.

يقول عبد الحميد الشلقاني[36]: ((شعرهم ذو أصالة عربية ودوافعهم إسلامية)) فهم في عموم شعرهم يخالفون معاصريهم ومن سبقوهم من الشعراء، فهم لا يبكون الأطلال، ولا يفاخرون بالقبيلة، ولا يتغزلون بالمرأة لذات الغزل، ولا يصفون الرحلة وأدواتها رغم أنهم كثيري الترحال؛ لمطاردتهم من قبل الولاة والحكام فرادى وجماعات، ولا يمدحون الحكام من أجل العطاء.

كما أن الغالب على شعرهم أنه قطع شعرية في جلّه، تقل فيه القصائد الطويلة، وهو انعكاس لحياتهم غير المستقرة، فهم في معظم أوقاتهم يقاتلون، ينتصرون حينا، وينهزمون أحيانا، ويتنقلون من بلد إلى آخر فرارا من خصومهم، وبحثا عن مناصرين لفكرهم.

ابن حطان

لعل من أبرز الشعراء الذين دافعوا عن مذهب الخوارج أحسن دفاع هو عمران بن حطان، قولا وفعلا، وأمضى كثيرا من عمره مناضلا من أجل مذهبه وعقيدته، لذا ارتأيت أن أجعل الجانب التطبيقي من البحث في شخصيته، ممهدا لذلك بدراسة جوانب من حياته وبيان مكانته، وتسليط الضوء على شعره مبرزا خصائصه وأثره، معرجا القول على بعض ما اختلف في نسبته له.

التعريف بعمران بن حطان:

أولا: نسبه:

هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، يكنى أبا شهاب، وهو أحد التابعين[37].

ويقول القاضي حسين محمد الشافعي شيخ المراوزة بأنه صحابي جاء ذلك في معرض رده على الإمام أبي الطيب الطبري الذي لعن عمران من خلال رده على الأبيات التي مدح بها ابن ملجم[38].

ثانيا: فرقته التي ينتمي إليها:

كان من رؤوس الخوارج من القعدة، وهم الذين يحسّنون لغيرهم الخروج على المسلمين ولا يباشرون القتال، يقول الأصفهاني: صار عمران قعديا بعد أن كبر وعجز عن الحرب، وقال ابن البرقي: كان حروريا، وقال المبرد: كان رأس القعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم[39]، وقيل هو من الصفرية الزيادية وهي فرقة من الخوارج تخالف غيرها من الأزارقة، والنجدات، والإباضية في أمور، منها؛ أنهم لا يكفرون القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولا يسقطون الرجم، ولا يحكمون بقتل أطفال المشركين وكفرهم، والتقية عندهم جائزة في القول دون العمل، ومما قاله زياد بن الأصفر:((نحن مؤمنون عند أنفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله))[40].

وقد صرح عمران أنه من الشراة من خلال مدحه لأهل النخيلة – الذين قاتلهم الإمام علي وانتصر عليهم – حيث قال[41]: [بحر البسيط]

إنِّي أَدِينُ بمَا دَانَ الشُّرَاةُ به يومَ النَّخيلةِ عندَ الجَوْسَقِ الخَرِبِ

وعارضه الحميري حيث قال: [بحر البسيط]

إنِّي أَدِينُ بمَا دَانَ الوصيُّ بِهِ يومَ النَّخيلَةِ من قَتْلِ المُحلِّينَ

ومما تؤكده أغلب المصادر أنه كان من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جدا فأحبها وكان هو ذميم الشكل فأراد أن يردها إلى السنة فأبت فارتد معها إلى مذهبها[42].

ثالثا: روايته للحديث:

كان عمران بن حطان من الثقات في رواية الحديث، وقد أخرج له البخاري في صحيحه، وخرج له أبو داود في سننه، من روايته عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد اعتذر أهل الحديث عن التخريج له بكونه قد تاب، وقيل: إنما خرج عنه قبل أن يبتدع، فقد قال يعقوب بن أبي شيبة أدرك جماعة من الصحابة وصار في آخر أمره أن رأى رأي الخوارج وأعتذر أبو داوود عن التخريج له بأن الخوارج أصح أهل الأهواء حديثا[43].

والأحاديث التي رواها الأئمة عن عمران هي:

الأول: قال البخاري: حدثني محمد بن بشار، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن عمران بن حطان، قال: سألت عائشة عن الحرير فقالت: ائت ابن عباس فسله، قال: فسألته فقال: سل ابن عمر، قال: فسألت ابن عمر، فقال: أخبرني أبو حفص

يعني عمر بن الخطاب: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة» فقلت: صدق، وما كذب أبو حفص على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[44].

الثاني: حدثنا معاذ بن فضالة، حدثنا هشام، عن يحيى، عن عمران بن حطان، أن عائشة، رضي الله عنها حدثته: أن النبي صلى الله عليه وسلم «لم يكن يترك في بيته شيئا فيه تصاليب إلا نقضه»[45].

الثالث: رواه أبو داود قال: حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدَّثنا أبانُ، حدَّثنا يحيى، حدَّثنا عِمرانُ بنُ حِطَّانَ، عن عائشةَ: أن رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – كان لا يَتْرُكُ في بيته شيئاً فيه تَصْلِيبٌ إلا قَضَبَهُ[46].

مكانته في فرقته وعند معاصريه:

أولا: مكانته في فرقته:

يصف الشهرستاني عمران بن حطان بقوله[47]: ((هو مفتي الخوارج وزاهدها وشاعرها الأكبر)) وقال عمران بن حطان: خطبت عند زياد خطبة ظننت أني لم أقصر فيها عن غايتي، ولم أدع لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس، فسمعت شيخا يقول هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن[48]. ويقول الجاحظ:((ومن خطباء الخوارج، وعلمائهم، ورؤسائهم في الفتية، وشعرائهم، ورؤساء قعدتهم عمران بن حطان))[49].

ومما يؤكد عظم مكانة عمران أنه كان يقارن بـ(الرهين المرادي) في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه، وكان عمران بن حطان في وقته شاعر القعدة الصفرية ورئيسهم ومفتيهم، ولهما مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار وفي السير والسنن وفي الغريب والشعر[50].

ويصفه عبدالملك بن مروان أثناء رده على (روح بن زنباع) عندما قال لعبد الملك: ((إن في أضيافنا رجلا ما سمعت منك حديثا قط إلا حدثني به، وزاد فيما ليس عندي، قال عبد الملك: ممن هو؟ قال من الأزد، قال: إني لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان؛ لأنني سمعتك تذكر لغة نزارية، وصلاة، وزهدا، ورواية، وحفظا، وهذه صفته))[51].

أخبر محمد بن عمران الصيرفي العنزي عن السدسي عن أبيه عن جده أن عمران بن حطان كان من أهل السنة والعلم، فتزوج امرأة من الشراة من عشيرته، وقال: أردها عن مذهبها إلى الحق، فأضلته وذهبت به[52]امرأته، وقالت له يوما: أنا وأنت في الجنة، فقال: من أين

علمت ذلك؟ قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وابتليت بمثلك فصبرت، والشاكر والصابر في الجنة[53].

فعمران بن حطان شاعر جسد فكر الخوارج ومنهج تفكيرهم في أغلبه، حيث غطى شعره حيزا كبيرا من رؤاهم، فهم يعتقدون أن كل أعمالهم طريق قربى إلى الله، وثمنٌ للجنة حتى جرائمهم التي يرتكبونها من ظلم العباد، وقتل الأبرياء، يصورونها عملا في سبيل الله يبلغ به صاحبه جنات النعيم، فهذا عمران بن حطان يصور لنا جريمة عبد الرحمن بن ملجم المرادي في قتله الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وصهر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأبا الحسن والحسين –رضي الله عنهم أجمعين– بأنها عمل يرضي به الله ويثقل بها الموازين، يقول عمران بن حطان[54]: [بحر البسيط]

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إِلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانًا
للهِ دَرُّ الْمُرَادِي الذِي سَفَكَتْ كَفَّاهُ مُهْجَةَ شَرِّ الْخَلْقِ إِنْسَانًا
أَمْسَى عَشِيَّةَ غَشَّاهُ بِضَرْبَتِهِ مِمَّا جَنَاهُ مِنَ الْآثَامِ عُرْيَانًا

رضي الله عن علي بن أبي طالب وأخذ الحق من ظلمته، فعمران يمدح فعلة ابن ملجم الغادرة، ويشيد بهذا المجرم الذي جسد فكرهم عملا رغم أنه لا يتعاطى المدح ولا يقبله، ويرفض التكسب ومدح أهل الدنيا، وقد رد معاصروه –ومن جاء بعدهم–على هذه الأبيات ومن بينهم القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله الشافعي الطبري بقوله[55]: [بحر البسيط]

إِنِّي لَأَبْرَأُ مِمَّا أَنْتَ قَائِلُهُ عَنْ ابْنِ مُلْجِمٍ الْمَلْعُونِ بُهْتَانَا
يَا ضَرْبَةً مِنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَهْدِمَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَومًا فَأَلْعَنُهُ دُنْيَا وَأَلْعَنُ عِمْرَانًا وَحِطَّانَا
عَلَيهِ ثُمَّ عَلَيْهِ الدَّهْرُ مُتَّصِلاً لَعَائِنُ اللهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا
فَأَنْتُمَا مِنْ كِلَابِ النَّارِ جَاءَ بِهِ نَصُّ الشَرِيعَةِ بُرْهَانًا وَتِبْيَانَا

ويورد المسعودي أيضا قصيدة لبكر بن تاهرت القيرواني منها[56]: [بحر البسيط]

قُلْ لِابْنِ مُلْجِمٍ وَ الْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ هَدَمْتَ وَيْلَكَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا سَنَّ الرَّسُولُ لَنَا شَرْعًا وَتِبْيَانَا
ذَكَرْتُ قَاتِلَهُ وَالدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ فَقُلْتُ سُبْحَانَ رَبِّ النَّاسِ سُبْحَانَا
إِنِّي لَأَحْسِبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ يَخْشَى الْمَعَادَ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانَا
كَعَاقِرِ النَّاقَةِ الْأُولَى النِّي جَلَبَتْ عَلَى ثَمُودَ بِأَرْضِ الْحِجْرِ خُسْرَانَا

فَلاَ عَفَى اللهُ عَنْهُ مَـا تَحَمَّـلَهُ وَلاَ سَقَى قَبْرَ عِمرَانَ بْنِ حطَّـانَا

كما رد عليه محمد بن أحمد الطبيب بقوله[57] [بحر البسيط]

يَا ضَرْبَةً مِنْ غَدُورٍ صَارَ ضَارِبُهَا أَشْقَى الْبَرِيَّـةِ عِنْدَ اللهِ إِنْسَانَـا

إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيـهِ ظِلْـتُ أَلْعُنُـهُ وَأَلْعَـنُ الْكَلْبَ عِمْـرَانَ بْنَ حِطَّانَا

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان قال: " اضرب عنق ابن الفاجرة، فقال عمران: لبئس ما أدّبك أهلك يا حجاج! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به؟ أبعد الموت منزلة أصانعك عليها؟ فأطرق الحجاج استحياءً وقال: خلوا عنه؛ فخرج إلى أصحابه، فقالوا: والله ما أطلقك إلا الله، فارجع إلى حربه معنا، فقال هيهات! غَلّ يَداً مطلقُها، واسترقَّ رقبةً مُعتقها! وأنشد[58]: [بحر الكامل]

أَ أُقَـاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَـدٍ تُقِرُّ بِـأَنَّها مَـوْلاَتُهْ

مَاذَا أَقُـولُ إِذَا وَقَـفْتُ إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فِعْلاَتُه

أَ أَقُولُ جَارَ عَلَيَّ؟ لاَ، إِنِّي إِذَنْ لأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلاَتُـه

إِنِّي إِذَنْ لأَخُو الْجَهَالَةِ وَالَّـذِي طَمَّتْ عَلَى إِحْسَانِه جَهَلاَتُـه

تَـاللهِ مَـا كِدّتُ الأَمِيرَ بِآلَـةٍ وَجَوَارِحِي وَسِلاَحُـهَا آلاَتُـه

غير أن الحجاج قد طلبه ثانية لما له من أهمية وتأثير في قومه، فترك البلاد متوجها إلى الشام مختفيا، متنكرا بصورة رجل أزدي، ونزل عند (روح بن زنباع)، وبقى لديه زمنا لا يعلم حقيقته، وكان عبدالملك يطلبه كما الحجاج وحين تم اكتشاف حقيقته خرج وترك أبياتا تبين حقيقته[59] [بحر البسيط]

يَا رَوْحُ كَـم مِن أَخٍ مَثْوَى نَزَلْتُ بِـهِ قَـد ظَنَّ ظَنَّـكَ مِـن لَخْـم وغسَّـانِ

حَتَّى إِذَا خِفْتُـــه فَـارَقْتُ مَنْزِلَـــهُ مِنْ بَعْدِ مَـا قِيلَ: عِمْـرانُ بنُ حِطَّـانِ

قَدْ كنتُ ضيفَكَ حَـوْلًا لَا تُرَوِّعُنِـي فيه الطَّـــوارِقُ مِن إنـسٍ ولَا جَـانِ

حتَّى أَردَّتَ بِيَ العُظْمَى فَـأَوْحَشَنِي مَا أَوْحَشَ النَّاسَ من خَوْفِ ابنِ مروانِ

يَومًا يمـــانٍ إذا لاقِيت ذا يمـــن وإن لقيت مَعْـــدِيًّا فـعدنـــان

لَوْ كنتُ مُسْتَغْفِـراً يَوْماً لِطَاغِيَـــةٍ كنـــتَ المقـــدَّم فِـي سِرِّي وإِعْلَانِي

ونتيجة خوفه انتقل مختفيا إلى الجزيرة، نازلا بـ(زفر بن الحارث الكلابي)، وانتسب أوزاعيا، غير أن القدر ساق إليه رجلا قد رآه عند (روح بن زنباع) بالشام على أنه أزدي فسلّم عليه، فقال

له زفر: أزدي مرة وأوزاعيٌ أخرى؟! إن كنت خائفا أمّناك، وإن كنت عائلا أغنيناك، فقال: إن الله هو المغني، وخرج من عنده وهو يقول[60]: [بحر البسيط]

إنَّ التِي أَصبَحَـتْ يَعْيَا بِهَا زُفَرُ أَعْيَتْ عياءً علَى روْح بنزِنْبَـاعِ
أَمْسَى يُسَائِلُـنِي حـوْلًا لِأُخْبِرَهُ والنَّاسُ من بَيْنِ مخدوعٍ وخـدَّاعِ
فَاكْفُفْ كمَا كَفّ روْحٌ إنَّنِي رَجُلٌ إمَّا صَرِيحٌ وإمَّا فقعةُ القـاعِ
أمَّا الصَّلاةُ فَإنِّي غَيـرُ تَارِكِهَـا كُلُّ امْرِئٍ لِلَّذِي يَعْنِى بِهِ سَـاعِ

ثم ذهب إلى عمان، غير أنه لم يستقر بها طويلا، لأن الحجاج عرف مكانه فطلبه، فهرب إلى روذميساء إلى جانب الكوفة، فبقى فيها حتى مات، وكانت وفاته كما جاء في البداية والنهاية سنة (84 هـ)[61]، وكان نازلا هناك على رجل من الأزد، وقال في ذلك[62]: [بحر الطويل]

نَزَلْتُ بِحَمْدِ اللهِ فِي خَيـرِ أُسْـرَةٍ نُسَرُّ بِمَا فِيهِمْ مِنَ الْأُنْسِ وَالْخَفَرِ
مِنَ الْأُزْدِ إِنَّ الْأُزْدَ أَكْـرَمُ أُسْـرَةٍ يَمَانِيَّةٌ تَعْلُـو إِذَا نَسَـبَ الْبَشَر
فَأَصْبَحْـتُ فِيهِمْ آمِنًا لاَ كَمَعْشَرٍ أَتَوْنَا فَقَالُوا مِنْ رَبِيعَة أَوْ مَضَـر
أَوِ الْحَـي قَحْطَـانَ وَتِلْكَ سَفَاهَـةٌ كَمَا قَالَ لِي رُوحٌ وَصَاحِبُهُ زفـر
فَنَحْنُ بَنُـو الْإِسْلاَمِ وَاللهُ وَاحِـدٌ وَأَوْلَى عِبَادِ اللهِ بِاللهِ مَنْ شَكَـر

ويقول عمران بن حطان في نقد السياسة العامة[63]: [بحر البسيط]

حَتَّى مَتَى لَا نَرَى عَدْلًا نَعِيشُ بِهِ وَلَا نَـرَى لِدُعَاةِ الحَقِّ أَعْـوَاناَ

ويعد عمران بن حطان من الأمثلة الحية للصراع النفسي الداخلي في مخافة الموت وحب الحياة، فمع رغبة في الموت مبعثها المبادئ التي آمن بها بتأويل خاص، وحبٍ غريزي للحياة تولد الصراع، وصارت الحياة والموت على طرفي نقيض في نفسه، فلم يحسم هذا الصراع، وليس معنى قعوده أنه آثر الحياة على الموت، فالصراع لم يتوقف في نفسه فقد حلّ الموت المجرد محل الاستشهاد، وفي هذا الصراع العنيف اتخذ الموت عمقا فلسفيا رائعا لم يعرف به أحد من شعراء الخوارج غيره، وهو بذلك يكشف عن جوهر النفس الإنسانية، مصورا ضعفها أمام الحياة وتعلقه بها دون إذعان للمثالية، يقول ابن حطان[64]: [بحر الطويل]

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الحَيَاةَ وَطِيبَهَا إِلَيَّ جَرَى دَمْعٌ مِنَ العَيْنِ غَاسِقُ

لقد ظل صدى الحياة يتردد في نفس عمران، مع الإحساس أن الفناء يسري فيها يقول في إحدى أبياته[65]: [بحر الوافر]

أُرَانَا لَا نَمَـــلُّ العَيْشَ فِيهَا وَأُولِعْنَا بِحِـرْصٍ وَانْتِظَـــارِ
وَلَا تَبْقَى وَلَا نَبْقَـــى عَلَيْهَا وَلَا فِي الأَمْرِ نَأْخُـــذُ بِالخَيَارِ
وَلَكِنَّ الغَـدَاةَ بُنُـــو سَبِيل عَلَـى شَرَفٍ يَسِيرُ إِلَى انْحِدَارِ

نراه يحب الموت في موقف كموقف أبي بلال المرداسي يقول[66]: [بحر الوافر]

لَقَـدْ زَادَ الحَيَـــاةَ إِلَيَّ بُغْـضاً وحُـــباً لِلخُـــرُوجِ أَبُـو بـــلَالِ
أُحاذِرُ أَنْ أَمُوتَ علَى فِرَاشِي وأَرْجُو المَوْتَ تَحْت ذُرَى العَوَالِي
فَمَنْيَـكُ هَمُّـــهُ الدُّنْيَـــا فَإِنِّي لَهَـــا وَاللهِ رَبِّ البَيْتِ قَـــالِي

وكان عمران يزعم أنه لا يقول إلا صدقا، فقالت له جمرة امرأته يوما: ألم تزعم أنك لم تكذب في شعرك قط؟ قال: نعم، قالت: فقولك[67]: [بحر مجزوء الكامل]

وَكَذَاكَ مَجْزَأَةُ ابْنُ ثَـــ ـــوْرٍكَانَ أَشْجَعَ مِنْ أُسَامة

هل رأيت رجلا أشجع من الأسد؟! قال: فهل رأيت أنت أسدا فتح مدينة؟ قالت: لا، قال: فمجزأة بن ثور فتح مدينة تستر[68].

ثانيا: مكانته عند معاصريه من شعراء وساسة:

تبوأ عمران بن حطان مكانة مرموقة عند معاصريه، رغم اختلاف الرؤى، وتنوع الأيدولوجيات، لا سيما المكانة الشعرية، فقد شهد له أعلام عصره من الشعراء بأنه أشعر منهم، وذلك في محفل اجتمعوا فيه، فقد روي أن ((الشعراء اجتمعوا يوما عند عبدالملك بن مروان فقال: هل بقي أحد أشعر منكم؟ قالوا: لا، فقال الأخطل: كذبوا يا أمير المؤمنين قد بقي من هو أشعر منهم؛ قال: ومن هو؟ قال: عمران بن حطان، قال: وكيف صار أشعر منهم؟ قال: لأنه قال وهو صادق ففاتهم، فكيف لو كذب كما كذبوا؟!))[69]

وقد سجل الفرزدق مثل هذه الشهادة، فقد ذكر الأصفهاني أن عمران مر على الفرزدق وهو ينشد وحوله الناس، فوقف عليه وقال:[70] [بحر الخفيف]

أَيُّهَ المَادِحُ العِبَادَ لِيُعْطَى إِنَّ للهِ مَا بِأَيْدِ العِبَادِ

إلى آخر الأبيات... فقال الفرزدق: لولا أن الله شغل عنا هذا برأيه للقينا منه شرا[71].

ويقول جرير بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسن بنا ابن حطان حيث لم يأخذ في ما أخذنا فيه، ولو أخذ في ما أخذنا فيه لأسقطنا، يعني لجودة شعره[72].

وآراء مثل هؤلاء الأساطين الذين كانت لهم الصدارة من خلال عطائهم الفني، وقدرتهم على الإبداع، وفهمهم لمفاصل القول، تعد مصدرا يركن إليه الباحث؛ لتضلعهم في هذا الفن.

كما كان لشعر عمران مكانة عند الساسة، أصحاب الدراية بفن القول وإدراك مراميه، يقول مسلمة بن عبدالملك: إنه والله ما وعظني شعرٌ كما وعظني شعر ابن حطان[73]: [بحر الطويل]

فَيُوشِكُ يَوْمٌ أَنْ يُقَارِنَ لَيْلَهُ يَسُوقَانِ حَتْفاً رَاحَ نَحْوَكَ أَوْ غَدَا

فقال بعض من حضر: والله لقد سمعته أجّل الموتى ثم أفناه، وما صنع هذا غيره، فقال مسلمة: فكيف ذاك؟ قال: قال [بحر البسيط]

لَا يُعْجِزُ الموتَ شيءٌ دُونَ خَالِقِهِ وَالموْتُ فَـــانٍ إِذَا مَا نَالَهُ الأَجَـلُ

وَكُلُّ كَرْبٍ أَمَامَ الموْتِ مُتَّضِـــعٌ لِلْمَوْتِ والموْتُ فِـي مَا بَعْدَهُ جَلَلُ[74]

بل بلغ بأثر شعره أنه كان حاضرا في حضرة كبار الفقهاء والوعاظ، ومن أشهر ذلك ما روي أن سفيان الثوري رحمه الله كان يتمثل بشعره في الزهد، من مثل قوله[75]: [بحر الطويل]

أَرَى أَشْقِيَاءَ النَّاسِ لَا يَسْأَمُونَهَا عَلَـى أَنَّهُـمْ فِيهَا عُرَاةٌ وَجُوَّعُ

أَرَاهَـا وَإِنْ كَانَتْ تُحَـبُّ كَأَنَّهَا سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ

كما أخذ بعض الشعراء من معانيه –ومنهم أبو تمام– في اعتذاره إلى أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافعي، المعنى الذي جاء به عمران في بيته الذي يقول فيه: [بحر الكامل]

أَ أُقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِـــهِ بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّها مَوْلاَتُهْ

حيث قال أبو تمام محاكيا له[76]: [بحر الطويل]

أَ أُلْبِسُ هَجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذًا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْـــدِي

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالــوَرَى مَعِي وَإِذَا ما لُمْتُهُ لُمْتُـــهُ وَحْـدِي

شعر عمران بن حطان وخصائصه:

أولا: ما اختلف في نسبته إلى عمران

برز عمران بن حطان علما من أعلام الخوارج، وشاعرا مجيدا، ولشهرته وتمكنه نسب إليه كثير من الشعر ليس له، لا سيما أن الخوارج لم تكن لهم منتديات لإلقاء الأشعار، بحيث يتلقاها جمع يتحرّى نسبة القول إلى قائله، كما أن الشعر لم يكن من أولوياتهم– رغم أن أكثرهم أعرابا– مع كثرة تنقلهم وحروبهم وانفصال بعضهم عن بعض جعل الرواة ينسبون أشعار بعضهم إلى بعض، ومن أمثلة ذلك ينسب المبرد في الكامل[77]لعمران بن حطان عقب معركة النخيلة قوله: [بحر البسيط]

إِنِّي أَدِينُ بِمَا دَانَ الشُّرَاةُ بِهِ يَوْمَ النَّخِيلَةِ عِنْدَ الْجَوْسَقِ الْخَرِبِ

والبيت في معجم البلدان وديوان الخوارج[78] منسوب إلى قيس بن الأصم الضبي.

وجاء في الأغاني أن غزالة الحرورية لما دخلت هي وشبيب زوجها على الحجاج في الكوفة تحصن منها وأغلق عليه قصره فكتب إليه ابن حطان: [بحر الكامل]

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ رَبْدَاءُ تَنْفُرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ

وينسبه الجاحظ إلى أسامة بن سفيان البجلي[79].

ويورد الأغاني حوارا كان مع مالك المذموم، وهو رجل من بني عامر بن ذهل، وكان من الخوارج، والحجاج يطلبه، قال أبو العوام: فدخلت على مالك يوما وهو في تواريه فأنشدني يقول: [بحر الطويل]

أَلَمْ يَأْنِ لِي يَا قَلْبُ أَنْ أَتْـــرُكَ الصِّبَا وَأَنْ أَزْجُرَ النَّفْسَ اللَّجُـــوجَ عَنِ الْهَـوَى

وَمَا عُذْرُ مَنْ يَعْمَى وَقَدْ شَـــابَ رَأْسُهُ وَيُبْصِرُ أَبْـــوَابَ الضَّـــلاَلَةِ وَالْهُـــدَى[80]

فلما فرغ من إنشادها قال: سيغلبني عليها صاحبكم، يعني: عمران بن حطان، فكان كذلك لما شاعت، رواها الناس لعمران لشهرته، كما أن هناك قصيدة أخرى لمالك مطلعها: [بحر الخفيف]

دَارَ سَلْمَى بِالْجَزْعِ ذِي الْآطَامِ خَبِّرِينَا سُقِيتِ صَوبَ الْغَمَامِ

هي أيضا ينسبونها لعمران بن حطان[81].

ثانيا: خصائص شعر عمران:

كان لشعر عمران خصائص عديدة منها:

1-كان حريصا على الصدق في ما يقول، ولا يبتعد عن الحقيقة حسب معتقده، فحين خاطبته زوجته يوما مشككة: إنك تقول: لا أكذب في شعري، فها أنت تجعل شجاعة الرجل أكثر من الأسد، فيرد عليها: أنه أشجع وأقوى بتدبير عقله، فهو يستطيع أن يفتح المدن، وهل للأسد ذلك؟ كما يدل على صدق شعره والتزامه به أنه لم يشترك في أي قتال ضد الحجاج بعد قوله: [بحر الكامل]

أَأُقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَدٍ تُقِرُّ بِأَنَّهُ مَوْلاَتُهُ[82]

2- يتميز شعره بالسلامة بالخلو من التعقيد يقول في بعض قصائده[83][بحر الطويل]

فَإِنْ أَكُ فِي أَخْـذِ الْعَـطِيَّةِ مُـرْبِحًا فَإِنَّـكَ فِي بَـذْلِ الْعطِيَّةِ أَرْبَـحُ

لِأَنَّ لَكَ الْعُقْبَى مِنَ الْأَجْرِ خَالِصًا وَشُكْرِيَ فِي الدُّنْيَا فَحَظُّكَ أَرْجَحُ

3- شعره أقرب إلى الحقيقة، الخيال فيه ضئيل، فنراه يصور الواقع خاليا من التهويل، مباشرا لحقائق موضوعه، يقول في إحدى قصائده[84]:[بحر الطويل]

نَزَلْتُ بِحَمْدِ اللهِ فِي خَيـــرِ أُسْـــرَةٍ نُسَرُّ بِمَا فِيهِمْ مِـــنَ الْأُنْسِ وَالْخَفَرِ

نَزَلْنَا بِقَـــوْمٍ يَجْمَـــعُ اللهُ شَمْلَهُمُ وَلَيْسَ لَهُمْ عُودٌ سِوَى الْمَجْدِ يَعْتَصر

4- وضوح أفكاره فهي لا تحتاج إلى إعمال فكر، بل تأتي متسلسلة عندما يقص حدثا، أو يرثي ميتا، يقول في رثاء أبي بلال مرداس بن أدية [85][بحر البسيط]

يَا عَيـنُ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ وَمَصْرَعِهِ يَا رَبَّ مِــرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمِرْدَاسِ
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

5- وحدة الموضوع وسلامة الألفاظ من التعقيد، يقول في ذم الدنيا:[86] [بحر الطويل]

أَرَى أَشْقِيَاءَ النَّاسِ لاَيَسْــأَمُونَهَا مَلاَلاً وَهُمْ فِيهَا عــُــرَاةً وَجُـــوَّعُ
أَرَاهَا وَإِنْ كَـانَتْ تُحَـبُّ كَأَنَّـــ ـهَا سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ

6-بروز تمسكه بمنهج حزبه، والدعاية له، والدفاع عنه بوضوح، مع إبراز الأثر الديني في عموم شعره يقول:[87] [بحر البسيط]

فَاعْذُرْ أَخَاكَ ابْنَ زِنْبَاعٍ فَإِنَّ لَـــهُ فِي النَّائِبَاتِ خُطُـوبًا ذَاتِ أَلْوَانِ
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لِطَاغِيَـــةٍ كُنْتَ الْمُقَدَّمَ فِي سِرِّي وَإِعْلاَنِي

7-خلو شعره من مدح التكسب، فحافظ على المدح العام الذي يأتي في سياق مدح فكرة عامة، أو تحريض، بل إنه أنكر على الفرزدق المدح من أجل العطاء فقال:[88] [بحر الخفيف]

أَيُّهَ الْمَــادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطَى إِنَّ للهِ مَـا بِأَيْـدِ الْعِبَـــادِ
فَاسْأَلِ اللهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ وَأَرْجُ فَضْلَ الْمُقَسِّمِ الْعَـوَّادِ
لاَ تَقُلْ لِلْجَوَادِ مَا لَيْسَفِيــهِ وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوادِ

وكان لا يعير الدنيا اهتمامه، وينبه على سرعة زوال نعمها رغم سعي الناس وراءها ومحبتهم لها يقول:[89][بحر الطويل]

أَرَى أَشْقِيَاءَ النَّاسِ لاَيَسْــأَمُونَهَا مَلاَلاً وَهُمْ فِيهَا عــُــرَاةً وَجُـــوَّعُ
أَرَاهَا وَإِنْ كَـانَتْ تُحَـبُّ كَأَنَّـــ ـهَا سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ
كَرَكْبٍ قَضَوْا حَاجَاتِهِمْ وَتَرَحَّلُــوا طَرِيقَهُم بَـــادِ الْعَـــلاَمَةِ مِهِيعُ

الخاتمة

خلصت من هذا البحث إلى أن أدب الخوارج من خلال أحد أدبائهم إلى أن شعرهم كان له دور بارز وواضح في نشر وتوضيح فكرهم ومبادئهم العامة دون الخوض في مبادئهم الرئيسة، وتلحظ أنهم يتحركون وفق منهج يختلف عن غيرهم من الفرق الأخرى حددته تلك المفاهيم التي اعتنقوها وآمنوا بها مما جعل أدبهم يتسم بالآتي:

1. شعرهم إسلامي، وليس قوميا، معبر عن فكرهم ورؤيتهم السياسية.
2. من أهم أغراض الشعر عندهم الحث على الجهاد، وقتال كل من خالفهم، والاستشهاد مطلب وشعار لعموم الخوارج.
3. معظم الشعراء هم قادة حرب وحملة سيوف، مما جعل شعرهم حماسيا؛ يصف معاركهم، ويمجّد بطولاتهم.
4. رثاء ومدح للموتى على ما نالوه من فوز لسرعة انتقالهم للجنة.
5. الثبات على مبادئهم فقل بينهم من يرجع عن جماعته.
6. قوة فكر الخوارج من حيث التأثير والإقناع، فقد استطاعوا التأثير بقوة بيانهم، وفصاحة قولهم على كثير من دعاة أهل السنة، رغم ضعف مذهبهم.
7. الغلو في عباداتهم وتشددهم والتضييق على أنفسهم.
8. شعرهم كان له دور مهم فيما عرف بالشعر السياسي بين الأحزاب المتنافسة في زمن حكم بني أمية.
9. خلو شعرهم في أغلبه من العصبية التي عادت في عصرهم بعد أن قلت في عصر الخلافة الراشدة كما خلا من المقدمات الطللية وما شابهها.
10. شعرهم يخاطب المشاعر والوجدان والعواطف والأماني لإلهاب المشاعر وتحميس الناس بالكلمات المؤثرة، وكان معظم الخوارج من الأعراب، كما تميز شعرهم بالتجديد من حيث السهولة واليسر وكانت واضحة فيه الأنا ونحن.
11. ضاع معظم شعرهم لعدم اهتمامهم به ولعدم روايته وتدوينه من قبل خصومهم فليس لهم إلا المقطعات والقليل من القصائد الطوال.

وختاما: يتبين أن الخوارج يخرجون وينشطون عند بروز الخلاف والفرقة في الأمة، كما جاء في الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [90]، فكلما اختلفت الأمة برز نشاطهم، وحاولوا أن تكون لهم الصدارة، ولعل زمن عصر القوة للدولة العباسية أدلّ شيء على ذلك.

ولعل ما نعيشه الآن في أماكن عديدة من البلاد العربية والإسلامية يؤكد ذلك، فآمل وأرجو أن يتيسر للباحثين دراسة هذه الفرقة عبر مراحل التاريخ، منذ ظهورها إلى يومنا هذا، من حيث: عوامل ضعفها وقوتها، ومكامن تأثيرها وأثرها على الإسلام والمسلمين، ودراسة أدبياتهم شعرا ونثرا، وآليات تنفيذ أفكارهم المتطرفة،.

ولا بد أن نعلم أنه كم خدم الإسلام منصف غير مسلم، وكم شوهه متدين متعصب.

الهوامش:

(1) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، 1979، ج: 2، ص: 175.

(2) مجد الدين الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث بمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة، 2005، مادة (خ. ر. ج) ج :1 ص: 186.

(3) الشهرستاني محمد بن عبدالكريم أبو الفتح، الملل والنحل، قدم له وعلق عليه: صلاح الدين الهواري، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى 1998م، ج 3، ص 29.

(4) أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، دار نهضة مص، الطبعة الخامسة، ص85.

(5)محمد بن يزيد المبرد أبو العباس، الكامل عارض بأصوله وعلق عليه : محمد أبو الفضل إبراهيم –السيد شحاتة، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، ج 3، ص: 210.

(6) الزخرف: 8.

(7) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة 1977م، ص 244.

(8) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص: 254.

(9) محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق : مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى ،1404هـ–1983م، ج1ص.186.

(10) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص 258.

(11) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص: 273– 274، والمبرد، مرجع سابق: ج 3، ص: 282– 285.

(12) الشهرستاني، مرجع سابق، ج 1 ص: 114.

(13) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة ،بيروت–لبنان 2004م،كتاب الزكاة ،تسلسل الحديث 2345–1064 .

(14) الشهرستاني، مرجع سابق، ج 1، ص: 32

(15) ونسبها في ديوان الخوارج لزيد بن جندب، نايف معروف، ديوان الخوارج، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، 1403هـ–1983م،ص: 66.

(16) المبرد، مرجع سابق، ج3،ص: 394.

(17) الحوفي، مرجع سابق، ص 103.

(18) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 87

(19) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 88

(20) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 76، وعثمان الجاحظ أبو عمرو، البيان والتبين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة ،1395هـ–1975م، م1،ج1، ص: 343

[21] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 100

[22] المبرد، مرجع سابق، ص: 240

[23] نايف معروف، مرجع سابق، ص110

[24] علي بن الحسين بن علي المسعودي أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجواهر، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية القاهرة، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة،1385هـ-1965م.ج3، ص: 147.

[25] علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ،بيروت لبنان، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار إحياء التراث العربي، ج18، ص: 116، ونايف معروف، مرجع سابق، ص: 114.

[26] محمد عثمان علي، في أدب الإسلام، كلية الدعوة، الطبعة الثالثة 1414هـ-1994م.ص: 399.

[27] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 189

[28] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 85.

[29] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 28.

[30] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 209.

[31] نايف معروف، مرجع سابق، ص 70،71، المسعودي، مرجع سابق، ج 3، ص 144.

[32] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 81.

[33] نايف معروف، مرجع سابق ص: 63، المبرد، مرجع سابق، ج 3، ص262.

[34] وحرقوص هو: ذو الثدية، ويقول نايف معروف -نقلا عن ابن قتيبة في الإمامة-حرقوص: هو ابن زهير السعدي تتولاه الخوارج وتجعله من السلف الصالح عندها.

[35] المبرد، مرجع سابق،.ج3، ص 232.

[36] عبد الحميد الشلقاني، مصادر اللغة، الشركة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس-ليبيا، الطبعة الأولى 1977م.ص، 296.

[37] الأصفهاني، مرجع سابق، ج 18، ص: 109.

[38] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل، الإصابة في تمييز الصحابة، دار صادر بيروت عن مطبعة السعادة، ط أولى ،1328هج 3، ص: 179.

[39] ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ج 3، ص: 178،179 (6875)، والأصفهاني، مرجع سابق،.ج18،ص109

[40] الشهرستاني، مرجع سابق، ج1 ص: 153.

[41] المبرد، مرجع سابق،ج3،ص: 237، ونسب هذا البيت في ديوان الخوارج إلى قيس بن الأصم الضبي، نايف معروف، مرجع سابق، ص: 177.

[42] إسماعيل بن كثير أبو الفداء، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان،ج9، ص: 56.

[43] ابن حجر العسقلان،ج3 ص: 179.

[44] صحيح البخاري، كتاب: اللباس، باب: باب لبس الحرير وافتراشه للرجال، وقدر ما يجوز منه، رقم: 5835، 7، 150.

[45]صحيح البخاري: كتاب: اللباس، باب: نقض الصور، رقم: 5952، 7، 167.

[46] سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب الصَّليب في الثوب، رقم: 4151، 6، 230.

[47] الشهرستاني، مرجع سابق، ج1، ص: 136.

[48] الجاحظ، مرجع، سابق، م1 ج2،ص: 6.

[49] الجاحظ، مرجع سابق، م1 ج1، ص: 346.

[50]المبرد، مرجع سابق، ج3،ص: 262.

[51]الأصفهاني، مرجع سابق،ج18،ص: 110،111.

[52] الأصفهاني، مرجع سابق، ج18 ص: 110.

[53] عزيزة فوال بابتي، معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر لبنان، الطبعة الأولى 1998م.ص: 308، وشوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة، ص 307.

[54] الأصفهاني، مرجع سابق، ج18،ص: 111،112، ونايف معروف، مرجع سابق، ص131،132.

[55] المسعودي، مرجع سابق،ج2 ص: 427.

[56] المسعودي، مرجع سابق،ج2 ص: 428.

[57] المبرد، ج3،ص: 169.

[58] إبراهيم علي الحصري القيرواني أبو إسحاق، زهر الآداب وتمر الألباب، شرح وضبط زكي مبارك، دار الجيل بيروت،ص924،925 و نايف معروف، مرجع سابق، ص: 108.

[59] الأصفهاني، مرجع سابق،ج18،ص: 112.

[60] الأصفهاني، مرجع سابق، ج18،ص: 113، ونايف معروف مرجع سابق، ص 120.

[61] ابن كثير، مرجع سابق، ج 9، ص: 56.

[62] الأصفهاني، مرجع سابق، ص: 114، ونايف معروف، مرجع سابق، ص: 110.

[63] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 132.

[64] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 125.

[65] نايف معروف، مرجع سابق، ص: 112.

(66) نايف معروف، مرجع سابق، ص129،128.

(67) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 131

(68) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، دار الكتاب العلمية بيروت 1980.

(69) الأصفهاني،ج18 ص: 116.

(70) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 109.

(71) الأصفهاني، مرجع سابق، ج18،ص: 119.

(72) الأصفهاني، مرجع سابق،ج18،ص: 117.

(73) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 106.

(74) الأصفهاني، مرجع سابق، ج18،ص120 ونايف معروف، مرجع سابق، ص: 128،127.

(75) ابن كثير، مرجع سابق، ج9،ص: 56، ونايف معروف، مرجع سابق، ص: 119.

(76) أبو إسحاق القيرواني، مرجع سابق، ج 3،4،ص: 925.

(77) المبرد، مرجع سابق،ج3،ص: 237.

(78) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 177.

(79) الجاحظ، مرجع سابق، ج1،ص: 365.

(80) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 187.

(81) الأصفهاني، مرجع سابق، ص: 119،118،117، ونايف معروف، مرجع سابق، ص: 188.

(82) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 108.

(83) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 109.

(84) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 110.

(85) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 116.

(86) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 119.

(87) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 135.

(88) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 109.

(89) نايف معروف، مرجع سابق، ص: 119.

(90) مضى هذا الحديث ص: 7 من هذا البحث.

مستويات اللغة الروائية

أ. نجوى عمر السوسي*

ماهية الرواية العربية ومهادها:

اللغة والمصطلح:

جاء في لسان العرب: "روى الحديث والشعر يرويه رواية وتروّاه، وفي حديث عائشة – رضي الله عنها– أنها قالت: تروّوْا شعر حُجَيَّة بن المُضرِّب فإنه يعين على البِرِّ"، وقد رواني إياه، ورجلٌ راوٍ، وقال الفرزدق:

أما كان في مَعدَانَ والقيلِ شاغلٌ لِعَنبَسَةَ الرَّاوِي عَليَّ القصائِدَا؟

وراويةٌ إذا كثرت روايته، والهاء للمبالغة في صفته بالرِّواية.

قال الجوهري: روَيْتُ الحديث والشعر روايةً فأنا راوٍ، ... من قومٍ رواةٍ..."[1].

وذكر صاحب القاموس: روى الحديث يروي روايةً.. وهو راوية للمبالغة..، ورَوّيتُه الشِّعر حملته على روايته.."[2].

وفي المنجد: " روى روايةً الحديثَ: نقله وذكره..، وأروَى فلانًا الشِّعرَ. بمعنى رَوَّاه..، والراوية: الذي يروي الحديث أو الشعر، والتاء للمبالغة"[3].

وقال أحمد عمر: "روَى الحديثَ: نقَله وحمَله وذكَره، فلان يجيد رواية الشِّعر، روى الرّواية: قصَّها، هم رُواة الأحاديث، بالرواية تنمو الحكاية، يُرْوَى أنَّ: يُحكَى أنّ[4].

وفي الرائد: "رَوِيَ: رِيًّا ورَيًّا وروي، من الماء ونحوه شرب وشبع، والرَّوِيُّ من السحاب: العظيم القطر، الشديد الوقع... والروية: النظر والتأمل في الأمور.."[5].

وفي صحيح مسلم باب بعنوان: "النهي عن الرِّاوية عن الضعفاء"[6].

ويمكن أن تكون الرواية من: الرَّوِيَّة أي التمهل والتأمل، أو من الرَّويّ من السحاب، أي العظيم القدر الشديد الوقع.

ففي الرواية أحداث أعظم من أحداث القصة وأشد حبكة... فإذا قاربنا لغة بين المعنيين نقول: كأن كاتب الرواية، يتمهل ويتأنّى، فلا يُنهي قصته مباشرةً، بل يضيف إليها بعد تأمل، أحداثًا يبالغ فيها، فتجعلها أعظم وأشد من القصة، يروي بها الظمأ في هذا الجانب.

* كلية التربية– جامعة مصراتة.

أما في اصطلاح النقاد فقد اتخذت الرواية معانٍ عديدة، منها تعريف (عبد الملك مرتاض) الذي يرى أنها تتخذ لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل.. يقول: "الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تستميز عنها بخصائصها الحميمة، وأشكالها الصميمة، أما بالقياس إلى اشتراكها مع الحكاية والأسطورة؛ فلأن الرواية تغترف بشيء من النهم.. من هذين الجنسين الأدبيين.. وأما اشتراكها مع الشعر؛ فلأن الرواية.. شديدة الحرص على عهدنا، أن تكون لغة كتابتها مثقلة بالصور الشعرية الشفافة.. فلغة الشعر تجسد الجمال الفني الرفيع، والخيال الراقي البديع.

أما ميلها إلى المسرحية.. لأن الرواية في أي طور من أطوارها لا تستطيع أن تفلت من أهم ما تستميز به المسرحية، وهو الشخصية، والزمان، والحيّز، واللغة، والحدث، فلا مسرحية ولا رواية إلا بشيءٍ من ذلك.."[7].

وقريبًا من رأي (مرتاض) ما يذكره (روجر آلن) على لسان (إي إم فورستر): "الرواية كتلة هائلة عديم الشكل إلى حدٍّ بعيد.. إنها.. تلك المنطقة الأكثر رطوبة ونداوةً في الأدب حيث ترويها آلاف الجداول، وتنحط أحيانًا لتصبح مستنقعًا أسنًا"[8].

ويرى النساج أنها: "شكل أدبي متميز، له ملامحه الخاصة، وقسماته الواضحة، هذا الشكل يتخذه بعض الأدباء وسيلة للتعبير عما يريدون التعبير عنه، أو هيكلًا لتصوير ما يرغبون في تصويره.."[9].

ليس غريبًا أن تتعدد التعريفات أو الآراء حول وضع مفهوم محدد، أو جامع للرواية، فهي الشكل الأدبي القديم الدائم التجدد والتطور المرتبط بكاتبه والخاص به.

وعلى هذا يمكن أن نقول إن الرواية هي: المرآة العاكسة من جهتين أحدهما مصغرة، والأخرى مكبرة، فالمصغرة هي صورة المبدع من الداخل، والمكبرة هي صورة المتلقّي من الخارج في المجتمع.

هذا ولا يختلف ناقد أو أديب على أنها: (شكل أدبي يحتوي على عناصر تتمثل في الشخصيات، والأحداث، والحركة، والأسلوب أو الحوار).

نشأتها:

ارتبطت الرواية في تراثنا بنقل الحديث الشريف، وبرواية الشعر، فناقل الحديث أو الشعر، نسميه (راوية)، أي: يروي الحديث أو الشعر عن شخص ما، ثم صارت الرواية مرادفة للحكاية أو

القصة في استعمالاتها المتأخرة، وصار الراوي هو القاصّ الذي يقدم أخبارًا وردت في السير الشعبية أو الحكايات المتداولة، مثل: سيرة عنترة، والزير سالم، وبني هلال...إلخ.

اختلفت الآراء حول نشأة الرواية العربية، ولما كانت الرواية فنًّا أدبيًّا إذا ما قسناها بفنون الأدب الأخرى، فقد حاول بعض النقاد الربط بينها وبين القصة، والبعض الآخر يرى أن الرواية نوع أدبي متميز عما سبقه، وهم يرون أن محاولة العثور على أصول قديمة لها إهدار للوقت.

وعلى هذا الأساس فإن الفريق الذي يرى أن لا أصول قديمة للرواية العربية، يزعم أنها جاءت نتيجة تأثر الأدباء العرب بالروائيين الغربيين وتقليدهم لهم، ولم يكتفوا بذلك، بل أنكروا وجود تراث قصصي في الأدب العربي[10].

ولا نعلم كيف يمكن لهم أن ينكروا وجود هذا التراث العريق الطويل الممتد من قصص العرب وأيامهم وحروبهم في العصر الجاهلي إلى القصص القرآني، ثم القصص والمقامات في العصر العباسي إلى القصص الشعبي والتاريخي والتعليمي فيما تلا ذلك إلى العصر الحديث.

إن القصص بشكل عام ظاهرة إنسانية تضرب جذورها في التاريخ، نجدها حيثما نجد شعبًا يمارس الحياة، وأذكر أنني قرأت–سابقًا– قولًا جاء في معناه: إننا لا نستطيع أن نميّز أمة من الأمم، أو حضارة من الحضارات بوجود أنواع القصص فيها؛ لأن العوامل البشرية تتفق حينًا وتختلف حينًا آخر، لكنها تنتج نوعًا من القصص تجمع بينه جامعة النفس البشرية، وتفرّق بينه العوامل الإقليمية.

لذلك يمكننا القول: إن الرواية ظهرت في البلاد العربية، كما ظهرت في البلاد الغربية، عندما توفرت لها العوامل اللازمة.

تقول (أنجيل سمعان) عن تأثر الرواية العربية بالأوروبية من الناحية الشكلية: "أمر لا يضيرها، فالتراث الأدبي العالمي كل متصل يضيف إليه كل عمل عظيم أينما كان وطنه الأصلي"[11].

إن الرواية العربية امتداد للقصة، خاصة وأن هذا اللفظ وُجد في أدبنا العربي، ومستعملًا في الاتجاه نفسه، ربما لم يصل بها الأديب العربي إلى ما هي عليه الآن؛ لكننا نجانب الصواب إذا قلنا إن العرب لم تعرف فن الرواية إلا بعد أن جاءها من أوروبا.

تطورها:

إن الإبداع العربي كما عرفنا كان منذ القرن السادس فترة عصر ما قبل الإسلام، واستمر حتى القرن الثالث عشر، وقد كان الإبداع بدايةً في الشعر والنثر المسجوع، ثم اتسع تدريجيًّا حتى شمل مجالات الفكر الإنساني كلها.

بدأت الدولة العربية الإسلامية في التقلص بعد سقوط بغداد، وظهور الدويلات متتابعة إلى أن جاء العثمانيون إلى الحكم واستمرت سيطرتهم أكثر من أربعة قرون ركد فيها الأدب.

وقد أخذت بوادر الأدب الحديث في الظهور مع بداية عصر النهضة الحديثة، وحركات التحرر الوطني والثورة على الواقع المظلم، والدعوة إلى الاستقلال، وتحقيق حياة أفضل لأبناء الشعب العربي، بعد أن استعمرت أوروبا البلاد العربية.

جاءت الرواية مرتبطة بحركة البعث والإحياء في فترة كثرت فيها عوامل التغير والتطور، واختلط فيها القديم بالجديد، الذي كثر وانتشر وإن كان فيه تأثير القديم أكثر، فقد ظهر عدد من الرواد ظهر في كتاباتهم تأثرهم بفن المقامة، من هؤلاء: ناصيف اليازجي الذي كتب ستين مقامة نشرها في (مجمع البحرين) سنة 1856م، وأحمد فارس الشدياق الذي نشر أربع مقامات في كتابه (الساق على الساق) سنة 1855م.

لكنّ المويلحي استطاع أن يرقى بفن المقامة في عمله الذي أسماه (حديث عيسى بن هشام) وقد استطاع أن يمدّ فيه جسرًا بين النثر العربي القديم وبين الرواية الجديدة في 1898م.

إلا أن سليم البستاني قد سبق المويلحي في هذا، فقد نشر أول محاولة للرواية في 1870 في مجلة (الجنان) التي بدأها مع أول عدد من أعداد المجلة التي صدرت في بيروت في كانون الثاني سنة 1870م، واستمرت حتى العدد الثالث والعشرين من المجلة، التي كانت تصدر كل أسبوعين، وجعل عنوان هذه الفصول المتوالية (الهيام في جنان الشام) ليكون عملًا روائيًّا كاملًا[12].

ولا ندري إذا كان هذا من باب المصادفة أو هو ما ساعد كلا الكاتبين على كتابة الرواية، فالمويلحي نشر عمله في فصول مطوّلة في صحيفة (مصباح الشرق) التي كان يملكها والده، والبستاني نشر عمله في فصول مطوّلة في مجلة كان يملكها والده كذلك.

ورغم أن المويلحي كان أسلوبه مثقلًا بالسجع والمحسنات اللفظية والتكرار، إلا أنه اهتم بالواقع ومصير الأمة، وتصوير الأنماط البشرية والنزول بالأدب من القصور والأبراج إلى الشارع ومركز الشرطة والمطعم و... أي إضفاء الواقعية على صورة الحياة التي يتناولها.

وتوالت كتابة الرواية بعد هذه البدايات، فكانت مثلًا رواية سعيد البستاني (ذاك الخذر) سنة 1884م، ورواية جورجي زيدان (المملوك الشارد) سنة 1891م، ورواية نقولا حداد (كله نصيب) 1903م، ورواية عبد الحميد خضر البوقرصاصي (القصاص حياة) 1905م، ورواية محمود طاهر حقي (عذراء دنشواي) 1906م، ورواية محمد حسين هيكل (زينب) 1914م[13].

ومما ساعد على انتشار الرواية وتطورها عوامل عديدة أهمها:

- ظروف العصر الذي نشأت فيه، كذلك وجود جمهور من القرّاء يحب القراءة ويُقبل عليها.
- وجود أسلوب نثري سهل وميسّر، بعيد عن ثقل السجع والتكلف والإغراق في المحسنات اللفظية.
- وربما كان من أهم الأسباب، الفلسفة الواقعية، أي الاهتمام بالواقع وبالحياة العادية من خلال الاهتمام بالتجربة الفردية لأشخاص عاديين توجد في تجاربهم الإثارة والتشويق.

صنعت الحرب العالمية الأولى مناخًا جديدًا وذوقًا جديدًا، وتطلبت معمارًا فنيًّا جديدًا يعبّر عن التحولات الاجتماعية الجديدة.

عمل رواد النهضة الحديثة من الأدباء والمفكرين، الذين كانوا يقدرون القصة ويعرفون مكانتها من أمثال أحمد ضيف، ومحمد حسين هيكل، وطه حسين، ومنصور عبد الرازق، ومحمود تيمور، وغيرهم عملوا على بث روح جديدة بين أدباء النشأة الحديثة، ونشروا القصص، وأمدوا المسرح بألوان من التمثيليات.

اتخذ هؤلاء مجلة (السفور) ملتقى يعلنون فيه ما يعتلج في صدورهم من خواطر وآراء، والتفّ حولهم العديد من القرّاء، وازدهر الوعي الأدبي، وسطعت الفكرة، وتجلى طه حسين وتوفيق الحكيم والمازني والعقاد وشوقي وحافظ، يدعمون الفن القصصي حتى صارت كلمة (قصة) عنوانًا جذّابًا للكتب، وإن لم يكن لها صلة بالفن القصصي، مثل: (قصة الفلسفة الحديثة)، و(قصة الميكروب كيف اكتشفه رجاله)[14].

وضع هؤلاء لأنفسهم خطة عمل في الصحافة، فانتشرت الصحف وكثرت الطباعة، مما دفع بأحمد حسن الزيات إلى إصدار مجلة (الرسالة) سنة 1933م؛ لتكون منبرًا للدعوات الأدبية النشطة، وفاضت الروايات والقصص عن المجلة، فأصدر لها مجلة (الرواية) سنة 1937م، وكانت معظم أعمال هؤلاء وأكبرها قد نشرت بدايةً في الصحف.

فكان طه حسين في: الأيام، ودعاء الكروان، وفي القصر المسحور، و..، وكان توفيق الحكيم في: يوميات نائب من الأرياف، وفي عصفور من الشرق، وفي عودة الروح.

وكان محمود تيمور في: نداء المجهول، وفي سلوى في مهب الريح، وفي الأطلال.

بهذا يبدأ عهد جديد يرتقي فيه التعبير عن المشكلات الاجتماعية، وعن الأثر البعيد للملابسات الاقتصادية والعمرانية...

جاء نجيب محفوظ متوّجًا لهذا العهد، يقول: "كان دور جيلنا من الروائيين تأسيس الفن الروائي وتأصيله.. سبقنا جيل الرواد وقدم كل رائد عملًا أو عملين، درسناها بفطرة لا تستند إلى علم.. لكننا قمنا بواجبنا على قدر ما نستطيع.."[15].

مستويات اللغة الروائية:

من الأمور التي تعودناها في مختلف فنون الأدب أن نسمع مصطلحي: التقليد والتجديد، ولا يعد مصطلح التقليد تهمةً أو عيبًا كما يظن البعض، أو يتعمد أن يعطيه هذا المعنى.

إن وصف الرواية بالتقليدية جاء بطبيعة حال الرواية، عند أول ظهورها ووظيفتها التي أدتها في التعليم، في الوعظ، وفي التهذيب والإصلاح.

التقليدية: هي التي وضعت اللبنة الأولى لفن الرواية، ولا نستطيع أن نهمل الدور الذي أدته في المراحل الأولى لنشأة الرواية، وإن كانت (الرواية) بسيطة أو ضعيفة، أو لم تصل إلى مرحلة النضج، كما هو اليوم، فكل شيء في هذه الحياة يبدأ بسيطًا، لكنه يصل تدريجيًّا إلى مرحلة النضج والقوة، وليس الكمال؛ لأنه دائمًا هناك الجديد والمتجدد.

ومن إسهامات الرواية التقليدية في جانب (اللغة) –موضوع الدراسة– أنها:

1. طوعت اللغة وخلصتها من قيود السجع والبديع، وأكسبتها لغةً نثرية عادية قادرة على الوصف والتحليل.
2. أسست قاعدة من القُرّاء، وكوّنت جمهورًا يدرك أن الروايات تلبي له حاجات ضرورية.

لغة الرواية بين التقليد والتجديد:

لا نستطيع أن نقول إن هناك تجديدًا أو تطورًا في لغة الرواية، دون أن تكون هناك قاعدة لهذا التجديد، انطلق منها واعتمد عليها، هذه القاعدة هي ما نسميه بالتقليد، أو الرواية التقليدية، التي بنى عليها الجديد بناءه الذي تطاول فيه حتى بان واضحًا للعيان.

إن لغة الرواية التقليدية هي لغة يمكن وصفها بالتقريرية؛ لأن هذه الرواية تعتمد الواقعية، وتهتم بتوثيق وتسجيل الوقائع والأحداث، فتأتي لغتها مرصعة بالبلاغة الشكلية مزينة بأبيات من الشعر مثلًا.

والجدير بالذكر أن الروائيين الرواد بذلوا جهودًا مضنيةً من أجل تطويع اللغة العربية، وصنع لغة روائية.

من طبيعة الرواية–كما هو الشأن في باقي فنون الأدب– أن تتطور وتزدهر في ظل الحياة الاجتماعية والتاريخية التي تهيئ لها أسبابًا تيسر لها سبل التطور والازدهار، فإذا خبت هذه الحياة خبت الرواية، وإذا تغيرت، تغيرت الرواية كذلك.

إن الرواية الجديدة تعدّ مدرسة أدبية، إذ يوجد فيها التباين كما يوجد فيها الانسجام بين آراء وأفكار الكتاب أو النقاد المنتمين إليها، بالإضافة إلى أنها تتوفر فيها جميع المعطيات والإجراءات والفلسفات، وما أَلِف الناس قراءته وما أنكروه، وإذا كان هناك مدرسة للجديدة، فبطبيعة الحال ستكون الرواية السابقة للجديدة تقليدية، ورأى أصحاب الرواية أنها تتطور وتتجدد مع روح العصر الذي توجد فيه، فأنشئوا لها مدرسة جديدة، فكيف ينكر البعض أن تكون هناك مدرسة للرواية الجديدة؟

ولسنا نقصد المفاضلة بين المدرستين الجديدة والتقليدية، فكما يوجد الجديد الجيد، يوجد التقليدي الجيد، وكما يوجد الرديء هنا، يوجد الرديء هناك[16].

إن التجديد الأدبي بحث دائم عن أدوات ترفع الأديب وتزيد من قدراته على التعبير عن علاقة الإنسان بواقعه المتغير المتجدد.

والرواية العربية الجديدة، تحمل حقيقة لا جدال فيها، التعارض والتجديد، وربما يمكن أن نرجع هذا إلى تزايد الخبرات الفنية والأدبية، وتطور الوعي الجمالي، المحاكاة والتواصل المستمر مع روائيين غربيين –يأتي الحديث عنها فيما بعد–، كذلك انتشار التعليم وزيادة القارئين، وانتشار المطابع ودور النشر.

هذه الأسباب وغيرها أدت إلى ضرورة التغيير والتجديد؛ لتجاوز الرواية التقليدية، إلى الرواية الجديدة.

مازالت الرواية الجديدة مع تعدد محتواها، وتجدد عناصرها تحتفظ بعنصر مهم، بل الأهم من بين جميع العناصر، عنصر (اللغة)، فالنص بناء تشيده اللغة، إنها المادة المشكّلة لموضوع أو

فكرة الرواية، وبدونها (اللغة)، لا يكون هناك مخاطب، ولا متكلم، ولا مناجاة ولا حوار، ولا استقدام ولا استئخار.

ومهما تكن التطورات التي تدخل على اللغة، فإنها تبقى المادة المشكّلة للرواية، ولا تكون بدونها.

ولا نقصد هنا اللغة السيمائية التي تحل محل اللغة اللفظية، ولا نتحدث عن اللغة بمعنى اللسان أو بالمفهوم المعجمي أو النحوي أو الصرفي، إنما اللغة التي نقصدها هي لغة الذوق والأسلوب والاختيار الشخصي، وكيف تكون إبداعية؟! ربما نجد في هذا المثال الذي ضربه (عبد الملك مرتاض) عن اللسان واللغة إجابة، إنه يشبه اللسان بالنبع الذي يستقي منه جميع المتعاملين باللغة في مجتمع واحد أو أمة واحدة، أو يشبهه بالعين المشتركة بين مجموعة من الناس تجمعهم الجغرافيا والجوار والأحوال والعواطف. بينما كانت اللغة هي ذلك الماء الخاص، فمنهم من يتخذه مشروبًا مثلجًا، ومنهم من يتخذه مشروبًا معطرًا منكّهًا، ومنهم من يتخذه مشروبًا للدواب، وآخر يتخذه سائلًا لسقي النباتات(17).

هناك ملايين الألفاظ التي تعج بها المعاجم وهي ملك للجميع، لكننا نقرأ لفظًا ما في بيت من الشعر، في قصة أو رواية جديدة النسج عالية الأسلوب، فيخيل لنا أننا نقرأ هذا اللفظ لأول مرة، وكأن الأديب هو من اخترع اللفظ، ولم يستعمله غيره، مع أننا سمعنا هذا اللفظ من قبل أو قرأناه، ربما في نصوص مختلفة، ولم يحرك فينا شيئًا.

وربما قرأناه أو سمعناه؛ لكنه كان من الإسفاف إلى حد يجعلنا نتساءل: ما البيئة التي عاش فيها الأديب صاحب اللفظ؟ وعلى هذا، فهل كل كاتب لرواية نطلق عليه روائيًّا وندخله هذا المجال؟ وهل كل من جدد بخصوصية دخل مدرسة الرواية الجديدة؟

ما التجديد الذي نطلبه؟

ذاعت الرواية وانتشرت، وكان السبب أنها فكّت قيود اللغة– كما سبقت الإشارة– التي كبّلت الكتابة والتفكير فترة طويلة من الزمن، فلاقت جمهورًا عريضًا قارئًا.

إن اللغة البسيطة، المفهومة، المقبولة، هي عماد الكتابة، وهي التي تقربها من الجماهير المتلقّية، وتحببها إليهم، فكاتب الرواية لا يؤلف روايته لتقرأها تلك القلة المتخصصة في اللغة، أو الفئة المثقفة القادرة على تتبعه في مساربه، إنما يكتب للناس عامة، لذلك يجب أن يكتب بلغة الناس حتى

يفهمه الناس، ولا يعني ذلك أنه ينزل إلى الإسفاف، إنما يرتفع إلى الحد الذي لا يعلو فيه على الناس، حتى يستطيع هؤلاء رؤيته بوضوح، وفهم ما يريده مباشرةً.

ولا نعني ببساطة اللغة وقربها، التفكك في الأسلوب، وعدم السلامة، ودخول العامية والأجنبية، فالعربية متجددة، وهي في تزايد وتوالد في كل يوم، في كل يوم تولد أعداد كبيرة من الألفاظ الجديدة، ودون أن نحس بها، وكما تولد أعداد تموت في المقابل أعدادًا أخرى، ولكن أحيانًا لا تكون الميتة طبيعية، إنما قتلًا..!

عندما يهجرها أدباؤها ونقادها يكون قتلًا، عندما يستعملون العامية يكون قتلًا، عندما يحلون الأجنبية محلها يكون قتلًا.

إن اللغة تولد وتتزايد في عقل الأديب وعلى يديه، عندما يعطي اللفظ معاني جديدة، وإيحاءات ودلالات أخرى، فيكون اللفظ وكأنه فعلًا قد وُلد حديثًا، وكأننا لم نره من قبل ولم نجده في معاجم العربية سابقًا، فينتج نصًّا عظيم الشأن، رفيع القدر، عالي القيمة، وهذه الصفات يجب أن تكون هي صفات اللغة العربية في عقول أبنائها وقلوبهم عظيمة الشأن، كريمة المكانة، فهي صانعة تاريخهم وحضارتهم إن اعتلَتْ عَلَوْا، وإن انحطّت انحطّوا.

يرى مرتاض أنه يجب: أن نعير أهمية بالغة للغة، خاصة في الإبداع؛ لأنها أساس مادة الإبداع وجماله، ومرآة خياله، فلا خيال إلا باللغة، ولا جمال إلا باللغة، ولا صلاة إلا باللغة، ولا حب إلا باللغة، ولا حضارة إلا باللغة.. وهل يمكن بعد هذا أن نكتب أدبًا، أو نقرأه خارج اللغة[18]، وما اللغة التي يجب أن يكتب بها الروائي؟

أيكتبها باللغة الفصحى التي كان يكتب بها الهمداني؟ أم يكتبها بالعامية؟ أم يكتبها بلغة مزيج بين هذه وتلك؟ ثم هل تكون لغة السرد هي لغة الحوار، أم لكل منهما لغة خاصة به؟

عرفنا أن اللغة يجب أن تكون بسيطة معقولة، وهذا أمر مفهوم وواضح، لكن ما لا يبدو مفهومًا، هو الطريقة التي يصوغ بها بعض الروائيين أعمالهم، انطلاقًا من النظريات النقدية التي تنظر للرواية في القرن الماضي، والتي كانت تقوم إجراءاتها على أن كاتب الرواية يجب أن يكتب بمستويين من اللغة: مستوى السرد، وتكون لغته فصيحة سليمة، ومستوى الحوار وتكون لغته عامية متدنية[19].

وكثيرة ما هي، فالروائي (خليفة حسين مصطفى) مثلًا، انتهج النهج نفسه في روايته (من حكايات الجنون العادي):

"وقت الظهر عاد أبي من السوق مغبرًّا... تخف أمي لمساعدته..
فيقول أبي: خلِّي عليك
لم تتركه حتى يرتاح قليلًا ويلتقط أنفاسه.
فقد اقتربت منه قائلة:
عمر في حاجة إلى ثيابٍ جديدة.
لواه.. عيد وإلا عرس عبيد؟"[20].

ونجد أنفسنا نتساءل: عند نشر هذه الروايات–ذات الحوار العامي – هل يفهمها أبناء العربية جميعهم؟ أم القراء عامة؟ يجيب (مرتاض): "ربما تكون تلك الآراء النقدية المغلوطة هي التي كانت توجه الروائيين العرب على ذلك العهد– وربما إلى هذا العهد– أمثال إحسان عبد القدوس ويوسف السباعي، فقد كانوا يكتبون بالعربية الفصحى البسيطة.. سرودهم، حتى إذا فسحوا المجال للشخصيات تتحاور أرسلوا لها في الطِّوَل، ومدوا لها في العنان، وبالغوا حتى ربما كانت اللغة التي تصطنعها شخصياتهم سوقية ساقطة.. ولما لم نكن نفهم العامية المصرية على ذلك العهد في المغرب العربي.. نقرأ الرواية في نصها السردي الذي يسرده المؤلف، حتى إذا جاء الحوار تركناه؛ لعدم فهمنا إياه؛ ولاستبشاعنا لعاميته الساقطة التي لا ينبغي لها أن تكون لغة للأدب، ووثبنا إلى لغة السرد التالي.. فكنّا نقرأ الروايات سردَها، ونهمل حوارها"[21].

ومن هنا نتساءل أيضًا: هل يكتب الروائي لبيئته؟ هل يريد أن يحقق أكبر جمهور من القرّاء في الوطن العربي؟ أم أنه يجب أن يكتب بغير العربية؛ لأن الجمهور العربي لا يحقق له عالمية كالجمهور الغربي؟

إنهم يتعمدون الإساءة إلى أنفسهم وإلى كتاباتهم بإزعاج قرائهم العرب عندما يجعلونهم يتكبدون عناء قراءة العامية، ونظن أنهم يسعون إلى تمكين العامية على حساب الفصحى.

ويذكرنا الحديث عن اللغة الضعيفة أو الأسلوب الضعيف بقول (ألْبِرت كوك): "قد تكون هناك رواية جيدة بأسلوب ركيك"[22].

ولكنا نقول: إن إجادة الكاتب في لغته هو سر إبداعه؛ لأن اللغة هي المرآة العاكسة لبناء الرواية بأكمله.

وكما قال (ألبرت)، قال غيره من نقاد مستشرقين في إيطاليا وفرنسا، ونادوا بأن تحل العامية محل الفصحى، وروّجوا لذلك.

وعلى هذا يمكن القول بأن تصنيف الأفكار العربية أو العربية المسلمة إلى مجتمعات، بحيث يكون هذا كاتب ليبي وآخر مصري وثالث تونسي و... ما هو إلا تصنيف زرعه الاستعمار الغربي، "إن عزل حلقة واحدة من السلسلة الفكرية العربية، عمل صادر عن منهج تصنيفي يميز العقلية الغربية"[23].

كانت الرواية في أول نشأتها– كما ذكرنا سابقًا– قريبة من المقامة، فجاءت مثقلة بالسجع وألوان المبالغة والترصيع البديعي واللعب بالألفاظ، وحاول الرواد الأوائل، تخليصها من هذه القيود، فكتبوا بأسلوب بسيط مخفف مما كان يثقله، إلا أنه جاء من تساهل وخفف إلى حدّ الضعف، فخرج عن اللغة وقواعدها، إلى العامية وعيوبها.

على أن مثل هذه الظاهرة المزعجة–العامية– عُرفت في بعض الكتابات الأدبية غير العربية، لكن "بلزاك، وهيجو، وغيرهما كانوا ينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور، مما قد يلحق الأدب الفرنسي من مصائب العامية المحلية الفرنسية"[24]، في حين يرى بعض نقادنا العرب أن استعمال لغة أجنبية في بعض الروايات العربية، وعيًا جريئًا من قِبَل كُتَّابها.

يقولون: لقد آثر هؤلاء الروائيون أن يستعملوا الكلمات الأجنبية، وفي أحيان أخرى يلجأون إلى العامية، ويصوغون الحوارات بلغة الكلام اليومي ويضربون مثلًا برواية (ذات) لصنع الله إبراهيم، التي يوجد فيها ما لا يقل عن ربع كلمات النص مأخوذ من معجم أجنبي، ويعلل أحد النقاد بقوله: إن الكاتب حريص على تسمية الأشياء والآلات والأجهزة التي تسربت إلى حياة الطبقة المصرية المتوسطة؛ ولأن هذه الألفاظ صارت معروفة ومتداولة، فلغة الصحافة نفسها مرصعة بالكلمات الأجنبية، أليس هذا باعث للحنق والألم؟ إن هذا قمة الغزو، وهو غزو في عقر الديار، وهذه الذلة عينها، أن تتكلم مع عربي فنجده يكلمك بلغة أجنبية، وربما يكون جاهلًا بلغته، لماذا هل عجزت العربية؟ إنها لغة حية، فلماذا نحاول قتلها في بلادنا ونضفي صفة الحياة على غيرها، وغيرنا يحيي لغته في بلاده وفي بلادنا؟[25].

ولا نظن والحال هكذا أنه أخطأ من قال: إن هزيمة (67) كانت حدًّا فاصلًا في حياة الرواية العربية، فقد سقطت قيم وتفسّخت أفكار ومعتقدات في تلك الفترة، بل نرى أن هذا السقوط وهذا التفسخ، انعكس على لغة الرواية، فسارع من استهواهم هذا السقوط إلى تبنّي الازدواجية في الرواية (الفصحى والعامية أو الأجنبية)؛ لأنه سهل عليهم تركهم اللغة الفصحى، إما لأنهم لا يتقنونها أصلًا، أو لا يحبونها، ويعجبني تعبير لعبد الملك مرتاض: "نهضوا خفافًا غير ثقال إلى هذه الكتابة المرقعة

المبتذلة..، فإذا أنت تقرأ عامية محلية، بعضها فرنسي، وبعضها إنجليزي، وبعضها تركي، وبعضها هندي... وبعضها عربي مشوّه النطق والكتابة إن شئت، وإذا أنت تقرأ فصحى مجهودة مكدودة إن شئت، ولكنك في الحالين الاثنين لا تقرأ أدبًا"[26]. ومن ثم لا يدخل هذا العمل في إطار الفن الأدبي.

الخروج عن لغة المألوف الإسلامي لروائيين مسلمين:

إذا كان الخروج عن الفصحى أو مزاوجتها بالعامية أو الأجنبية خروج عن لغة الأدب والجمال ورفعة القدر وعظمة الشأن للرواية ولكاتبها، فماذا نسمي الخروج عن لغة الإسلام لغة الحياء والحشمة؟

إن من الكُتّاب من لم يجتنب ذكر الألفاظ البذيئة والأعمال المنافية للحشمة والأدب، وكأنه نسي أن الرواية يطالعها الفتيان والفتيات والشبان والشيوخ على اختلاف السن والمذهب[27].

وإذا كان النص الروائي بناء من القيم يشيد بواسطة اللغة، فلنتّقِ الله في هذا البناء الذي نشيده حتى لا ينهار بأهله.

والروائي عندما يبدأ الكتابة، يعرف أن المتلقّي قد يكون مثقّفًا واعيًا، وقد يكون متعلّمًا عاليًا، أو متعلّمًا عاديًّا، وقد لا يكون أحد هؤلاء، إنه يكتب للناس على مختلف مستوياتهم الفكرية والاجتماعية.

"إن الأدب معرفة الأحوال التي يكون الإنسان المتخلق بها محبوبًا عند أولي الألباب الذين هم أمناء الله على أهل أرضه من القول في موضعه المناسب له، فإن لكل قول موضعًا يخصه بحيث يكون وضع غيره فيه خروجًا عن الأدب"[28].

إن من البيان لسحرًا، وقد وصل إلى عمق هذا المعنى كل ذواقة للأدب، فإن الأديب يؤثر تأثيرًا مباشرًا في قرّائه، يقول د. سلمان العودة: "بعض الكُتّاب يكونون من القوة بحيث يطيحون بالقُرّاء، فيستسلم القارئ لهذه الروح الساحرة التي ملكت عليه روحه"[29].

إن الإسلام دين الإبداع والجمال والإجلال، فلم يمنع الرسول–صلى الله عليه وسلم– الأدباء عن أدبهم، بل شدّ على أيديهم وشجّعهم، وسار على نهجه الصحابة رضوان الله عليهم، وكان بعض هؤلاء الأدباء سيوفًا مسلّطة على الأعداء، بأمر رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فمتى كان الإسلام مانعًا أو معرقلًا للأدب والأدباء؟ الأدب الجميل الجليل العفيف، ولم يمنع إلا الإباحية التي تهدم الأخلاق وتحطم المجتمع.

وما الدعاوى التي يرفعها بعضهم ضد اللغة من حيث إنها عرقلت التجديد المطلوب بحجة الحرص على صون قداسة لغة القرآن، إلا دعاوى باطلة، القصد منها تشويه اللغة، ووصفها بالجمود وعدم الصلاحية والتخلف، فمتى عجزت لغة القرآن؟ إنها لغة التجديد والتطور الدائم، والدليل أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، ولو كانت لغته جامدة، لما وجدنا فيه آيات كأنها تخاطبنا في زماننا هذا، إنها لغة زاد القرآن من حيويتها، وألبسها رداء القدسية الذي يسمح لها بالحركة في كل الاتجاهات إلا اتجاه السقوط.

الروائي العربي المبدع هو الذي يستعمل لغته العربية ويوظفها وفق معانٍ جديدة، يجذب بها العقول ويسحر بها الألباب ويؤثر في المتلقّي أيما تأثير ويجعله كأنه هو هو (المتلقّي هو الكاتب) ولا يكون هدف الروائي المبدع عادةً إلا خدمة مجتمعه والنهوض به إلى الرقي والتقدم، ولا يكون هذا إلا بالأخلاق شاء هذا أصحاب مدرسة الرواية الجديدة، أم جعلوه سُبّة على التقليديين.

وإذا كان هدف الروائي علاج ظاهرة اجتماعية أو فكرية أو سياسية أو اقتصادية، أو لفت انتباه إليها، فإن الأخلاق هي رأس الأمر، وإذا كان هناك من يرى الكتابة نظمًا أو نثرًا لا علاقة لها بالأخلاق والقيم الاجتماعية، فما هو دور الأدب في حياة الأمة؟ ولماذا حرّم الإسلام الإباحية في اللفظ؟ وأحل العفة، إلا أن يكون المعوّل بناء الإنسان السليم اجتماعيًّا، وحتى تتكون مجتمعات قوية وناجحة.

وإذا كنا نعدّ خلط الفصحى بالعامية هدم لبناء الرواية بكامله، فما الذي يمكن أن نصف به من يخرج عن لغة المألوف الإسلامي؟ لماذا نجد بعض الروائيين المسلمين يعتمدون نظام التبشير بالديانات الأخرى، تاركين الإسلام، أو متجاهلين حكم الدين فيما يفعلون؟

ففي رواية (للجوع وجوه أخرى) لوفاء البو عيسى، نجد الكاتبة تقوم بمحاولات تبشيرية للدين المسيحي بإيرادها ترانيم دينية مسيحية، وعبارات مخلّة بالدين الإسلامي، أترفع عن ذكرها في هذه الدراسة–قصدت الكاتبة أم لم تقصد–.

فيبدو أن كاتبة الرواية، لا تعجبها لغة الحياء والحشمة، وكأن الإباحية (لغة الجسد)–كما تسميها– هي التي ترفع من قيمة الرواية، تقول في أحد لقاءاتها: "أغلب الكاتبات الليبيات.. اعتمدن اللغة المبنية على الحشمة والحياء، ونقل الموروث.. لكن هذه الرواية تذهب إلى حيث يصبح الجسد متسعًا للحياة والحرية والاختيار والشهوة والمتعة، أي العودة باتجاه امتلاكه لكيان تحمله المرأة، بعد أن

كان مهيّأً للرجل"[30]، وهذه الإباحية دعوة إلى الرذيلة، فما تكتبه هذه الكاتبة، ومن ينتهج النهج نفسه لا يقرؤه المثقف أو الواعي أو الأدباء أو النقاد، إنما يقرؤه الناس على مختلف مستوياتهم.

وهل يتقي الله هؤلاء الكُتّاب في الجيل الناشئ، فلا يكونون هم والمستعمر معاً عليه، المستعمر الذي لا يألو جهدًا في إفساد أخلاقه وقيمه.. والأمر ليس بخافٍ.

وليتذكروا قوله– صلى الله عليه وسلم–: "من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرُ من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء". رواه مسلم[31].

ولا نرجوا ألا يكونوا ممن نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وقد جاء في صحيح البخاري، عن أبي هريرة عن النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم"[32].

تطبيقات على بعض النماذج:

جميل أن تكون لدينا ثقافة القراءة، وأن نقرأ في أي مكان، قراءة في حجرات الانتظار، في أثناء السفر في السيارة أو الطائرة أو القطار..، أن تكون القراءة عادة يتعودها الإنسان، أن تكون القراءة مادة يستطيع أن يقدمها الناس لبعضهم بعض، مادة حوارية، يقدمها المعلم لتلاميذه، الأب لأبنائه، الزوج لزوجته.

قال تعالى مؤسسًا قواعد هذا الدين الحنيف: ﴿ اقْرَأْ ﴾ أمر بالقراءة وليس مجرد دعوة إليها.. لكن..

ماذا نقرأ؟ هل كل شيء يُقرأ؟

يقول أحد الأساتذة في محاضرة له:

كنت أقرأ رواية في قاعة الانتظار في إحدى المطارات، وفي أثناء قراءتي تفاجأت بأن كاتبة الرواية، تكتب بإباحية، وخروج عن الحياء، فاحمرّ وجهي خجلًا وخوفًا، خجلًا لخروج الكاتبة عن الحياء، وخوفًا لأن كثيرين ممن حولي رأوا الرواية في يدي، وأنا قدوة، واحترت ماذا أفعل؟ أو كيف أفعل؟ أأدسها، ولا أدري ما يمكن أن يحدث فتوجد عندي؟ أم أرميها ويأتي غيري فيأخذها ويستبيح ما فيها ويعمل به؟

إن معظم كُتّاب الرواية العربية، على امتداد البلاد العربية لا تنقصهم القدرة الفنية، بل إننا نطالع عديد الروايات فتشدّنا القدرة الفنية التي يكتب بها هذا الروائي أو ذاك، وكأن الأسلوب جوادًا

مدرّبًا انصاع لفارسه وفهم عليه من نظرة أو لمسة، فلماذا لا يتوّج هذا الأسلوب بلغة عربية سليمة يختار ألفاظها بدقة وينتقيها وينسقها فلا تميل إلى العامية، ولا تخرج عن الآداب الإسلامية.

وأستعين هنا ببعض نماذج أجريتُ عليها الدراسة:

الرواية الأولى: السهل[33]

السهل: رواية تدور أحداثها في فترة الستينيات من القرن الماضي، ومكانها على الحدود الليبية المصرية.

يتناول الكاتب فيها قضية الحدود الوهمية بين البلدين، وفترة الاستعمار الذي اتخذ قواعده في ليبيا ليضرب الأشقاء في مصر.

إن أحمد نصر، من الروائيين الأُوَل الذين استعملوا الفصحى في كتاباتهم، فارتقى بها ومازال يرتقي، لم يهجر الفصحى ولم يخرج عن المألوف الإسلامي، بل إن استعمال الفصحى دَيْدَنُه واتّباع الأسلوب الإسلامي منهجه.

السهل: رواية استعمل فيها الفصحى في السرد والحوار، الفصحى البسيطة المفهومة الواضحة، ورغم أن بعض شخصيات الرواية ليسوا عربًا، فلم يتطرق إلى أية لغة غير العربية، ورغم أن بطل الرواية كان طالبًا في الكلية يدرس اللغة الإنجليزية، فلم يتحدث هذا البطل إلا بالعربية.

وفجأة يجد أمامه المرأة ذات الشعر البنّي المرسل...

دنتْ منه بخطوات وئيدة..

– أعجبني تحمسك لحضارة الشرق..

– شكرًا.

لم يكن يتوقع أنها تنطق العربية.. ص36.

وفي موضع آخر، يعرض الحديث في عفة وانتقاء ألفاظ:

جاءت سالمة كالعادة معرّجة بحمارها حتى وقف عنده، وضع يده على عنق الحمار، وتعلقت عيناه بابتسامتها الصافية، أحسّ أنه يعود من رحلة الاضطراب وأن الأمواج تهدأ، وأن الألفة تقربه منها وتضمه إليها، هذه الصغيرة الوديعة البسيطة.. تحرك في أعماقه وجدًا يسع العالم كله..

يمسح على عنق الحمار بيده، وينطقها بعفوية:

– سالمة.. أنت أختي

رمشت عيناها، وتدفق دم إلى وجنتيها:

– وأنت أخي يا حسين.. ص40.

ويعالج أحمد نصر قضية اجتماعية أخلاقية بلغة سهلة سليمة:

– ستهلك نفسك بهذا الدخان..

فتنهّد المقدم المتقاعد، واتكأ على جنبه الأيسر، فتلامست الكتفان، وقال:

إيه يا شيخ ضو.. لا سبيل لمواجهة الهموم إلا بالدخان و.. لم يكمل المعطوف، لكن الشيخ ضو أدرك ما سكت عنه، فقال بصوت هامس لا يرغب أن يسمعه أحد غيرهما:

– أما زلت تشرب؟

– صدقني يا شيخ ضو لولا الكيف لانتهيت من زمان..

– يا صاحبي اترك الدنيا وهمومها وراء ظهرك، أولادك كبروا وكَفَوْا أنفسهم، وأنت معاشك –والحمد لله– كافيك.. ص43.

ولا ينسى أحمد نصر أن يذكرنا بأن المجتمع الذي تقدمه الرواية مجتمع مسلم، فيذكر الصلاة والدعاء ضمن الأفعال والأقوال التي تقوم بها الشخصيات.

أضاف رافعًا كفيه للدعاء:

– نتمنى من الله أن يغيث سهلنا بالمطر الغزير الخريف القادم، كما أغاثنا هذه السنة..

فقال الجميع آمين، وصفقوا متفائلين في سرور، ثم مُدّت الموائد، وتداعى الملأ يتحلقون حول القصاع.

وقبل أن تدور بينهم أكواب الشاي، قام الشيخ لصلاة العشاء، فنهضوا جميعًا واصطفوا وراءه صفيْن متوازيين، وارتفع صوت الشيخ بالقرآن الكريم، وانتبهت ريم وسالمة وبعض النسوة لقيام الصلاة، وأسرعن بصفّ ثالث.. ص152.

ولا نقول إن المجتمع الذي ينقله إلينا الروائي مجتمع مثالي وملتزم، لا، بل هناك بعض المفاسد والعادات السيئة؛ ولكن الروائي يدعو إلى الإصلاح، وتشعر بهذا من انتقائه للغته وارتقائه بها.

الرواية الثانية: من حكايات الجنون العادي[34]

تركز هذه الرواية على طرح قضية المرأة، في فترة مبكرة، كانت النظرة إليها: أنها جالبة للعار، فلا تخرج ولا تتعلم وإن خرجت فهي من تصنع الرذيلة.

يسرد خليفة حسين مصطفى بالفصحى ويحاور بالعامية، وإن حاور بالفصحى، فإنها الفصحى الركيكة.

((أنهض من النوم وأغير ثيابي على عجل، أدخل إلى المطبخ وأتناول طعام الفطور واقفًا، أسمع أمي وهي توصي أخي الصغير:

– لا تلعب في الشارع يا محمود..

فيتساءل أخي في براءة وعينه على الباب المغلق:

– علاش يام؟

فتجيبه أمي بحدة بالغة:

– حتى لا تأكلك الغولة!)) ص41.

ونلحظ في هذا المقطع أن الحوار كان مرةً بالفصحى ومرةً ثانية بالعامية.

ويمزج هنا الفصحى بالعامية في الحوار الواحد:

((– لا دخان بلا نار يا حاج.

ماذا تعني؟

آه.. كيف لم يفطن إلى ذلك من قبل؟

– عن إذنك.

نهض من فوق كرسيه مهتاجًا، ورمى بالمسبحة في أحد الأدراج، فقد يطول الوقت في هذه المرة حتى يعود إليها، أغلق دكانه وعاد إلى منزله في الحي..

لم يجد من نفسه الرغبة في الأكل رغم إلحاح زوجته.

سحب يده فارغة من صحن الطعام، وقال:

– خيرية يا خديجة.

فصاحت المرأة في فزع:

– بنتي خيرية، ما الذي جرى لها؟

– خيرية بخير، خفضي صوتك..

– البنت للبيت يا خديجة، تعلمت أو لم تتعلم وأنا أفكر في تزويجها.

فقالت المرأة:

قلت لك هذا من الأول يا حاج)). ص165.

وقد تتغير لغة الحوار حسب الحكاية فتكون عامية ثم تعود إلى الفصحى.

((لا أتحرك من مكاني، فيصيح بي:

امشِ.. يالّه بسرعة.

– هل كان درغوث باشا حاكمًا عادلًا يا أبي؟

يضحك أبي من أعماقه لطرافة السؤال أو لسذاجته ثم يقول:

– يروى أن العدل مات مع عمر بن الخطاب!

– هل مات عمر بن الخطاب؟

– البقية في حياتك.. من زمان)).

وقد يتحول الحوار من الفصحى إلى العامية:

((– ليس أمامنا يا بنت الناس إلا الزواج.

فردت فاطمة:

– أعمى ومجنون؟!

فرد الشحاذ مداريًا غضبه:

– الله يسامحك.

ثم تنبهت المرأة إلى أن ما يعرضه عليها يشرح صدر أي مخلوقة أخرى في كل زمان ومكان..

همست متظاهرة بالخجل:

– ما هذا الكلام يا سي؟

– فرج.. محسوبك فرج الطابوني.

– ماذا قلت يا سي فرج؟)) ص14.

والذي نراه أن هذه الازدواجية تضعف النسيج اللغوي وتهدم البناء.

الرواية الثالثة: للجوع وجوه أخرى (35)

لم أجد هذه الرواية في دُور النشر والمكتبات عند قيامي بهذه الدراسة، فاتجهت إلى المواقع المختلفة على صفحات الإنترنت؛ لأن الرواية بيئة خصبة لموضوع الدراسة من حيث خروج لغتها عن لغة المألوف الإسلامي.

تسرد الرواية قصة طفلة ليبية تؤدي بها ظروف الحياة إلى العيش عند خالها المصري بالإسكندرية.

كان هذا في زمن الثمانينيات من القرن الماضي، زمن انقطاع العلاقات السياسية بين البلدين (مصر وليبيا).

وكان من جرّاء هذا الانفصال أن خرجت الفتاة عن وصاية أهلها، وما عاد هناك من يتابعها، فأدى ذلك إلى انحلالها خلقيًّا، وسقوطها اجتماعيًّا، بل واعتناقها للمسيحية.

تقول:

((– إن القرآن كلام غير مفهوم..

– وإنها ترده ولا تحبه..)) [36].

إن هذه اللغة تنحى بالمتلقي المسلم منحًى سيئًا جدًّا، فهي تعطيه إيحاءات نفسية مباشرة أو غير مباشرة تجعله من المشككين والمترددين في قبول الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإهماله وعدم الاكتراث بما فيه من أوامر ونواهي، فرضها الله –سبحانه وتعالى– فيهجر الكتاب، وقد يفضي هذا والعياذ بالله بالمتلقي المسلم إلى الخروج من الإسلام.

في موضع آخر، تؤكد الرواية في حوارها الداخلي على أنها لا تشعر إلا بالإذلال والامتهان، تقول:

لم أشعر يومًا بالاحترام تجاه نفسي، فكل ما حولي يشعرني بالامتهان والرفض.. [37].

ربما تعالج الروائية عدة قضايا قضية الجوع، التشرد، وما يؤديان إليه من انحلال وتفسخ في الأخلاق والعقيدة، قضية الانفصال السياسي وانقطاع العلاقات بين شعبين متقاربين، أو تكاد حياتهما تكون واحدة، وما أدى إلى البغضاء والشحناء.. ولكن

خرجت بقضية أقل ما يقال عنها: إن الله لا يغفرها أبدًا ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾[38].

وإذا كانت الكاتبة قد استعملت هذه اللغة، (ترانيم من الإنجيل– مقاطع من أغانٍ أجنبية– ألفاظ احتقار النفس وامتهانها..) للضرورة الفنية التي يقتضيها عنصري الحبكة والإقناع، كما تقول الكاتبة في لقاء معها[39]، إلا أنها أعطت إسقاطات نفسية للمتلقي الذي يعيش مثل حال بطلة الرواية أن ينتهج النهج نفسه.

ونؤكد هنا: أن اللغة لها بعد نفسي قوي التأثير على المتلقي، لذلك فإما أن تشيد اللغة نص الرواية، متى أدى نتائج إيجابية، وإما أن تهوي به، إذا كان العكس.

الخاتمة

الرواية بحر لا يهدأ، يحمل الفُلك، ويحمل الزبد ومهمة الناقد وضع كل في الميزان، وإبراز الكفة الراجحة، وإبراز ما أثقلها فرجحها.

يقول السناج: إن مثقفي الأمة العربية، هم أصحاب اتهام شعوبهم بالأمية واستمرأوا اللعبة، فراحوا، يصنفون الأمّية إلى: أمية أميين وأمية متعلمين، وأمية جامعيين، وربما أمية مثقفين أيضًا، ونسوا أنهم مسؤولون مسؤولية مباشرة عن ذلك، فهم يتحدثون بلغة خاصة جدًّا.

وعلى صعيد النقد الأدبي فالصيغ التي تخرج بين الفينة والأخرى هي أشبه بالنماذج المعدة التي يجب أن يُتعامل بها في الدوائر والدواوين، صحيح أن لكل ناقد ثقافته الخاصة، وتاريخه الاجتماعي المكوّن لشخصيته، يرى من خلالهما حاجة مجتمعه التي تؤدي به إلى التطور والتقدم.

لكن هل من التقدم والتطور الإتيان بالألفاظ الغريبة والغريبة؟ هل عجزت اللغة عن اطراد المثاقفة؟

إن المثقف العربي ناقدًا كان أو أديبًا عليه استعمال لغته العربية، فالعربية ليست عقيمًا، وقبل أن ينقل الناقد لغة الأديب عليه الانتباه إلى لغته.

وقد تبين من خلال هذه الدراسة بعض الحقائق عن الرواية أهمها:

1- إذا وافقنا نقاد القصة في إجماعهم على أن الطول أو الامتداد والحجم، هو المعيار التحكيمي الذي يلجأ إليه، لتحديد الشكل القصصي من قصة أو قصة قصيرة أو رواية، فلماذا نختلف في نشأة الرواية، وينسبها بعضهم إلى الآداب الغربية.

لقد عرف الأدب العربي ألوان القصة، ومنذ الجاهلية، وإن كانت بدائية بسيطة، ولم تصل إلى ما وصلت إليه إلا حديثًا.

2- وإذا صح افتراض بعضهم، أن الرواية فن غربي بحت، فلماذا يتخذ بعض الكُتّاب المضمون الغربي؟ لماذا لا يكون المضمون عربيًّا؟ أم أن الانبهار بالغرب غشي البصر والبصيرة؟

تلعب اللغة الروائية في مستوياتها المتعددة دورًا كبيرًا في اللعبة السردية، وتسعى إلى إيصال رسالة ما، ولهذا بدا أن بعض من يستعملون اللغة غير العربية أو يتلاعبون بها، يريدون الخروج من المحلية إلى العالمية.

كما يبدو أن بعض من يستعملون اللغة الإباحية، أو الألفاظ التي تتنافى والآداب العامة، أو الخارجة عن المألوف الإسلامي يسعون إلى الشهرة.

وإذا سلمنا بأن بعضهم قد يصل إلى العالمية أو إلى الشهرة، لكنها لا تعدو أن تكون –فيما يبدو– إلا نوعًا من العالمية أو الشهرة الجوفاء؛ لأن غاياتهم لم تكن لخدمة هذا الفن، بقدر ما كانت خدمة لأنفسهم.

الهوامش

[1] لسان العرب مادة [ر و ي] 348/4.

[2] القاموس المحيط مادة [ر و ي] 43/4.

[3] المنجد في اللغة والأعلام مادة [ر و ى] ص 289.

[4] معجم اللغة العربية المعاصرة مادة [ر و ى] ص 963.

[5] معجم الرائد مادة [ر و ي] ص 760.

[6] صحيح مسلم، المقدمة، ص 337.

[7] في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 11-13.

[8] الرواية العربية، ص 18.

[9] بانوراما الرواية العربية الحديثة، ص 13.

[10] دراسات في الرواية العربية، ص 5-6.

[11] المصدر السابق ص 7.

[12] ينظر: الجهود الروائية من سليم البستاني إلى نجيب محفوظ، ص 23.

[13] ينظر: اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، والجهود الروائية من سليم البستاني إلى نجيب محفوظ، ودراسات في الرواية العربية.

[14] ينظر: الجهود الروائية من سليم البستاني إلى نجيب محفوظ، ص 61.

[15] ينظر: المصدر السابق 101.

[16] في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 81.

[17] المصدر السابق.

[18] المصدر السابق ص 111.

[19] ينظر: قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات السرد، ص 280، وينظر: في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 18.

[20] من حكايات الجنون العادي، ص 7.

[21] في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 118-119.

[22] بانوراما الرواية العربية الحديثة، ص 31.

[23] الرواية السورية نشأتها وتطورها- مذاهبها، ص 9.

[24] في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 120.

[25] ينظر: الرواية العربية "ممكنات السرد".

(26) في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، ص 131.

(27) نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، ص 84.

(28) المصدر السابق ص 86.

(29) محاضرة بعنوان: ماذا نقرأ؟

(30) www.aljazeera.net

(31) رياض الصالحين، ص 84.

(32) صحيح البخاري 302/4.

(33) السهل: رواية لأحمد نصر.

(34) من حكايات الجنون العادي، رواية لخليفة حسين مصطفى.

(35) للجوع وجوه أخرى: رواية لوفاء البو عيسي.

(36) www.arab world books.com

(37) المصدر السابق.

(38) سورة النساء، من الآية 47.

(39) www.aljazeera.net

المصادر والمراجع

القرآن الكريم. مصحف المدينة.

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، 1994م.

2- أحمد إبراهيم الهواري، نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1978م.

3- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2008م.

4- أحمد نصر، السهل، الدار الليبية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، 1991م.

5- أنجيل بطرس سمعان، دراسات في الرواية العربية، الهيئة المصرية للكتاب، 1987م.

6- جبران مسعود، الرائد معجم لغوي معاصر، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، بيروت، 1964م.

7- خليفة حسين مصطفى، من حكايات الجنون العادي، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس- ليبيا، الطبعة الأولى، 1985م.

8- الرواية العربية "ممكنات السرد" أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، دولة الكويت، 2008م.

9- روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.

10- روجر ب. هينكل، قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات السرد، ترجمة: صلاح رزق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 5، 6، مايو 1999م.

11- السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.

12- سيد حامد النساج، بانوراما الرواية العربية الحديثة، مكتبة غريب الفجالة، الطبعة الثانية، 1985م.

13- الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1983م.

14- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى الذهبي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م.

15- صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض- مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1996م.

16- عبد الرحمن ياغي، الجهود الروائية من سليم البستاني إلى نجيب محفوظ، دار الثقافة، بيروت.
17- عبد الملك مرتاض، بحث في تقنيات السرد- سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ديسمبر 1998م.
18- فيصل السماق، الرواية السورية نشأتها وتطورها – مذاهبها، دمشق، الطبعة الأولى، 1984م.
19- محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، راجعه: عبد العزيز سيد الأهل، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، طبعة حديثة.
20- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق بيروت، ب.د، ب.ت.
21- www.arab world books.com
22- www.aljazeera.net

تقنيات العمل الروائي عند إبراهيم الكوني (دراسة في رواية الورم)

د. إسماعيل حسين فتاتيت*

إضاءة وتنوير:

جعل الروائي إبراهيم الكوني[1] من الفضاء الصحراوي مسرحا للأحداث في العديد من أعماله الروائية، موظفا بأسلوب تقني كل ما يدور في هذا الفضاء من شخوص ومعتقدات وأساطير وأزمنة في بناء الرواية الغرائبية، الأمر الذي رفع من شأنه ومن شأن الرواية الليبية [2]، وأهَّله للوصول إلى مصاف العالمية مشكلا عقدة للروائي الليبي ظلت لفترات، فقد كان يحتقر أعماله بالقياس إلى منجز الكوني[3].

ولعلّ هذا النجاح الباهر إنما جاء نتيجة لاهتمامه الكبير بالتراث المحلي، فمشروعه الروائي يعتمد بصورة رئيسة على رؤية تعتمد على رصد التراث الشعبي الصحراوي كما يتجلى عند قبائل الطوارق التي ينتسب إليها الكاتب نسبا وثقافة، فقد أفاد من منظومة تراثية متكاملة اشتملت على العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والأدب الشعبي والأسطورة والفنون الشعبية[4].

وهذا الكم الهائل من التراث المتنوع كان سببا في شغف الكوني بالأسلوب الغرائبي الذي شاع في معظم أعماله الروائية، "فالعلاقة بين عشائر الإنس وعشائر الجن في الصحراء الكبرى تكاد تكون عادية؛ لأن الفضاء الواسع والعزلة والوحدة وتعامله المباشر مع الطبيعة تجعله يتيح للصحراوي قدرة على تشكيل عالمه الخاص، فالمساحات الشاسعة وصوت الريح والسكون تجعل المرء يخلق عوالم خاصة به"[5].

وبما أن رواية (الورم) تعد من أهم أعمال إبراهيم الكوني وأشدّها تطبعا بالطابع الغرائبي التي فيها يختلط الإنس بالجن والواقع بالمتخيل؛ جعلتها الدراسة أنموذجا لتناول تقنيات العمل الروائي عند هذا الكاتب، فهي من أعماله الروائية المتأخرة التي تمثل نضوجه الفني والفكري، مما يؤهلها أن تكون أبرز أعماله الروائية رؤية وتشكيلا.

وهذه النوعية من الروايات الغرائبية "يعزف فيها المؤلف عن محاكاة الواقع، وما فيه من حياة يومية إلى نوع من التأليف والسرد الذي يتجاوز قوانين الواقع إلى قوانين الفن الخيالي، فقد يجمع في الرواية الواحدة بين شخصيات من بني الإنسان وأخرى من العوالم الخفية كالمردة أو الجان أو الأساطير[6]، وهو ما يحاوله الكوني في رواية (الورم) حين أراد أن يقدم لنا صورة الحاكم المتسلط،

* كلية التربية ـ جامعة مصراتة.

المتشبث بالسلطة إلى الأبد، عبر رؤية أسطورية غرائبية دارت أحداثها في عالم الصحراء والواحات في زمن الخرافة، حيث يختلط الإنس بالجن والواقع بالمتخيل والحقيقي بالوهمي على طريقة الملاحم القديمة، فهذا النوع من الروايات متبع منذ القدم، فالملحمة المعروفة باسم (جلجامش) مثلا هي عبارة عن مزيج من المتخيل الغرائبي من حيث إنها مزيج من الآلهة والناس، أو مزيج من الإنسان والحيوان[7].

وعلى الرغم من أن هذا النوع من البناء السردي لا يقوم على محاكاة الواقع، وليس على القارئ أن يصدقه[8]؛ إلا أن إبراهيم الكوني استطاع توظيفه لمعالجة الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية العالقة في ذهن القارئ حول الواقع المعيش، ومن ثم تتحول الأزمنة المتخيلة وكذلك الأمكنة والشخصيات واللغة، إلى رموز يقصد بها صاحبها الدلالة على أمر ما، فشخصية(الزعيم) مثلا التي لا يستطيع أهل الواحة تحديد هويتها ولا عمرها الزمني، قد يرمز بواسطتها إلى القوة الخفية المتحكمة في هذا العالم وفق مصالحها الخاصَّة، وأيضا شخصيَّة الحاكم آساناي قد يرمز بها إلى أحد الحكام المستبدين، وكذلك شخصية (وانتهيط) قد ترمز إلى النفس الأمارة بالسوء، وقد يرمز بالقرينين (أساروف) الكاهن و(إيدبنان) المهاجر إلى عقلاء الشعب وحكمائه، وبالثلاثة رجال الذين تحلَّقوا تحت شجرة النخيل يناقشون شأن الزعيم ووجوده، وحقيقة الخلعة وتلبسها بالحاكم آساناي؛ إلى الطبقة المثقفة الواعية من الشعب، هذه الطبقة التي تزعج الحاكم فيسعى إلى التخلص منها كما تخلص من الحكيمين أساروف وإيدبنان، كي يستقر له الأمر وترضخ له الرعية. فالكوني يعالج من خلال هذه الشخصيات المتخيلة أزمة الواقع السياسي ومشكلة أداة الحكم بحرية تامة، فمثل هذه النوعية من الروايات قد تساعد الكاتب في نقد الواقع المعيش بشجاعة أكبر دون خوف الرقيب، فهي لا تتقيد – عادة – بالزمن بمفهومه التتابعي أو التسلسلي[9].

من جهة أخرى، فالعلاقة بين المكان والإنسان عند الكوني تعد "علاقة أسطورية تقوم على تشابك الكائنات بعضها ببعض من جماد وحيوان ونبات، ولهذا فإن لوحات الكوني للمكان يختلط فيها الأسطوري بالواقعي والصوفي بالحكايات الغرائبية"[10]، فالحكاية في رواية (الورم) تدور في واحة تسمى واحة (آدري الشمال)، وتقع هذه الواحة في منخفض أرضي هائل المساحة، مما أتاح لها أن تتحصل على النصيب الأوفر من مياه الأمطار، الأمر الذي جعلها تحتل مكانا مرموقا بين الواحات الأخرى. وقد غلبت على حياة الناس فيها مهنة التجارة، وبلغ من شغف أحدهم بها إلى حد أن يرهن كل ما يملك انتظارا لإنجاز صفقة سخية قد لا تتحقق بسبب قطاع الطرق الذين يغيرون على القوافل، مما يحوّل حياتهم إلى جحيم لا يطاق.

ومن ثم أظهرت تجربة الكوني الروائية أنه لم يسع إلى رصد البيئة الصحراوية بوصفها جغرافية صماء، ولكنه أفرد عناية لافتة في رصد التفاصيل الدقيقة لمسارات الحياة الاجتماعية والروحية لإنسان الصحراء، فعرض عاداتهم ومعتقداتهم الموروثة والمقدسة بهدف اطلاع القارئ على ما يجهله من حياة قبائل الطوارق(11).

المتن الحكائي:

تتمثل رواية الورم في تشكلها الحكائي في شخصية الحاكم المستبد آساناي، ذلك الرجل الذي تحوَّل بين ليلة وضحاها من رجل وضيع ينام في العراء خارج الأسوار، بعد أن جرَّده الناموس من كل شيء، إلى حاكم للواحة بأكملها.

وكان من عادة الزعيم إذا اختار أحدا لحكم إحدى الواحات أن يخلع عليه هبته المتمثلة في جبة الزعيم، ومن ينالها يتسمَّى باسم (صاحب الخلعة). وهذه الخلعة عند أهل الواحات هي حلم الزمان، لا لأنها نعيم الدنيا وحسب، ولكن في سرّها المستخفي الذي يراه فريق أمانا، ويسميه الفريق الآخر سلطانا.

وبعد أن حصل (آساناي) على هبة الزعيم، واستقر حكم الواحة له، ورضخت له الرعية، واستقرت له البلاد، ودُعي له على المنابر وفي الساحات بالبقاء الأبدي؛ جاءه أمر الزعيم بالتنحِّي عن سدة الحكم وترك الواحة وتسليم الخلعة لرسوله المبعوث له، حتى إذا جاء الرسول لاستلام الخلعة ونزعها من على ظهر (آساناي)؛ جدَّ أمر يستحيل معه تسليم الخلعة، لقد تلبَّست الخلعة بجسم الأخير وأصبحت كجلده تمتد عروقه بأطرافها وتجري دماؤه في أجزائها، لقد أصبحت جزءا منه ولن يتسنى لرسول الزعيم أخذها إلا بعد أن يسلخ جلده عن بدنه. لقد استيقظ (آساناي) بعد القيلولة فوجد أنَّ الخلعة الجلدية قد تلبست بدنه، وقد حاول مرارا وتكرارا خلعها لكن دون جدوى، لقد تعمقت داخل بدنه وأصبح من المستحيل انتزاعها إلا بسلخها عن بدنه سلخا، ومع إصرار زعيم الرسول على نزع الخلعة من على جسده مهما كلّف الأمر؛ عنَّ للحاكم أمر لم يسبقه إليه أحد ممن تحصَّل على هذه الخلعة في السابق، لقد قرر أن يحتفظ بالخلعة إلى الأبد وأن يرفض أوامر الزعيم بتسليمها، فدبّر مكيدة لرسول الزعيم ومَنْ رافقه من زبانية الجن أدَّت بهم جميعا إلى الهلاك.

وحين بدأ الناس يتوافدون لمشاهدة مراسم التسليم كان في اعتقادهم أنَّ الأمور تجري على ما يرام؛ لكنهم أصيبوا بخيبة الأمل بعد أن طال انتظارهم دون جدوى، لقد ترقبوا خروج رسول الزعيم عليهم طويلا لكنه لم يخرج؛ بل خرج عليهم (آساناي) وحده ليشكك في أمر هذا الرسول بل وفي

حقيقة الزعيم ذاته، الأمر الذي أثار بلبلة في جمهور الحاضرين ما بين مؤيد ورافض، مما قادهم إلى تكوين مجلس من عقلاء الواحة ومثقفيها للفصل في هذه المعضلة، وبفضل دهاء الحاكم وخبثه وجبروته استطاع تفتيت أعضاء المجلس وإخضاعهم لسلطانه ومعتقده، وبذلك تحول إلى حاكم مستبد أبدي، الكل يؤيده ويهتف لبقائه، لذلك قرر أن يحاكي الزعيم في أفعاله وأقواله، فازداد بطشه واشتد طغيانه حين أمر داهية البنيان بصنع حجاب له يحتجب فيه عن الناس اقتداء بالزعيم الذي شكك في وجوده من قبل، ولما لم يكن باستطاعته تنفيذ هذا المشروع زيّن له داهية البنيان فرض رسوم جديدة على الرعيَّة عبر استصدار قرار بدفع رسوم على الماء على الرغم من قبح هذا الصنيع وجلبه للنحوس.

وبعد أن تم للحاكم ما أراد، وخضعت له العباد والبلاد، واستسلمت الرعية لسلطانه الأبدي، معتقدين أن لا سلطان إلا سلطانه ولا حاكم إلا هو؛ ازدادت خلعة الزعيم تمكنا في بدنه وتغلغلا بين أعضاء جسده حتَّى أصبحت ورما خبيثا يقض مضجعه، ويؤرق فؤاده، ويضيِّق صدره، وأمسى لا همَّ له إلا حجابه الموعود الذي طال انتظاره وانتظر اكتماله بفارغ الصبر دون أن يعلم أنَّ في اكتماله تكمن نهايته، وبالوصول إليه يكون موته وفناؤه. فبعد أن اكتمل صنع الحجاب جاءه داهية البنيان مبشرا إياه بذلك. وما أن رآى (آساناي) الحجاب حتى توسل أن يُحمل إليه، فأسرع إليه داهية البنيان وحمله بين يديه كأنَّه يحمل طفلاً، كأنه يحمل قشًّا، حمله ليضعه في جوف الجرم الخفي، ثم وقف فوقه ليقول:

ــ هذه هي أعجوبة الأجيال التي تسميها حجابا، ويسميها الناموس ناووسا.

ــ في هذا الجوف سوف تخلعك الخلعة عن بدنها، لأنَّك أبيت أن تخلعها عن بدنك[12]، وبعد فوات الأوان أدرك (آساناي) أن داهية البنيان ما هو إلا زعيم الإغواء (وانتهيط) الذي تتحدث بسيرته الأجيال، والذي يزين للناس سوء أعمالهم فيرديهم ويكون سببا في هلاكهم وسوء مصيرهم.

السرد الروائي:

السرد لغة: تتابع الحديث بسياق جيد، يقول ابن منظور: "سرد الحديث ونحوه يسرده سردا؛ إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا؛ إذا كان جيد السياق له"[13].

وهو في النقد العربي الحديث "الخيارات التقنية والإبداعية التي يتم من خلالها تحويل الحكاية إلى قصة فنية"[14]، أو هو الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص ليقدم بها الحدث إلى المتلقي[15]، ومن ثمَّ، فإنَّ المتن الحكائي لرواية (الورم) كما جاء في الفقرة السابقة؛ يختلف كثيرا عن

السرد الروائي في سياقه الفني الأخير، فالكوني عندما أراد تقديم حكاية (الورم) اختار لها تقنيات إبداعية حول من خلالها الحكاية إلى رواية ذات طابع فنِّي، فهو مثلا لم يبدأ الرواية بترتيبها الزمني المعهود (الماضي . الحاضر. المستقبل)، وإنَّما استغلَّ أسلوب التداخل بين لغة السارد وصوت الشخصيات في صياغة الرواية من خلال تقنية الاسترجاع والاستشراف، حيث بدأ سرد الرواية بعد زيارة رسول الزعيم الثانية التي تمَّ فيها إنذاره بنزع الخلعة منه، يقول الراوي: ((استيقظ (آساناي) بعد القيلولة فوجد أن الخلعة الجلدية قد تلبست بدنه. تذكر أنه غفا جالسا على النطع مرتديا الجبة المهيبة وهو الذي حرص أشد الحرص على خلعها كلما داهمه النعاس))[16]. لقد افتتح الكوني روايته بأهم حدث فيها وهو تلبّس الخلعة بالبدن ذلك الحدث الذي يثير القارئ فيتمسَّك بمتابعته حتى النهاية، وهو جانب نفعي حققه الكوني عبر هذه الافتتاحية، وأيضا استطاع أن يوجِّه الأنظار إلى رمزيَّة هذا الحدث وهو تشبُّث الحاكم بالسلطة إلى الأبد.

وبما أنَّ الخلعة لم تتلبس بدنه إلا بعد أن أُنذر بخلعها، معنى ذلك أنَّ هناك زيارتين سابقتين لرسول الزعيم أهملهما الروائي، ولم يشأ أن يذكر أحداثهما ذكرا آنيًّا مباشرا، وإنَّما خصَّص لكلٍّ منهما فصلا مستقلا عن طريق تقنية الاسترجاع الخارجي، جاء سرد الزيارة الأولى تلك التي بُشِّر فيها بنيل خلعة الزعيم في الفصل الثاني المعنون بـ(البشارة)، يقول الراوي: ((لن ينسى أبدا زيارة الرسول الأولى، كما لن ينسى مدى الحياة زيارة الرسول الأخيرة: في الزيارة الأولى أقبل عليه الرسول في ظلمة السحر، وفي الزيارة الأخيرة نزل عليه ضيفا مسربلا بغيهب المغيب، في المرة الأولى استيقظ من نومه ...))[17]. ثم أخذ في سرد باقي الحدث المتعلق بهذه الزيارة، وجاء سرد الزيارة الثانية تلك التي أُنذر فيها بنزع هذه الخلعة في الفصل الثالث المعنون بـ(البلاغ)، يقول الراوي: ((في تلك المرة لم يقبل عليه الرسول في عتمة الفجر، ولكنَّه حلَّ عليه ضيفًا في ظلمة الغروب، لم يركن إلى جواره كما فعل في يوم التنصيب، ولكنه استأذنه للخروج في نزهة ...))[18].

وللمقام السردي مجموعة من العناصر تُروى من خلالها الرواية، وهي المتمثلة في الراوي الذي يقوم بنقل الرواية إلى المروي له، والمروي أي الرواية نفسها، والمروي له، وقد يكون اسما معينا ضمن البنية السردية، وقد يكون كائنا مجهولا أو متخيلا، وقد يكون المجتمع بأسره[19]، فالراوي هو الذي يحمل رؤية الكاتب إلى العالم من خلال ما يرويه عن شخصياته، وقد تناوله الروائيون بأساليب وطرق مختلفة، وكثرت حوله الدراسات النقدية، فهذا (إبراهيم خليل) يتحدث عن عدة أنواع من الرواة أهمها: الراوي المشارك، وهو أحد أشخاص الرواية الذي لا يكتفي بسرد الحوادث؛ بل هو أحد المشاركين فيها، وكذلك الراوي العليم، وهو الراوي الذي يمتلك القدرة غير المحدودة على الوقوف على

الأبعاد الداخلية والخارجية للأشخاص، ويأتي على نوعين: الراوي العليم المحايد، وهو الراوي الذي يكتفي بسرد الحوادث ورصد الوقائع والشخصيات والمكان دون تدخل مباشر منه، والراوي العليم المنقّح، وهو الذي يحول التحقق من صحة ما يرويه، والتأكد من أهداف الشخوص[20].

والراوي الذي استخدمه الكوني في رواية (الورم) أقرب إلى الراوي المنقّح، حيث لم يكتفِ برصد الحوادث فقط، بل كانت له مشاركات مباشرة أو غير مباشرة في تشخيص المواقف، ويبدو هذا واضحا سواء من خلال لغة الحوار، فالحوار "إن لم يكن يعبر عن فكرة عامة؛ فإنَّه يعبِّر عن فكر المؤلف الذي يقحم نفسه عن طريق الحوار"[21]. أو من خلال لغة السرد، كقوله في بداية الفصل الثامن: ((عاش (آساناي) هذا الكابوس مرتين: مرة في الزمن الذي سبق نيل الخلعة، ومرة أخرى بعد بلاغ الرسول القاضي بخلع الخلعة! لم يكن كابوس منام، ولكنّه كان كابوس يقظة، وهذا أسوأ ما في الأمر: إحساس مبهم بالخطر، إحساس مميت بالعزلة، إحساس غامض غموض الموت بحقيقته كمخلوق خاوٍ، مهجور، وحيد، ومفقود. لم تفلح التجارة في أن تصير له في هذه المحنة عزاء (ربما لأنه لم يفلح يوما في عقد صفقة حقيقية)، ولم يهبه الحظ حظوة في أعين النساء كي يصرن له دمًى، كما لم يجد في الناس صدقا يستطيع أن يسميه صداقة))[22]. ومن ثَمَّ، فالبنية السردية هي التي تعبر عن فلسفة السارد ورؤيته للعالم، هذه الفلسفة التي هي في مجملها "مجموعة من الأفكار والآراء ووجهات النظر المعايشة للشكل ومكوناته"[23].

ويتضح من خلال لغة السرد أنَّ التقنية التي يكثر من استخدامها الراوي هي السرد بضمير الغائب فهي التقنية الظاهرة في بنيتها، وهي التي يعكس من خلالها الكاتب وجهة نظره، وقد حرص الكوني على اتباع هذه التقنية نظرًا "لما يتيحه هذا الأسلوب للمؤلف من حرية في التعليق والتدخل والتفسير، فالشخصيات محكومة بفكرة كلية، وما هي إلا رموز تنتهي في خاتمة المطاف إلى تحقيق الفكرة الكلية التي تمثل بالتالي الرمز الكلي نفسه"[24]. ومن ثم، يكون الراوي في هذا النوع من السرد هو المحيط بكل ما يجري مستعينا بأصوات بعض الشخصيات "فالرواية بضمير الغائب قلَّما تكتفي بصوت الراوي العالم بكل شيء؛ بل تضيف إليه صوت الشخصية، بواسطة الصوت المتداخل"[25].

الشخصيات:

لا يمكن أن يتم العمل الروائي بدون شخصيات، فهم المحرك الرئيس لجميع عناصر الرواية فلا مكان ولا زمان ولا لغة بدونهم، فالشخصية هي التي تحمل رؤية الروائي وموقفه الفكري.

والشخصيات الروائية متنوعة، منها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو تاريخي، ومنها ما هو غرائبي، كما تنقسم الشخصية من حيث التصنيف إلى اعتبارات عدة، منها باعتبار الوظيفة، فالشخصيات لا تتساوى من حيث الأدوار والوظائف[26]، ومنها باعتبار العرض إلى نامية "تتكشَّف لنا تدريجيا خلال القصة وتنمو نتيجة تفاعلها المستمر مع الحوادث وتطورها"[27]، وشخصيات مسطحة وهي التي "لا تؤثر فيها حوادث القصة، فالكاتب يرسمها لنا من البداية وقد اكتملت، وأصبحت غير قابلة للتطور، لذلك تكون ردود فعلها بالنسبة للحوادث معروفة سلفا"[28].

وبالنظر في رواية (الورم) نجد أنَّ هناك ثلاث شخصيات يمكن أن نطلق عليها شخصيات نامية، أهمها شخصية (آساناي) محور الرواية وحاكم الواحة، فقد كان في بداية الرواية مهمشا مضطهدا لا يلتفت إليه أحد، ثم تحوَّل فجأة إلى حاكم مطاع، ثم تألمه لاقتراب وقت انتزاع الخلعة منه، ثم ازدادت حالته النفسية سوءا بعد التصاق الخلعة به، ثم تغيره على رسول الزعيم وتحوله من تابع للزعيم إلى حاكم مطلق مستقل، ثم تحوله من حالة القوة والجبروت إلى حالة الضعف والمرض، ثم موته في مكان مجهول لا يدري به أحد، وكذلك من الشخصيات النامية شخصية رسول الزعيم الذي قام بثلاث زيارات إلى حاكم الواحة لكل زيارة نمطها الخاص، ففي الزيارة الأولى يتقمَّص شخصية الواهب المتفضِّل الذي يمنح الأمل والفرحة لأحد التعساء، وفي الزيارة الثانية يتقمص شخصيَّة المرعب المهدد، المتوعد بانتزاع الفرحة وسلب السرور، وفي الزيارة الثالثة يتعرض للسجن والإعدام، فتتحول هذه الشخصية من شخصية تطاول عنان السماء إلى أخرى بائسة حزينة تتلمس سفح الأرض.

كذلك استعان الكاتب في رواية(الورم) بالعديد من الشخصيات المسطحة بغية إيصال رؤيته الفلسفية إلى المتلقي، ومن هذه الشخصيات: (الساحر) الذي حاول خلع الجبة ففشل فقتله الحاكم حتى لا يفشي سره، وكذلك (أساروف) الكاهن و(أمازار) و(إيزير) حكماء الواحة توقفت أدوارهم عند هذه الصفة.

وهذه الشخصيات ليست لها مهام إيجابية في الرواية فهم يقفون جامدين ليتلقوا الأحداث كما تجيئهم؛ لكن مع ذلك فإنَّ رؤية الكاتب لا تصل إلا من خلالهم.

كذلك تنقسم الشخصيات باعتبار الوظيفة إلى شخصيات ذات وظيفة كبيرة وتتمتع بحضور قوي، بحيث تكون العمود الفقري للرواية والمحور الأساس الذي تقوم عليه الأحداث، وتنصب عليها اهتمامات الراوي، ومن أمثلتها في رواية (الورم) شخصية (آساناي) التي احتلت جميع صفحات الرواية، وهناك شخصيات وظيفتها متوسطة مثل شخصية رسول الزعيم وشخصية وانتهيط، أما باقي

الشخصيات فوظيفتها محدودة وثانوية انحصرت في خدمة الشخصيات الرئيسة في الرواية التي لا تستطيع أن تنسلخ عن تصرفات تلك الشخصيات الهامشية، فهي متممة لأجزاء من المشهد السردي، وعلى الرغم من ثانوية هذه الشخصيات إلا أن قضايا الرواية الأساسية لا تقوم وتتشكل إلا من خلال أفعال هذه الشخصيات الهامشية[29].

وقد اعتنى (الكوني) برسم شخصياته وفقا لأدوارها ومساحاتها، فذات الأدوار الرئيسة يظهرها الكاتب عن طريق تقنية الاسترجاع أو المنولوج الداخلي، فيستنبط بهما كنه هذه الشخصية، دون حاجة إلى الوصف الجسدي المستعجل، وإنما تظهر صورتها وحقيقتها من خلال الأحداث شيئا فشيئا، بعكس ما إذا كانت الشخصيات لها أدوار متوسطة فإن الكاتب يرسمها لنا من خلال أول ظهور لها، مكتفيا بوصفها الخارجي، كما حدث في وصف شخصية القرينين عند الحديث عن بعض الوصايا في مطلع الفصل الرابع: ((وصية جرت على لسان رجل قصير القامة، حاسر الرأس لا من القناع فحسب، ولكن من الشعر أيضا، يجاور رجلا نحيلا، مقنَّعا، طويلا، نحاسيَّ البشرة مثله مثل جليسه الأقرع ... أهل الواحة يخاطبون صاحب القامة القصيرة باسم (أساروف) ويلقبونه بالكاهن، أما صاحب القامة الطويلة فيخاطبونه باسم (إيدبنان) ويلقِّبونه بالمهاجر))[30].

الفضاء المكاني:

ليس بمقدور الحدث الروائي أن ينموا إلا في مكان ما، وهذا المكان يصنعه خيال الراوي ويشكله من الكلمات، وهذا العالم الخيالي الخاص قد يشبه عالم الواقع، فالكلمات لا تنقل عالم الواقع بل تشير إليه وتخلق صورة مجازية لهذا العالم[31].

ويعد المكان من العناصر المهمة والرئيسة التي تساعد على إعطاء الرواية بعدها الواقعي وملامحها الاجتماعية، ويزيدها أهمية أنه لابد لأحداث الرواية أن تقع في مكان معين، فضلا عن أن المكان له علاقة إيجابية بالشخوص بما له من طباع مركوزة في النفوس، وله علاقة أيضا بالرؤية التي يحول الكاتب إيصالها[32].

ولتخصص إبراهيم الكوني في ما يسمى (برواية الصحراء) ذات الطابع الغرائبي كانت الأمكنة في رواياته تتناسب مع هذا الطابع، فأغلب أمكنته في هذه الرواية كانت مفتوحة ذات فضاء واسع فهناك – مثلا – الواحة، والصحراء، والحمادة الحمراء الغربية، والحقول، والطرق، والساحات الموجودة في الواحة، والأسواق، فضلا عن الأمكنة المغلقة الواردة قليلا في هذه الرواية، هذه الأمكنة التي يغلب عليها أيضا الجو الغرائبي والأسطوري، فهناك بيت (آساناي)، والسجن، ودار القضاء،

وزريبة الأغنام التي سجن فيها (إيدبنان). ولا شك في أنَّ هذه الأمكنة المتنوعة كان لها الأثر الكبير في رسم الشخصيات وتنوعها، "ولذلك فإنَّ رصد المكان الجغرافي أو المكان الهندسي ليست ذات قيمة كبيرة، لأنَّ أهميَّة المكان تنبع في تعضيد علاقته مع المكونات الحكائيَّة، فهو ليس عبارة عن خلفيَّة تتحرَّك فيها الشخصيات، لأنَّ المكان يصبح من إنتاج مخيّلة الروائي"(33).

ومن ثم، فإنَّ أهم الأمكنة في رواية (الورم) هي التي كان يدور فيها المشهد الحواري الذي يأخذ حيزا كبيرا من مساحة الرواية، فـ"الفضاء المكاني في تجليه وحضوره مكان منفلت، متعدد ومتنوع"[34]، وقد دارت المشاهد الحوارية في أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة، ومن هذه الأماكن: المشاهد الثلاثة التي دارت بين (آساناي) ورسول الزعيم كانت في فضاء الواحة الخارجي. المشهد الذي دار بين القرينين (إيدبنان) و(أساروف) كان في واحة السوق. المشهد الحواري الذي دار بين الرفاق الثلاثة أسان وأمازار وإيزير جرى في أدغال الحقول التي تجاور سور الواحة الشمالي. المشهد الذي دار بين آساناي والساحر كان في بيت آساناي. أما مشهد المساءلة الذي دار بين آساناي والحكماء أعضاء المجلس فقد كان في دار القضاء.

وبالرجوع إلى الرواية يتضح أن الأماكن المفتوحة أكثر وجودا من الأماكن المغلقة، وهذا ليس غريبا؛ لأن مثل هذه الروايات الصحراوية تناسبها الأماكن المفتوحة أكثر، فيتجلَّى فيها تفاعل الذات الساردة "عندما تلجأ إلى رسم هذا الفضاء من خلال العناية الدقيقة بالتفصيلات"[35]، كما جاء في هذه المشاهد السردية التي تظهر بعض التفاصيل بشكل متقطع عن الواحة التي تدور فيها الأحداث، يقول الراوي: ((آدري الشمال هذه تقع في منخفض أرضي هائل المساحة في أطراف صحراء تينغرت الشمالية))[36]. ((والواحة تهجع في سهل فسيح تحدّه من الشمال سلسلة من الروابي التي تتسلّق هاماتها أضرحة الأوائل ذات الشكل المستدير... من جهة الشرق تتمدد متاهة خلاء مسطّح مفروشة بالحجارة حينا والحصباء حينا آخر... في الجنوب يسرح السهل أيضا. يسرح مسافات طويلة قد تستغرق يوما كاملا حتى يدرك السلسلة الجبلية المهيبة التي تحمل على ظهرها صحراء (تينغرت) السماوية))[37].

لقد استطاع الكوني عبر هذه الأوصاف المتناثرة من الرواية تشخيص المكان من جميع اتجاهاته، مما مكَّن للقارئ تصور الأحداث الجارية داخل هذا المكان بصورة واضحة وجلية، وتصور أيضا مدى عمق العلاقة الانفعالية الكامنة بين هذا المكان والشخصية العالقة في محيطه، فهذا الوصف الدقيق للأمكنة جعلنا نشعر وندرك أنَّ هذا الوصف لا يمكن أن يكون لمجرد الزخرفة أو خلق خلفية معيّنة بحيث يكون إضافة لا داعي لها "بل هو جزء لا يتجزَّأ من الإعداد للحدث وتقديمه،

وتقديم الشخصيات وما يدور بداخلها، إذ كثيرا ما يعكس المكان ما يجول بخاطر الشخصيات من الأحاسيس سواء كانت فرحا أو حزنا، شعورا بالأمن أو بالخوف، بالطَّمأنينة أو بالقلق والرعب وتوقع الشر"[38].

ولعل هذا الطرح يتضح أكثر من خلال الأمكنة التي واكبت زيارتي رسول الزعيم الأولى والثانية لحاكم الواحة، فالمكان الذي احتوى الزيارة الأولى المبشرة بالخلعة يبدو عليه بدايةً التوحش والانعزال والغربة، هذا المكان المتمثل في بقعة من العراء خارج أسوار الواحة، حيث كان ينام الشقي التعيس المنبوذ، لقد أوحى هذا المكان الموحش بطبيعة الشخصية الكامنة فيه، حتى إذا ما أطلَّ رسول الزعيم على هذا الشقي انفتحت أبواب الواحة ودخل معه إلى ساحة السوق حيث الباعة والفضوليون والعاطلون عن العمل يتقاطرون على الساحة لقضاء حوائج، أو لترويج سلعة، أو لإشباع العين من نظر، أو لملء الأذن من سمع، ولا شك أن مثل هذا المكان المليء بالناس والمتاع يوحي بالطمأنينة والأمان أكثر بكثير من مكان مقفر خارج الأسوار، ومن ثم، أراد الكاتب هنا أن يوحي من خلال دلالة المكانين بالتحول الحاصل للشخصية، فالانتقال من المكان الموحش إلى المكان الآمن هو امتداد لتحول الشخصية من الشقاء والفقر إلى الراحة والغنى.

أما ما يخص الزيارة الثانية، فالمكان الذي احتواها بدايةً كان في قمة الأمن والأمان في بيت (آساناي) الذي يمثل سلطة الدولة في الواحة، فالمكان يوحي باستقرار نفسية الشخصية، لكن الخبر المزعج الذي جلبه رسول الزعيم معه لا يتناسب مع هذا المكان الهادئ المستقر، ومن ثم، تحول المكان إلى أزقَّة الواحة في التواءاتها وتعرّجاتها، في ارتفاعاتها وانخفاضاتها، إلى أن أدَّت الطرقات إلى بوابة السور الشمالي وعبور السور إلى الخارج، إلى رحاب الخلاء. ومن ثم، يصبح تحوُّل المكان مواكبا لتحوُّل الحدث وتحوّل طبيعة الشخصيّة المرتقبة. فانتقال رسول الزعيم إلى هذه الأمكنة المزعجة إيحاء بما يحمله من أخبار سيئة لهذا الحاكم، كذلك يدل هذا التحول من المكان الآمن المستقر المريح إلى المكان المزعج المتعب الشاق على تحول الشخصية من الغنى والملك إلى الفقر والتشرد، فخروج (آساناي) من الواحة يوحي بتنحيه عن السلطة وخروجه من المشهد السياسي.

ولعل دلالة الإيحاء المتعلقة بزيارات رسول الزعيم لا تقتصر على الأمكنة فقط، وإنما تشمل الأزمنة أيضا، فالزمن الموافق للزيارة الأولى الجالبة للخير والاستقرار والرفعة هو عتمة الفجر وبداية النهار، وهذا إيحاء يحمل طابعا إيجابيا يواكب طموح الشخصية وتطلعاتها، أما في الزيارة الثانية فقد وافقت زمن الغروب، وهو زمن يوحي بالكآبة الموافقة لطبيعة الخبر المزعج الذي يحمله رسول الزعيم، ومن ثم يصبح الزمن في كل من الزيارتين موافقا لطبيعة الحدث ونتيجته الموغلة في الشخصية.

الزمن الروائي:

يعد الزمن من العناصر التي تسهم في تشكيل البناء الروائي مثله مثل الشخصية واللغة والمكان، فكلها عناصر مرتبطة ارتباطا عضويا[39]، وبما أن رواية (الورم) تعد من الروايات الغرائبية التي فيها لا يتقيد الكاتب بالزمان بمفهومه التتابعي؛ لذلك فإن الزمان فيها ذهنيا "يتصوره كل من الكاتب والقارئ كليهما من خلال رصيدهما الثقافي والمعرفي"[40]، ومن ثم يتركز الاهتمام هنا على دراسة المفارقة السردية والحركة السردية دون النظر إلى العناصر الأخرى التي تخص الزمان.

أما ما يخص المفارقة السردية، فالمتتبع لزمن القصة في الرواية يجده يخضع للتسلسل المعقول بين الأحداث؛ في حين أن زمن السرد يتجرد من هذه السلسلة المتتابعة، وحين لا تتطابق الأنظمة السردية مع نظام القصة تظهر المفارقة السردية[41]، ولتوضيح هذه المفارقة يمكن استخدام تقنيات سردية متعددة كالاسترجاع بنوعيه الداخلي والخارجي، فـ"من خلال هذه التقنية يتمكن الروائي من كشف عوالم شخصياته للقارئ، حينما يعرض للظروف التي عاشتها في الماضي وبقي أثرها في الحاضر، بحيث تخدم التسلسل الروائي وتقدمه بصورة لا يشعر القارئ معها بفراغ في تكوين الشخصية"[42].

وقد استفاد الكوني من هذه التقنية في رواية (الورم) كثيرا، فمثلا حين تذكر (آساناي) محاولة انتحاره قبل تمكنه من حكم الواحة، استخدم الكاتب تقنية الاسترجاع الخارجي؛ لأن هذه الحادثة كانت قبل بداية الرواية، يقول الراوي في الفصل ما قبل الأخير متحدثا عن (آساناي): ((مات يوم تأبط حبل المسد وذهب به إلى الحقل ليشنق نفسه في جذع النخلة، فأنقذته النخلة بهبتها الذهبية))[43]. أما الاسترجاع الداخلي نجده في قول (آساناي) أيضا عندما تأخر عليه داهية البنيان بالحجاب: ((إني أكاد أصدق أن ذلك الوغد ما هو إلا لئيم الأجيال (وانتهيط) أقبل علينا في ذلك اليوم المشئوم متنكرا في أثواب الأغراب))[44]، كذلك استفاد من تقنية الاستشراف في أكثر من موقع، فقد ذكر الكاتب حوادث في وقت يسبق الزمن الذي ينبغي أن يكون موقعها فيه في القصة، من ذلك تعجب داهية العلل من الجبة التي التحمت بجسد الحاكم، قال الراوي واصفا حاله حين شاهد هذا الموقف: ((تمتم لأول مرة بعبارته التي تكررها فيما بعد كثيرا . عجبا !))[45]، وأحيانا يجمع الكاتب بين تقنيتين في عبارة واحدة، كاستفادته من تقنية الاسترجاع الخارجي والاستشراف في إيصال دلالة معينة للمتلقي، كقول الراوي في الفصل الثاني متحدثا عن حال (آساناي) بعد زيارة رسول الزعيم الثانية: ((لن ينسى أبدا زيارة الرسول الأولى. كما لن ينسى مدى الحياة زيارة الرسول الأخيرة: في الزيارة الأولى، أقبل عليه الرسول في ظلمة السَّحَر، وفي الزيارة الأخيرة نزل عليه ضيفا مسربلا بغيهب

المغيب))[46]، فالزيارة الأولى كانت قبل بداية الرواية، وما علمنا بها إلا عن طريق الاسترجاع الخارجي، أما الزيارة الأخيرة فهي لم تحدث بعد؛ ولكن الراوي أخبرنا بأنها ستقع يوما، وهذا ما يسمى بالاستشراف.

أما ما يتعلق بالحركة السردية، فهي التي تختص بتسريع السرد وتبطئته، فقد يتعلق الزمن كثيرا بوثيرة سرد الأحداث من حيث درجة سرعتها أو بطئها عبر اشتمالها على مظهرين رئيسيين: المظهر الأول، ويقضي باستعمال صيغ حكائية تختزل زمن القصة إلى الحد الأدنى، أما المظهر الثاني فيمثل الحالة المقابلة حيث يجري تعطيل الزمن القصصي على حساب توزيع زمن السرد مما يجعل مجرى الأحداث يتَّخذ وثيرة بطيئة[47]، ومن ثم اتخذ الروائيون مجموعة من التقنيات استخدموها في كتاباتهم واستحسنها النقاد، ومن هذه التقنيات الحركية ما يلي:

أ ـ تسريع السرد:

يضطر الروائي أحيانا إلى تسريع سرد الرواية إذا ما تطرّق إلى فترات زمنية طويلة، أو إلى تفاصيل لا طائل من ورائها والحديث عنها لا يخدم العمل الروائي، فيلجأ إلى آليات تساعده في تجاوز هذه الفترات وفي حذف هذه التفاصيل دون أن يهتز سرد الرواية، من هذه الآليات: التلخيص، ويتحقق بسرد أحداث تستغرق من الرواية زمنا مديدا في فقر تحتل من النص حيزا محدودا[48].

وبالنظر في رواية (الورم) يتضح أنَّ فيها العديد من الفترات الزمنية المتصفة بالطول؛ يرى الروائي أنَّها ليست مهمة في أحداث الرواية فقام بتلخيصها في فقر قصيرة، كالفترة التي بين زيارتي رسول الزعيم الأولى والثانية، فما قام به (آساناي) في هذه الفترة من أعمال لم تسرد بتفاصيلها، وإنما اختُزلت في سطور قليلة من خلال حوار دار بين (آساناي) ورسول الزعيم جاء فيه: ((إذا كان جلالة الزعيم يرى أني أصبت الأكابر... وإذا كنت سمحت لنفسي باستنزال صنوف القصاص بأصحاب الجور ... وإذا كنت قد انتزعت أموالا من أغنياء))[49]، فهذه الأشياء تحتاج إلى العديد من الصفحات إذا أراد الكاتب سردها، لكن الكاتب لا يرى في سردها أي فائدة يمكن أن تُحصَّل فعرضها باختصار.

ومن آليات تسريع السرد أيضا: الحذف، وهي التقنية الزمنية الثانية التي تسرع حركة السرد، وتتحقق حين يقوم الراوي بإسقاط فترة زمنية من زمن الحكاية دون أن يتطرق إلى ما جرى فيها من الأحداث وما مر بها من الشخصيات[50].

وقد استفاد الكوني من هذه التقنية في عدة مواضع، من ذلك ما جاء في بداية الفصل الثالث عشر عندما لم يشر الراوي إلى الأيام الكثيرة الأولى التي قضاها (إيدبنان) مسجونا في زريبة للأغنام

واكتفى بقوله: ((في هذه الزريبة المجاورة للحقول عاش أسيرا آخر أياما كثيرة مع الأغنام منتظرا يوما يشهد فيه تقرير المصير))[51].

ب ـ تبطئة السرد:

وهي الطرف المقابل لتسريع السرد، ويشترط فيها أن تنسجم مع النص الروائي شأنها شأن تقنية التسريع، فهي ليست اعتباطية[52]. ولتبطئ السرد – أيضا– آليات استخدمها الروائيون واستحسنها النقاد، ومن هذه الآليات: المشهد الحواري، وهو عملية فنية من شأنها أن تسهم في الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات الروائية التي يعرضها الراوي عرضا مسرحيا مباشرا وتلقائيا[53]. فالمشهد الحواري يمتاز بمناقشة القضايا الفكرية وتبادل الرأي والأفكار، فهو وسيلتنا للكشف عن فكر الشخصية، وتحديد هويتها وطبيعتها الفكرية والنفسية[54].

وقد اعتمد الكوني في رواية (الورم) كثيرا على هذه التقنية فلا يكاد يخلو فصل منها، فمثلا زيارات رسول الزعيم الثلاثة لآساناي اعتمدت على المشهد الحواري المطول بينهما، وكذلك المشهد الحواري الدائر بين الرفاق الثلاثة أسان وأمازار وإيزير، وما بين القرينين إيدبنان المهاجر وأساروف الكاهن، ففي مثل هذه المشاهد الحوارية "تختفي الأحداث وتعرض أمامنا تدخلات الشخصيات كما هي في النص"[55].

ولعل هذه المشاهد الحوارية المحبرة بلغة فلسفية قائمة على الحكمة وضرب المثل هي سر نجاح الكوني ووصوله إلى العالمية، فمن خلالها استطاع أن يفلسف وجهة نظره حول الكثير من القضايا المتعلقة بالصحراء وطبيعة أهلها، أهمها في هذه الرواية البعد السياسي ومعالجته بأسلوب رمزي أسطوري يختلط فيه الواقع بالمتخيل، كما في هذا الحوار الدائر بين رسول الزعيم، والحاكم آساناي: ((قال الرسول:

ــ بفضلك أنت سأتحرر من خوف الموت، ولكنَّك لن تحرر من الموت بفضلي أنا، هذا يؤسفني!

استفهم الجلاد بإيماءة فأوضح الأسير:

ــ الضحيَّة تموت مرَّة بفضل الجلاد، لأنَّ ميتة المرَّة هي التي تحرر من الموت ألف مرَّة، أمَّا الجلاد فيموت كل يوم مرارا، لأنَّ الخوف من الموت هو الموت!

ــ الخوف من الموت؟

ــ أنت لن تطمع بعد اليوم أن تحيا بين أناس يخافونك دون أن تخافهم!))[56].

لقد عبَّر الكاتب من خلال هذا الحوار عن حقيقة الجبابرة وخوفهم من الموت بعبارة فلسفية قائمة على الإقناع والتدبر، مسقطا فلسفة هذه الحوارية على الواقع المعيش من دون أن يلحقه أذى هذا الواقع.

ومن آليات تبطئة السرد أيضا: الوصف الذي يعتبر من الآليات التي تعمل على تبطئة حركة السرد، ويستغله الروائي في تقديم الشخصيات والأماكن من أجل تقريب الصورة الموصوفة بحيث تجعل القارئ وكأنه يراها، وفائدة الوصف أنه يشد القارئ ويجذبه لأحداث الرواية[57]. كما تعد هذه التقنية "محطة تأملية تتخذ شكل وقفة وصفية أو تحليل لنفسية الشخصية ... وتكون الغاية من الوقف هو تعليق زمن الأحداث في الوقت الذي يواصل فيه الخطاب سيره على هامش القصة"[58].

وقد استغل الكوني تقنية الوصف في رواية (الورم)، وقام بتوظيفه في توضيح الأماكن التي تقوم عليها الأحداث بغية استقطاب انتباه القارئ لمتابعة سرد الرواية بتشوق، أو استغلاله في استجلاء أبعاد الشخصية نفسيا وأيدلوجيا، مستخدمًا هذه التقنية بشكل مبسط أحيانا بحيث لا يتعدَّى الوصف السطرين أو الثلاثة أسطر، كقوله: ((عمَّ في المكان سكون وتمادت في الأركان عتمة بعد أن خنق بأنفاسه ضياء السراج، من الشباك المغلق تسلل بصيص ضوء خبيث فأسدل الستور بإحكام، تمدد في المخدع وتأمل العتمة))[59]، وأحيانا أخر يأتي بالوصف على هيئة فصول مستقلة لأماكن أو شخصيات وردت بكثرة في ثنايا الرواية، من ذلك ما جاء في الفصل الخامس الذي خصصه كله لوصف الواحة مسرح الأحداث، كذلك ما جاء في الفصل السادس الذي خصصه لوصف الزعيم الذي دار حوله حراك جدلي كبير، فوجب على الكاتب أن يخصه بفصل كامل تتجلى فيه حقيقته وينكشف سره.

الخلاصـــة:

حاول الباحث في هذه الدراسة إلقاء الضوء على تقنيات الرواية عند إبراهيم الكوني عبر البناء الفني لرواية (الورم)، وخلص إلى أنَّ هذا الكاتب استطاع توظيف هذه التقنيات توظيفا جيدا، أسهم في إيصال فكرته إلى المتلقي.

وقد تناولت الدراسة العديد من هذه التقنيات التي منحت هذه الرواية نضجا فنيا متميزا، أهمها في الجانب الزمني تقنية الحوار المشهدي، وتقنية المفارقة السردية. وبخصوص الفضاء المكاني أظهرت الدراسة سيطرة الأمكنة المفتوحة ذات الفضاء الشاسع التي تناسب الرواية الصحراوية، وأشارت في الجانب السردي إلى أنَّ الراوي يمتاز بمراقبة شخصياته والتنقل بينها والتدخل في شؤونها

وسبر أغوارها، ودراسة أبعادها النفسية من خلال حركاتها وانفعالاتها عبر لغتي الحوار والسرد، كذلك أشارت الدراسة إلى أنَّ الشخصيات في هذه الرواية جاءت متنوعة ما بين شخصيات نامية محركة لأحداث القصة، وشخصيات مسطحة اقتصر دورها على مساندة الشخصيات الرئيسة ودعمها.

وقد أظهرت الدراسة أيضا البعد السياسي لرواية (الورم)، المتمثل في الرؤية الفلسفية الغرائبية التي يختلط فيها الواقع بالمتخيل والحقيقي بالأسطوري. وتحكي التشبث الأبدي بالسلطة، حيث سخَّر الكاتب جميع فصول الرواية لمعالجة هذه الرؤية المتمثلة في هموم الأنا وطموحاتها، عبر حاكم الواحة (آساناي) الذي جاء من العراء من جوف الصحراء إلى سدة الحكم والاستواء، فما كان ليعود أدراجه إلى السفح وقد بلغ قمة الجبل. ومن ثم، صور الكاتب في روايته عجز الشعب عن تغيير هذا الحاكم المستبد، وصور رغبته الجارفة في أن يعيش عصرا آخر ينعم فيه بالحرية والطمأنينة.

وأخيرا، يمكن الاعتماد على أن الكوني استطاع توظيف التقنيات المستعملة في الرواية العربية والعالمية بشكل ملفت للنظر، فقد وجد في هذه التقنيات مجالا رحبا لإظهار نموذج الرواية الغرائبية الصحراوية بما فيها من طقوس وأساطير وخرافات، في سبيل الوصول بالقارئ إلى هذه الأجواء الغرائبية المليئة بالمغامرات، مما ينبئ عن دراية عميقة ومتمرسة في هذا المجال، فهو على الرغم من نشأته في بيئة صحراوية يغلب عليها الفقر والتخلف؛ إلا أنَّه بفضل مثابرته وعصاميّته استطاع أن يشقَّ طريقه في فضاء الرواية عبر تقنياتها الفنية المتعددة، مما أوصله إلى مصاف العالمية.

الهوامش:

[1] ولد إبراهيم الكوني سنة 1948م، بالحمادة الحمراء في الصحراء الكبرى، حيث درس الابتدائية والإعدادية والثانوية جنوب ليبيا، وأنهى دراسة الماجستير في العلوم الأدبية بمعهد غوركي للأدب العالمي بموسكو سنة 1977م، نشر نتاجه الأدبي بالعديد من الصحف والمجلات المحلية والعربية والعالمية، وحضر العديد من الملتقيات والندوات والمهرجانات الأدبية، عمل بوزارة الشئون الاجتماعية بسبها، ثم بوزارة الإعلام، ثم مراسلا لوكالة الأنباء الليبية بموسكو سنة 1975م، وعمل مستشارا ثقافيا بالسفارة الليبية بموسكو سنة 1987م، كتب عنه كثير من النقاد العرب والأجانب، وتناولت أعماله الروائية عدة صحف ومجلات عربية وعالمية. ينظر: مليطان، عبد الله، معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، الجزء الأول، ص358، 359، 360 .

[2] ينظر: الفاعوري، عوني، تجليات الواقع والأسطورة في النتاج الروائي لإبراهيم الكوني. عمان الأردن. وزارة الثقافة. 2002م، ص31.

[3] ينظر: ملودة، محمود، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، الرواية الليبية أنموذجا، عالم الكتب الحديث. ط1، 2010 م، ص15.

[4] ينظر: سالم، عقيلة، توظيف التراث في أعمال إبراهيم الكوني. رسالة جامعية (ماجستير). الجامعة الأردنية. 2008 م. ص3 .

[5] الفاعوري، عوني، تجليات الواقع والأسطورة في النتاج الروائي لإبراهيم الكوني، ص146.

[6] خليل، إبراهيم، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، ط1، 2010م، ص291.

[7] ينظر: نفسه ص72 .

[8] ينظر: نفسه ص234.

[9] نفسه، ص124.

[10] نفسه ص143.

[11] ينظر: سالم، عقيلة، توظيف التراث في أعمال إبراهيم الكوني، ص4.

[12] نفسه، ص179، 180.

[13] ابن منظور، لسان العرب، ت أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت . طبعة جديدة. مادة: سرد.

[14] صالح، عالية، مقاربات في الخطاب الروائي، كنوز المعرفة. ط1 2011م ص178 .

[15] ينظر: يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق. دار الحوار. ط1 1997م ص29.

[16] الكوني، إبراهيم، الورم، ص7 .

[17] نفسه، ص24.

[18] نفسه، ص37.

(19) ينظر: يوسف، آمنة، تقنيات السرد، ص29 .

(20) خليل، إبراهيم، بنية النص الروائي، 81، 82، 83.

(21) السعافين، إبراهيم، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، (1870 ـ 1967م)، دار المناهل بيروت لبنان، ط2، 1987م، ص524.

(22) الكوني، إبراهيم، الورم ص81.

(23) الفيومي، إبراهيم، قراءات نقدية في الرواية العربية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، أربد الأردن، ط1 2001، ص25.

(24) السعافين، إبراهيم، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام(1870ـ1967)، ص524.

(25) غنايم، محمود، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة (دراسة أسلوبية)، دار الجيل بيروت، دار الهدى القاهرة، ط2 1993م ، ص336.

(26) ينظر: خليل، إبراهيم، بنية النص الروائي، ص194 وما بعدها .

(27) غطاشة، داوود و راضي، حسين، قضايا النقد العربي قديمها وحديثها، الدار العلمية الدولية، ط1 2000م، ص126.

(28) نفسه، ص126.

(29) ينظر: عوين، أحمد، دراسات في السرد الحديث والمعاصر، الوفاء، ط1 2009م.ص93.

(30) الكوني، إبراهيم، الورم ص52.

(31) ينظر: عمايرة، منصور، بناء الزمن والفضاء في الرواية العربية المعاصرة . دائرة المكتبة الوطنية. ط1 2008 م. ص134.

(32) ينظر: خليل، إبراهيم، بنية النص الروائي، ص166 .

(33) ربابعة، موسى، آليات التأويل السيميائي، آفاق للنشر والتوزيع، ط1/ 2011.ص185.

(34) نفسه، ص185.

(35) نفسه، ص188.

(36) الكوني، إبراهيم، الورم، ص60.

(37) نفسه ص62، 63.

(38) سمعان، أنجيل بطرس، دراسات في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص61.

(39) ينظر : عوين، أحمد، دراسات في السرد الحديث والمعاصر، ص115.

(40) خليل، إبراهيم، بنية النص الروائي، ص126 .

(41) ينظر: الرواشدة، سامح، منازل الحكاية، دراسة في الرواية العربية، الشروق،عمان. ط1 2006م. ص120.

[42] الخطيب، عبد الله، روايات باكثير، (قراءة في الرؤية والتشكيل). دار المأمون. ط1 2009م، ص142.

[43] الكوني، إبراهيم، الورم، ص172 .

[44] نفسه ، ص167 .

[45] نفسه، ص 157 .

[46] نفسه ، ص24 .

[47] ينظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م، بيروت، ص120.

[48] ينظر: الخطيب، عبد الله ، روايات باكثير، ص130.

[49] الكوني، إبراهيم، الورم ص46.

[50] ينظر: يوسف، آمنة ، تقنيات السرد، ص 84 .

[51] الكوني، إبراهيم، الورم، ص 139 .

[52] ينظر : الخطيب، عبد الله، روايات باكثير، ص133.

[53] ينظر : يوسف، آمنة، تقنيات السرد، ص89 .

[54] ينظر : يورنوف، رولان، عالم الرواية، ص 168 . نقلا عن تجليات الواقع والأسطورة. لعوني الفاعوري ص109.

[55] بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ص120.

[56] الكوني، إبراهيم، الورم ص136.

[57] ينظر : الخطيب، عبد الله، روايات باكثير، ص136 .

[58] بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ص120.

[59] الكوني، إبراهيم، الورم ص167.

المصـــادر والمراجـــع:

1. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990م بيروت.
2. الخطيب، عبد الله، روايات باكثير (قراءة في الرؤية والتشكيل). دار المأمون. ط1 2009م.
3. خليل، إبراهيم، بنية النص الروائي. الدار العربية للعلوم . ط1 2010م.
4. ربابعة، موسى، آليات التأويل السيميائي، آفاق للنشر والتوزيع، ط1/ 2011.
5. الرواشدة، سامح، منازل الحكاية، دراسة في الرواية العربية، الشروق،عمان. ط1 2006م.
6. سالم، عقيلة، توظيف التراث في أعمال إبراهيم الكوني. رسالة جامعية (ماجستير). الجامعة الأردنية. 2008 م.
7. السعافين، إبراهيم، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، (1870 ـ1967م)، دار المناهل بيروت لبنان، ط2، 1987م.
8. سمعان، أنجيل، دراسات في الرواية العربية، الهيئة المصرية للكتاب، 1987م.
9. صالح، عالية، مقاربات في الخطاب الروائي، كنوز المعرفة. ط1 2011م.
10. عمايرة، منصور، بناء الزمن والفضاء في الرواية العربية المعاصرة. دائرة المكتبة الوطنية. ط1 2008 م.
11. عوين، أحمد، دراسات في السرد الحديث والمعاصر. الوفاء . ط1 2009م.
12. غطاشة، داوود، وراضي، حسين، قضايا النقد العربي قديمها وحديثها. الدار العلمية الدولية، ط1 2000م .
13. غنايم، محمود، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة (دراسة أسلوبية)، دار الجيل بيروت، دار الهدى القاهرة، ط2 1993م.
14. الفاعوري، عون، تجليات الواقع والأسطورة في النتاج الروائي لإبراهيم الكوني. عمان الأردن. وزارة الثقافة. 2002 م.
15. الفيومي، إبراهيم، قراءات نقدية في الرواية العربية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، أربد الأردن، ط1 2001.
16. الكوني، إبراهيم، الورم. دار فارس . ط1 2008 م.

17. ملودة، محمود، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث الرواية الليبية أنموذجا، عالم الكتب الحديث . ط1 2010 م.
18. ابن منظور، لسان العرب، ت: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت . طبعة جديدة.
19. يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق. دار الحوار. ط1 1997م.

أثر المسافة في تشكيل الصورة التشبيهية
(تطبيقات على شعر ذي الرمة)

عبدالسلام مخزوم الشيماوي*

اعتنى العلماء والأدباء والشعراء بالتشبيه[1] بوصفه مكوِّنا جوهريا من مكونات القصيدة العربية القديمة، ولذلك خصوه بالعناية النظرية، فتحدثوا عن ماهيته وبنيته وأركانه، كما تحدثوا عن أنواعه ومحاسنه وعيوبه وبلاغته وجمالياته، وعده المرزوقي ركنا من أركان عمود الشعر العربي[2].

وتقوم الصورة التشبيهية على ركنين هما: المشبه والمشبه به، ويجمع بينهما وجه الشبه، وتربط بينهما أداة التشبيه ظاهرة أو مقدرة، ويعقد التشبيه لغايات بلاغية وفنية، من أبرزها المبالغة، التي تقوم في الأساس على صيغة (أفعل) المقدرة، فإن لم تُقدّر فيه لفظة (أفعل) فليس بتشبيه بليغ[3].

ويرى بعض الدارسين المحدثين أنه ((ليس المقصود من التشبيه المبالغة، ولا الجمع بين شيئين، وليس من مطالبه أنه لابد من أن تكون لفظة "أفعل" التفضيلية جارية في التشبيه، فالشاعر قد يتخذ سبيل الرمز الذي يكون التشبيه فيه مجرد إشارة رمزية، لتكثيف مشاعر معينة يريد الشاعر منا أن نتوجه إليها، لأنها متلبسة في وجدانه بتلك الظلال الجانبية، التي قد تكون أكثر من الأضواء الساطعة الواضحة التي تغشى الرؤية الفنية))[4].

وقد تنبه العلماء والنقاد القدماء لشعر ذي الرمة[5] وقيمته العلمية والفنية، فعدَّه الأصمعي ((حجة، لأنه بدوي، وليس يشبه شعره شعر العرب))[6] أما حماد الراوية فلم ير ((أفصح ولا أعلم بغريب منه))[7] ولذلك كان يراه أوفر الإسلاميين حظا في حسن التشبيه، وكان يوازي تشبيهه بتشبيه أهل الجاهلية، موازاة عصر الجاهلية لعصر الإسلام، فقد نُقل عن محمد بن سلاّم قوله: ((كان لذي الرمة حظ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين، كان علماؤنا يقولون: أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام

* كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية – الجامعة الأسمرية – زليتن.

تشبيها))[8] ولعل هذا ما دفع أبا عمرو بن العلاء للذهاب إلى أبعد من ذلك، عندما جعل شعر ذي الرمة خاتمة للشعر فقال: ((الشعر ختم بذي الرمة))[9].

ويكاد ينعقد إجماع نقاد الشعر على أن شاعرية ذي الرمة تظهر في أبرز جانب من جوانبها في قدرته الفائقة على إبداع الصورة التشبيهية، يستوي في ذلك أنصاره ممن أنصف الشعر المحدث، وخصومه من المتعصبين للشعر القديم، كالأصمعي وأبي عمرو بن العلاء والفرزدق وجرير وغيرهم، فبالرغم من تحامل هؤلاء وأضرابهم على شعره، فإنهم كانوا يشهدون له بالتفوق في حسن التشبيه. قال أبو عبيدة: ((أنشد ذو الرمة أمير اليمامة، وجرير شاهد، فقال له الأمير: ما تقول في شعره؟ قال: نقط عروس وأبعار ظباء، ومع هذا فقد قدر من التشبيه ما لم يقدر عليه غيره))[10].

وكان ذو الرمة يدرك في نفسه امتلاكه هذه الشاعرية، وكفاءته فيها واقتداره عليها، كما يدرك في الوقت نفسه قيمتها الفنية فيقول: ((إذا قلت (كأنه) ثم لم أجد مخرجا فقطع الله لساني))[11] ولا ريب في أن ثقته بنفسه وشعوره بامتلاكه لهذه المقدرة الفنية هو الذي دفعه أن يتخذ من التشبيه مادة أساسية في شعره[12].

ولم يكن حكم النقاد على شعر ذي الرمة وعلى الصور التشبيهية فيه قائما من فراغ، فقد توفر في ديوانه منها ما يدعو للاستغراب والدهشة، ذلك أن ذا الرمة في تشبيهاته الكثيرة كان يجمع بين التوسع من جهة، والجدة والطرافة من جهة ثانية، والتنوع من جهة ثالثة.

فمن حيث التوسع نجده يبدع في موضوع ثم يعاود النظر ويكرر الوقوف فيه مرة أخرى، فيقصر الوقوف تارة ويطيله تارة أخرى، ولكنه يوسع من دائرة الصور التشبيهية فيه، من خلال تعدد زوايا النظر، ليعبر في كل مرة عن رؤية جديدة للموضوع نفسه، كتعدد زوايا النظر في اللوحة الطللية، التي التزم بها في أغلب قصائده الشعرية.

أما الجدة والطرافة فهي ظاهرة جلية في تشبيهاته، فقد جمع في شعره بين أطراف لم يسبقه إليها الشعراء، كتشبيهه الجبال في الصحراء حين يغمرها السراب عن بُعد بالخيول، فتبدو له تارة خيول متسابقة، كما في قوله: {من الطويل}

ترى القُنَّة القوداءَ منها كأنّها كُميتٌ يبارِي رَعْلَةَ الخيل فَارِدُ[13]

وأحيانا تبدو له رءوس الجبال وهي تغوص في السراب تارة وتظهر تارة أخرى بالخيول المقيدة الواثبة، وذلك قوله {من الطويل}:

وشَبّهتُ صَبْر الخيل شُدّت قيودُها تقمّس أعناق الرعان السوامك[14]

على أن الجدة والطرافة ليستا مما يميز التشبيه في شعر ذي الرمة وحدهما، فقد جمع إلى جانبهما عنصر التنوع، وهو . برأيي . أهم العناصر الثلاثة، وأقصد بالتنوع أن صوره التشبيهية تتوفر على تنويعات أو تقاطبات مكانية كثيرة، كالقرب والبعد، والثبات والحركة، والإجمال والتفصيل، والكبر والصغر، والأعلى والأسفل، والوحدة والتنوع، وغير ذلك[15] من التقاطبات التي قد يعسر متابعتها وملاحقتها، بسبب انشطاراتها وتناسلاتها اللامتناهية، وهي بحاجة إلى النظر والبحث والدراسة من هذه الزوايا المختلفة.

وليس من غايات هذا البحث الوقوف عند الصور التشبيهية في شعر ذي الرمة بعامة، ومتابعتها في هذه التنويعات والتقاطبات جميعها، وإنما غايته الوقوف عند ظاهرة فنية ولافتة في صوره التشبيهية، لا تكاد تتوفر في جملتهما عند غيره من الشعراء، وهي تشكيل الصورة التشبيهية عن بُعْد، على ما سيتبين في هذا البحث.

وتكمن أهمية الصورة التشبيهية عن بُعد وقيمتها في جانبين:

الأول / الجانب الفني: ويتمثل في كونها تشكيلات جديدة لصور يكتشف الشاعر أجزاءها من واقعه البدوي، ويؤلف فيما بينها، فقد تكون أصول مثل هذه الصور معهودة ونمطية في الشعر العربي، وهي حقا كذلك، لكنها تكتسب أهميتها من حضورها وكثرتها، وذلك ما يضفي عليها . بالضرورة . طابع التنوع والجدة، ويجعلها ظاهرة في شعر ذي الرمة وخاصية من خصوصياته الشعرية.

كما تكتسب أهميتها كذلك من كيفية تشكيلها، التي تعتمد على دقة الملاحظة والقدرة الفائقة على إدراك العلاقات الخفية التي تربط بين المشبه والمشبه به، وهذا لا يكون إلا بعد النظر إلى أحد الركنين أو كليهما، أي بعد وجود مسافة معينة تفصلهما عن الشاعر، ومن ثم يستطيع أن يقتنص وجوه مشابهات غير مألوفة.

ويعتمد الشاعر في ذلك على شاعريته في تفاعلها مع الفضاءات الفسيحة والآفاق الممتدة، التي تتيح له وللشعراء كافة ملاحظة أشكال وأحجام وهيئات وألوان لا حصر لها، على نحو ما يلاحظونه من تشكيلات الصور في الطبيعة، كالسحاب والنجوم والجبال والهضاب والتلال والأشجار وغيرها، وذلك عندما يجدون مساحة كافية بينهم وبين هذه الأشياء، تتيح لهم رؤيتها على غير هيئتها ما لو أبصروها عن قرب، فيسلطون عليها حاسة البصر، ويدركون لها مشابهات وعلاقات جديدة تربطها بغيرها من الأشياء، ويمنحونها أبعادا فنية وجمالية، ويعبرون من خلالها عن رؤيتهم الفنية.

إن لبُعد المسافة عن المحسوس أو قربها منه تأثير كبير على طبيعة إدراكه بحاسة البصر، وما أكثر الأشياء التي تتغير نظرتنا لها عند ابتعادنا عنها أو اقترابنا منها! وهذا التأثير لا يقتصر على حجم المحسوس أو شكله أو هيئته فحسب، بل يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك، كلونه وطبيعته وعلاقاته بغيره من المبصرات، بل إنه في بعض الأحيان يتصل بماهية المحسوس من أساسه، والدليل على ذلك حقيقة السراب، الذي يبدو للعين في الصحراء ماء جاريا، لكنه في الحقيقة وفي واقع الأمر لا وجود لشيء من ذلك، بل هو سراب، أي مجرد وهْم؛ وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على هذا المعنى، كقوله تعالى: ((والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله شديد الحساب))[16]؛ فقد شبهت الآية الكريمة مدرَكاً غير محسوس، وهو ما تمخض عن أعمال الكفار في الحياة الدنيا، بمدرك محسوس بحاسة البصر وهو السراب، وإن كان إدراك العين له ليس إلا إدراكا وهمياً.

وبالرغم من أن السراب وهمٌ، فإن الشعراء قد تغاضوا عن هذه الحقيقة . وهم غير مطالبين بها . وبنوا كثيرا من صورهم الشعرية على ما يناقضها وما يظهر لحاسة البصر من أن السراب ماء، وبهذا صح لهم تشبيه حركة الظعائن في الصحراء بحركة السفن في البحر، كما في قول المثقِّب العبدي: {من الوافر}

وهنَّ كذاك حين قطعن فلْجا كأن حمــولهن على سفين

يشبّهن السفين وهــن بخت عراضـات الأباهر والشئون[17]

وما كان للسراب أن يظهر في صورة البحر لولا وجود المسافة الكافية بين الحاسة والمحسوس، التي جعلت الظعائن المسافرة في الصحراء كأنها سفن جارية في البحر.

الآخر/الجانب البلاغي: وهو أن المسافة . في حالة تشكيل الصورة التشبيهية المبنية على الهيئة . هي التي تحدد حجم أحد ركني الصورة التشبيهية أو كليهما لحظة تشكيلها، ومن ثم ينفي عنه أو عنهما صفة الثبات المعهودة في الحجم، ويجعل حجمه لا يثبت حال، بل يضل حجمه مرهونا بحركة الشاعر، وهذا ما يجعله في حركة مستمرة، فيزيد حجمه وينقص بحسب الاقتراب منه أو الابتعاد عنه، وقد تتغير طبيعة حركته بحسب ذلك، الأمر الذي ينفي سمة الثبات عن هيئته وشكله وحجمه ولونه، ولذلك ليس من السهل . والحالة هذه . تعيين الفاضل من المفضول أو الأصغر من الأكبر أو الأصل من الفرع، التي يقوم عليها التشبيه لتحقيق المبالغة، بناء على أن الشعر رؤيا[18] جديدة للعالم وللأشياء خارج إطار المواضعات والأعراف الشعرية، التي تُخضع الشاعر للعرف الشعري المتداول، وتكرس في ذهنه فكرة وجود أصل[19] وهْمي مفترض يحدد سلفا حجم الركنين.

إن اعتبار الشعر رؤيا جديدة للعالم وللأشياء يغري بإعادة النظر في بعض الأمثلة التي يستشهد بها البلاغيون فيما عُرف في البلاغة العربية بالتشبيه المقلوب[20]، ممن تؤثّر المسافة في تشكيلها، وقد تحدث عنه ابن جني وأدخله في " باب من غلبة الفروع على الأصول "[21]، لغرض المبالغة، واستشهد له بقول ذي الرمة {من الطويل}:

ورملٍ كأوْراك العذارى قطعتُه إذا جلّلَتْه المظلماتُ الحنادسُ

وقال: ((أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعا والفرع أصلا، وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء...فشبه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد))[22].

وسماه ابن الأثير: ((الطرد والعكس وهو أن يجعل المشبه به مشبها، والمشبه مشبها به))[23] وأورد كلام ابن جني السابق وشاهده عليه، وأضاف بعض الشواهد الشعرية، كقول البحتري: {من البسيط}

في طلعة البدر شيءٌ من محاسنها وللقضيب نصيبٌ من تثنّيها

إن التفكير البلاغي في بيت ذي الرمة يخضع للعرف والعادة سعيا وراء طلب الحقيقة، لا كما هي في البيت الشعري بل كماهي في الواقع، وإن الحقيقة في مثل هذه الصورة التشبيهية، ليست حقيقة شعرية نابعة من رؤية الشاعر لها، بل هي حقيقة نابعة من عالم الواقع، وهذا ما جعل التفكير البلاغي يصرف اهتمامه كليا عن رؤية الشاعر لحجم المشبه، وهو" كثبان الرمل" ويُغفل دور السياق الذي يعين على فهم المسافة في تشكيل هذه الصورة، وما إذا كان الشاعر يكابد رحلة مضنية في الصحراء، وقد أرخى الليل سدوله، وهو يتعجل قطع المسافات البعيدة، ويراقب معالم الطبيعة أمامه وخلفه، فتتراءى له كثبانها الرملية عن بُعد.

ويتأكد مثل هذا التفكير عند ابن الأثير بقوله: ((تقرر في أصل الفائدة المستنتجة من التشبيه أن يشبه الشيء بما يطلق عليه لفظة "أفعل" أي يشبه بما هو أبْين وأوضح، وبما هو أحسن منه أو أقبح، وكذلك يشبه الأقل بالأكثر والأدنى بالأعلى))[24] فهو يؤكد ضرورة أن يكون الوجه في المشبه به أتم، أي أن يتفوق المشبه به على المشبه، ويبنى ذلك على أساس ثبات هذا التفوق ، الذي لا تتم المبالغة إلا به، ولكي يتم هذا التفوق ينبغي بحسب البلاغيين أن يستند ذلك المشبه به على حجمه الحقيقي في عالم الواقع لا العالم الشعري، تلك الحقيقة التي تجعل كثبان الرمل أكبر بالضرورة من أعجاز النساء، ومن ثم يقلب الشاعر هذه الحقيقة طلبا للمبالغة.

ولم يكن ذو الرمة مبتدعا لتشكيل الصورة التشبيهية عن بُعد، فتراثه الشعري يزخر بمثل هذه الصور التشبيهية النمطية، التي تقوم في الأساس على رصد الأبعاد والمسافات في التقاط الصورة التشبيهية عن بُعد، وتظهر هذه الصور غالبا في مقدمات القصائد وفي لوحات الأطلال، عندما يشبهها الشاعر ببقايا الكتابة على وجه التحديد، كما في قول امرئ القيس: {من الطويل}

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
أتت حِجَج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان[25]

وكما في قول المرقِّش الأكبر: {من السريع}

هل بالديار أن تجيب صمم لو كــان رسمٌ ناطق كلّمْ

الدار قفــر والرســـوم كما رقّش في ظهر الأديم قلم[26]

أو ببقايا الوشم، كما في قول طرفة بن العبد: {من الطويل}

لخولة أطلال ببُرقة ثَهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[27]

ولا ريب أن ذا الرمة قد اطلع على هذه الصور التشبيهية ومثيلاتها، وغير مستبعد أن تكون قد لفتت انتباهه واستثارته، بل لابد أن تكون أغرته، فاستثمرها في تشكيل صوره التشبيهية على اختلاف أشكالها وموضوعاتها، وهذا ما سيحاوله البحث في الصفحات الآتية.

إن المتأمل في ديوان ذي الرمة يجد أن الشاعر يستوحى ما درج عليه الشعراء القدامى من استحضار الكتابة في تشبيه بقايا الأطلال والرسوم، فهو يعيد تشكيل مثل تلك الصور النمطية، كما في تشكليه لهذه اللوحة: {من الطويل}

خليليَّ عوجا اليوم حتى نُسلِّما على طلل بين النقا والأخارم

كأن لم يكن إلا حديثا وقد أتى له ما أتى للمزمن المتقـادم

وهـل يرجــع التسليم ربع كأنه بسـائفة قفرا ظهور الأراقــم[28]

وكما في قوله أيضا {من الطويل}:

ديارٌ لميٍّ قد تعفّت رسومُها تُخال نواحيها كتابا معجّما[29]

وربما أعادها بطريقة مختلفة، كما في قوله: {من الطويل}

ألا ظعنت مــيٌّ فهـاتيـك دارها بها السحم تردي والحمام الموشّم

كأن أنوف الطير في عرصاتها خراطيـم أقــلام تخــط وتعــجــم

ألا لا أرى مثلي يَحِن من الهوى ولا مثل هذا الشــوق لا يتصرم[30]

لكن ما يميز هذا النمط من الصور التشبيهية عند ذي الرمة هو أنه لم يقصرها على لوحة الطلل كما هو الحال عند أغلب الشعراء، بل تجاوز ذلك إلى موضوعات كثيرة من قصائده الشعرية، وسوف يقف البحث عند بعض الأمثلة المفردة لتشكيل الصورة التشبيهية عن بُعد، ثم يعقبها بأمثلة أخرى لها منتظمة في سياقات لوحات فنية مكتملة:

1ـ فمن ذلك قول ذي الرمة في تشبيه عين الناقة {من الطويل}:

يُعاورن حدّ الشمس خُزْرا كأنّها قِلاتُ الصّفا عادت عليها المقادح[31]

فمعنى يعاورن حدّ الشمس: ينظرن إليها. والقلات: جمع قِلت وهو نُقْرة في الجبل يجتمع فيها الماء. والمقادح: المغارف.

فهذه الصورة التشبيهية ملتقطة عن بُعد، إذ يشبه الشاعر فيها عين الناقة وهي تنظر إلى قرص الشمس بنُقْرة الجبل الممتلئة بالماء، وفي الصورة قدر من الدقة والاستغراق، إذ لم يكتف الشاعر بتشبيه عين الناقة بالنقرة، بل امتدت الصورة إلى تشبيه جفون تلك العين في حركتها المتكررة من الإطباق والفتح، وفي شكلها المستدير، بالحركة المتكررة للمغارف وهي تمتح الماء من تلك النقرة، بشكلها المستدير أيضا، فجمع الشاعر بين هاتين الصورتين اللتين لا يمكن تخيلهما إلا بتقدير مسافة كافية بين النقرة والشاعر.

2 ـ ومن ذلك أيضا قوله يصف ثورا فاقع اللون: {من الطويل}

أَحَمُّ الشّوى فردٌ كأنّ سَراتَه سنا نارِ محزونٍ به الحيُّ ساهرِ[32]

أحم الشوى: أسود القوائم. وسراته: ظهره. سنا نار: ضوء نار. يشبه الشاعر في هذا البيت بياض ظهر الثور، وقد رفعته عن الأرض قوائمه السوداء بضوء النار، وهذه الصورة التشبيهية مبنية على اللون، ويبدو أن المسافة التي تفصل الشاعر عن المشبه " الثور" ليست بعيدة ولا قريبة بل متوسطة، فلو كانت المسافة بعيدة لما أمكن تمييز تفاصيل لون الثور، ولو كانت قريبة لما أمكن تشبيهه بضوء نار المحزون الساهر، فلا بد أن تكون المسافة متوسطة، تسمح برؤية لون الثور وهيئته في آن.

3 ـ ومنه أيضا قوله في تشبيه طائر الحُبارَى: {من الطويل}

بأرض ترى فيها الحُبارَى كأنها قَلُوصٌ أضلّتها بِعِكْمَيْن عِيرُها[33]

الحبارى: تطلق على الذكر والأنثى، وهو طائر طويل الرجلين ومتوسط طول الرقبة ويشبه النعام في هيئته إلا أنه أصغر حجما منها، ولها أنواع وألوان كثيرة منها اللون الشاحب والرمادي، ويعيش بعضها في الجزيرة العربية وفي شمال أفريقيا وغيرها، أضلتها: أضاعتها،

والعِكْمَيْن: مفردها عِكْم وهو الأرض العدلة المستوية، والقلوص: أنثى الإبل قبل أن تصير ثنية، فإذا بلغت ذلك سميت ناقة، والعِير: القافلة.

وقد رُصدت هذه الصورة التشبيهية من مسافة متوسطة، في أرض منبسطة خالية من معالم الطبيعة كالجبال ونحوها، فلو كانت مثل هذه المعالم موجودة لما أمكن تخيلها قلوصا تائها عن قافلته يلوح عن بُعد، وفيها يشبه الشاعر طير الحبارى بالناقة التي أضلتها القافلة، ويدل على توسطها جسم هذا الطائر من جهة وتخيل حركته التي تشبه حركة القلوص في أرض منبسطة من جهة ثانية.

ويقف البحث عن بعض الصور التشبيهية التي تنتظم في لوحات فنية، يُلقي السياق فيها دورا مهما في تأثير المساحة على تشكيل الصور التشبيهية عند ذي الرمة، فمن ذلك:

1. لوحة من وصف الظعائن:

هذه لوحة لوصف الظعائن من شعر ذي الرمة، وهي من قصيدة مطلعها: {من الطويل}

أراح فريقُ جيرتكَ الجمالا كأنهمُ يريدون احتمالا[34]

وفيها يقول:

فأشرفتُ الغزالة رأس حوضَى أُراقبهم وما أغنى قِبالا
كأني أشهل العينين بازٍ على علياء شبّه فاستحالا
رأيتهم وقد جعلوا فِتاخا وأجرعه المقابلة الشِّمالا
وقد جعلوا السّبيّة عن يمين مقاد المُهر واعتسفوا الرِّمالا
كأنَّ الآل يرفع بين حُزوى ورابيةِ الخَويِّ بهم سيالا[35]

يقف الشاعر في هذه اللوحة موقف المراقب لحركة الرحلة عن بُعد، وقد اختار زمانا ومكانا دقيقين ومحددين، أما الزمان فهو وقت الضحى، وفقا لما جرت عليه العادة في الرحيل، وأما المكان فهو مكان مرتفع يسمح بمتابعة حركة الظعائن، وقد أشرف على ذلك المكان إشرافة أشهل العينين، أي الذي يخالط عينية سواد وهو طائر الباز، على الأماكن المرتفعة، لكأنه يجلس في برج من أبراج المراقبة، يرصد من فوقه دقائق حركة الظعائن وتفاصيلها،

ليعطي وصفا لموكب الرحلة لحظة في إثر لحظة ((فيسمي ما يامنوه من الأمكنة وما ياسروه ويسرف في التحديد كأنه يخاف أن نضل في تتبعهم فتغيب عنا القافلة))[36] فالموكب قد جعل "فتاخا". وهو جبل، عن شماله، ثم جعل "الأجرع" وهو جبل أيضا شماله، كما جعل السبية عن يمينه، ثم أخذ الموكب في الابتعاد حتى وصل بين "حزوى" وهو بطن الوادي، و"رابية الخَوَي" حيث الشجر، وقتذاك أخذ السراب يتكاثف ويسري بين أفراد موكب الظعائن، يتموج به تارة ويرفعه تارة أخرى، كما لوكان ماء يرفع شجر السيال، وهو شجر له شوك، ينبت في ذلك الموضع، ثم أخذ بعد ذلك في وصف الظاعنات وقد دخلن في كُنُس أي مأوى يأويهن من حرارة الشمس:

وفي الأظعان مثلُ مها رُماحٍ علته الشمسُ فادَّرع الظِّلالاَ

تجوّف كلَّ أرْطـاةٍ رَ بُـوضٍ من الدهنا تفرَّعـت الحِبالا[37]

ولوحة الظعائن هذه تشبه من بعض الوجوه لوحة الظعائن في قصيدة المثقِّب العبدي الشهيرة: {من الوافر}

أفاطمُ قبل بيْنِكِ متِّعيني ومنْعك ما سألتُ كأنْ تَبِيني[38]

ولم تكن لوحة الظعائن عند ذي الرمة مشابهة للوحة الظعائن عند المثقب العبدي في الموضوع الشعري وفي الصور الشعرية فحسب، بل تتشابه معها في الإيقاع الشعري أيضا، فكلتا القصيدتين من بحر الوافر، واللافت هنا هو المشابهة في المتابعة الدقيقة لحركة رحلة الظعائن وهي تبتعد عن الشاعر شيئا فشيئا، يقول المثقب العبدي: {من الوافر}

لمن ظعن تطالع من ضبيب فما خرجت من الوادي لحين

مررن على شراف فذات رجل ونكـــبن الذرائــح باليمـين

وهن كذاك حيــن قطعن فلجا كأن حمــولهـن على سفين

يشبهن السفيــن وهـن بخت عراضـات الأباهــر والشئون[39]

وإذا كان ذو الرمة قد اختار في متابعته لموكب رحلة الظعائن ومراقبته صورة البازي الذي يقف على مكان عال، فإن المثقب العبدي من قبله قد اختار متابعة الرحلة خطوة خطوة، لكنه لم يعين المكان الذي يقف فيه أثناء متابعته لها. أما امرؤ القيس فقد آثر الوقوف عند

سمُرات الحي، أي الشجر الذي ينبت في أطراف الحمى، وهي أبعد نقطة يقف فيها المودعون لأحبابهم، وقد أراد التعبير عن حالة انكساره النفسي لحظة الرحيل القاسية، وما يصاحبها من آلام وأحزان ودموع، فاختار لتصويرها حالة ناقف الحنظل الذي يقف عاجزا عن التحكم في سيلان دمعه: {من الطويل}

كأنّي غداة البيْن يوم تحمَّلوا لدى سَمُرات الحيِّ ناقف حنظل[40]

2. لوحة من الطبيعة الحية: "الظبية":

وهذه لوحة من الطبيعة الحية في شعر ذي الرمة، وهي من قصيدة له مطلعها: {من البسيط}

أَعن ترسّمت من خرقاء منزلةً ماءُ الصبابة مِن عينيك مَسجوم

وفيها يقول:

كأنّها أمُّ ساجي الطّرف أخـدَرَها مُستودعٌ خَمَرَ الوعْســاء مَرخــومُ
تَنْفي الطوارفَ عنه دِعْصَتا بَقَرٍ ويافــعٌ مـن فِرِنْـدَادَيْــن ملمـــــومُ
كأنه بالضحى ترمي الصعيدَ بـه دبَّابــةٌ في عظـام الرأس خُرْطُـــوم
لا يَنْعشُ الطَّرْفَ إلا مـا تَخَـوَّنه داعٍ يُنـاديـه باســم المـاء مبْغُــوم
كــأنّــه دُمْلج مـن فضّـــة نَبَــةٌ في ملعبٍ من عذارى الحيِّ مفْصومُ
أو مــزنــة فارق تجلــو غواربها تبــوح البرق والظـلمــاء علجــوم
تلك التي أشبهت خرقاء جَلْوتَها يــوم النقـا بهجــة منها وتطهيـــم[41]

وترسم هذه اللوحة صورة دقيقة لولد الظبية من زوايا مختلفة، فهو قاعد في مكان يجمع بين الشجر والرمل، وقد توارى خلف كثبانين من الرمل، يحفظانه من العيون، وهو يحس بالراحة والطمأنينة في حماية أمه، التي اختارت له مكانا مناسبا لذلك، ويظهر ذلك من هيئة الاستلقاء التي كان عليها، وما صاحبها، من سكون طرفه واسترخائه، وإسدال رأسه على الرمل وقت الضحى، فهو ينعم بالراحة، ولا يعير اهتماما لحبات الرمل والتراب التي يحثوها نسيم الضحى على وجهه، بل يمضي سادلا رأسه كرجل سكران، وقد استغرق في الراحة فلا

يدعوه لرفع طرفه إلا صوت بُغام أمه البعيد، الذي صدر منها بعد افتقاده له، وقد التقط الشاعر صورته التشبيهية وولد الظبية على هذه الهيئة، فبدا له :

كأنّــه دُمْلج من فضّــة نَبَهٌ في ملعبٍ من عذارى الحيِّ مفْصومُ

أي كأنه دملج أبيض نسيته إحدى العذارى في ساحة الملعب، فالشاعر لم يدرك هذه الصورة الجميلة إلا بتقدير مسافة بينه وبينها، بحيث صار ولد الظبية في حجم الدملج وفي هيئته المستديرة وفي لونه الفضي اللامع وشكله الجميل، ونحن لن نستطيع تمثل هذه الصورة ولا إدراكها معه إلا بتقدير تلك المسافة، ويلاحظ أن التصغير وقع على صورة ولد الظبية وهو المشبه، وأن صورة المشبه به في الواقع أصغر من صورة المشبه بكثير، لذلك ناسب أن يكون ولد الظبية شبيها بالدملج.

3. لوحة من الطبيعة الصامتة: "الجبل":

وهذه لوحة من الطبيعة الصامتة من قصيدة لذي الرمة كذلك، ومطلعها: {من الطويل}

ألا أيها الربع الذي غيَّر البِلى كأنَّك لم يعهد بك الحيَّ عاهد

وفيها نقرأ:

وقُفٍّ كحِلْبِ الغيم يهلِك دونَـه نسيمُ الصَّبا واليَعمُلات العواقدُ

ترى القُنَّة القوداءَ منها كأنّها كُميتٌ يبارِي رَعْلَةَ الخيل فَارِدُ[42]

ففي هذه الصورة التشبيهية وصف دقيق لأحاسيس الشاعر في مواجهة الصحراء، إذ تصور حركة رحلة الشاعر في الصحراء الشاسعة، التي لا يبدو فيها من مظاهر الحياة شيئا، غير الطبيعة القاسية والأفق الممتد والسماء البعيدة، وقد شبه في البيت الأول الأرض الغليظة البعيدة المغبرّة بغيمة في السماء، حيث يتراءى له رأس الجبل وقد غاص في السراب بفرس كميت، أي فرس أسود يضرب لونه إلى الحمرة، وهذا الجبل يتحرك حركة سريعة نتيجة حركة السراب، فيبدو له عن بُعد كما لوكان فرسا فاردا أي متقدما في مباراته مع أقرانه من مجموعة الخيل.

ولم يكتف ذو الرمة بهذه الصورة التشبيهية عن بُعد، فقد استهوته، ولعله افتتن بها، فأخذ يستقصي هذا المعنى، كما لو أنه يريد أن ينهك أساليب التعبير فيه:

قَمُوسَ الذُّرَى في الآل يمّمْتُ خَطْمه حَراجِيجَ بَلاَّها الوجيفُ المواخدُ

بـراهـن عمـا هـن إمـا بـوادئ لحـاج وإما راجـعـات عوائـد

وكائـن بنـا هاوين مـن بطن هوجـل وظلماء والهلباجة الجبس راقـد[43]

وذلك عندما ينتقل وينقلنا معه من المعنى العام لهذه الصورة التشبيهية إلى ما وراءه وهو المعنى الخاص، على طريقة الاستغراق الشعري، وهو عدة الشاعر الأساسية في الوصول بموضوعات محدودة في الواقع المادي إلى غايات غير محدودة في الفن الشعري[44].

لقد تحول الجبل الغائص في السراب إلى فرس كميت له خطام، ثم تتداعى الصور عند الشاعر فيترك المشبه وهو الجبل، ويستغرق في وصف المشبه به وهو الفرس والخيل التي تباريه، فهي خيل هزيلة أضناها السير وطول الطريق، ويبدو أنها كانت في حركة دائمة، كما لو أنها ماضية لقضاء حاجة من حاجاتها أو راجعة منها، ثم جعل مسافة بينه وبين الصورة بركنيها و أخذ يتحدث عن غايته من الرحلة، إن لذلك الفرس الجامح خطاما يشد أنفه، وهذا الخطام يتراءى للشاعر من بعيد، مما يجعله في منطقة بين الحقيقة والوهم، لكنه مصمم على المضي قدما للإمساك بهذا الخطام "يممت خطمه" ولا يمنعه من بلوغ هدفه إلا تلك الفلاة المليئة بالمخاطر، ولا ضير في هذا فالغايات الجليلة تُهوِّن كل الوسائل التي تقود إليها، وإن ذلك الخطام يستحق المخاطرة، وهو يحيلنا رمزيا إلى مفتتح القصيدة التي يتغنى فيها بـ"خرقاء"،[45] لتتكشف لنا غاياته من تلك الرحلة المضنية، وهو القبض على الخطام أو الإمساك به والوصول إلى تلك الفرس الجموح .

4 . لوحة من الصيد:

وهذه لوحة رابعة للصيد، من قصيدة ذي الرمة المشهورة: {من البسيط}

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كُلَى مفريَّةٍ سَرِبُ[46]

يبدأها بصورة حمار وحشي يجري في الصحراء ظالعا، بسبب عضة وحش من وحوش الصحراء، وهو على حالته تلك يجري وراء أُتُن رمادية اللون، محاولا اللحاق بها، متوسلا بصياحه عليها في يوم حار، قد صوّحت فيه الأعشاب والبقول، وما يزال يجري في إثرها ويلهث، حتى يصفر قرن الشمس، ويقترب من مصدر الماء الذي كان يطلبه منذ أول النهار، فيسرع في جريه حتى يقترب من ذلك الماء، ويشتد ركضه وركض أُتُنه أمامه، ولكن الماء لايزال بعيدا، فيسرع أقوى ما تكون السرعة، ويستمر في هذه السرعة وذلك الجري طوال النهار في غير إبطاء ولا إعياء، حتى تبدأ حلك الظلام في التفلُّت، وتنبعث خيوط أنوار الصباح في الآفاق، عند ذلك يصل إلى عين أثال[47]:

فغلّست وعمود الصبح منصدع عنها وسائره بالليل محتجب
عينا مطحلبةَ الأرجاء طاميةً فيها الضفادع والحيتان تصطخب
يستلُّها جدولٌ كالليل منصلتٌ بين الأشاءِ تسامى حوله العُشُبُ[48]

وعندما وصلت إلى تلك العين أرادت أن تشفي غلتها من الماء، وبينما كانت تهم بالشراب سمعت صوتا خفيفا، فاقشعرت أبدانها خوفا من أن يكون هناك خطر محدق، وإنه لهناك يتلفع في ثيابه البالية، وقد أعد سهامه وأسلحته، مترقبا مجيء هذا القطيع، لكن خرير الماء وشدة عطشها أغراها بالمغامرة أو جعلها تتناسى هواجس الخطر غير المحقق:

وبالشمائل من جِلاّن مقتنصٌ رذلُ الثيابِ خفيُّ الشخص منزربُ
مُعِدُّ زُرْقٍ هدتْ قَضْبا مصدّرةً مُلْس البطون حداها الريش والعَقَبُ
كانت إذا ودقت أمثالهنّ له فبعضهنّ عن الأُلاّف منشعبُ
حتى إذا الوحشُ في أهضام موردها تغيَّبتْ رابها من خيفةِ ريبُ
فعرّضتْ طلَقًا أعناقَها فَرَقًا ثُم اطّبَاها خرير الماء ينسكبُ
فأقبل الحُقْبُ والأكباد ناشزةٌ فوق الشراسيف من أحشائها تَجب[49]

حتى إذا مست المياه حناجرها صوب الصائد سهامه إليها، ففزعت من ذلك أشد ما يكون الفزع، وفي سرعة البرق أطلقت سيقانها إلى الريح، وتفرقت في محيط المكان فنجت كلها ولم يصبها مكروه:

حتى إذا زَلَجَت عن كلّ حَنْجرةٍ إلى الغليل ولم يقْصعْنه نُغَبُ
رمى فأخطأ والأقدار غالبةٌ فانصعْن والويلُ هِجِّيراهُ والحِرَبُ[50]

وهنا يصور الشاعر حركتها السريعة وما تحدثه أظلافها في حصا الأرض الغليظة من شدة السرعة، فتأخذ في الابتعاد عن نظر الشاعر شيئا فشيئا باتجاه سفح الجبل، لتتمثل له حين ابتعادها بريشتيْ صقر قرِم، وهو الشديد الشهوة إلى اللحم:

يقعْن بالسفح مما قد رأين به وَقْعًا يكاد حصى المغْزاء يلتهبُ
كأنّهن خوافي أجدلٍ قَرِمٍ ولّى ليسبقه بالأمْعَزِ الخَرِبُ[51]

5 . لوحة من الطبيعة الحية: "بقر الوحش":

وهذه لوحة أخرى من قصيدة له مطلعها {من الطويل}:

خليليّ عوجا من صدور الرواحل بجمهور حُزْوى فابكيا في المنازل[52]

تصور هذه اللوحة مشهدا من مشاهد رحلة ليلية، وكان يرافقه فيها بعضٌ من أصحابه، في عتمة من عتمات آخر ليل بهيم، وقد تغشى رفاقه النعاس، وهم فوق ظهور مطاياهم، أما الشاعر فلم يحدث له شيء من ذلك، بل بقي فوق مطيته يقِظا يترقب النجوم كأنه صقر عتيق طاو:

إذا ما نعسنا نعسة قلت غنِّنا بخرقاء وارفع من صدور الرواحل
ونومٍ كحسّو الطير قد بات صُحْبتي ينالونه فوق القلاص العياهل
وأرمي بعينيَّ النجوم كأنّني على الرحل طاوٍ من عتاق الأجادل
وقد مالت الجوزاء حتى كأنّها صوارٌ تدلّى من أميلٍ مقابلِ[53]

ويلفتنا في هذه اللوحة البيت الأخير، الذي يرى فيه الجوزاء وقد مالت عن الأفق كأنها قطيع من بقر الوحش يتدلى من سفح جبل" أميل"[54] وهو جبل من الرمل طوله أيام وعرضه كذلك؛ ولا يمكن للإنسان أن يتصور الجوزاء قطيعا متدليا من الوحش إلا إذا أدرك أن الشاعر إنما اعتاد رؤية مثل ذلك القطيع وهو سائر في الصحراء، وأنه كان يراه من مسافة بعيدة.

الهوامش:

(1) . التشبيه لغة: التمثيل، وعند البلاغيين، ((الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينُب)) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي . الكويت، الطبعة الثانية، ص245. وهناك تعريفات كثيرة للتشبيه قدمها المتأخرون من البلاغيين، مختلفة في ألفاظها متقاربة في معانيها. ينظر: علي الجندي، فن التشبيه، مكتبة نهضة مصر . مصر، الطبعة الأولى، 1952م، ص29 . 34. وتعد هذه الدراسة القيمة من أغنى الدراسات في هذا الموضوع . في حدود ما أعلم . وقد زودني بنسخة إلكترونية منها أحد زملائي في الكلية فجزاه الله عني خيرا.

(2) . ينظر: أبو علي أحمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل . بيروت، الطبعة الأولى، 1991م، 9/1.

(3) . ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية . بيروت، 1985م، ص119.

(4) . رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف بالإسكندرية . مصر، الطبعة الثانية، د . ت، ص 243.

(5) . هو غيلان بن عقبة بن مسعود بن بهيس من بني عُدي بن عبد مناة، وكان راوية لشعر الراعي النميري، ثم صار شاعرا إسلاميا، وكان كثير المدح لبلال ابن أبي بردة، وأحد الشعراء المتيمين، قال عنه الأصمعي: ((ما أعلم أحدا من العشاق الحضريين وغيرهم شكا حبا أحسن من شكوى ذي الرمة مع عفة وعقل رصين)) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،8/18. وقد أحب "مية" وتغنى بها في شعره، وعن سبب تسميته قيل إنه استسقى مرة فخرجت له مية وكان على كتفه رمة أي قطعة حبل بالية، فقالت له: اشرب يا ذا الرمة، فلزمته هذه الكنية منذ ذلك. وقد اختلف في سنة وفاته، لكن أكثر المصادر على أنه توفي في خلافة هشام بن عبد الملك، سنة 117هـ، وهو في الأربعين من عمره، وقدْ رَوَى عنه صالح بن سليمان.

(6) . أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، الموشح: "مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر"، تحقيق: علي البجاوي، دار نهضة مصر . القاهرة، د . ت، ص223.

(7) . أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة،1993م،9/18.

(8) . نفسه، 10/18، وينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، د . ت، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة،106/1.

(9) . جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، دار التراث . القاهرة، الطبعة الثالثة، د . ت،484/2. وهناك رواية متداولة في كتب الأدب وهي قولهم: ((فُتح الشعر

بامرئ القيس وختم بذي الرمة)) ينظر: مقدمة ديوان ذي الرمة، تحقيق كارليل هنري، دار عالم الكتب، ص7. ولم أقف عليها في المصادر.

(10) الموشح، المرزباني، ص223.

(11) . أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،10/18.

(12) . ينظر: فاديا رضا العويشي، جماليات المكان في شعر ذي الرمة، رسالة ماجستير منشورة على شبكة المعلومات، من قسم اللغة العربية، جامعة البعث، سوريا،2010م، ص153.

(13) . ذو الرمة "غيلان بن عقبة العدوي"، ديوان ذي الرمة، دار عالم الكتب، تحقيق كارليل هنري هيس مكارتني، د . ت، ص131.

(14) . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص428.

(15) . كان ذو الرمة . فيما يرى بعض الدارسين . يؤدي دور الرسام ودور الشاعر معا، فهو لم يقتصر في صوره التشبيهية على أداء دور الرسام الذي يجمد المنظر الفني في لوحته على حالة يختارها، بل كان يدرك أنه لا وجود للشعر بغير الزمن، فلذلك تجده يصور ويزيد في الحركة الداخلية أثناء تصويره، حتى لا تقف الصورة جامدة أو متوقفة على حالة واحدة، وهذا جهد مضاعف، ولكن ذا الرمة يبلغ فيه الغاية، لأنه متأثر بما يرى، ويشعر بتجاوب بينه وبين المناظر التي يرسمها. ينظر: إحسان عباس، الزمن والمسافة في شعر ذي الرمة، مجلة الثقافة . القاهرة، العدد 588، السنة الثانية عشرة، ابريل1950م، ص20.

(16) . سورة النور، الآية 38.

(17) . المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف . القاهرة، الطبعة السادسة، د . ت، ص288.

(18) . ينظر: أدونيس "علي أحمد سعيد"، زمن الشعر، دار العودة . بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، ص9.

(19) . يرى بعض الباحثين أنه ليس من السهل ولربما من غير الممكن اطلاقا تحديد تاريخ ظهور مصطلح الأصل، ولا معرفة من استعمل هذا المصطلح لأول مرة في تاريخ الفكر العربي، لكنه يطمئن إلى أنه ظهر في الأعمال العلمية الأولى في عصر التدوين، وبصورة خاصة في علوم النحو والفقه والكلام، عند النحاة، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد، وعند المعتزلة وعلى راسهم واصل بن عطاء، وعند الفقهاء وعلى رأسهم الإمام الشافعي. ينظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، "دراسة نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية" مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، الطبعة الثانية، 1987م، ص109.

(20) . ينظر: على الجندي، فن التشبيه، 260/1 وما بعدها.

(21) . ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة، الطبعة الثالثة 1986م، 301/1.

(22) . نفسه، 101/1 . 105.

(23) . ينظر: ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر . القاهرة، الطبعة الثانية، د . ت، 156/2.

(24) . نفسه، 158/2.

(25) . امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف . القاهرة، الطبعة الخامسة د . ت، ص89.

(26) . المرقِّشان: الأكبر وهو عمرو بن سعد المتوفى سنة 57 ق هـ، والأصغر وهو عمر بن حرملة المتوفى سنة 50 ق هـ، ديوان المرقِّشين، تحقيق كارين صادر، دار صادر . بيروت الطبعة الأولى 1998م، ص67. وأبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 127/6. وإمْيل يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى، 1996م، 29/7.

(27) . طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة . بيروت،2003م، ص25.

(28) . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص612.

(29) . نفسه، ص561.

(30) . نفسه، ص563.

(31) . نفسه، ص108.

(32) . نفسه، ص300.

(33) . نفسه، ص307.

(34) . نفسه، ص429.

(35) . نفسه، ص431.

(36) . وهب رومية، قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول والإحياء والتجديد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق، ص150.

(37) . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص432.

(38) . المفضل الضبي، المفضليات، ص288.

(39) . نفسه.

(40) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص9.

(41) . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص570.

(42) . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص130.

(43) . نفسه.

(44) . ينظر: محمود الربيعي، الاستغراق الشعري: من صور الوصف عند المتنبي، مجلة البلاغة المقارنة "ألف" العدد 21، الجامعة الأمريكية . القاهرة،2001م، ص37.

(45) . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص122. ومطلع القصيدة:

ألا أيها الربع الذي غيّر البِلى كأنك لم يعهد بك الحي عاهد

وفي البيت السابع منها يقول:

أقامت به خرقاء حتى تعذرت من الصيف أحباس اللوى والغراقد

(46) . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص1. وهذه القصيدة من شعره الذي نال أقصى درجات رضاه، فقد رُوي عنه أنه قال: ((من شعري ما طاوعني فيه القول وساعدني، ومنه ما أجهدت نفسي فيه، ومنه ما جُننت به جنونا؛ فأما ما طاوعني القول فيه فقولي:

خليليَّ عوجا من صدور الرواحل

وأما ما أجهدت نفسي فيه فقولي:

*أإن توسّمت من خرقاء منزلة÷

أما ما جننت به جنونا فقولي:

ما بال عينك منها الدمع ينسكب)) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 22/18.

(47) . ينظر: شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف . القاهرة، الطبعة الخامسة، د . ت، ص251.

(48) . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص14.

(49) . نفسه.

(50) . نفسه، ص16.

(51) . نفسه، ص12.

(52) . نفسه، 491.

(53) . نفسه، ص496.

(54) . ينظر: إحسان عباس، الزمن والمسافة في شعر ذي الرمة، مجلة الثقافة . القاهرة، العدد 588، السنة الثانية عشرة، أبريل1950م، ص20.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، برواية قالون.
- أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة،1993م.
- إحسان عباس، الزمن والمسافة في شعر ذي الرمة، مجلة الثقافة، القاهرة، العدد 588، السنة الثانية عشرة، ابريل1950م.
- أبو علي أحمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل . بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.
- أدونيس "علي أحمد سعيد"، زمن الشعر، دار العودة . بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.
- امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الخامسة، د.ت.
- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، دار التراث . القاهرة، الطبعة الثالثة، د . ت.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي . الكويت، الطبعة الثانية، د . ت.
- ذو الرمة "غيلان بن عقبة العدوي"، ديوان ذي الرمة، دار عالم الكتب، تحقيق كارليل هنري هيس مكارتني، د . ت.
- رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف بالإسكندرية . مصر، الطبعة الثانية، د . ت.
- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف . القاهرة، الطبعة الخامسة، د . ت.
- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر . القاهرة، الطبعة الثانية، د . ت.

- طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة . بيروت،2003م.
- عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.
- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة، د . ت.
- على الجندي، فن التشبيه، مكتبة نهضة مصر . مصر، الطبعة الأولى، 1952م.
- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة، الطبعة الثالثة 1986م.
- فاديا رضا العويشي، جماليات المكان في شعر ذي الرمة، رسالة ماجستير منشورة على شبكة المعلومات، من قسم اللغة العربية، جامعة البعث، سوريا،2010م.
- أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، الموشح: "مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر"، تحقيق: علي البجاوي، دار نهضة مصر . القاهرة، د . ت.
- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، "دراسة نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية" مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.
- محمود الربيعي، الاستغراق الشعري: من صور الوصف عند المتنبي، مجلة البلاغة المقارنة "ألف" العدد 21، الجامعة الأمريكية . القاهرة،2001م.
- المرقِّشان: الأكبر وهو عمرو بن سعد المتوفى سنة 57 ق هـ، والأصغر وهو عمر بن حرملة المتوفى سنة 50 ق هـ، ديوان المرقِّشين، تحقيق كارين صادر، دار صادر . بيروت الطبعة الأولى 1998م، ص67.
- المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف . القاهرة، الطبعة السادسة، د..ت.
- وهب رومية، قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول والإحياء والتجديد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق، 1981م.

التّجَاني ومنهجه في كتابة رحلته (خطط أطْرَابُلُس نموذجاً)

أ- أحمد عبدالله محمد سبيطه*

المقدمة:

من المتعارف عليه أن الـعرب كان لهم قصب السبق في ميدان الرحلات، والفضل الأكبر في اكتشاف ووضع كثير من النظريات والقوانين والإضافات المتنوعة في علم التاريخ والجغرافية، ولم يكن المؤرخون والجغرافيون العرب كما هو شائع مجرد رحّالين ركبوا البحر أو الفيافي وانتقلوا بين المدن والأمصار، بل أن الأسفار عندهم كما يقول ابن خلدون: " كانت مدعاة في كمال العالم ..." [1]، فمن خلال هذه الأسفار والترحال تركوا لنا رصيداً من الكتب والمصورات والخرائط في مختلف العلوم الإنسانية والتجريبية، مما يعد نبعاً علمياً غزيراً تفوقوا به على علماء الشعوب الأخرى في جميع أنحاء العالم؛ لأن رحلاتهم لم تكن تقف عند حد معرفة السبل المؤدية إلى الأمصار التي يقصدونها بقصد الاتجار وتبادل السلع والبضائع، بل أنهم قصدوا من ذلك أيضاً معرفة طبيعة الأقاليم ومواردها الاقتصادية وثرواتها المائية ومدى تأثيرها على حياة الشعوب، كما دفعهم شغفهم إلى تحري الحقائق في مختلف البلدان وسماع لغاتهم المتنوعة وطرق عيشهم وسبل ارتزاقهم وتقدم علومهم وطرق مداواتهم للأوبئة والأمراض وغير ذلك من الظواهر الطبيعية وعلاقة الإنسان بها، فأصبح علم الجغرافية أو التاريخ علماً له أهميته بعد أن طوره العرب وأضافوا إليه كثيراً من إبداعاتهم.

حياته، عصره:

التّجَانى هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى القاسم التّجَاني نسبة إلى قبيلة تجان التي قدمت من المغرب الأقصى واستقرت في عهد الحفصيين بمدينة تونس، حيث ولد عبد الله التّجَاني ما بين (670، 675هـ/1272، 1276م) وكان حياً لسنة (718هـ /1308م) [2]، ونشأ بتونس وتلقى فيها تعليمه على يد أبيه الذي كان يعمل كاتباً في القصر الحفصي، فحفظ القرآن واكتسب مبادئ اللغة العربية، ثم توسع في دراسته على شيوخ بلده تونس مثل الشيخ أبي بكر عبد الكريم العوفي المربي، وأبي القاسم عبد الوهاب الكلاعي، وأبي علي عمر بن علوان، فلفت الأنظار بنجابته وبراعته في الإنشاء، الأمر الذي ساعده على الالتحاق بديوان الإنشاء بالبلاط الحفصي على عهد السلطان أبي عصيدة سنة (694 – 709هـ)، وحظي برعاية شيخ الموحدين الأمير أبي زكريا

* كلية التربية- جامعة مصراتة.

الليحاني، فاصطفاه لنفسه وجعله من خاصته، وأصبح كاتبه الخاص ورئيس ديوان رسائله المعروف بخطة العلامة الكبرى[3].

لازم التّجَاني الأمير أبا زكريا باعتباره كاتب رسائله، وقد اصطحبه هذا الأمير عندما خرج من تونس عازماً على التوجه نحو جربه لاسترجاعها من النصارى الأسبان وفي نيته المضي بعدها نحو المشرق لأداء فريضة الحج، وهذا ما أثبته التجاني في رحلته بقوله: " فكان خروجي من تونس المحروسة صحبة الركاب العلي المخدومي الليمومي أعلى الله مقامه، وأطال في العز دوامه، في آخر جمادي الأولى من عام ستة وسبعمائة، وكان مراده منها القصد الأول إنما هو التوجه لأداء فريضة الحج " [4].

غادر التجاني مع الأمير أبي زكريا والوفد المصاحب له وجموعاً من الجند مدينة تونس في 14 جمادي من سنة (706هـ/21 نوفمبر 1306م)، وبعد أن فشلت عملية استرجاع جربه بعد شهرين من المحاولات، توجه الأمير ومعه التّجَاني وجموع الجيش والحاشية من قابس إلى منطقة الجريد لاستخلاص الجباية في أوائل ربيع عام (706هـ/ 1307م)، ثم عادوا إلى قابس من جديد [5]، وانفصل أبو زكريا عن الجند المصاحبين له وتوجه مع عدد من أتباعه وفيهم التّجَاني نحو مدينة طرابلس فمكثوا بها ثمانية عشر شهراً، التحق بهم أثناءها المبعوثون المصريون القادمون من البلاط المريني بفاس وتوجه الجمع شرق طرابلس[6]، ولم يكد الركب يصل عين ودرس حتى أصيب التّجَاني بمرض ألزمه الفراش وحال دون استطاعته امتطاء فرسه (محرم 709هـ/ جوان 1309م) مما اضطره إلى العودة إلى تونس وقد أشار التّجَاني إلى ذلك في رحلته قائلاً: "والعلة التي عرضت لي كما تقدم في ابتداء حدتها ومنتهى شدتها... رجوت أن يهون فاشتد ورمت أن يقصر فامتد ... فلم يكن بد من الرجوع ... فودعته "أي الأمير أبا زكريا" في هذا اليوم وهو يوم عاشوراء 706هـ بينما واصل الأمير سفره نحو الشرق بحجة أداء فريضة الحج وربما لدواع سياسية اضطرته لمغادرة تونس مؤقتاً [7].

بعد عودة التّجَاني إلى تونس في شهر صفر (709هـ / جويلية 1309م) ظل يمارس وظيفة خطة الكتابة بديوان الإنشاء، وأثناء ذلك توفي السلطان الحفصي محمد بن عصيدة (709هـ/ 1309م) فاضطربت أوضاع البلاد واشتد الصراع على الملك بين الأمراء الحفصيين [8]، واستمر ذلك مدة سنتين عاد خلالها أبو زكريا يحيى من الشرق وظل يتحين الظروف الملائمة بطرابلس الغرب، حتى تمكن من جمع أنصاره والتقدم على رأسهم إلى تونس لاعتلاء العرش الحفصي سنة (711هـ/1331م)، [9]، واستلم التجاني من جديد خطة العلامة الكبرى، وظل مقرباً إلى الأمير أبي زكريا متولياً أمانة سره إلى أن استولى أمير بجاية يحيى بن أبى بكر على تونس سنة (718هـ/

1318م)، ونحي أبو زكريا عنها [10]، فاختفى معه كل أثر للتّجَاني الذي لم يعرف أي شيء عن نهايته، وهذا ما أشار إليه الزركشي بقوله: "إن اسم التّجَاني ذهب بارتحال الدولة إلى أبي بكر..." [11].

مؤلفاته:

وضع التّجَاني عدة مؤلفات في مواضيع مستطرفة ومسائل تتصل باللغة والأدب خاصة منها "الدر النظيم" وهو مفقود، وقد يكون في تراجم الأدباء الحفصيين المتقدمين[12]. وله كتاب "تحفة العروس ونزهة النفوس" في الحب والزواج ومواصفات الجمال وشاراته حسب أعضاء الجسم مع إرشادات في كيفية اختيار الزوجة ومعاملتها وطرق امتاعها معتمداً في ذلك على الأحاديث المأثورة وأقوال المشايخ والفقهاء بالإضافة إلى وصف طباع النساء وتحديد صفاتهن وما يتصل بهن من فكاهات وملح بعيداً عن الفحش والمجون، ويحتوي هذا الكتاب على خمس وعشرين باباً، ونسب خطأ عند طبعه بالقاهرة إلى الشيخ أحمد التيجاني صاحب الطريقة التجانية[13]، كما وضع مصنفاً بعنوان علامة الكرامة في كرامة العلامة، من الراجح أنه في تراجم من تولوا خطة العلامة "رئاسة ديوان الإنشاء المكلف بالمراسيم والمكاتبات" الذى نسبه إبراهيم البقاعي خطأً لأبي الحسن على التّجَانى [14]، كما له "نفحات النسرين في مخاطبة ابن شيرين" متولي قضاء غرناطة الذي قدم تونس في طريقه إلى الحج (70هـ/ 1303م) وكان له اتصال بالتّجَاني[15].

ومن مؤلفاته أيضا: "الوفاء ببيان فوائد الشفاء" وهو شرح على الشفاء للقاضي عياض لم يبق إلا قسم من أجزائه الأربعة، كما وضع مصنفا في "أحكام مغيب الحشفة" وضعه استدراكاً لما كتبه شيخه أبو علي الهذلي، كما وضع تعليقا بعنوان "أداء اللازم من شرح مقصورة حازم"، أنهاه سنة (699 هـ)، وتقييدين أحدهما على صحيح البخاري والآخر على صحيح مسلم سجلهما سنة (707 هـ/1307م)، عند قراءته الحديث على الشيخ عبد العزيز بن عبد العظيم السبائي في طرابلس[16].

اعتمد الجغرافيون والمؤرخون العرب على رحلاتهم الشخصية وكان عبد الله التّجَاني (ت حوالي718هـ-1318م)، من هؤلاء البلدانيين الذين حصلوا على معلومات قيمة وضعها في مصنفات أهمها: "رحلة التّجَاني" وتعد هذه الرحلة من أهم المصادر وأكثرها شهرة، وذلك لما تضمنته من مادة جغرافية وتاريخية وأدبية متنوعة.

منهجه في رحلته:

تمثل كتب الرحلات والمعاجم والقواميس الجغرافية نمطاً أو شكلاً من أشكال الفهرسة والتبويب وانتقاء المعلومات التاريخية والجغرافية وتصنيفها تصنيفاً أبجدياً أو حولياً يتطلب هذا النوع من التأليف توفر القدرة على حصر المادة العلمية والقدرة على التمييز بين الغث والثمين [17].

بالرغم من عبور عدد غير قليل من الرحّالين عبر الأراضي الليبية وبالتحديد طرابلس إلا أن رحلة الرحالة التّجَاني في القرن الثامن الهجري كانت أكثرها دقة في وصفها، حيث أعطى صورة أقرب ما تكون إلى الواقع عن أحوال طرابلس باعتباره شاهد عيان في الفترة ما بين (706 –708 هـ/ 1306 –1308م) حيث ظل ماكثاً في عاصمتها طرابلس (عاما ونصف) متجولاً في مدنها مسجلا انطباعاته وذاكرا لنبذ من تاريخها حسب ما رواه له الثقاة من أهلها [18].

ويثني محقق الرحلة العلامة حسن حسني عبد الوهاب على التّجَاني ويضعه في مرتبة الرحالين الرواد اللذين وفقوا إلى مراعاة ذوق جمهور القراء، فأتى بمشاهداته عامة متنوعة، تشمل كل ما يمكن أن يقال ويكتب عن البلد المزور من سائر نواحيه، الجغرافية والتاريخية والعمرانية والاقتصادية، بحيث يجعل القارئ رفيقا ملازما له في سفره، وصاحباً في تنقلاته، ومنصتا لحديثه ومشاركا في مشاهداته [19].

أما منهجه فقد نهج التّجَاني عند زيارته لأي بلدة بأن يضبط تسمية البلدة ويثبت شكل كتابتها، ويورد توضيحا مفصلا بالألفاظ مع ذكر اختلاف القراءات، محاولا تفسير التسمية من صميم اللغة العربية ويحدد هذا الضبط عن الثقاة، وقد يذهب إلى تعليل الاسم إلى مذاهب شتى ومن أمثلة ذلك قوله: " إن اسم طرابلس له نظير بالشام " طرابلس الشام " ومعروف أن أصلها " تريبوليس " أي المدن الثلاث، عربته العروبة في طرابلس وبقيت طرابلس الشام على حالها، وذكر لي بعض النبهاء من طلبتها أنه وقف لبعضهم على أن المختار في طرابلس الشام أن تكتب دون ألف تفرقة بينهما ". على أن هذه التسمية (أطرابلس) قديماً، وقد جاءت في قصيدة لشاعر طرابلس(أحمد بن يحيى، ت 183هـ) حيث يقول:

لقد طال شوقي إلى فتية حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مسعدي على الشوق إلا دموعي الحُبُسْ [20]

من الملاحظ أن التّجَاني يقوم بتعريب الأماكن من لغتها الأصلية إلى اللغة العربية من مثل قوله: " فنزلنا بالعين المعروفة بعين ودرس . بكسر الواو وسكون الدال المهملة وكسر الراء، وهكذا تنطق العرب بها، والبربر يلحقون هذه اللفظة تاء ساكنة على ما هو معروف في كلامهم" [21].

وإذا ما حدد البلدة وضبطها بين طولها وعرضها وموقعها من الأقاليم، يعقب ذلك القسم الذي يبحث في أصل الموقع الجغرافي المذكور والظروف التي أحاطت بنشأته، وخواصه الطبيعية، وموارده وما يحيطه من بلدان مشهورة، والمسافة بينه وبين ما يقاربه، ومن سكنه وبناه والدور التاريخي الذي لعبه، وإذا جاء ذكر الموضع في القرآن الكريم أو الحديث الشريف سيقت في ذلك الشواهد، ففي أثناء تفقده لشوارع طرابلس يشير إلى أناقة بيوتها وأنه لا يخلو بيت من(نخلة أو كرمة) على اصطلاحهم، فإنهم يسمون شجرة التين كرمة والكرمة في اللغة إنما هي شجرة العنب وقد جاء النهي عن تسميتها بذلك في الحديث الصحيح [22]. ويستدل بقوله هذا إلى ما جاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه – من أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا تسموا العنب الكرم فإنما الكرم الرجل المسلم" [23]. ومبيناً أن ما جاء في هذا الحديث تأكيدا لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [24].

وعند مروره بأي بلدة يذكر أهم الحوادث التاريخية التي جرت فيها وفي أي زمن فتحها المسلمون أو المعارك التي دارت فيها، مثل حديثه عن حادثة تاريخية وقعت سنة (553هـ)، انتقض فيها أهل طرابلس على النصارى فيصف عزيمتهم على طرد المحتل فيقول: "وأحدث الله عند أهل طرابلس عزما على القيام عليهم والتخلص من أيديهم فأسروا النجوى بذلك بينهم واتعدوا لليلة معينة...." [25].

كما أنه يعرض وصفا شاملا للقلاع والمدن والمرافئ التي زارها، ويورد تفاصيل دقيقة عن عمرانها، وكثيرا ما يقف ليصف سكانها وعاداتها واختلاف القبائل والشعوب، وذكر عجائبها، وتطلع أثناء ذلك على سيل من المعارف المتنوعة وقدرٍ كبيرٍ من الحكايات الطريفة، والقصص الغريبة مع مختارات واسعة من الشعر ومأثور القول، وهو في كل ذلك يرجع إلى الوثائق ويستقي من المصادر ويعتمد على الملاحظة والرواية الشفوية، كما أن اعتماده في وصف ما يعرض له عن المصادر المتوفرة له بالخزانة الحفصية ونقله نصوصا ورسائل من ديوان الإنشاء أكسبها طابع الوثيقة الحية وجعلها مرجعا لا يمكن الاستغناء عنه خصوصا بعد فقد بعض هذه المصادر وضياع تلك الرسائل.

وهذا يدل على أن رحلة التّجَاني كتبت أو تم تقييدها على مرحلتين:

الأولى: في أثناء الرحلة حيث تم تقييدها وصياغتها دون العناية بأسلوبها البلاغي إذ كان المهم عنده التسجيل والتدوين.

الثانية: وهي المرحلة التي جاءت بعد عودته إلى تونس، حيث استعان بالعديد من المصادر التاريخية والأدبية في تقييد الكثير من التوضيحات عن الأماكن التي تمت زيارتها وهو ما مكن العديد من القراء والباحثين من الاطلاع على الرحلة في صورتها التي وصلتنا [26].

وتتعدد المواضع التي تشير إلى اعتماد التّجَاني على معلومات الأقدمين واطلاعه على خلفيات ما كان يتسنى له تقديمها في أثناء الرحلة، فعلى سبيل المثال، حين يتحدث عن موضع (رادس) في القديم بوصفها رباطا مشهورا بالفضل، يذكر ما رواه عنها أبو عبيدة البكري في كتابه(المسالك والممالك)، وأبو إسحاق إبراهيم بن الرقيق في تاريخه المسمى (تاريخ أفريقية والمغرب) [27].

ومن المواضع التي كرر فيها التّجَاني قوله: (سيأتي ذكره بعد هذا... إن شاء الله تعالى أو بحول الله تعالى)، ومن ذلك على سبيل المثال، ما جاء في حديثه عن (الحسن بن علي بن يحيى) حاكم صفاقس الذي وقعت " الوحشة بينه وبين (لجار)، فوجه (لجار) أساطيله لحصار المهدية وكان من تغلبه عليها وخروج الحسن منها ما يأتي ذكره مستوفى بعد ذلك إن شاء الله تعالى " ومنها قوله بعد مغادرته جربة: "ووصلتني ونحن بها أيضا من الأديب (أبي محمد عبد الله الأزدي العسيلي) غابت عني الآن مطلعها:

يا نسيم الصبا ديوني فائض إن بلغت الحمى وإلا فامض " [28].

خطط أطْرَابُلُس:

القصبة:

وبقدومه إلى داخل أطْرَابُلُس، يبدأ بوصفها بالمدينة البيضاء، لما كان يغشى الناظر إليها عن بعد من شعاع أبيض للمشرف عليها [29]. وبدأ بقصبتها وهي: اسم يطلق على القصر، والمدينة، والقرية [30]. فأفاض في وصفها قائلا: إنها كانت سكنا للوالي، تنازل لهم عنها لضيافة الأمير والتجاني والحاشية[31].

وأشار بأن لهذه القصبة رحبتين واسعتين وهى تشكل مساحات ملحقة بها، ويقع خارجها مباشرة (مسجد العشرة)، كما أن مقابل القصبة تماماً موضعاً يسمى (الرياض) وهو مبنى له تاريخ قديم، مستأنساً بما ذكر عنه من حسن كان به وما كان به من ثمار وطيب الأزهار وما اتصف به وما كان عليه من فخامة، ولكن الموضع وما به من آثار بيع لأحد العرب فغيّره وبنى في مكانه داراً غيرها [32].

هذا الوصف الذي يسوقنا إلى التصور بأن أمام القصبة موقعاً كبيراً به مبان أثرية ومتسع وفسيح، ويوجد به كثيراً من الغرس المثمر، ولهذا فالموقع لا بد أن يكون أحد مواقع ثلاثة: إما أن يكون غرب القلعة يلي موقف الغنم " منطقة جامع أحمد باشا، سوق الربع، سوق السواري وسوق اللفة "، أو شمال القلعة " موقع مصرف ليبيا حالياً" أو القلعة ذاتها والقصبة في موضع آخر، غير موقع أو مباني القلعة الحالية، ومن المستبعد أن تكون بجزء من مباني القلعة استناداً على وصف التّجَاني، حيث يقول: " وكان فيما يقابل هذه القصبة " وعند اختبار هذه الاحتمالات الثلاثة من قبل بعض الباحثين رجحت القرائن بأن الموضع الذي يعرف بالرياض هو القلعة ذاتها، وأما القصبة فتقع بالموقع الأول وهو منطقة جامع أحمد باشا " باستثناء مسجد عمرو بن العاص " وسوق الربع الحالي، سوق السواري وسوق اللفة [33].

وعن الحمامات العامة يذكر أنه دخل حمام البلد وهو المجاور للقصبة، فرأيت حماماً صغير الساحة لكنه بلغ من الحسن غايته وتجاوز من الظرف نهايته، ويعتبر من منافع القصبة، فبيع من جمل ما بيع منها، وهو الآن محبس على بعض المساجد، كما أشار إلى حمامين آخرين وأنهما أقل في الحسن والترتيب من الأول ولكنه لم يحدد موضعهما من المدينة [34].

وقد أعجب التّجَاني بأطْرَابُلُس أشد الإعجاب أثناء إقامته بها فقال: إنه لم ير أكثر منها نظافة، ولا أحسن إشعاعا وامتدادا باستقامة، وهيئتها في خريطة المدينة أنها تخترق المدينة طولا وعرضاً من أولها إلى آخرها بشكل تركيبة شطرنجية، فالماشي يمشي خلالها مشي الرخ على رقعة الشطرنج [35].

أسوار المدينة:

وخلال وصفه لسور المدينة الذي يشيد بالعناية التي كان عليها وباحتفال بنائه ما لم يره في مدينة سواها في الاحتفال بأسوارها، مبرراً ذلك بأن لأهلها حضاً من الجباية والضرائب التي تؤخذ منهم ومن غيرهم، لأجل تخصيص جزء منها بصرفه فقط في ترميم السور، وما تحتاج إليه من مهمات أمورها الحياتية، وهم كذلك لا يزالون يجددون ما انثلم منه ويقومون بصيانته بطريقة دورية مستمرة وذلك ليتداركوا سقوطه، لحماية المدينة وأمنها [36].

ويذكر أنه شاهد أهالي أطْرَابُلُس قد بدأوا في حفر خندق متسع يرومون وصله بالبحر من جانبي البلد، وبدأوا في حفره من الركن الواقع منها بين القبلة والمشرق، فوقف في طريقهم عند حفر الخندق في ذلك المكان موضع يعرف عندهم باسم " الرملة " حقف رمل واسع ملاصق لجانب السور يتكلفون في نقله من ذلك الموضع حتى البحر ورميه ولكن الريح تعيده عليهم مرة أخرى كما كان في

ذات المكان لا تؤخره، واختصاص ذلك المكان بذلك الكثيب من الرمل يعتبر من أعجب العجائب، قائلاً: على العكس من موضع رآه في تونس مع وجوده على جانبين بارتفاع وتشتد عليه الريح فيرون الرمال تبتعد وتتوقف عليه يميناً وشمالاً [37].

أبواب المدينة:

ويتحدث عن الأبواب الملاحقة للسور ومنها ما يسمى "باب هوارة " نسبة إلى من نزل به أول الزمان، وتقابل هذا من الداخل مساحة كبيرة واسعة تستعمل عندهم سوقا تباع فيه المواشي وتوقف فيه يسمى " موقف الغنم" ويتقابل مع "باب هوارة" و "باب الستارة " واصفاً أنه من المستحدثات ولم يكن في القديم؛ لأن الذى بناه هو الشيخ محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص أيام وصوله أطْرَابُلُس عام 614 هـ، وكان هذا مكتوبا – كما قال – على الباب ولم تصل هذه الستارة إلى البحر، وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر الذي بينه وبين "باب البحر" فسحة فأتمّت بالبناء أيام مقامنا بأطْرَابُلُس [38].

ويصف مكان الاستجمام من المدينة والذي يقع خارج باب البحر بأنه منظر من أنزه المناظر المشرفة على الساحل، حيث مرسى المدينة، والمرسى حسن متسع تقرب فيه القوارب وتصفف فيه تصفيف الجياد فى أواريها [39].

المساجد والمصليات:

إن معظم مساجد البلاد الإسلامية بصفة عامة وطرابلس بصفة خاصة تتغير معالمها وأسماؤها وبمن اشتهر بها من أئمتها، أو القائمين بها أو المدرسين بها أو بأسماء من دفن بها أو باسم من قام بتجديدها، ولهذا فكثيراً ما يتغير اسم المسجد نتيجة لذلك، لا يمكن الرجوع إلى إنشائه وتاريخه لارتباطه بأسماء متجددة عليه أحدث من تاريخ إنشائه، وفي مقدمة هذه المساجد مسجد "مصاقب أو معاقب" لسور المدينة أي بمعنى جار لها، وهو الذى حظي بنوع من التركيز من قبل التّجَاني لارتباط إنشائه بحادث تاريخي مهم، وهو حلول الإمام عبيد الله المهدي من المشرق لبث دعوته بالشمال الإفريقي، وأسس هذا المسجد عندما مر بأطْرَابُلُس حوالي سنة 296هـ، وأفاد التجاني بأنه إلى جانب هذا المسجد ميضأة جعلت هناك للمتوضين والمغتسلين[40].

ونظراً لارتباط إقامة المهدي بهذا المسجد أوحت إلى الكثير من الكتاب بربط هذا المسجد بأحد المساجد المهمة بالمدينة، فنجد بعض هذه الآراء تربط المسجد بجامع الناقة[41]، كما نجد غيرها

من الآراء تشير إلى احتمال تطابق هذا المسجد مع مسجد موجود بحومة غريان [42]، وأما بعض وجهات النظر ترى أن كلمة مصاقب أو معاقب هي اسم ومعلم لمسجد قائم بذاته [43].

إن جميع هذه الآراء معتمدة على التكهن للباب الأخضر، فنجد من تصور بأن الباب الأخضر يوجد بالضلع الجنوبي لأسوار المدينة، وعليه يمكن تصور جامع الناقة مطابقاً لهذا الوصف، بينما هناك تصور بأن الباب الأخضر هو باب زناتة؛ وعليه فإن موقع الجامع الأعظم أو أي مسجد بين باب البحر وباب زناته يجاري هذا الوصف، إن جميع هذه الاحتمالات وقعت في الخطأ نتيجة عدم معرفة موقع الباب الأخضر وكذلك عدم الدقة في تحليل وصف التجاني لموقع هذا المسجد[44] حيث يصفه(وبين الباب المعروف بالباب الأخضر منها وباب البحر مسجد مصاقب، وفي بعض النسخ معاقب) لسور المدينة، أشاد ذكره حلول المهدي حين جوازه على طرابلس وإلى جانبه ميضأة جعلت هنالك للمتوضين والمغتسلين[45].

وقد أخطأت بعض المصادر في تسمية باب زناته بالباب الأخضر؛ والواقع أن كلا البابين كانا متواجدين وكل منهما بتسميته في الفترة نفسها فنجد باب زناته بالسور القديم، جاء ذكره على لسان أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي أحد علماء القرن السابع الهجري، حيث لم يرحل لطلب العلم، ويسأل: من أين اكتسب علمه؟ فيجيب على ذلك بأنه اكتسب علمه من بابي هوارة وزناته، أي ممن قابلهم من علماء دخلوا المدينة من هذين البابين، ويعلق التّجَاني على ذلك فيفيد بأنهما من أبواب المدينة نسبة إلى من نزل بهما في أول الزمان[46].

أما ذكر اسم الباب الأخضر فيتردد من قبل التّجَاني في مجال الحديث عن الستارة، حيث يفيد بأن الستارة لم تتم إلا أثناء إقامته وقد وصلوا بها إلى الباب الأخضر فقط ثم وصلت بالبحر أثناء إقامته بأطْرَابُلُس.

إن التحديد الذي قدمه التّجَاني لموقع هذا المسجد يعتمد على الباب الأخضر الذي كان موجوداً عند إقامته وهو جزء من ستارة المدينة الذي يذكره في بعض الأحيان بالسور الجديد ويشير للسور الداخلي بالسور القديم، وأن هذه الستارة لم تكن موجودة بالقرن الثالث الهجري إنما أنشئت بالقرن السابع[47].

إن وصف التّجَاني يكون واضحاً بعد تحديد ومعرفة الباب الأخضر، ومنه يمكن تحديد المنطقة التي أشار إليها بين باب البحر والباب الأخضر والمعاقبة لسور المدينة، وهي المنطقة المحيطة بسور المدينة الغربي من الخارج، والواقعة ضمن المثلث المشرف على الشاطئ من الشمال الغربي، هذا المثلث كان يقع به هذا المسجد، وهي المنطقة المعروفة بالطريق المحاذي للسور الغربي

ومحطة الكهرباء، ولعل موقع المسجد بأكثر تحديد كان بنهاية هذا المثلث أمام الباب المستجد بسور المدينة الذي يؤدي إلى الحارة، حيث إن هذا المكان يقع بنهاية الشارع العرضي الرئيسي للمدينة (الدكمان الروماني لمدينة أويا) امتداد شارع الأكواش [48].

ومن خلال تحديد موقع هذا المسجد، يمكننا الوقوف على الالتباس القائم على التكهنات بين أربعة مساجد كثيراً ما تداخلت، وهي الجامع الأعظم، جامع الناقة (مسجد العشرة)، المسجد الذي أقام به المهدي، وجامع عمرو بن العاص، فالأول محدد تاريخ إنشائه سنة (300هـ) وجامع الناقة الذى تعود أساس تسميته لمجلس الشورى الذي كان بالمدينة بأوائل القرن الخامس الهجري، وكان يترأس هذا المجلس العالم أبو الحسن على بن محمد بن النمر سنة(428هـ).

ونلاحظ أن (أبو الحسن علي بن محمد بن النمر) لما سلم المدينة إلى خزرون خليفة، وقام بحملته الدينية للعودة للسنة، أنه قام بحملة لإحياء الشعائر السنية بالمسجد الأعظم من قطع أذان (حي على خير العمل)، وإقامة صلاة القيام (التراويح)[49]؛ لأنه أنشأ في العهد الفاطمي، ولم تتم به إقامة الشعائر السنية قبل ذلك، ولم نجد مثل هذه الحملة أو الإشارة بالنسبة لمسجد العشرة، مما يستقي من ذلك بأنه سابق للعهد الفاطمي أي قبل سنة(300هـ)، على عكس ما يذهب بعض أن العبيديين بنوه بعد تأسيسهم لدولتهم في إفريقية، في حين يرى فريق آخر أنه بني عندما زار المعز الفاطمي طرابلس وهو في طريقه إلى مصر، حيت بركت ناقته في هذا المكان فأعطى أهلها كمية من الدنانير ليبني بها جامع في نفس المكان[50]، وبين وجهات النظر المختلفة تطالعنا أخرى بأن أصل البناء كان بعد فتح عمرو بن العاص لطرابلس[51]، وقد يكون في اختياره كمكان لاجتماع مجلس العشرة بجانب كونه قرب القصبة أنه أقدم وأكبر المساجد القديمة السنية، وأنه هو نفسه مسجد العشرة الذي سمي في عهد الموحدين، بمسجد الموحدين كما أشار إلى ذلك التجاني في إحدى النسخ ومخطوط رحلته [52]، ولعل تلك التسمية تغيرت في عهد الحفصيين ويعرف من القرن السادس عشر الميلادي حتى الآن بجامع الناقة، هذا الجامع كان قائماً مع مجلس العشرة في سنة 428هـ، ولعله يسبق العهد الفاطمي، إلا أنه بدون شك لم يكن بالجامع الفاطمي كما يتحدث عنه الكثيرون.

أما المسجد الذي أقام به المهدي، فهو بلا شك كان تشييده سابقاً لسنة 296هـ تاريخ إقامة المهدي به، ولم يعد له أثر، وضاعت أهميته باندثار الستارة، وتقلص العمران من جديد داخل الأسوار الرئيسية، وأما مسجد عمرو بن العاص فقد حل محله جامع أحمد باشا [53].

وبالإضافة إلى المساجد الأربعة المذكورة أعلاه، نجد أن التّجَاني أثناء زيارته لطرابلس يؤكد بأن مساجدها تفوق الوصف، حيث أشار أن مساجد البلد لا تحصى كثرة وهي تكاد تناهز الدور عدة

[54]، كما أشار أيضاً إلى مساجد كثيرة دون مسميات أو تحديد مواقع لها، خارج المدينة أو قريبة منها اشتهرت بالفضل كانت مزارات للتبرك [55].

إلا أننا من خلال تتبع ما جاء برحلته نستقي ذكر مسجدين آخرين بالمدينة، أولهما مسجد ابن فرج، ويذكر بأن هذه التسمية تنسب إلى فقيه اسمه (أبو سالم مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي) لأنه كان يدرس به وهو من علماء القرن الخامس الهجري توفي سنة 442هـ [56].

كما يشير إلى ما يوجد بجوار المسجد من بيوت لعلماء سابقين بالمدينة، ويصف موقعه منسوباً إلى موقع دار ابن إسحاق الأجدابي حيث يقول: ((وهي في وسط البلد بمقربة من الجامع الأعظم، وعلى مسافة يسيرة منها من جهة غربيها دار الشيخ الفقيه (أبي الحسن علي بن محمد بن المنمر) الطرابلسي الفرضي المشتهر فضله وعلمه ورئاسته، وهي مزاحمة لمسجد يعرفونه بمسجد ابن فرج)) [57].

وأما المسجد الثاني الذي يرد ذكره على لسان التّجَاني، في مجال الحديث عن أعظم علماء المدينة لتلك الفترة، وهو الإمام أبو فارس عبد العزيز بن العظيم بن عبد العزيز ابن عبيد، حيث يشير التّجَاني أنه حضر درساً بمسجد مجاور لبيت الإمام[58]، إن هذه الإفادة وما جاء من ذكر لهذه الحادثة يفيد الكثير عن إسهامات العلماء والفقهاء في العلم ونشاط المدينة العلمي.

إن التّجَاني في مجال الحديث عن المساجد بخارج البلد يحدثنا عن أربعة مساجد اشتهرت بالقرن الرابع الهجري وتواجد بها مجموعة من علماء ذلك القرن والقرون السابقة ؛ وجاء ذكر هذه المساجد في مجال الحديث عن حياة هؤلاء العلماء، أننا لا نستطيع التعرف على هذه المساجد بالأسماء التي ذكرها التّجَاني إلا واحداً منها احتفظ باسمه، هذا ما يزيد على أحد عشر قرناً، وتشير إليه المراجع بأنه أكمل من قبل عبد الله الشعاب الذي كان يحترف النجارة، بدأ بناءه بتكليف من غيره إلا أن الأخير عجز، فقام عبد الله الشعاب بإكماله، وأقام به ودفن بجوار المسجد سنة 243هـ وهو من أقدم المساجد بضواحي المدينة، معروف تاريخ إنشائه بالنصف الأول للقرن الثالث الهجري [59].

وثاني هذه المساجد " مسجد خطاب " ويحدد موقعه على جهة البر خارج المدينة، وينسبه إلى أبي نزار أبي الخطاب البرقي، ذلك الرجل الصالح الذي يكنى بأبي نزار، والذي كان له العديد من الكرامات[60]، ويلي ذلك مسجد الجدود أو مسجد الجدة، وعرف عند إقامة التّجَاني بمسجد البارزي لسكنى ابن الحسن البارزي به، ويصفه بأنّه خارج البلد من جهة جوفها ويشرف على المقابر، ويشير إلى حادث بأنَّ شخصاً كان يقتلع الحجارة من كهف قريب من المسجد يسبب في تضرّره فنصحه الشيخ ابن الحسن بالابتعاد فأبى فدعا الشيخ ربَّه فحصد عمره فسقط الكهف عليه فمات[61].

إن الوصف الذي حدده التّجَاني لموقع هذا المسجد، نستطيع أن نؤكد بأنه كان بتلة باب البحر منطقة القبة استناداً على القرائن الواردة بهذا الوصف، أولها أنه يشرف على المقابر وقد وضح التّجَاني بأن مقابر المدينة في الجهة الشمالية منها، ثانيها أن الربوة صخرية وهي تتلاءم مع الوصف الذي جاء من اقتلاع الحجارة منها، وأما كلمة خارج البلد من جهة جوفها، فهي تؤكد أنها خارج السور الشمالي المطل على البحر لكنها من الجهة الجوفية للمدينة، ويمكن إضافة هذا المسجد إلى مساجد المدينة بحكم طبيعة موقعه، ولو أنه يقع خارج أسوارها إلا أنه يتعلق بمقابرها، ولعله شيد على الربوة كمحرس أيام الأغالبة لنسبته لإحدى جدات الأغالبة[62]، وآخر هذه المساجد هو مسجد المجاز، ويشير إليه بأنه كان معروفاً بسكنى أبي الحسن علي بن أحمد بن الخطيب أو الخصيب، ولا نجد في ذكر التّجَاني له ما يشير إلى موقعه باستثناء اسمه الذي يوحي بأنه يقع على طريق ممر مهم أو معروف... [63]، إنها أربعة مساجد عتيقة كانت بالخارج، وهي الآن ضمن مدينة طرابلس الحديثة بقي منها واحداً محافظاً على اسمه، وبقيتها من المؤكد أنه أعيد تسميتها أو أنها زالت.

أما عن المصليات التي لا تقام بها صلاة الجمعة لصغرها وأنها لا تقام بها منابر، فهي تقام للصلاة المفروضة والنافلة لتيسير أداء الصلوات قرب المجمعات البشرية، لإقامة الجماعة فيها، ذكر منها "مصلى المرسى" من جهته الجنوبية الشرقية، بناه عبد الله بن أبي مسلم، وخليل بن إسحاق سنة (300هـ)، وموضع المصلى القديم يعرف بالعيون، وهو بشاطئ البحر، ويأتيه الماء من عيون ماء بجانبه، تقع بجانبه بئر ماء تنبت قربه شجرة (جميز).... [64].

المراسي والموانئ:

تحدث عن مرسى أَطْرَابُلُس، فوصفه "ومن خارج باب البحر منظر من أنزه المناظر، مشرف على الساحل، حيث مرسى المدينة، وهو مرسى حسن متسع تقرب فيه المراكب من البر، وتصطف هناك اصطفاف الجياد أواريها" [65].

فمن خلال وصف التّجَاني لمرسى المدينة، يتبين لنا أنه كان يعج بحركة المراكب التي تقرب من مركزها مما فسح المجال لزيادة التبادل التجاري بين سكان المدينة وجيرانهم بمنطقة حوض المتوسط، وهذا بدوره ساعد على رفع المستوى المعيشي لقاطنيها.

الأسواق:

يحدثنا بأن هناك سوق بأطْرَابُلُس، إلا أنه لا يكاد يختص بالأنعام دون السلع، وهذا يعرف من اسمه (سوق الغنم) وكان يقام على فسحة كبيرة يقع أمام باب هوارة، من أبواب السور الصغير الستارة، من داخل المدينة وجوفها، يبيعون فيها مواشيهم وأغنامهم [66].

الآثار:

وصف لنا مبنى أثرياً قديماً على شكل قبة من الرخام منحوت بطريقة متساوية ومتناسقة من الرخام المنحوت القطعة الواحدة منها لا يستطيع حملها المائة من الرجال، تقـوم مربعة فإذا استوت مع السقف تثمنت بإحكام بديع وإتقان عجيب، بها نقوش وتماثيل ورسوم عجيبة نقشت على أحجارها الرخامية، عثر مكتوبا بالرومية على قطعة منها، ورأى على حسب ما وثق من رواية أنها كنيسة قديمة بناها نصراني من ماله الخاص ثم تركها راحلا إلى الشام عندما سمع ببعثة المصطفى – صلى الله عليه وسلم– قال فأقيم عليها مسجد يصلى فيه [67].

موارد المياه: عيون، آبار، وديان:

وتحدث عن موارد المياه في أطْرَابُلُس ونواحيها فوصف ماء زنزور بعذوبته، وحدد موقعه داخل الغابة، وذكر في طرابلس عيون مياه عذبة بموضع قرب المرسى الذي على البحر، والمشهور بمصلاه وشجرة الجميزة، تصرف المياه إلى المصلى، كما تصرف من عيون غيرها إلى الحمامات والميضات والمغاسل الملحقة بالمساجد، ليس هذا فحسب، بل المصلى نفسه به بئر يستفاد من مائها، وهناك بئر (أبي الكنود) في وسط المدينة يشرب منه الناس، ويستفاد منه وارتبطت به حكايات وهمية هي أن من يشرب منه أصيب بالحمق، وكانوا يقولون عن الأحمق أو منعدم السداد في الرأي، بأنه لا عتب عليه، فقد شرب من ماء الكنود، وكلها لا أساس لها من الصحة، وكان أهل طرابلس بما لديهم من كفاية الآبار والعيون يقيمون " الماجن " وهو خزان للماء يحفر في جوف الأرض تجمع فيه مياه الأمطار، خاصة بالأطراف وتلحق بالمساجد لسد حاجتها من المياه، كما أشار بأن شاكر الصقلبي بنى ماجناً لجامع أطْرَابُلُس من الجهة الجوفية [68].

الزراعة والمحاصيل والغابات والنباتات:

وعند دخوله إلى أطْرَابُلُس تحدث عن رحبتها وأن بها ثمارا كثيرة أيام بني مطروح مما يدل على أن أرضها زراعية، أقيمت عليها الدور فضاعت الزراعة[69].

وأشار أن بها شجرة جميز واحدة لم ير غيرها ومنبتها من الشرق فهي مشهورة بمصر، وتشابه الأرض والمناخ لا يمنع من وجودها، ونباته من فصيلة "الكروم والتين" إلا أن ثمارها يخرج ملتصقا بالغصن غير التين، وأن ورقها أصغر من ورق التين، وبه حلاوة شديدة مع غثاء، ولا يوجد خارج طرابلس من الجهة الغربية في وقته غير شجيرات نخيل، أما داخل البلد فلا يكاد يخلو بيت من كرمة أو نخلة[70].

وذكر أنه ينبت خارج البلد صنف من أصناف النرجس دقيق الورق لم ير أقوى منه فوحا ولا أعطر روحا، ويذكر في التاريخ أن غابة طرابلس كانت متصلة بالجبل بأنواع الفاكهة على اختلافها وتعدد أصنافها[71]، ووصف أرض طرابلس ليس بلد احتراث، يقصد به حرثا بعليا للقمح والشعير، بدليل أنه ذكر وهي معدومة المثال في إصابة الزرع، إذا أصابت وليس يدري مثلها في ذلك، وأشهرها "الفحص" الموقع الذي يسمونه "سوف جين" وذكر البكري أن الحب في هذا الموضع في بعض السنين طرح مائة سنبلة، لهذا يقولون "سوف جين يهب سنة بعد سنين" [72].

المدارس ودور العلم والعلماء والفقهاء:

حدد مكانها بقوله: "أنها غالبا ما تكون قرب الزوايا والمساجد وقرب القصبات في وسط المدينة، فدار الأجدابي وسط المدينة قرب الجامع الأعظم، وعلى مسافة يسيرة منها دار الشيخ الفقيه على بن محمد المنتصر، وهى مزاحمة لمسجد يعرف بمسجد "ابن فرج" الذي ينسب إلى ابن مسلم الهوارى[73].

وأفادنا سواء أثناء ذكره للمساجد أو خلال التعريف بالعلماء، بأنه قد حضر دروساً عديدة لكثير من العلماء بالمساجد وبالقصبة وتدارس وتناظر معهم في مناخ علميٍّ أدبيٍّ رفيعٍ وموسعٍ [74].

وقد لعبت الزوايا دوراً فعالاً في التعليم وتحفيظ القرآن، إذ وصل ببعضها أن تكون فيها غرف لسكنى الطلاب، كما أنها كانت تعتمد على أوقاف يعود ريعها عليها وتعتمد عليه لإدارة شؤونها، وفي مساعدة الطلبة الغرباء، بل تعدت طبيعتها الصوفية والتعليمية إلى أن تكون حركة إصلاح اجتماعي في إكرام ضيوف الله من الحجاج وحمايتهم ورد ما استلب منهم، علاوة على أنها كانت شعاعا معرفيا لتكوين مكتبة زخرت بالكتب في شتى فروع المعرفة الإنسانية، وقد رأى التّجَاني ذلك بنفسه ورأى الكتب المحبسة على الزاوية وطلاب العلم [75].

أما عن المدارس يقول إنها قد غلبت على الحواضر، وبلغت حداً من الكثرة في طرابلس ما جعل التّجَاني يذكر أن داخل طرابلس مدارس عديدة لكن أفضلها المستنصرية [76].

ويصف المدرسة "المستنصرية " بأنها أكبر المدارس وأحسنهن وضعاً وأظرفهن صنعاً، كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا، وذلك فيما بين أعوام 555هـ – 558هـ، ويظهر أنها قد نالت إعجاب كل من رآها من الرحالين، فأشاد بها ابن سعيد 685هـ، وبحديقتها التي كانت تفوح منها روائح الحبق والورد [77]، وحتى العبدري الذى لم ينل إعجابه فى طرابلس إلا هذه المدرسة وجامعها حيت قال عنها: " فإن لها من حسن الصورة نصيباً ومن إتقان الصنعة سهماً مصيباً، وما رأيت في المغرب مثل مدرستها المذكورة "[78].

المقابر والمدافن:

وأما عن مقابرها فقد حدد مكان بأنها كانت قريبة من السور من الجهة الشمالية، يطل عليها مسجد الجدة، وهو من جهة جوفها مشرف على المقابر[79].

وتحدث مطولا عن مقابرها وعن كيفية امتلائها بالبشر، ومظاهر إهمالها الواضح حتى إنه أشار إلى أنه ما من ركن فيها إلا وهو محشور بعظام وهي متناثرة وظاهرة للعيان على تراب الأرض، فكل شبر فيها فيه جمجمة أو عظم لا سيما من ناحيتها الشمالية، وهو أقصى ما وصل إليه إهمال الأهالي والولاة في أمرها [80].

ويضيف أنه جرت العادة حين يدفن عالم أو صالح في مكان ما، سرعان ما يتسابق الناس على الدفن بقربه، وهي عادة تكاد تكون جارية عند العرب والمسلمين، وذكر منها قبر الأجدابي ومدفن الهرغي [81].

تجمعات السكان:

وأشار إلى آل غلبون بعد وصول غلبون ابن مرزوق السالمي إلى زنزور، وهو أمير آل سالم بن رافع بن دباب، وهم أمم لا يحصون بين طرابلس وبرقة، طلب منه مخدومنا السفر معه فلم يوافق، لخروج جماعته من تحت يده وقوة طمع آل سالم وخيانتهم، فلم يجعل للتشريق لذلك العام سبيلا، وكان هذا أحد الأسباب في قرارنا أن تكون إقامتنا بطرابلس إلى أن يكون الحج في عام ثمانية وسبعمائة [82]، ويصف شريحة الخواص في طرابلس بأن جلهم مقهورون، تحت أحكام العامة أي العوام منهم لبعدهم عن الحاضرة وانقطاعهم عن الأوامر، ولكنه أشار لكليهما في ذات الوقت بالقول: " إن في

خواصهم وعوامهم إكراما لمن يحل ببلدهم من الغرباء ووفاء بحقوقهم ومراعاة شديدة لأمورهم، وهذه ميزة قلما ذكرت في غير موضع" [83].

الخلاصة:

إن رحلة التّجَاني تعدّ من أشهر مؤلفاته، التي غطت على كل تأليفه، وجعلت منه أحد كتاب الرحلات ومسجلي المذكرات، وصف فيها رحلته بصحبة شيخ الموحدين الأمير أبي يحيى زكريا بن الليحاني من تونس إلى شرق طرابلس الغرب ذهابا، وحدد فيها معالم الطريق ومحطاتها وخطط المدن الواقعة عليها، دون أن يهمل ذكر العلماء والقواد والأدباء والصلحاء الذين اجتمع بهم أو سمع عنهم، لكنه سجل تسجيلا دقيقا وصادقا كل ما لاحظه من الأمور التي تتعلق بالعقائد والتقاليد والأعراف، فجاءت الرحلة صورة حية لواقع الحياة في عصره وبيئته، وعرضا مفصلا عن كل ما يهم الجغرافية والتاريخ البشري في مناطق الوطن القبلي والساحل والجريد وجربة وطرابلس.

الهوامش:

(1) ابن خلدون، أبوزيد ولي الدين عبدالرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية،الأردن، 2003م،1/ 324.

(2) كحالة، عمر: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، دمشق، 1957م 39/6.

(3) محفوظ، محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت1982م 209/1.

(4) التّجَاني، أبو محمد عبدالله محمد: رحلة التّجَاني، الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، 1981، ص4 – 5 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، 2/ 1922.

(5) التّجَاني: المصدر سابق، ص 4 – 5. ابن خلدون: المصدر السابق، 2/ 1922.

(6) التّجَاني: المصدر السابق، ص 128.

(7) المصدر نفسه، ص317.

(8) ابن أبي الدينار: ابن أبي دينار: محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص163؛ ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم: الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984م، ص83. ابن مقديش، أبو الثناء محمود بن سعيد الصفاقسي: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، 562/1.

(9) التّجَاني: المصدر السابق، ص4 – 5 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق، 2 / 1922. الزاوي، الطاهر أحمد: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1970 م، ص 342.

(10) ابن الشماع: المصدر السابق، ص 91 ؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص144.

(11) سعيدوني، ناصر الدين: من الثرات التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999 م، ص 143.

(12) التّجَاني: المصدر السابق، المقدمة، ص(م) ؛ محمد محفوظ: المرجع السابق، ص 157.

(13) حاجى، خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد،1941م، 1/ 370 ؛ دائرة المعارف: خورشيد زكي والشنناوى أحمد، ويونس عبد الحميد، من كتاب الشعب، القاهرة، بدون تاريخ، 226/9.

(14) محمد محفوظ: المرجع السابق، ص158.

(15) محمد النيفر: عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص 291؛ محمد محفوظ: المرجع السابق، ص، 158.

(16) البغدادي، باشا إسماعيل: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة المثنى، بيروت، 1950م، 141/1- 142؛ مخلوف، محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ، ص206. ناصر الدين، سعيدوني: المرجع السابق، ص 144.

(17) السعدى، عباس فاضل: ياقوت الحموي دراسة فى التراث الجغرافي العربي، دار الطليعة، بيروت،1992م، ص 20.

(18) التّجَاني: المصدر السابق، ص 252

(19) التّجَانى: المصدر نفسه، المقدمة، ص(ط).

(20) المصدر نفسه، ص 271.

(21) المصدر نفسه، ص 316.

(22) المصدر نفسه، ص 247.

(23) الزمخشري، عمر محمود جار الله: الفائق في غريب الحديث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، بدون تاريخ، بدون مكان، 256/3 – 257.

(24) سورة الحجرات، الآية 13.

(25) التّجَاني: المصدر السابق، ص 242.

(26) العبيدي، شعبان عوض: لغة التّجَاني في رحلته، مجمعيات الندوة العلمية السادسة ليبيا في الرحلات العربية والغربية نحو رؤية تحليلية مقارنة، مجمع اللغة العربية طرابلس، دار المنار للطباعة والنشر، مصراتة، 2009 م، ص32- 33.

(27) التّجَاني: المصدر السابق، ص 121- 122.

(28) المصدر السابق، ص 3 - 74- 118.

(29) المصدر نفسه، ص237.

(30) الزاوي، طاهر أحمد: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، بيروت،1981م، ص592.

(31) التّجَاني: المصدر السابق، ص 237.

(32) المصدر نفسه، ص 238.

(33) الميلودي: المرجع السابق، ص 99 – 100.

(34) المصدر نفسه، ص 238.

(35) المصدر نفسه، ص 238.

(36) المصدر نفسه، ص 238.

(37) المصدر نفسه، ص 238- 239.

(38) المصدر نفسه، ص 240.

(39) المصدر نفسه، ص 245– 246.

(40) المصدر نفسه، ص 245.

(41) ويرجح الشيخ الطاهر الزاوي الرواية المتواترة عند أهل طرابلس أن المعز لدين الله الفاطمي حينما جاوز طرابلس، منح أهلها ناقة بالذهب أنشأوا بثمنه هذا المسجد، وسموه مسجد الناقة، انظر الزاوي، طاهر أحمد: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1968م، ص94.

(42) يميل أتوري روسي إلى احتمال تطابق هذا المسجد مع مسجد موجود بحومة غريان، انظر أتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تعريب وتقديم خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، بيروت، 1973م، ص123.

(43) يرى الأستاذ بلقاسم عبد الكريم أنه مسجد يحمل اسم مصاقب أو معاقب وكان وجوده مع حلول المهدي المعز لدين الله حين جاوز طرابلس، انظر بلقاسم، عبد الكريم عبدالله: ما في رحلة التّجَاني من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية للمدن الليبية، مجمعيات الندوة العلمية السادسة ليبيا في الرحلات العربية والغربية نحو رؤية تحليلية مقارنة، مجمع اللغة العربية طرابلس، دار المنار للطباعة والنشر، مصراتة 2009م، ص 351.

(44) الميلودي، عمورة علي: طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، 1993م، ص 126.

(45) التجاني: المصدر السابق، ص 245.

(46) المصدر نفسه، ص 264.

(47) الميلودي: المرجع السابق، ص 127.

(48) المرجع السابق، ص 128.

(49) التّجَاني: المصدر السابق، ص 264.

(50) البهنسي، صلاح أحمد: طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، دار الافاق العربية، القاهرة،2004م، ص 43.

(51) Revoira (G.T): Muslim architecture. Its Origins and Development. Oxford. 1981.P.174.

(52) التّجَاني: المصدر السابق، ص 23.

(53) الأنصاري، أحمد النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، بدون تاريخ، ص294.

(54) التّجَاني: المصدر السابق، ص 254.

(55) المصدر نفسه، ص247.

(56) المصدر نفسه، ص 264.

(57) المصدر نفسه، ص 264 . 265.

(58) المصدر نفسه، ص254.

(59) التّجَاني: المصدر السابق، 247 – 248؛ عباس، إحسان: تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر، بنغازي، بيروت، 1967م، ص104. التليسي، خليفة محمد: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1985م، ص 36. الطاهر، الزاوي: معجم البلدان الليبية، المرجع السابق، ص 313 – 314.

(60) التّجَاني: المصدر السابق، ص 248– 249.

(61) المصدر نفسه، ص249.

(62) الميلودي: المرجع السابق، ص 134.

(63) التّجَاني: المصدر السابق، ص 251.

(64) المصدر نفسه، ص 246.

(65) التّجَاني: المصدر السابق، ص 246.

(66) المصدر نفسه، ص 225.

(67) المصدر نفسه، ص 253.

(68) المصدر نفسه، ص 254.

(69) المصدر نفسه، ص 237.

(70) المصدر نفسه، ص 246.

(71) المصدر نفسه، ص 247.

(72) المصدر نفسه، ص 258– 259.

(73) المصدر نفسه، ص 264 – 265.

(74) المصدر نفسه، ص 252– 254– 256.

(75) المصدر نفسه، ص 212 – 213.

(76) المصدر نفسه، ص 251.

(77) القابسي، نجاح صلاح الدين: المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي، مجلة كلية التربية، جامعة طرابلس، العدد14، 1980–1981م، ص22.

(78) العبدري، أبي عبدالله محمد بن محمد: رحلة العبدري، حققه وقدم له: محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م، ص77.

(79) المصدر نفسه، ص 249.

(80) المصدر نفسه، ص 267.

(81) المصدر نفسه، ص 262 – 268 –310.

(82) المصدر نفسه، ص220 . 221.

(83) المصدر نفسه، ص 258.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:

1- ابن أبي الدينار: محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، 1993 م.

2 – ابن خلدون، أبوزيد ولي الدين عبدالرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، الأردن،2003م.

3 – ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1984م.

4 – الأنصاري، أحمد النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجـــاني، طرابلس، بدون تاريخ.

5. ـ البغدادي، باشا إسماعيل: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة المثنى، بيروت1950م.

6 – التّجَانى، أبو محمد عبدالله: رحلة التّجَاني، الفرجاني للنشر، طرابلس، 1981م.

7- حاجى، خليفة: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد،1941م.

8- العبدرى، أبي عبدالله محمد بن محمد: رحلة العبدري، حققه وقدم له محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م.

9- النفير، محمد: عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

10- مخلوف، محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت 1349هـ.

ثالثاً: القواميس والمعاجم وكتب الحديث:

1- الزاوي، طاهر أحمد: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، بيروت،1981م.

2- الزاوي، طاهر أحمد: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، 1968م.

3- الزمخشري، عمر محمود جار الله: الفائق في غريب الحديث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،

علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، بدون تاريخ، بدون مكان.
4- كحالة، عمر: معجم المؤلفين مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، دمشق،1957 م.

رابعاً: المراجع:

أ: المراجع العربية:

1- البهنسي: صلاح أحمد: طرابلس الغرب دراسات في التراث المعماري والفني، دار الآفاق العربية، القاهرة،2004م.
2- التليسى، خليفة محمد: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1985م.
3- الزاوي، الطاهر أحمد: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت،1970م.
4- السعدى، عباس فاضل: ياقوت الحموي دراسة في التراث الجغرافي العربي، دار الطليعة، بيروت،1992م.
5- عباس، إحسان: تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، دار صادر، بيروت، 1967م.
6- سعيدوني، ناصر الدين: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.
7- محفوظ، محمد: تراجم المؤلفين التونسيين دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
8- الميلودي، عمورة علي: طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، 1993م.

ب: المراجع الأجنبية:

ــ المراجع الأجنبية المعربة:

1ـ إ توري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تعريب وتقديم خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، بيروت، 1973م.

ــ المراجع الأجنبية غير المعربة:

Oxford. 1- Revoira (G.T): Muslim architecture. Its Origins and Development. 1981.

خامساً: الدوريات:

1- بلقاسم، عبد الكريم عبدالله: ما في رحلة التّجَاني من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية للمدن الليبية، مجمعيات الندوة العلمية السادسة ليبيا في الرحلات العربية والغربية نحو رؤية تحليلية مقارنة، مجمع اللغة العربية طرابلس، دار المنار للطباعة والنشر، مصراتة، 2009م.

2- العبيدي، شعبان عوض: لغة التّجَاني في رحلته، مجمعيات الندوة العلمية السادسة ليبيا في الرحلات العربية والغربية نحو رؤية تحليلية مقارنة، مجمع اللغة العربية طرابلس، دار المنار للطباعة والنشر، مصراتة، 2009م.

3- القابسي، نجاح صلاح الدين: المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي، مجلة كلية التربية، جامعة طرابلس، العدد14، 1980- 1981م.

سادساً: دوائر المعارف:

1- دائرة المعارف: خورشيد زكي والشناوي وآخرون، من كتاب الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية في ضوء المصادر الكلاسيكية
(دراسة مقارنة)

أ. إبراهيم مفتاح شيره*

حاول الإنسان منذ القدم كشف حقيقة العالم والحياة والبدايات، وشغلته الغايات والنهايات، وكانت وسيلته إلى ذلك مرتبطة بالمرحلة التاريخية لتطوره نفسياً وعقلياً[1] حيث اعتقد في البداية أن العالم بكل مظاهره المتنوعة يخضع لترابط قوانين وقواعد معينة[2] واعتقد أن معرفته بتلك المترابطات وقواعدها تساعده في السيطرة على الطبيعة المحيطة به وإخضاعها لرغباته ومصالحه[3].

عاش الإنسان البدائي حياته في عالم يكتنفه الغموض والألغاز والأسرار، حيث كان للمظاهر الطبيعية وللبيئة من حوله أثر كبير على حياته وحياة أسرته، فكان ينظر إلى الشمس والقمر وتوالي ظهورهما على أنها أشياء خارقة لا يجد لها أي تفسير وللمطر والرعد والبرق والصواعق والأعاصير والزلازل والبراكين على أنها أشياء مخيفة ومرعبة، ولكي يستطيع تحديد مفهوم خاص لهذه الأحداث الطبيعية أسبغ عليها صفة الألوهية[4]وهذا ما يؤكده بترونيوس(Btronius)[5] بقوله: "إن الخوف هو الذي خلق الآلهة في البداية" [6]، حيث صور لكل ظاهرة من هذه الظواهر إلهاً خاصاً بها يتحكم ويسيطر عليها ، ولم يحتج إلى كهنة لكي يعلموه كيفية العبادة[7] فقام بعبادة الآلهة والتعبير عنها ونجح في الوصول إلى مفهوم خاص يستطيع من خلاله أن يستدل عليها وفي سبيل ذلك لجأ إلى التبسيط في المعاني والأشكال إلى أقل معنى وأبسط شكل يمكن أن يعبر عن طبيعة تلك الآلهة ومن هنا جاء بفكرة الرمز الذي يخص كل إله[8].

وبمرور الأيام والسنين زاد تعمق الإنسان الأول في التفكير، وصاحب هذا التفكير نضج في العقل وتعمق في التفكير الذي تبعه نضج في العقيدة والسلوك[9] فصنع بعض الأشكال التي تعرف بالطواطم (Totems) يدور حولها ويرفعها كشعارات ترمز إلى الجماعة أو القبيلة التي ينتمون إليها، وكانت كل جماعة أو عشيرة تتخذ شكلاً من أشكال الطبيعة أو حيواناً أو نباتاً طوطماً يرمز إلى الإله الذي يعبدونه وفى الوقت نفسه إلى القبيلة التي ينتمون إليها[10] وقد كان هذا الطوطم بمثابة الرمز المقدس الذي يربط الفرد بأبناء قبيلته، وكان يُنظر إليه بهيبة وخشوع دون أن يكون هناك سبب معقول يدفعه إلى ذلك، ورأى في تقديسه وتبجيله لتلك الطواطم تهدئةً له ودرءاً لشرها وجلباً لنفعها[11] فعمل على

* كلية التربية – جامعة مصراتة.

استرضائها والتقرب إليها[12] ولعل ما جعله يخاف من هذه الظواهر هو عدم قدرته على مواجهتها[13] ووصل في الاعتقاد بأنه ينحدر من ذلك الطوطم، فكانت القبيلة التي ينتمي إليها تسمى باسم ذلك الطوطم، أي أنه أصبح رمزاً للأب والجد وبديلاً عنهما [14].

ويرى أحد الباحثين أن الديانات الأولى إنما نشأت من ديانة مركزية واحدة وأسطورة واحدة، ويعلل ذلك في نظريته بالتشابه الكبير بين تلك الديانات والمعبودات في جميع الحضارات حول العالم المسكون قديماً، وإن أولى الديانات قد انبثقت من وادي الرافدين وانتهت بالديانات الكبرى للحضارات اللاحقة معللاً ذلك بأن الأسس المادية والتقنية الأولى التي قامت عليها الحضارات من زراعة وتدجين الحيوانات وعمارة وفن وكتابة، كانت تمثل الرقعة التي نضجت فيها تأملات الإنسان البدائي وتصوراته الدينية[15].

ولقد كان السكان البدائيون في الشمال الإفريقي كغيرهم من سكان الحضارات القديمة في المراحل المبكرة من تاريخهم يشعرون بأن العالم مليء بالقوى الروحانية وأن كل ظاهرة من هذه الظواهر الطبيعية مليئة بالقوى الخفية، بل أخذهم التفكير إلى أبعد من ذلك؛ فقد كان الليبيون القدماء يعتقدون أن الحجارة الكبيرة تسكنها الأرواح، ولقد ذكر بلّيني أن الليبيين في واحة سيوة يقدسون حجراً كبيراً يعتقدون إن تجرأ أحد ولمس هذا الحجر بيده فإن ذلك يؤدي فوراً إلى قيام عاصفة رملية مهلكة تؤدي إلى هلاك الواحة وردمها بالرمال[16]، وهناك العديد من الميثولوجيا الليبية التي تحدث عنها هيرودوت[17] الذي زار ليبيا واطلع على العادات الاجتماعية والطقوس الدينية للقبائل الليبية وكيفية تقديمها القرابين للآلهة وأسماء بعض الآلهة التي عبدها الليبيون؛ ففي كتابه الرابع المسمى "الكتاب السكّيتي والكتاب الليبي" ورد في الفقرة 188 أن الليبيين البدو الرعاة يقدمون الأضاحي إلى إله الشمس وإله القمر فقط، بينما الليبيون المستقرون حول بحيرة تريتونيس يقدمون القرابين لأثينا أولاً ثم لتريتون وإلى بوسيدون[18] وهذا الاختلاف في تقديم الليبيين القرابين للآلهة الفينيقية إنما يدل على الانصهار بين الليبيين والفينيقيين في المناطق التي كانت تخضع لحكم قرطاجة، وأن عبادة الليبيين للآلهة القرطاجية يؤكد مدى التكيف الديني الذي نجم عن الاختلاط بين الثقافتين الليبية والفينيقية في الشمال الإفريقي، وإن ما ذكره هيرودوت من أن الليبيين لا يقدمون القرابين إلا للشمس والقمر ليس قطعياً، بل إن الليبيين بصفة عامة حرصوا على إرضاء كل معبوداتهم الدينية، وهذا الإرضاء لا يتم إلا بتقديم القرابين لهذه المعبودات[19].

لم يكن تقديم الليبيين القرابين للآلهة مقتصراً على إله الشمس والقمر، ذلك أنهم كانوا يقدمون القرابين لكل الآلهة على مختلف تخصصاتها، فقدموا القرابين الزراعية والتي تتمثل في بواكير

محاصيلهم الزراعية لكي يحصلوا على محاصيل جيدة كالقمح والشعير والعنب والتمور وزيت الزيتون والنبيذ، فكانوا يحتفلون بولادة السماء في الربيع بعد أن يكون قد مات في فصل الخريف[20]، كما مارس الليبيون عبادة أرواح أسلافهم الذين رفعوهم إلى مصاف الآلهة فعبدوا هذه الأرواح حيث كان أفراد قبيلة النسامونيس يذهبون إلى قبور أجدادهم الذين عُرفوا بالصلاح في حياتهم ويؤدون الصلاة عندها ويقدمون القرابين لها، ثم ينامون بجانب قبورهم أو عليها، وعند مشاهدة أحدهم حلماً يكون هذا الحلم بمثابة وحي له، لذلك نجدهم يقسمون بأرواح أسلافهم ولا يحنثون[21] خشية أن يعاقبه جده صاحب القبر أو يغضب عليه فتنزل به المصائب في حياته وحياة أسرته.

أما الفينيقيون فقد قدموا من مدنهم صور وصيدا إلى الشمال الإفريقي أول الأمر تجاراً، وانحصر وجودهم في عدد من المواقع الاستراتيجية على طول الساحل و بدؤوا في تكوين محطات تجارية صغيرة على أفضل تلك المواقع[22] ما لبث أن ازدهرت هذه المحطات وتحولت بمرور الوقت إلى مستوطنات دائمة استقروا بها[23].

كان هدف الفينيقيين من المناطق التي وصلوا إليها هو التجارة مع سكانها وإنشاء محطات وأسواق تجارية لتنشيط تجارتهم في البحر المتوسط فانتشرت المحطات التجارية على ساحل الشمال الإفريقي ، وقد دلت الكتابات التاريخية على أن عدد هذه المحطات قد تجاوز ثلاثمائة محطة[24]ومع ذلك فقد كانوا على صلة وثيقة بالمدينة الأم وبالمدن الفينيقية الكبرى[25]، كان وصول الفينيقيين إلى السواحل الإفريقية مع بدايات الألف الأولى قبل الميلاد، ولم تكن لديهم أية مطامع سياسية أو استعمارية[26] بقدر ما كان هدفهم التبادل التجاري مع الشعوب الأخرى[27] فأصبحوا على اتصال مباشر معهم واحتكوا بهم من خلال تبادل السلع معهم، فهذه الظروف ترتب عليها الاندماج بين القادمين الجدد وأصحاب البلاد الأصليين، وليس من المستبعد أن يكون قد أدى ذلك إلى زواج بعض هؤلاء التجار بالنساء الليبيات، فبقاء التجار فترة طويلة بعيدين عن بلادهم في الشرق فرض عليهم تكوين أسر جديدة في وطنهم الجديد، فهذه المصاهرة كانت تعود بالنفع على كلا الطرفين وخاصة أن الأمة الفينيقية كانت أمة منفتحة على العالم وبهذا الزواج ظهر عنصر جديد على الأراضي الليبية وهو العنصر الليبوفينيقي[28]الذي اندمج فيه العنصران وتبادلا ثقافتيهما وأصبح هذا التمازج واضحاً بينهما، ولاسيما في الجانب الديني وعبادة كلٍ منهما آلهة الآخر ووصل هذا الاندماج إلى أن الليبيين كانوا يشترون التمائم من الأصداف ومن بيض النعام من الفينيقيين بعدما كانوا يصنعونها بأنفسهم[29].

وعلى الرغم من تعدد الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية واختلاف اختصاص كل إله بجانب معين كان يُعْبد من أجله ليحقق رغبات معينة إلا أن هذا الاختلاف لم يكن ذا أهمية في اقتباس طقوس العبادة.

فعبد الليبيون الآلهة الفينيقية بنفس الطريقة التي عبدها الفينيقيون وبنفس الأسماء [30]، وكان قسم كبير من الآلهة الليبية يضاهي الآلهة الفينيقية والرومانية ولها نفس خصائصها وتأثيرها[31]، وهذا عرض لأهم الآلهة الليبية والفينيقية التي عُبدت في الشمال الإفريقي وفيما اختص كل إله والرقعة الجغرافية التي عُبد عليها، ومدى انتشار عبادته بين الجماعات البشرية والفترة الزمنية التي استمرت فيها عبادته.

الإله قورزيل (GURZIL) إله ليبي[32]عُبد في حوالي القرن السادس قبل الميلاد[33] حيث عُثر على نقش في قرية الخضراء بترهونة يحمل اسم هذا الإله[34] ولقد انتشرت عبادة هذا الإله انتشاراً واسعاً في ليبيا، صُوّر هذا الإله ثوراً يحمل بين قرنيه قرص الشمس (شكل رقم 1) حيث أن الثور يمثل عند القدماء العظمة والقوة والخصوبة وقرص الشمس يمثل الضياء والنور[35] ويذكر المؤرخ البكري في كتابه "المسالك والممالك" أن السكان المحليين يعتقدون بأنه صنم قادر على حماية قطعان ماشيتهم من الموت ومن أن تصاب بالأمراض[36] ولقد بلغ الأمر من تقديس هذا الإله وشهرته العظيمة عند القبائل الليبية أنهم كانوا يحملونه معهم في ميادين القتال تيمناً بأنه سيحقق لهم النصر على أعدائهم وأنه جالب للخير ودافع للشر عنهم[37]، وانتشرت عبادة هذا الإله انتشاراً واسعاً في ليبيا حيث كان اسمه ينقش متبوعا باسم الإله الروماني ساتورن(SATURN) [38] والإله حامون الذي كان يحمي طرق القوافل[39].

ولقد حظي هذا الثور بأهمية كبيرة في أغلب الديانات في العالم حيث عبده المصريون وشبهوه بالإله آمون[40]، وكذلك اليهود عندما صنعوا عجلاً من ذهب وأخذوا يرقصون حوله وهم عراة [41] تعظيماً له.

الإله بوسيدون (BOSUDON) انتشرت عبادة هذا الإله حول بحيرة تريتونيس[42] حيث كان يعتقد بأن هذه البحيرة مكان مقدس، وجاء ذكر هذا الإله عند هيرودوت عندما تحدث في كتابه الثاني بقوله: "عرفه اليونانيون من الليبيين، لأن اسم بوسيدون لم يكن موجوداً منذ البداية عند أي شعب غير الليبيين الذين يعظمون هذا الإله دائماً أبداً"[43]، وهذا القول من هيرودوت يؤكد بالأصل الليبي لهذا الإله على الرغم من أن كثيراً من الشعوب الأخرى عبدت الإله بوسيدون وأخذوا طقوس عبادته من الليبيين كالمصريين، والرومان الذين عادلوه بإلههم نبتون[44]، ولقد انتشرت عبادته عند الإغريق حول خليج كورينثه ببلاد اليونان فكان عندهم إله البحر والينابيع والأنهار، وكان الإغريق يعتقدون أن هذا الإله يحمل الأرض بين يديه ويهزها متى يشاء لذلك هو مسؤول عن حدوث الزلازل[45].

الإله آمون (AMMON) معنى اسم هذا الإله ((الخفي))، وقد انتشرت عبادته في الصحراء الغربية، وأصبح الإله الرئيس للمعابد في واحة سيوة في عصر الدولة المصرية الحديثة[46] ثم صارت عبادة هذا الإله تتناقص، إلا أن السكان في مناطق الواحات تمسكوا بعبادته فانتشرت في الواحات انتشاراً واسعا في القرن الخامس قبل الميلاد[47].

وقد اختُلف في أصل هذا الإله فهناك من الباحثين من يرى بأن هذا الإله من أصل ليبي وصل إلى مصر مع أوائل المهاجرين الليبيين[48] الذين استوطنوا في مصر أواخر عهد الدولة الحديثة(1575 ـ 1087 ق.م)، ومنهم من يرى بأن هذا الإله مصري الأصل وهو يختلف عن الإله آمون الليبي، وأن سبب هذا الخلط هو تشابه الاسمين وبعض من صفاتهما[49]، كما صورت النقوش المصرية القديمة الإله آمون على هيئة إنسان على رأسه تاج يتكون من ريشتين يتدلى منهما شريط طويل يصل إلى الأسفل[50] ولعل هذه إشارة غير مباشرة إلى الأصول الليبية لهذا الإله؛ لأن الليبيين وحدهم من الشعوب الذين كانوا يضعون الريشة على الرأس للزينة ولإضفاء الهيبة، فقد صورت النقوش المصرية القديمة على جدران المعابد والحصون وعلى واجهات القلاع الليبيون وهم يضعون الريشة على رؤوسهم، وعلى أنهم جيران مقلقون دائموا الإغارة على الأراضي المصرية.

وبعد أن آلت منطقة برقة إلى الإسكندر المقدوني تم تأليهه واعتبروه ابن الإله آمون، ولكن ظل الإله آمون أكثر شهرةً من الأول، ونافست بذلك شهرة الإلهين زيوس وأبوللو الإغريقيين[51] ومن أشهر معابده تل آمون في جنوب بنغازي وواحة أوجلة[52] ومعبده في منطقة حصن جولايا (أبونجيم)[53] ويدل النقش الذي عثر عليه بمنطقة المحيجيبية بمدينة ترهونة في إقليم المدن الثلاث (نقش رقم2) وآخر بزاوية المحجوب التي تقع غرب مدينة مصراتة[54] على مدى الانتشار الواسع لعبادة هذا الإله والذي أسهمت عملية التبادل التجاري بين القبائل الليبية في الربط بينها وبين مواقع عبادته في واحة سيوة[55]، وهذا الانتشار جعل من الملك الفارسي قمبيز يعد حملة لتحطيم معبده في تلك الواحة(525 ـ 522 ق. م) إلا أن الحملة فشلت فشلاً ذريعاً فزاد ذلك من هيبة الإله آمون[56] فرمز له بالكبش الذي يعني لليبيين القوة والعظمة، ولما يتمتع به هذا الحيوان من صفات أهمها عملية الإخصاب، لذلك اعتبره الليبيون القدماء أباً للإله قورزيل[57]. ولقد اندمج الإله آمون مع الإله الفينيقي حامون وأصبح يسمى ((بعل حامون))[58] فنقشت صوره على أغمدة الأسلحة ومقابضها وعلى جدران المعابد وعلى الأضرحة[59].

الإلهة نيت (NEITH) أو الإلهة تانيت (TANIT) اختُلف في أصل هذه الإلهة هل هي من أصل ليبي أم أنها جاءت من شعب آخر نتيجة للاختلاط بين الحضارات المختلفة؟ وإن اقترانها بآلهة

فينيقية أدى إلى اكتسابها اسماً جديداً وهو بنتبعل، ذلك أن أقدم أثر عُثر عليه مكرس لعبادة الإلهة (نيت) يعود إلى أربعمئة عام قبل الميلاد[60]، وفي أواخر عهد الدولة المصرية الحديثة استطاع الليبيون التغلغل إلى مصر والاستيطان في وادي النيل فنقلوا معهم العديد من ثقافتهم ولاسيما الآلهة التي كان الليبيون يعبدونها ومنها الإلهة (نيت) التي كان أفراد قبيلة التمحو يقومون بوشم رمزها على أذرعهم[61]، فأخذ قدماء المصريين عبادتها من الليبيين فعبدت بمدينة سائس بغرب الدلتا في صعيد مصر، وتمثلت عندهم آلهة الحرب، وأهم خصائصها القوس والدرع والسهم[62]، كما ورد اسمها على نقش فينيقي يعود إلى القرن السابع ق.م وهي تعادل الربة الإغريقية ديمترا (DEMETER) ربة الخصوبة والزراعة عند الإغريق[63] كما شبهها الإغريق أيضًا بالربة أثينا إلهة الحرب عندهم[64].

عبدت الإلهة (تانيت) في الشمال الإفريقي كأم أو كزوجة للإله بعل[65] فكانت الإلهة الأم المانحة للخصوبة والإنتاج[66] ولها القدرة على التحكم في عملية التناسل والحمل عند النساء، فكانت بمثابة الأم التي تمنح السكان الرزق وتخصب الأرض فقدموا لها القرابين لإرضائها[67].

أما طقوس العبادة فقد اختلفت من إله إلى آخر، فقد كان الليبيون يطهرون أنفسهم بإقامة الحفلات الدينية، حيث أشار (هيرودوت) إلى أنهم كانوا يقيمون حفلاً سنوياً على شرف الربة (أثينا) تنقسم فيه الفتيات المشاركات في الحفل إلى فريقين يحارب أحدهما الآخر بالهراوات والحجارة والعصي[68] ولعل الهدف من هذا الاشتباك كان لطرد الروح الشريرة التي تسكن داخل الفتيات، وكذلك أرض القبيلة[69]، أما (هيرودوت) فيقول : ((ويعدون الفتيات اللاتي يمتن نتيجة للجروح غير عذارى))[70].

كما قام الليبيون بتقديم القرابين للآلهة التي عبدوها، فقدموا القرابين الزراعية التي تتمثل في بواكير محاصيلهم الزراعية، لكي يتحصلوا على محاصيل جيدة كالقمح والشعير والعنب والتمور وزيت الزيتون والنبيذ، فقد كان الليبيون يحتفلون بولادة إله السماء في الربيع بعد أن يكون قد مات في فصل الخريف[71]، أما هذه القرابين فقد كانوا يقدمونها لإله الشمس والقمر فقط دون غيرهما، لذلك فإن إله الشمس والقمر كانا يلقيان اهتماماً عند الليبيين القدماء، وقد وصف (هيرودوت) الطريقة التي يقدم بها الليبيون هذه القرابين فقال: "يكون تقديم القرابين لدى البدو الرعاة كما يلي: بعد أن يقطعوا أذن الضحية يلقونها فوق البيت وبعد أن يفعلوا ذلك يديرون رقبة الأضحية إلى الوراء ويذبحونها"[72].

وهناك العديد من الآلهة التي نالت مكانة عند قدماء الليبيين إلا أنها لم تحظ بشهرة الآلهة السابقة الذكر منها الإله آش (ASH) وهو إله الصحراء الغربية، صُوّر على هيئة جسد إنسان ورأسه رأس صقر، ورد اسمه في نقش للفرعون سحورع من الأسرة الخامسة المصرية[73] والإله **رشف**

(RESHEF) إله الضوء والصواعق والنار[74]، والإله **سنيفيري** (SINIFERE) والإله **بيسافون** (PSAPHON)[75].

أما الآلهة الفينيقية التي عُبدت في منطقة ليبيا القديمة وشارك الليبيون في عبادتها وقلدوا الفينيقيين في عبادتها وقدموا لها الأضاحي اعتقاداً منهم أنها تغفر لهم خطاياهم[76] ونتيجة للتمازج بين الحضارتين الليبية القديمة والفينيقية يمكننا تناول بعض هذه الآلهة بشيء من التفصيل والدراسة وإبراز مدى ارتباط السكان المحليين والفينيقيين الذين جلبوا هذه الآلهة معهم من موطنهم.

الإله بعل حامون (BAAL HAMMON) عُبد هذا الإله في مدينة قرطاجة[77] منذ أوائل القرن السابع ق.م، وكان يقدم له الأضاحي البشرية والحيوانية[78]، ومعنى بعل السيد[79] وحامون يقصد به جبل الأمانوس[80] وبجمع الاسمين يصبح معنى الاسم ((سيد جبل الأمانوس))[81] ولعل هذا الاسم هو تحريف للإله آمون الليبي الذي ارتبط اسمه بالعديد من الآلهة الوافدة كالإله الإغريقي (زيوس) الذي أصبح يسمى زيوس آمون(Zeus Ammon)[82]، وهو يعادل الإله ساتورن عند الرومان[83]، أما أحد المؤرخين فيرى أن اسم (بعل حامون) يعني سيد الألواح النقوشية ذلك أن اسم هذا الإله كان ينقش في كل مكان، وانتشر في الشمال الإفريقي انتشاراً واسعاً ولاسيما في قرطاجة[84]، ولقد صور هذا الإله على هيئة إنسان جالس على عرش يحمل قرني كبش، وهذا التصوير له دلالة جوهرية مرتبطة بهذا الحيوان، وهى عملية الإخصاب المتمثلة في القوة، لذلك كثيراً ما نرى بعض الآلهة تصورها المجتمعات القديمة قد اتخذت شكل بعض الحيوانات في مقدمتها الكبش و الثور[85]، ولا شك أن الانتشار الواسع لهذا الإله ومكانته العظيمة في مدينة قرطاجة جعلت منه إلهاً رئيساً في المنطقة، قدمت له العديد من الأضاحي وخاصة البشرية منها[86].

الإلهة عشتارت (ASHTART) ورد ذكر هذه الإلهة في التوراة على أنها ملكة السماوات وتُقرب لها القرابين[87] وهي إلهة مدينة (صور) ويعني اسمها (السيدة)[88]، عُبدت في مدينة لبدة الكبرى وفي الشمـال الإفريقي بشكل عام في فترة التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، كما عادلها الرومان في الإقليم بالإلهة فينوس(VENUS)[89] كما اشتركت الإلهة (عشتارت) مع الإلهة (تانيت) في نفس الصفات وأهمها إلهة الحرب[90]، كما اكتسبت صفة جديدة وهي حماية ورعاية مدينة لبدة الكبرى من الأخطار[91].

الإلـه ملك عشتارت (Malk Ashtart) يعتبر هذا الإله من أهم الآلهة الفينيقية التي كانت تعبد في مدينة (صور) حيث كان يعبد على اعتباره إلهاً للشمس، ثم ما لبث أن اكتسب صفات بحرية

بعد أن أصبح الفينيقيون مهرة في ركوب البحر[92] فكانت تقام له الاحتفالات السنوية[93] تقدم له فيها القرابين البشرية مثل الأطفال وخاصة في أوقات الحروب[94].

عُبد هذا الإله في مدينة لبدة الكبرى في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد، واندمج مع الإله الروماني هرقل، ومعنى اسمه أب أو زوج عشتارت[95] الذي كان يشترك في عبادته مع الإله شادرافا (Shadrapa) إله الخصوبة والشفاء على أنهما الإلهان الحارسان لمدينة لبدة الكبرى، حيث كان يقدم لهما القرابين البشرية ولقد اشترك معظم سكان مدينة لبدة الكبرى الذين كانوا يشكلون العنصر الليبو – فينيقي في عبادة هاذين الإلهين التي استمرت عبادتهما حتى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وبداية القرن الأول قبل الميلاد[96].

لقد تعددت الآلهة التي اشترك الليبيون والفينيقيون في عبادتها في ليبيا القديمة، والتي لم تكن بشهرة الآلهة التي سبق ذكرها كالإله أرص (ARS) إله الكون والينابيع والمياه العذبة والإله رشف(RESHEF)إله الضوء والصواعق والنار[97] وظلت هذه الآلهة تعبد في ليبيا القديمة وخاصة في منطقة إقليم المدن الثلاث حتى وقت متأخر من العصر الروماني[98]، ومما لاشك فيه أن الآلهة الليبية التي امتزجت عبادتها مع الآلهة الفينيقية قد انصهرت كذلك بأسماء أخرى في العصر الروماني واستمرت عبادتها إلى فترات متأخرة حتى مجيء الفتح الإسلامي للمنطقة.

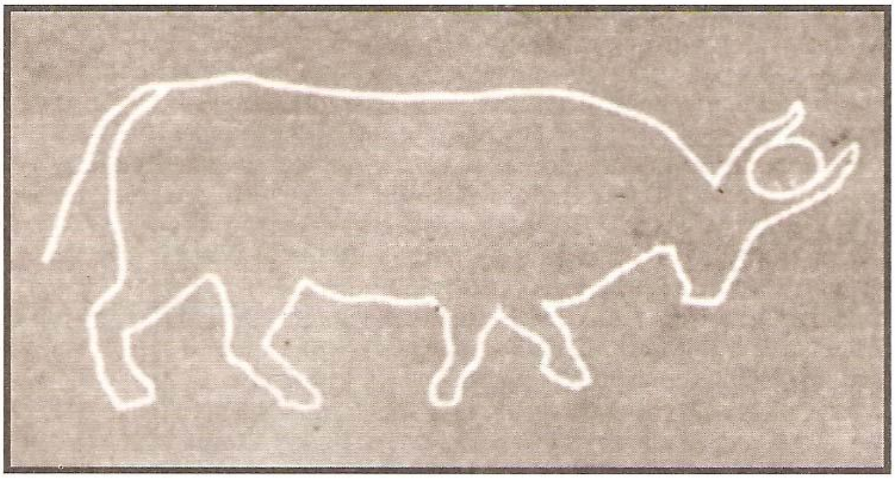

الشكل(1) الإله قورزيل على هيئة ثور يحمل بين قرنيه قرص الشمس، عن عبدالحفيظ فضيل المبار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص70.

الشكل(2) نقيشة معبد الإله الليبي آمون بقرية الخضراء في ترهونة، عن عبدالحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية، ص337.

الهوامش

(1) فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، (دراسة في الأسطورة . سوريا وبلاد الرافدين)، الطبعة الحادية عشر، منشورات دار علاء الدين، دمشق . سوريا، 1996 م، ص10.

(2) هنية مفتاح القماطي، الفكر الديني القديم، دراسة في نشأة المعتقدات الدينية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 2003م، ص 26.

(3) ميرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبدالهادي عباس، الجزء الأول، الطبعة الأولى، منشورات دار دمشق 1986، 1987م، ص36.

(4) نهى محمود نايل، الدلالات الرمزيـــة والقيم الفنية لتيجان الآلهة في النقوش المصريـــة القديمة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة حلوان، 2003م، ص50.

(5) أديب روماني عاش في القرن الأول الميلادي. ولْ واريل ديورانت، دروس التاريخ، ترجمة علي شلش، الطبعة الأولى، منشورات دار سعاد الصباح، القاهرة، 1993م، ص90.

(6) نفسه.

(7) شارل اندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامه، الدار التونسية للنشر، تونس1969، ص78.

(8) محسن محمد عطية، الفن وعالم الرمز، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1996م،ص43.

(9) سليم حسن، الحياة الدينية وأثرها على المجتمع، مجلد تاريخ الحضارة، المجلد الأول، القاهرة، 1961م، ص ص 207، 208.

(10) نهى محمود نايل، مرجع سابق، ص51.

(11) هنيه مفتاح القماطي، مرجع سابق، ص26.

(12) أدلف ارمان، ديانة مصر الفرعونية، 1950م، ص16.

(13) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ص 5 ، 6.

(14) محسن محمد عطية، الفن والحياة الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، 1994م ، ص46.

(15) فراس السواح، لغز عشتارت (الألوهية المؤنثة وأصل الديانات والأسطورة)، الطبعة الثامنة ، منشورات دار علاء الدين، دمشق – سوريا، 2002م، ص23.

(16) Pliny , Natural History , Book , V , Translation by H. Rackham, M.A, Loeb classical Library Harverd University press , London.45

(17) هيرودوت مؤرخ إغريقي ولد في سنة 484 قبل الميلاد بمدينة هاليكارناسوس ببلاد اليونان، ويلقب بـ ((أبو التاريخ)) بلغ شهرة واسعة وعرفه العالم من خلال عمله المسمى التواريخ.

(18) هيرودوت، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت (الكتاب السكيثي والكتاب الليبي)، ترجمة ، محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي2003 ، ص ص127 ، 128.

(19) Gsell. S. History. Anc.....Afr.....Nord.... Vol. 1. P248.

(20) Bat es. O " The Eastern Libyans " London , 1970. pp 202 -203.

(21) هيرودوت، مصدر سابق، الفقرة 172، ص119.

(22) محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر لبنان، 1979، ص63.

(23) الشاذلي أبورونية، قرطاج البونية – تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي،1999، ص 264.

(24) محمد الصغير غانم، مرجع سابق، ص96.

(25) أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة، المعهد الوطني للتراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس 1993م، ص29.

(26) محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1996م، ص470.

(27) محمد بن مسعود، تاريخ ليبيا العالم من القرن الأول إلى العصر الحاضر، ط4، مطابع الوفاء، بيروت 1992م ، ص36.

(28)الشاذلي أبورونية، مرجع سابق، ص 264.

(29) فاطمة سالم العقيلى، القبائل الليبية في ضوء المصادر اليونانية والأدلة الأثرية من631 م حتى 96 ق.م(رسالة ماجستير غير منشوره) جامعة قاريونس،2001، ص216.

(30) عبدالحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2001، ص200.

(31) ب. هـ.ورمنقتون، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الروماني، ترجمة عبدالحفيظ فضيل الميار، 1997م، ص70.

(32) الشاذلي أبورونية، مرجع سابق، ص 264.

(33) عبدالحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص 73.

(34) عبدالحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة طرابلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2005، ص 336.

(35)عبدالحفيظ فضيل الميا، الحضارة الفينيقية في ليبيا،ص 73.

(36) أبو عبدالله عبدالعزيز محمد بن أيوب بن عمر البكري ،المسالك والممالك، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة قرطاج، الدار العربية للكتاب،1992م ، ص660.

(37) فلفيوس كريسكونيوس كوريبوس، الحرب الليبية الرومانية مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني، ترجمة محمد الطاهر الجراري، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، 1988م، ص106.

(38) عبدالحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص200.

(39) ب. هـ. ورمنقتن، المرجع السابق، ص70.

(40) ول ديورانت، قصة الحضارة، قصة الحضارة، مج الأول، ج الثاني، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثالثة، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1956 ، ص293.

(41) سفر الخروج، الإصحاح 32، الآيات 25 . 28.

(42) بحيرة تريتونيس هي شط الجريد حاليا في تونس.

(43) هيرودوت، الكتاب الثاني هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987 م، الفقرة 50، ص152.

(44) المصدر نفسه، الهامش رقم " 2 " ص 150.

(45) ممدوح درويش مصطفى وإبراهيم السايح، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية (1 . تاريخ اليونان)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م، ص76.

(46) كرستيت فافار ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م، ص362.

(47) محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، طرابلس، 1969م،ص108.

(48) محمد على عيسى، أوجله لدى الكتاب الكلاسكيين (الإغريق والرومان والبيزنطيين) مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني السنة الثانية والعشرين، يوليو2000، ص39.

(49) إيناس بهي الدين عبدالمنعم، المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكبش منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، 2002م، ص 139.

(50) نهى محمود نايل، مرجع سابق، ص75.

(51) محمد مصطفى بازامه، قورينة وبرقة نشأت المدينتين في التاريخ، منشورات مكتبة قورينا، بنغازي،1973م ، ص 214.

(52) عبدالحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص66.

(53) Bat es. O , op,cit, p 198.

(54) Romanelli , P. La Tripolitania nel Quadro dell Archeologia Nord Africana , p. 135.

(55) أحمد حسن غزال، ليبيا القديمة أضواء جديدة على التمييز بين آمون ليبيا وزيوس قورينه، تقرير ودراسات ندوة اليونسكو – باريس 1984م، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الثقافية، باريس، 1988، ص193.

(56) محمد بيومي مهران، مصر، الجزء الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1993 م، ص 666– 667.

(57) عبدالحفيظ فضيل الميار، "الإله الليبي قورزيل في نقش فينيقي جديد من مدينة دوغا بترهونه" مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، السنة الثالثة، العدد الأول، الهيئة القومية للبحث العلمي، 1997م ، ص181.

(58) محمد الهادي حارش، حول أصول عبادة بعل حامون في قرطاجة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث، جامعة الجزائر1987م، ص 112.

(59) أحمد الفرجاوي، مرجع سابق ، ص 91.

(60) Harden. D ,The Phoenicians , Penguin Books , London , 1962–1963 , p. 94.

(61) سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، دار العربي، الطبعة الأولى، 2000م، ص 301.

(62) نهى محمود نايل، مرجع سابق، ص94.

(63) فوزيه سعيد عمار، التأثيرات الفرعونية في الحضارة الإغريقية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الخامس ق.م (750 ـ 400ق. م) (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة مصراتة، 2009م، ص118.

(64) سمير أديب، مرجع سابق، ص505.

(65) أحمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص 194.

(66) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص212.

(67) محمد فنطر، قرطاج لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية، منشورات دار الثقافة، تونس 1963 م، ص 46.

(68) هيرودوت، مصدر سابق، الفقرة 18، ص123.

(69) فاطمة سالم العقيلي، مرجع سابق، ص215.

(70) هيرودوت، مصدر سابق، الفقرة 180، ص123.

(71) Bates. O , op,cit, p 203- 202.

(72) هيرودوت، مصدر سابق، فقرة 188، ص ص127- 128.

(73) Bates. O , op,cit, p 198.

(74) عبدالحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص ص212.

(75) Bates. O , op,cit, p 198.

(76) ELmayer , A. F. ,"The Libyan God Gurzil in a Neopunic Inscription from Tripolitania" , Libyan Studies , VOL. 13 , 1982 , p. 49.

(77) فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، دار طلاسم، 1994 م ، ص 116.

(78) أحمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص166.

(79) محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية – تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، 1994، ص313.

(80) جبل الأمانوس يقع جنوب شرق تركيا، الشاذلي بورُنيّة، مرجع سابق، ص276.

(81) الشاذلي بورونيه، مرجع سابق، ص276.

(82) محمد مصطفى بازامه، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية وتأثرهم بها، ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، المؤتمر التاريخي 16 . 23 مارس 1968م ، ص91.

(83) ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيره ، مراجعة صه حسين، مركز كتب الشرق الأوسط، 2001م ، ص127.

(84) مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981م، ص 64.

(85) إيناس بهي الدين عبدالمنعم، مرجع سابق، ص132.

(86) مادلين هورس ميادان، مرجع السابق، ص65.

(87) الكتاب المقدس، إ رميا، 7 : 18.

(88) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص341.

(89) عبدالحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص213.

(90) أحمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص191.

(91)عبدالحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية، ص200.

(92)محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، ص145.

(93)عبدالحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323ق. م، دار النهضة العربية، القاهرة 1966، ص291.

(94)محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص215.

(95)احمد الفرجاوي، مرجع سابق، ص183.

(96)عبدالحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ص ص210 ،212.

(97)المرجع نفسه، ص ص 212 . 214.

(98)عبدالحفيظ فضيل الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية، ص 336.

المصادر والمراجع

أولاَ : المصادر

ـ أبو عبدالله عبدالعزيز محمد بن أيوب بن عمر البكري، المسالك والممالك، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة قرطاج، الدار العربية للكتاب، 1992م.

ـ الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت (الكتاب السكيثي والكتاب الليبي)، ترجمة، محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي2003 م.

ـ الكتاب المقدس، الطبعة الأولى، دار الكتاب المقدس، مصر 2001م.

ـ فلفيوس كريسكونيوس كوريبوس، الحرب الليبية الرومانية مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني، ترجمة محمد الطاهر الجراري، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م.

ـ هيرودوت، الكتاب الثاني هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

– Pliny , Natural History , Book , V , Translation by H. Rackham, M.A, Loob classical Library Harverd University press , London.

ثانياً : المراجع العربية

ـ أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، المجمـع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس1993م.

ـ أحمد حسن غزال، ليبيا القديمة أضواء جديدة على التمييز بين آمون ليبيا وزيوس قورينه، تقرير ودراسات ندوة اليونسكو – باريس 1984م، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الثقافية باريس1988م.

ـ أدلف أرمان، ديانة مصر الفرعونية، 1950م.

ـ الشاذلـي أبورونيـة، قرطاج البونية – تاريخ حضارة، مركز النشر الجامعي، 1999م.

ـ الفن وعالم الرمز، الطبعة الثانية، دار المعارف، مص، 1996م.

ـ المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.

ـ ب. هـ. ورمنقتون، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الروماني، ترجمة عبد الحفيظ فضيل الميار، 1997م.

ـ ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيره، مراجعة طه حسين، مركز كتب الشرق الأوسط، 2001م.
ـ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
– دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة طرابلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2005 م.
ـ دروس التاريخ، ترجمة علي شلش، الطبعة الأولى، منشورات دار سعاد الصباح، القاهرة ، 1993م.
ـ سليم حسن، الحياة الدينية وأثرها على المجتمع، مجلد تاريخ الحضارة، المجلد الأول، القاهرة، 1961م.
ـ سمير أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، دار العربي، الطبعة الأولى،2000م.
ـ شارل اندريه جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامه، الدار التونسية للنشر، تونس1969م.
ـ عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2001م.
ـ عبد الحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323ق. م، دار النهضة العربية، القاهرة 1966.
ـ فراس السواح، لغز عشتارت (الألوهية المؤنثة وأصل الديانات والأسطورة)، الطبعة الثامنة، منشورات دار علاء الدين، دمشق . سوريا، 2002م.
ـ فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، دار طلاسم، 1994م.
ـ قورينة وبرقة نشأت المدينتين في التاريخ، منشورات مكتبة قورينا، بنغازي ،1973م.
ـ كرستيت فافار ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م.
ـ مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981م.
ـ محسن محمد عطية، الفن والحياة الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، 1994م.
ـ محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1996م.

ـ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر لبنان، 1979م.

ـ محمد بن مسعود، تاريخ ليبيا العام من القرن الأول إلى العصر الحاضر، ط4، مطابع الوفاء، بيروت 1992م.

ـ محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية – تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1994م.

ـ محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، طرابلس، 1969 م.

ـ محمد فنطر، قرطاج لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية، منشورات دار الثقافة، تونس 1963م.

ـ محمد مصطفى بازامه، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية وتأثرهم بها، ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، المؤتمر التاريخي 16 _ 23 مارس 1968م.

ـ مصر، الجزء الثالث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1993 م.

ـ مغامرة العقل الأولى، (دراسة في الأسطورة . سوريا وبلاد الرافدين)، الطبعة الحادية عشر، منشورات دار علاء الدين، دمشق . سوريا، 1996 م.

ـ ممدوح درويش مصطفى، و إبراهيم السايح ، مقدمة في تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية (1 . تاريخ اليونان)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

ـ ميرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبدالهادي عباس، الجزء الأول، الطبعة الأولى، منشورات دار دمشق 1986، 1987م.

ـ هنية مفتاح القماطي، الفكر الديني القديم، دراسة في نشأة المعتقدات الدينية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 2003م.

ـ ول ديورانت، قصة الحضارة، قصة الحضارة، مج الأول، ج الثاني، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الطبعة الثالثة، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1956م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Bates. O " The Eastern Libyans " London , 1970.
- ELmayer, A. F,"The Libyan God Gurzil in a Neopunic Inscription from Tripolitania", Libyan Studies, VOL. 13 , 1982.
- Gsell. S. History. Anc…..Afr…..Nord…. Vol. 1.

- Harden, D. ,The Phoenicians, Penguin Books, London, 1962-1963.
- Romanelli. P, La Tripolitania nel Quado dell Archeologia Nord Africana.

رابعاً : الدوريات

ـ عبدالحفيظ فضيل الميا، "الإله الليبي قورزيل في نقش فينيقي جديد من مدينة دوغا بترهونه" مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، السنة الثالثة، العدد الأول، الهيئة القومية للبحث العلمي، 1997م.

ـ محمد الهادي حارش، حول أصول عبادة بعل حامون في قرطاجة ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد الثالث، جامعة الجزائر 1987م.

ـ محمد علي عيسى، أوجله لدى الكتاب الكلاسيكيين(الإغريق والرومان والبيزنطيين) مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني السنة الثانية والعشرين، يوليو 2000م.

خامساً : الرسائل العلمية

ـ إيناس بهي الدين عبدالمنعم، المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكبش منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، 2002م.

ـ فاطمة سالم العقيلى، القبائل الليبية في ضوء المصادر اليونانية والأدلة الأثرية من 631 م حتى 96 ق.م، (رسالة ماجستير غير منشورة)جامعة قاريونس، 2001.

ـ فوزيه سعيد عمار، التأثيرات الفرعونية في الحضارة الإغريقية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الخامس ق.م (750 ـ 400ق. م) (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة مصراتة،2009م.

ـ نهى محمود نايل، الدلالات الرمزيــة والقيم الفنية لتيجان الآلهة في النقوش المصريـة القديمــة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة حلوان،2003م.

الخـط العـربي في العصر الجاهلي النشــأة والتطــور (دراسة تاريخية)

أ- فتحي علي مخزوم احجيبه*

لم تصل حروف لغتنا العربية إلى صورتها الحالية إلاَّ بعد أن مرت بعدة مراحل من التطور عبر الزمن، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من جمال وتنسيق لحروفها؛ فالنقوش التي وجدت في أماكن متفرقة من جزيرة العرب وبلاد اليمن وفي بلاد الهلال الخصيب، تدل دلالة واضحة على تقارب اللغات السامية فيها لفظا ومعنى؛ حيث كان سكانها يتفاهمون فيما بينهم بلا واسطة (مترجم) كحال العرب الآن رغم تنوع اللهجات الدارجة فيما بينهم [1].

وذكر المولى عز وجل في كتابه الكريم وفي نصوص متعددة توضيحا صريحا أن العرب كانوا يعرفون القراءة والتدوين، فنجد في عدة آيات كلماتٍ وألفاظاً تخص ذلك مثل: (القلم – الورق – الكتاب – القرطاس – اللوح – الأسطر – الصحف) كما ورد في سورة القلم والطور والإسراء والبروج والأعراف والأنعام[2]، وفي الشعر الجاهلي الذي يعد من المصادر المهمة في تاريخ العرب قبل الإسلام ذكر القلم والألوكة والمالكة أي الرسالة والصحيفة والقرطاس والكاغد (الورق)[3].

قبيل البعثة النبوية الشريفة وبالتحديد في عقود الجاهلية القريبة من الإسلام لم تكن الكتابة شائعة عند العرب بقدر فصاحتهم، فهي مقتصرة في الغالب على تقييد العهود والمواثيق والأحلاف والصكوك التجارية التي كانوا يسجلونها في منقولات بسيطة كالجلد (الأديم) وعلي القماش (المهارق) وعلي عظام الحيوانات، وعل سعف النخيل (العسب) وعلي اللخاف (الحجارة) وربما عرفوا ورق البردي كالمصريين القدماء، وتداولوا عليه الكتابة في نطاق ضيق[4].

ذكر البلاذري أنه في بدايات الإسلام لم يكن في قريش من يعرف الكتابة سوي سبعة عشر رجلا [5]، وهي دلالة واضحة لعدم اهتمام العرب بها وتداولها في نطاق ضيق، وعندما جاء الإسلام كان أول أمر إلهي نزل من السماء "اقرأ"، وما كان من رسولنا الكريم إلا أن شجع الكتابة وحث عليها، وما حدث مع أسرى المشركين في معركة بدر ليس إلا دليلا قاطعا علي تشجيع العلم عندما حدد حرية الأسير الذي لا مال له بتعليم عشرة من صبيان المسلمين مقابل حريته[6]،وتشجيعه لـ ''زيد بن ثابت'' الصحابي الجليل بتعلم لغة اليهود حتي تُؤمن بوائقهم[7].

* كلية التربية – جامعة مصراتة.

تنوعت الكتابات القديمة للعرب بتنوع حروفها، وبالتالي بتنوع خطوطها، فهناك الخط المسند، والخط الأرامي، والخط المسماري (الأسفيني) واللحياني، والثمودي، والصفوي، هذه النقوش والكتابات تعد أمهات مصادر التاريخ الجاهلي، فهي الشاهد الوحيد لتلك الأيام البائدة، وقد وجدت هذه النقوش بلهجات مختلفة وفي أماكن متفرقة من شبه جزيرة العرب، وفي مصر وبعض الجزر اليونانية، وبلاد الحبشة [8].

تنوعت معارف النصوص المكتشفة، فالنصوص التي وجدت في جنوب الجزيرة العربية أغلبها ذات طابع شخصي كإنشاء بيت أو بناء معبد أو بناء سور، وتكمن فائدتها في تدوين تاريخ العرب الجنوبيين بأنها أمدتنا بأسماء عدد من الملوك ، في حين النصوص التي وجدت في شمال شبه الجزيرة العربية والمكتوبة بالثمودية أو اللحيانية أو الصفوية عديدة وقصيرة وتتضمن أموراً شخصية وأسماء بعض الأصنام والمواضع وأسماء القبائل[9]،وقد كتبت هذه النصوص بطريقة الحفر بأداة حادة علي الحجارة والأخشاب والمعادن[10].

سنحاول في هذا البحث توضيح مراحل التطور الذي حدث في حروفنا العربية في العصر الجاهلي، وعلى الرغم من أن الدراسات والبحوث عن تطور الحروف العربية عديدة إلاَّ أنه أراد الباحث من خلال هذه الدراسة عرض الآراء المختلفة والكيفية التي تطورت بها تلك الحروف القديمة مع مرور الزمن حتى وصلت إلى ماهي عليه الآن في لغتنا الجميلة. ونستعرض فيما يلي الخطوط العربية القديمة، والتي وجدت آثارها في أماكن متفرقة في بلاد العرب.

أولاً: الخط المسند:

استخدم هذا النوع من الخطوط في جنوب شبه الجزيرة العربية عند رقعة جغرافية قامت فيها أعرق وأقدم الحضارات العربية والمتمثلة في مدن معين وسبأ وقتبان وحضرموت، وأوسان وحمير، فقد استخدم عرب هذه الدول حروف الخط المسند في كتاباتهم، وانتقل منها إلى شمال وشمال غرب شبه الجزيرة العربية، وما يتصل بها من جنوب الشام بعد أن أضافوا عليها (أي الحروف) بعض التعديلات مع مدى إتقانهم لها وخرجوا منها بحروف، ثم بخطوط إقليمية جديدة كالخط اللحياني والثمودي والصفوي[11].

ليس هناك تحديدٌ صريحٌ للمدن اليمنية الجنوبية التي بدأت فيها كتابة الخط المسند، فهناك من يرى أن دولة معين(1300–630 ق.م) هي السباقة في هذا المضمار، بينما رأي آخر ذكر أن دولة سبأ(800– 115 ق.م) هي من اخترع حروف هذه الكتابة، إلا أن هناك من يرجح أنها دولة قتبان

(400 ق.م – بعد ميلاد المسيح عليه السلام)هي التي بدأ فيها كتابة الخط المسند، وقدر زمن عمر هذه الكتابة إلي أواخر الألف الثاني ق.م، أو أوائل الألف الأول ق.م[12].

ربما يرجع أصل التسمية لكلمة مسند إلى الأوامر الملكية القديمة التي كانت تبدأ عندهم بعبارة "سطر وذنمسندن" أي سطروا أو اكتبوا هذه الكتابة، أو أن الفواصل القائمة بين كل كلمة وأخرى في هذه الكتابة على اعتبار أن كل كلمة فيه تكاد تستند على الخط القائم الذي سبقها والخط القائم الذي يليها[13].

تضمنت حروف الخط المسند تسعة وعشرين حرفاً جامداً كتبت أفقياً من اليمين إلى اليسار، وأحياناً تبدأ بسطر من اليمين ويبدأ الذي يليه من اليسار إلى اليمين، حروفه منفصلة غير متصلة ومتجاورة، هذه الحروف لا يتغير شكلها سواء كتبت من بداية الكلمة أو وسطها أو آخرها، كل كلمة تنفصل عن الأخرى في سطرها الأفقي بخط قائم مع إلحاق حرف وصل بأول الكلمة المتصل بها، مع إضافة أنه لم يتضمن حروفاً لينة أو حروف حركة ولم تشكل حروفه ولم تنقط، وعبرت عن التعريف والتنوين بإضافة نون أخيرة في نهاية الاسم[14]، والملحق رقم (1) يوضح حروف الخط المسند.

في شمال شبه الجزيرة العربية وجدت أربع لهجات عربية قديمة، ثلاثة منها كتبت بالخط المسند (المأخوذ من جنوب الجزيرة العربية) هذه اللهجات هي الثمودية واللحيانية والصفوية، واللهجة الرابعة كتبت بالخط الآرامي، وهي اللهجة النبطية، وفيما يلي توضيح لهذه الخطوط [15].

ثانيا: الخط الثمودي:

نسبت حروف هذا الخط إلى قوم ثمود الساكنين بوادي القرى (بين الحجاز والشام) ونظرا لموقعهم الجغرافي المميز انتفعوا بحضارات الشام والحضارة المصرية القديمة وحضارات اليمن السعيد؛ فخطهم اشتق أساساً من الخط المسند الذي يحتمل أنهم أخذوه من منطقتي ديدان ولحيان(شمال الحجاز)أو بالاتصال التجاري المباشر مع اليمنيين، ثم طعموه ببعض خصائص الخط المصري[16].

النصوص الثمودية المكتشفة وجدت نماذج منها في تبوك والطائف وهضبة نجد وشبه جزيرة سيناء، وشرق الأردن وشرق دمشق، وفي أجزاء من اليمن، وهي دلالة واضحة على مدى انتشار قوافلهم وكثرة اتصالاتهم التجارية وخاصة في فترة قبيل الميلاد وبعده [17].

النقوش الثمودية قصيرة لا تتعدى أسماءهم وأدعية لآلهتهم وبعض النصوص التجارية، نقوش صعبة القراءة خالية من علامات الإشباع والحركات والتشديد، مكتوبة بضمير الغائب، وكثيراً ما يحذفون منها بعض الحروف كالنون في كلمة (ابن)، ونجد عندهم صيغة المثنى إلى جانب صيغة الجمع، ونفس أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر وحروف الجر وحروف العطف، وهي

التراكيب الصرفية والنحوية للخط المسند الجنوبي، أما أداة التعريف الشائعة عندهم فهي "الهاء" وهم يتساوون في ذلك مع اللحيانيين والصفويين [18]، والملحق رقم (4) يوضح الخط الثمودي.

ثالثا: الخط اللحياني:

يرجع تسميته إلى بني لحيان الذين ذكروا في نقوشه؛ فقد وجدت نقوش اليمانيين متناثرة في شمال الحجاز بمنطقة العُلا، وحاضرتهم تسمى دادان، وقد اختلف الباحثون في زمنهم هل قبل الميلاد أم بعده، وهناك من يأخرهم حتى القرن الخامس الميلادي[19].

توثقت علاقة اللحيانيين (الذين انصهروا مع ظهور الإسلام في قبيلة هذيل) بدولة معين اليمنية كمصالح تجارية، ونزلتها جاليات معينية نقلت إليها الخط المسند الجنوبي الذي طور وحور إلى الخط اللحياني، وكان من أوائل الخطوط المعروفة لنصوص عرب شمال شبة الجزيرة العربية [20].

هذا ولقد وجدت في نقوش اللحيانيين نفس الصعوبات التي وجدت في نقوش الثموديين من نقص الشكل وحروف العلة والمد والتشديد، في حين كانت أداة التعريف هي "الهاء" كالثموديين تماماً، وقد يستعملون "أل" للتعريف أو اللام وقد يجمعون الهاء واللام معاً ككلمة "هلحمى" بمعنى "الحمى" كذلك يلحقون بالماضي تاء التأنيث، من أسمائهم الموصولة "من" و"ما" و"ذو"، ونجد عندهم التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، فيجمعون الذكور بالواو والنون والياء والنون، ويجمعون الإناث بالألف والتاء، ومن حروف الجر عندهم الباء واللام وفي ومع وقبل وبعد وتحت، وينفون بـ"لا"[21]، والملحقان رقم (2)،(3) يوضحان نقوشاً للخط اللحياني.

رابعا: الخط الصفوي:

يرجع السبب في تسميته بهذه التسمية إلى جبل الصَّفاة القائم في شرق حوران ببادية الشام، حيث وجدت نقوش توضح هذا الخط في الحرّة الواقعة بين جبل الصفا وحوران والتي أطلق عليها النقوش الحرّية؛ ووجدت نقوش أخرى تتضمن الحروف الصفوية في مواضع أخرى كجنوب دمشق والصالحية على نهر الفرات [22].

اشتقت الحروف الصفوية من حروف الخط المسند الجنوبي، ولذا وجد العلماء بعض الصعوبات في تشابه رسم حروفها؛ فالباء تشبه الظاء، والخاء تشبه التاء، وتشبه اللام النون، والهاء الصاد، وعند الكتابة قد يبدأ الكاتب في الكتابة من اليمين إلى اليسار والعكس، وبالنسبة لأداة التعريف الشائعة عندهم، فهي الهاء مع الاستعمال القليل جدا لأداة التعريف "ال"، وقد عثر على نقوش لهم

قصيرة تتضمن وثائق تمليك أو أدعية لآلهة، ونستطيع القول أن اللهجة الصفوية هي ضرب من ضروب نمو اللغة العربية وتطورها[23]، والملحق رقم (4) يوضح الخط الصفوي.

خامسا: الخط النبطي:

أسس الأنباط دولة قوية في جنوب الشام واتخذوا من مدينة البتراء حاضرة لهم[24]، فقد ذكرت المصادر التاريخية مدى تأثرهم بالخط الآرامي المشتق من الخط الفينيقي، وقد وجدت نقوشهم متناثرة في شمال غرب شبه الجزيرة العربية وبالتحديد في مناطق الحجر ووادي موسى وتيماء، ووجدت أيضاً نقوش لهم في جنوب غرب بلاد الشام وفي شرق الأردن، وفي شبه جزيرة سيناء[25].

وقد تعلم الأنباط الخط الآرامي من موضعين، من إمارة إدوم بعد أن استوطنوا في أراضيها بعد أن تغلبوا على نواحٍ منها كهضبة إدوم وجبل سعير شرقي العقبة وجنوب شرق الأردن، وأيضاً من دويلة دمشق الآرامية الأصل التي اتصلوا بها عن طريق التجارة واستفادوا من حضارتها وحاولوا أن يحتلوها أكثر من مرة [26].

كانت حروف الخط الآرامي مفردة، وكلماتهم متعاقبة دون فواصل بينها، فقام الأنباط بتطوير هذا الخط وذلك بأن قاموا بوصل حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض، وفصلوا كل كلمة والكلمة التي تليها في سطرها الأفقي[27].

بدأ الأنباط في وصل الحروف الآرامية وذلك بأن وصلوا بين حرفي الباء والراء في كلمه "بر" بمعنى "بن" لكثرة استخدامها في نسب الابن لأبيه، ثم طبقوا ذلك في أغلب الكلمات الثنائية الأخرى مثل يد، من... الخ، وفي بعض الكلمات الثلاثية المستعملة بكثرة في النصوص مثل كلمة ملك، وطبقوا ذلك على كثير من كلماتهم الأخرى خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي مع استثناء بعض الحروف التي تركت مفردة مثل "الألف والواو"[28].

استخدم الأنباط أربع وسائل في ربط الحروف بعضها ببعض، وهي سند الحرف على ساق الحرف الذي يليه، وربط الحرف بذيل الحرف الذي يليه مثل "لا" وأخيراً ربط حروف الكلمة من أسفلها بربط واحد، واستخدم الأنباط أربعة وسائل في الفصل بين كل كلمة في الجملة والكلمة التي تليها، وهي التفرقة بين شكل الحرف إذا أتى في أول الكلمة وبين شكله إذا أتى في وسطها أو في نهايتها وإطالة ذيل الحرف النهائي للكلمة، والفصل بين الكلمة والكلمة التي تليها بفراغ بسيط "قليل" [29]، والملحق رقم (5) يوضح نقشاً للخط النبطي.

تضمنت اللغة النبطية بعض القواعد المعروفة في لغتنا العربية كإضافة "ال" التعريف واستخدام الفاء والواو للترتيب، والاستثناء بكلمة "غير"[30]، واختلفوا مع اللحيانيين والثموديين والصفويين

باستخدام "الـ" للتعريف بينما هم استخدموا "الهاء"، وجاروا الأراميين في تعريفهم للكلمات بإلحاق ألفٍ في نهايتها، فمثلا يكتبون كلمة القبر "قبرا"، وإضافة الواو في الكلمة دلالة على تنوينها، وقد يكتفون باللام فقط في الأسماء المعرفة باللام ككتابة "عبد البعل "بصورة "عبد لبعل" وكأنهم سهلوها وجعلوها همزة وصل لا قطع [31].

تطورت الحروف النبطية مع مرور الزمن حتى وصلت إلى الحروف العربية التي انتشرت في بلاد العرب في العصر الجاهلي قبيل الإسلام، واختلفت الروايات في الطريقة التي تم بها ذلك، فذكر البلاذري أنها انتقلت من الأنبار للحيرة* ومنها إلى مدن الحجاز[32]،وذكر في رواية أخرى أن الحروف العربية تطورت بعد أن انتقلت من الحميريين إلى الحيرة حاضرة المناذرة ومنها إلى أهل الحجاز[33]، وذكر أيضاً أن العرب أخذوا خطهم عن أهل مدين على اعتبار أن الأنباط سكنوا في نفس المنطقة التي كان يسكنها قديماً أهل مدين، ونظراً لقرب منطقتهم من بلاد الحجاز أخذ العرب الخط النبطي وليس خط أهل مدين بالخصوص[34].

كل ما ذكر في كيفية تطور الخط النبطي إلي الخط العربي اعتبره شوقي ضيف ضرباً من ضروب الوهم، واستند في ذلك على اعتبار أن الحيرة قبيل الإسلام كانت نصرانية تزخر بالثقافة السريانية؛ فكان خطهم سريانياً وليس نبطياً، وذكر أن التطور الذي حدث كان نتيجة نمو وتطور في الحجاز نفسها لمكانتها الدينية وازدهارها التجاري فأخذ سكانها الخط المعيني أولاً وطوروه إلى خطوطهم اللحيانية والثمودية والصفوية، ولما ظهر الأنباط طوروا الحروف الآرامية، وبعد أن سقطت دولتهم علي يد الرومان في العام 106م، تفرق أهلها في داخل جزيرة العرب وعلى طول طريق القوافل التجارية نشروا قلمهم النبطي، فهجر العرب الخط المعيني واستحسنوا نظيره النبطي الذي طوروه إلى خطهم العربي، وقد استند في ذلك على النقوش التي عثر عليها في شمال الحجاز وعلى طول طريق القوافل إلى دمشق كإثبات ودليل على تطور الخط النبطي إلى الخط العربي [35].

وفي الختام، فإن الرحلة طويلة من التطور للغتنا العربية في حروف هجائها من المسند إلى النبطي، اندمجت فيها الحروف المتفرقة، وكونت جملاً مفيدة ظهرت جلية وواضحة في العصر الجاهلي من خلال أشعار العرب قبيل الإسلام.

ملحق رقم (1) يوضح حروف الخط المسند مقارنة مع الحروف العربية

ملحق رقم (2) يوضح نقشاً للخط اللحياني

ملحق رقم (3) يوضح نقشاً للخط اللحياني
(المرجع نفسه، 233/8)

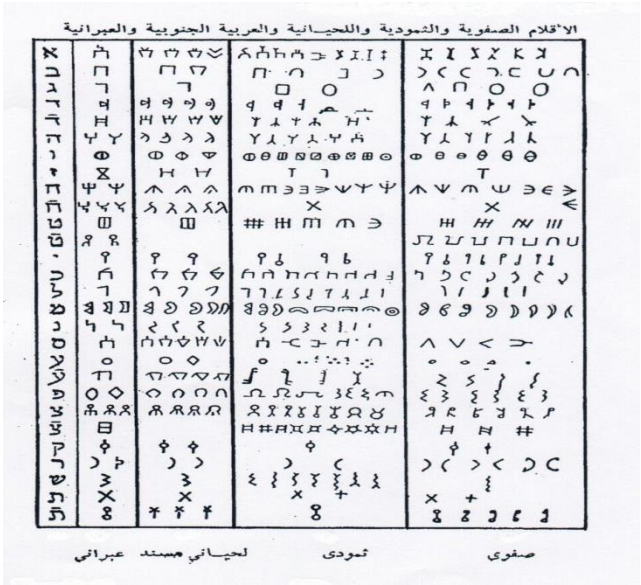

ملحق رقم (4) يوضح أنواعاً متعددة من الخطوط القديمة
(المرجع نفسه، 8/ 241)

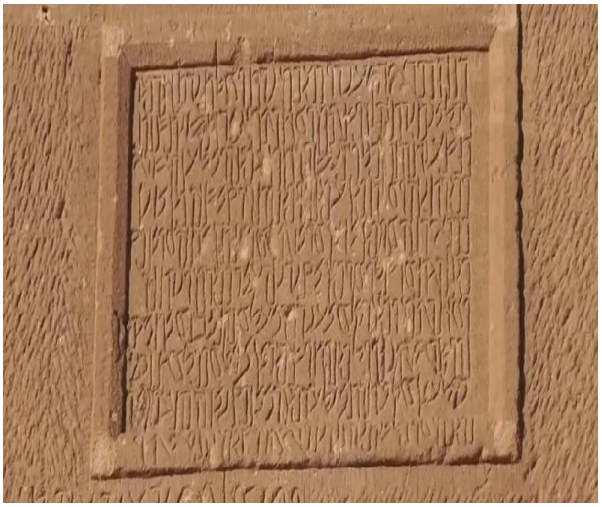

ملحق رقم (5) يوضح نقشاً للخط النبطي
(نقلاً عن موقع الألكتروني :
(مملكة الأنباط https://ar.wikiped.org/wiki/)

الهوامش:

(1) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، د.ت)17/1.

(2) الوافي، محمد عبد الكريم، منهج البحث في التاريخ، ط 2، دار الكتب الوطنية (بنغازي، 1998م) ص185-186.

(3) أحمد، علي، تاريخ الفكر العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب (حلب، 1997م) ص11.

(4) محمد الوافي، المرجع السابق، ص 187.

(5) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق عبد الأمير مهنا، دار اقرأ (بيروت، 1992م) ص609.

(6) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، دار الانتصار (القاهرة، 1981م) 100/1.

(7) البلاذري، المصدر السابق، ص 612.

(8) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2 (بغداد، 1993م) 44/1.

(9) المرجع نفسه 46/1

(10) طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس (بيروت، 2009م) ص 110.

(11) صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مطبعة محمد عبد الكريم حسان (القاهرة، د.ت) ص27.

(12) المرجع نفسه، ص 28.

(13) المرجع نفسه، ص 30.

(14) المرجع نفسه، ص 28-29.

(15) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي"، ط 28، دار المعارف (القاهرة، 2008م) ص 111. كذلك محمد طقوش، المرجع السابق، ص 109.

(16) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 140.

(17) نفس المرجع والصفحة.

(18) ضيف، شوقي، المرجع السابق، ص 112.

(19) المرجع نفسه، ص 33، 112.

(20) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 143.

(21) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 113.

(22) نفس المرجع والصفحة.

(23) المرجع نفسه، ص 115.

(24) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 145.

(25) ضيف، شوقي، المرجع السابق، ص 115.

(26) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص31.

(27) نفس المرجع والصفحة.

(28) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 31.

(29) المرجع نفسه، ص32.

(30) نفس المرجع والصفحة.

(31) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 116.

* الحيرة بلدة قديمة بقرب شاطئ دجلة لا تبعد كثيرا عن الكوفة، كانت حاضرة المناذرة في الجاهلية =ينظر القزويني، زكريا بي محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1998 م) ص 186.

(32) البلاذري، المصدر السابق، ص609.

(33) ابن خلدون، محمد بن محمد، المقدمة، دار ابن الهيثم (القاهرة، 2005م) ص338

(34) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 33-34.

(35) ضيف، شوقي، المرجع السابق، ص 34-35.

المصادر والمراجع:

أولاً/ المصادر:

- ابن خلدون، محمد بن محمد، المقدمة، دار ابن الهيثم (القاهرة، 2005م).
- البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الأمير مهنا، دار اقرأ (بيروت، 1992م).
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1998م).
- المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، دار الانتصار (القاهرة، 1981م).

ثانياً/ المراجع:

- أحمد، علي، تاريخ الفكر العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب (حلب، 1997م).
- أمين، أحمد، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (القاهرة، 2012م).
- زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ط2، منشورات، دار مكتبة الحياة (بيروت د.ت).
- صالح، عبدالعزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مطبعة محمد بن عبدالكريم حسان (القاهرة، د.ت).
- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي "العصر الجاهلي" ط28، دار المعارف (القاهرة، 2008م).
- طقوش، محمد سهيل، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس (بيروت، 2009م).
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2 (بغداد، 1993م).
- الوافي، محمد عبدالكريم، منهج البحث في التاريخ، ط2، دار الكتب الوطنية (بنغازي، 1998م).

ثالثاً/ المواقع الإلكترونية:

- (مملكة الأنباط https://ar.wikiped.org/wiki/)

الشك واليقين عند ديكارت

د. مصطفى محمد قصيبات*

مقدمة

شهد القرن السابع عشر ظهور فلاسفة كان لهم عظيم الأثر في الفلسفة الحديثة، ومنهم (ريني ديكارت)، ذلك الفيلسوف الذي لعب دوراً مهماً في مجال الفلسفة العقلية التي كانت تهدف إلى الوصول إلى المعرفة واليقين في الفكر، تاركاً بصماته الخالدة في العصر الحديث كله.

ترتكز فلسفة (ديكارت) العقلية على الشك المنهجي الذي من خلاله توصل إلى معرفة الحقائق، فهي تبدأ بالشك وتنتهي باليقين.

لقد تناولنا في بحثنا هذا مفهومي الشك واليقين عند ديكارت، ففي البداية تناولنا مفهوم الشك بمعناه الفلسفي، كما تطرقنا إلى آراء بعض الفلاسفة في العصر اليوناني الذين مثلوا الشك.

وقد بينا من كانت غايته هدامة، أي الشك لغرض الشك ليس إلا، ومنهم من كانت غايته الوصول إلى اليقين، وبعد ذلك انتقلنا إلى قيمة الشك في العصر الإسلامي باعتبار أن أبو حامد الغزالي من أفضل الفلاسفة الذين مثلوا هذا النوع من الشك، ذلك الشك المنهجي الذي يهدف للوصول إلى اليقين.

كما أوضحنا مفهوم الشك واليقين في الفلسفة المسيحية وأخذنا القديس أوغسطين نموذجاً لذلك باعتباره أبرز المفكرين المسيحيين الذين تناولوا مفهوم الشك واليقين.

وأخيراً نصل إلى الشك عند (ديكارت) وهو موضوع بحثنا، وديكارت سلك طريق الغزالي وأوغسطين في شكّه، إلا أن (ديكارت) لم يذكر مطلقاً في مؤلفاته أنه تأثر بهما ولم يشر إليهما إطلاقاً، فلقد شك في المحسوسات والعقليات لاعتقاده أنهما يحملان صفة الخداع.

وقد تناولنا كيفية انتقال (ديكارت) من الشك إلى اليقين لبحثه عن الحقيقة، فمن خلال شكه لم يثبت إلا حقيقة واحدة، وهي وجود ذات تشك، من خلال التفكير وانطلق بمبدئه الديكارتي (أنا أفكر إذن أنا موجود).

كما سنتناول قواعد المنهج عند (ديكارت) لما لها من أهمية في فهم منهجه وكيف جعل من الحدس والاستنباط عمليتين أساسيتين لكشف الحقائق وكل ذلك من أجل الوصول إلى مبدإ لا يكون موضع شك، ماهية الحقائق، وأنواعها وعددها وصلتها بالله.

* كلية الآداب– جامعة مصراتة.

إن المنهج الذي استخدمته في إعداد هذا البحث هو المنهج التاريخي التحليلي النقدي المقارن، ولا شك أنه يستقيم تماماً مع موضوع الدراسة.

وأخيراً نضع خاتمة توضح أهم النقاط التي تم استخدامها من هذه الدراسة.

مفهوم لفظ الشك:

يقصد به: البحث من أجل الكشف عن الحقيقة والقدرة على إدراكها[1]. وإذا كان أتباع مذهب اليقين، قد ذهبوا إلى إمكانية قدرة الإنسان على إدراك الحقيقة فإن الشاكَين قد أنكروا هذه القدرة، فلم يتمكنوا من إقامة نظرية المعرفة، بل أقاموا نظرية يصح القول إنها ((انتقاد المعرفة أو عدمها))[2].

والشك في تعريفه الفلسفي هو: ((التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشك، و قيل أن الشك هو ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين النقيضين دون أن يميل العقل إلى أحدهما))[3].

هنا يكون الشخص الشاك متوقف عن إصدار أي حكم سواء أكان بقبول أو رفض، بل يظل يتردد بين النقيضين دون ترجيح لأحدهما، لأن الترجيح معناه إصدار الحكم، وهذا يعني وجود شيء قائم عليه الحكم.

فالشك ليس كما هو معروف عند بعض الناس جهلاً يقابل اليقين، إنما هو موقف عقلي اتبعه صاحبه بعد تفكير عميق وتدبير طويل، والإنسان لا يقف صامتاً إنما يناقش أطراف المشكلة، وصاحب هذا الموقف لا يمكن أن يكون جاهلاً، بل يكون للشخص الشاك القدرة على الاختيار والتعبير عن حريته الذاتية.

هناك نوعان من الشك: الشك المذهبي والشك المنهجي، والفرق بينهما: هو أن الأول شكاً حقيقياً مطلقاً هداماً، ويكون الشك لغرض الشك ليس إلا، أما الشك المنهجي وهو خير وسيلة للوصول إلى اليقين والمعرفة الحقيقية.

الشك ما قبل ديكارت:

((بدأ الإنسان البحث عن الحقيقة واليقين منذ وجوده في هذه الدنيا، فأخذ يشك في كل ما يصادفه من الأشياء لكي يصل إلى الحقيقة، فالبحث عن اليقين والسعي لبلوغه هو من الأمور التي ارتبطت بوجود الإنسان نفسه))[4]. وهذا ما تؤكده لنا الدراسات الأنثربولوجية والتاريخية، فمنذ مطلع التاريخ الإنساني، بدأ الإنسان البحث عن المعرفة واليقين في كثير من الأمور؛ فالإنسان البدائي قام

بعدة محاولات اتسمت بطابعها البدائي، فهو بطبيعة الحال يرتبط بأدوات البحث المتوفرة له حينذاك، وهذا لا يعني أن الإنسان البدائي غير مهتم بالحقائق، بل قام بعدة محاولات للبحث عن اليقين.

إن هذه المجهودات التي كان هدفها البحث عن اليقين كانت تميل في سعيها لكشف النقاب عن ذلك الغموض الطاغي على عقول الناس.

من هنا نستطيع أن نؤكد بأنه لا داعي للشك، وإن مسألة اليقين هي من أهم المسائل التي شهدت اهتمام الإنسان البدائي، فإنها انطلقت من مفهوم سيكولوجي لتستهدف تحقيق رغبة الإنسان البدائي في الأمن والطمأنينة.

ونجد أن الشك ظهر في العصور المختلفة ونشير إليها باختصار كما يلي:

أولاً: الشك في العصر اليوناني:

لقد كان لفكرة الشك التي ظهرت عند ديكارت، جذور وسوابق ترجع إلى الفكر اليوناني، وسنوضح بعض آراء الفلاسفة اليونانيين في الشك:

أ. **بروتوغراس:** يقول هذا الفيلسوف ((الإنسان مقياس الأشياء جميعاً))[5]، ويقصد بهذه العبارة المشهورة انتقاء الموضوعية من الأشياء وانسحاب النسبية على المعرفة والحقائق. والجدير بالذكر، أن مذهبه مبني على خداع الحواس.

ب. جورجياس: أماجورجياس، فقد كان شكه يعني أنه لا يوجد شيء على الإطلاق، وإذا وجد شيء فلا يمكن معرفته، وإذا عرفناه لا يمكن التعبير عن هذه المعرفة للغير. وبهذا يريد أن يؤكد على أنه لا يوجد شيء، وهو نوع من الشك الذي يقوم به جورجياس وهو شك مطلق ليس شكاً من أجل الوصول إلى الحقيقة واليقين.

جـ. **سقراط:** وجه سقراط اهتمامه إلى البحث عن الحقيقة، في هذه الحالة، فاصطنع الجهل مع محدثيه، ويبدو وكأنه طالب الاستفسار والمعرفة، وهذا ما يعرف ((بمرحلة التهكم)) عنده حيث يهدف إلى تخليص العقل من الأخطاء والأوهام، وتوليد الأفكار. يقول سقراط: ((أنا لا أعرف شيء سواء شيئاً واحداً، وهو أنني لا أعرف شيء))[6]، وفي هذا سقراط يوضح لنا حقيقة واحدة، وهي كشف الحقيقة من الذات ليصل إلى اليقين.

د. بيرون: كان شك بيرون شكاً حقيقياً مطلقاً، منكراً العلم والمعرفة، وهذا النوع من الشك يعتبر شكاً هداماً لا يهدف للوصول إلى الحقيقة. فقد اعتقد بيرون بأن كل الأشياء تقبل الإثبات والنفي بنفس القوة، وعلى ذلك فقد دعا إلى تعليق الحكم بقوله لا أدري.

هـ. أرسطو: لقد اتبع أرسطو الشك المنهجي وفطن له في كتابه ((الميتافيزيقا)) وأوصى بمزاولة الشك المنهجي عند البدء بدراسة أي بحث علمي، حيث وجد صلة وثيقة بين الشك والمعرفة اليقينية.

ثانياً: الشك في الفلسفة الإسلامية

من أبرز فلاسفة المسلمين الشكاك (أبو حامد الغزالي) وكان شكه يهدف للوصول إلى اليقين والحقيقة. وفي الوقت الذي ((اضطربت الفرق واختلفت المذاهب وتباينت الملل والنحل وسيطر سلطان التقليد في اعتناق هذه أو تلك، ولقد وافق ذلك منه عقلاً متطلعاً ذكياً حاد أمام تضارب الآراء وتعدد الأديان))[7].

ولقد استمر معه الشك في رحلة شبابه، عندما توسع في" دراسة الفلسفة وعلم الكلام"، وظن أن العقائد الدينية ليست يقينية ولا برهانية، وإنما هي وراثية يرثها المسلم أو المسيحي أو اليهودي عن والديه، كما هي دون أن يناقشها أو يقتنع بها. قال عليه الصلاة والسلام: ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يجعلانه مسلماً))[8].

وهنا دخل الشك في حياته في وقت مبكر جداً، فآمن به طريقة واعتنقه منهجاً. حيث يبين لنا الغزالي ((لو لم يكن مجازي هذه الكلمات إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث... فناهيك به نفعاً. فإذن الشكوك هي الموصلة إلى الحق. فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر وبقى في العمى والضلالة))[9].

لقد كان الغزالي أبعد ما يكون على أن يدع الشك يتغلب عليه، لأن إرادة الحقيقة لديه قد قادت عقله الناقد، ومنحته القوة الضرورية والشجاعة للثبات في وجه المخاطر والعقبات، ويمكننا القول بأن حب الغزالي للحقيقة كان طوق النجاة الذي ساعده على الوصول إلى بر الأمان، ويصف لنا الغزالي كيف كان مطلب الحقيقة مسيطراً عليه منذ صباه، وكيف أنه توصل في وقت مبكر إلى استقلال عقلي فيقول: ((وقد كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا))[10].

هنا كان عليه أن يطرح على نفسه حقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأساتذة ويبحث عن حقيقة الفطرة الأصيلة، باعتبارها واحدة عند جميع الناس، لذلك تصلح أن تكون أداة للحصول على معرفة يقينية وإدراك.

إن الوصول إلى مثل هذه المرتبة لا يمكن أن يتم إلا بعد معاناة أزمة الشك. وهذا ما دفعه إلى القول – كما سبق أن أشرنا – ((من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى في العمى والضلالة))[11].

لقد بدأ الغزالي في شكه بالشك في الحواس، والحواس هي الأداة المعرفية الأولى عند الإنسان، فالإنسان عاجز عن إدراك أي حقيقة لا تصل إليها حواسه، فعلمه كله متوقف عليها، ((الإنسان يولد وعقله كالصفحة البيضاء ليس له في العلم والمعرفة إلا بمقدار ما تنقله له حواسه، وفقدان الحواس مرادف للموت))[12].

إن الناس المستمتعين بسلامتهم البدنية والعقلية عندهم قوة وقدرة الحواس على الإدراك واحدة، عكس الإنسان الشاك، ولقد عبر الغزالي عن هذه الحقيقة بقوله: ((لا مطمع في اقتباس المشكلات إلا في الجليات وهي الحسيات والضروريات، فلابد من إحكامها أولاً لأتيقن أن ثقتي بالمحسوسات وآماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليديات، ومن جنس آمان أكثر الخلق في النظريات))[13].

وقد بطلت ثقة الغزالي في الحواس فلم يبق له إلا العقل، وكان عليه اختباره أيضاً. فداء الشك إذا ما أصاب النفس البشرية لا يمكن أن يقف بسهولة عند حد معين. وهنا يسجل الغزالي حواراً بينه وبين المحسوسات التي شك فيها، فقالت المحسوسات: بما تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقاً بي فجاء حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي، فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر إذا تجلى كذب العقل في حكمه، وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالته))[14].

وهنا نجد الغزالي يقع في أزمة الشك حتى في المعقولات وتستمر أزمته ما يقرب من شهرين، وذلك كما جاء في قوله: ((فأعضل الداء ودام قريباً من شهرين أنا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال))[15].

هذه هي أزمة الشك الخطيرة التي مر بها الغزالي وكان فيها الغزالي لا يؤمن بشيء أصلاً، فلم يصبح له دليل ولا مدلول إلا أن ذلك لم يدم طويلاً وجاءت رحمة الله فانتشلته من هذه الأزمة. حيث يقول: ((وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال – أي بعد الشهرين –ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل ولا ترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة، فقد ضيق رحمة الله الواسعة))[16].

ومن هنا يمكن أن نرى أن الغزالي اعتقد أن المعرفة الحقة هي تلك التي يقذف بها الله في قلب المؤمن فيفيض علماً ومعرفة من حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وهذا ما يمكن تسميته بالمعرفة الحدسية أو المعرفة النورانية فهي نور من الله ينير قلب المؤمن.

وهكذا نجد الغزالي قد خرج من دائرة الشك ويرضى بالضرورة العقلية ميزاناً.

ثالثاً: الشك في الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط

ـــ القديس أوغسطين: موقفه من إمكان المعرفة وحدودها

إن مشكلة المعرفة عند القديس أوغسطين كانت مشكلة عاشها وأحس بها في أعماق نفسه المتعطشة إلى الحقيقة[17]. فقد عانى أوغسطين حالة من الشك، لكنه لم يرق هذا الشك إلى مستوى الشك المطلق الذي نادى به أنصار الشك المذهبي، حيث إن أوغسطين لم يشك أبداً في لحظة من اللحظات في وجود الله، وكان همه الرئيس دائماً هو البحث عن الحقيقة والتي كان يؤمن بأنها مصدر السعادة والطمأنينة. وقد كرس (أوغسطين) أول حواراته (ضد الأكاديميين) لهذه التشككية ودفاعاً عن إمكانية التوصل للمعرفة[18]، فإمكان المعرفة من أولى المشكلات الفلسفية التي عني بها أوغسطين، وقد عني بها عناية خاصة لأنها مرتبطة بالحقيقة التي كان يبحث عنها. فالبحث عن الحقيقة يقتضي أولاً إثبات إمكانها. وهذا ما ذهب إليه كل الفلاسفة في العصر الحديث الذين بدأوا في بحثهم عن الحقيقة بإثبات إمكانها أولاً. وهذا الاهتمام بإمكان المعرفة يأتي بعد أن وقعت له أزمة عقلية بعد قراءته لمقالات الأكاديميين (الشكاك) غلَبت الشك على اليقين عنده، فشك في المحسوسات والمعقولات، ولم يسلم من شكه سوى وجود الله، وعنايته بالمخلوقات.

لقد عارض أوغسطين نقد الشكاك للمعرفة الحسية حين قالوا إن الحواس خداعة، وإن أحوال الاحلام والهلوسة تقتضي منا ألا نثق بكل ما يظهره الحس أمامنا. ولكنه وجد أيضاً أن البحث عن المعرفة يقتضي أن نعرف أولاً مناهج البحث، أي الطريق الذي نستطيع بواسطته أن نصل إلى اكتشاف الحقائق. وقد وجد هذا الطريق عند الأفلاطونيين المحدثين، وهو طريق الوجدان Intuition أي المعرفة المباشرة العيانية. ولا شك أن القديس أوغسطين عندما يقرر أن سبيل المعرفة هو الوجدان أو المعرفة المباشرة القائمة على الحدس Intuition فهو بذلك يتفق مع ما جاء به الإمام أبو حامد الغزالي عندما تقصى طريق المعرفة الحقة فوجدها بعد ان قطع طريق شاقة وطويلة في التصوف، ذلك العلم الذي يسمو بالنفس الإنسانية – حسب الغزالي – إلى درجة يقترب فيها الإنسان من الله فيقذف في قلبه بنور يفيض علماً ومعرفة من حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وفي هذا تشابه كبير بين المفكرين – أوغسطين والغزالي – فكلاهما يؤمن بأن المعرفة الحقة

هي تلك المعرفة التي تشع أو تشرق أو يقذف بها الله في قلب المؤمن فتفيض نفسه بالمعرفة. وأوغسطين يختلف عن ديكارت Descartes لأنه لم يهتم بأن يجد لنفسه موضع قدم ثابتة في الشك المعتدل لكي يتقدم نحو حقيقة معينة، حيث إن أوغسطين كان دائماً يعتقد بوجود معرفة يقينية لا يتطرق إليها الشك، ولهذا توقف عند هذا المفهوم الذي يؤمن بيقينية المعرفة. لقد نظر إليها على أنها مركز لدائرة متسعة من المعرفة أي أن المعرفة اليقينية تقع وسط هذا الخضم الهائل من المعارف... ولقد آمن أن هذه الدائرة تتكمش بوصولنا لمعرفة يقينية[19].

الكوجيتو الأوغسطيني

تمت حقيقة يعرضها القديس أوغسطين على الشكاك ليشعرهم بيقين لا سبيل للارتياب فيه بحال، تلك هي حقيقة وجودنا وفكرنا، يلح فيها ويذكرها على أشكال شتى فيقول: ((أنت الذي يريد أن يعرف نفسه هل تعرف أنك موجود؟ أعرف ذلك، هل تعلم أنك تتحرك؟ لا أعلم هل تعلم أنك تفكر؟ أعلم)) كما يقول: ((حين تؤكد وجودك لا يمكن أن تخشى الخطأ، إذ أنك إذا كنت تخطئ فأنت موجود))[20].

لقد جعل أوغسطين من معرفة الذات إحدى الغايات المميزة للشعور، وبهذا المعنى، فإنه بوحدة الذات والموضوع المتحقق في الشعور، تستطيع هذه المعرفة، أفضل من غيرها، أن تكشف لنا شروط الحقيقة[21].

هكذا يتبين لنا أن معرفة الذات هي الأساس الأول، أو يمكن القول أيضاً إن موضوع معرفة الذات هو أول الموضوعات التي يجب معرفتها باعتبار أقرب الموضوعات إلينا وهذا يذكرنا بالمقولة الشهيرة لسقراط، وهي: "اعرف نفسك بنفسك" فمعرفة الذات ممكنة، وهي الأساس لكل معرفة. لكن يظل السؤال القائم، كيف يتم ذلك؟ بالنسبة لأوغسطين يرى أن في النفس قوة هائلة للتفكير، وبالتالي عليها أن تفكر بنفسها لتصل إلى إدراك نظراتها الخاصة[22]، وفي كتابه مدينة الله يقول أوغسطين: "الحسّ الخارجي ليس سوى الأداة ولا يمكنه أن يحكم على ما نراه، لنا حاسة أخرى؛ باطنية في الإنسان، تفضَل وتسمو على الحواس الأخرى؛ بها نميز الصحيح من الخطأ، نميز الصحيح بواسطة شيء قابل للفهم وغير الصحيح نميزه بواسطة الحرمان من تلك الحاسة. تستغني تلك الحاسة عن كل مساعد: حاجب العين وفتحة الأذن وتلك التي يستنشق الأنف من خلالها، وسقف الحلق واللمس الجسدي، ما همه من كل ذلك؟ بتلك الحاسة أنا متأكد من أني موجود وأعرف ذلك؛ أن أكون وأعرف، فذاك ما أحب، ومن خلال ذلك الإحساس إني متأكد من أني أحب"[23].

إذن استعان أوغسطين على بيان تهافت الشكاك وإقامة الحجة على فساد آرائهم، بما يمكن تسميته بالكوجيتو الأوغسطيني وهو"إذا كنت مخطئاً فأنا موجود".

ورتب أوغسطين على هذه الحقيقة حقائق أخرى ترتبط بها وتعتمد عليها كالحياة، والتذكر، والفهم، والإرادة، والحكم، حيث يقول: "إن أحداً لا ينكر أنه يحيا، ويتذكر، ويفهم، ويريد، ويعرف، ويحكم، فإذا شك إنسان فإنه يحيا، وإذا شك فإنه يتذكر ما جعله يشك، وإذا شك فهم أنه يشك، وإذا شك رغب في أن يكون متأكداً، وإذا شك فإنه يفكر، وإذا شك عرف أنه جاهل، وإذا شك عرف أنه ينبغي ألا يسرع إلى الحكم"[24]، ومعنى هذا كله أن الشك أولاً موجود، وهو حقيقة، وثانياً أن العمليات النفسية المتصلة بهذا الشك، هي أيضاً حقائق يقينية، ومعنى هذا أننا قد وصلنا إلى إثبات وجود الذات. ولكن عن أي طريق استطعنا أن نقول أن هذه الأشياء حقيقة؟ الطريق هو المعرفة المباشرة (الوجدان) Intuition أو الحدس وذلك لأننا في الحالات الأخرى أي المعرفة الحسية، لا نتصل بالحقائق مباشرة، بل كل ما يقدم الحس هو صور أخرى للحقائق الأصلية، أما هذه الحقائق التي عرفناها فإنها يقينية، فاليقين قد جاءنا إزاءها لأن هذه الحقائق حاضرة مباشرة أمام النفس، وتدرك عن طريق العيان والوجدان، ولهذا يكون مقياس الحقائق حضورها في النفس مباشرة[25]. ومن هنا تبدو الصلة وثيقة بين الكوجيتو الأوغسطيني والكوجيتو الديكارتي ويتمثل الفرق بين أوغسطين وديكارت في إدراك الثاني لأهمية اليقين، فاتخذه دعامة لإقامة مذهب فلسفي عميق، لم يكن لأوغسطين أن يدرك مراميه أو أبعاده الحقيقية[26].

إن الكوجيتو الأوغسطيني الذي يجب أن يوصل إلى يقين وجودي كفكرة وإدراك جوهري، غير ممكن إلا بنوع من الزهد، ويتميز منذ البداية بشعور بسيط في ذاته، وهذا هو الكوجيتو الديكارتي، نمط سيره ونتائجه، إنه من المؤكد عدم وجود تحليل، عند القديس أوغسطين بالمعنى الديكارتي للكلمة، إن رفض العالم الخارجي الذي يعرضه علينا القديس أوغسطين لا يصدر عنه شك جوهري، هذا في حين أنه يحصي كل الأسباب الطبيعية للشك، ويصل إلى وجود الفكر كيقين وحيد، وهذا اليقين يقام برهان خداع الحواس والحلم وحتى الجنون[27].

هكذا يتضح لنا أن أوغسطين اتخذ من شك الأكاديميين سلاحاً أو برهاناً للرد عليهم، فالشك هو صورة من صور التفكير، كما أن الشك برهان على الوجود، وبالتالي فإن الوجود حقيقة لا يمكن الشك فيها، والشك فيها يعني فوضى التفكير.

الشك عند ديكارت (1596 ــ 1650)

سلك ديكارت نفس الخطوات التي سلكها الغزالي وكذلك أوغسطين وهي خطوات الشك المنهجي، حيث اشتهر أنه إمام الشك المنهجي في العصر الحديث، فهو أول من أبرز قيمة هذا الشك في أوربا وحدد معالمه ومارسه عملياً حيث وصل إلى اليقين. وقد أكد ديكارت في مؤلفاته ضرورة الشك عند الإنسان ولو مرة واحدة في حياته لكي يصل إلى اليقين. ونرى ذلك من خلال قوله: "في أنه للفحص عن الحقيقة يحتاج الإنسان مرة في حياته، أن يضع الأشياء جميعاً موضع الشك بقدر ما في الإمكان"[28].

أطلق ديكارت على مبحث العقل من فلسفته اسم "الميتافيزيقا" وهي تعتمد في بحثها على الفكر المحض بخلاف "الفيزيقا" فإنها لا بدّ لبحثها من الخيال لكي يوضحها ويجليها وذلك مما جعل الميتافيزيقا أكثر دقة ويقيناً من الفيزيقا، على الرغم من أن الأولى علم تجريدي[29]. إن المكان الذي يخص به ديكارت الميتافيزيقا كثير الدلالة على منحى الفيلسوف، حيث كانت الكتب المستعملة في المدارس والمعاهد تضع الميتافيزيقا بعد الفيزيقا وهذا القلب للترتيب التقليدي كان بمثابة ثورة في عهد الفيلسوف[30]، وقد جعل من الميتافيزيقا القسم الأول من فلسفته، وهي تشتمل على مبادئ المعرفة التي منها تفسير أهم صفات الله وروحانية نفوسنا وجميع المعاني الواضحة المتميزة الموجودة فينا[31].

وهكذا نجد الميتافيزيقا لها رتبة عالية في فلسفة ديكارت، وقد طبق عليها منهج الرياضيات فصارت أكثر يقيناً. إلى حد أنها قد عادلت في يقينها يقين الرياضيات. وقد عبر ديكارت عن ذلك في رسالة كتبها في 15 أبريل عام 1630 إلى أحد أصدقائه ذكر فيها بأنه قد اهتدى إلى البرهنة على الحقائق الميتافيزيقية ببراهين تعد أكثر بداهة من البراهين الهندسية[32].

كما يقول:" ثق أنه ليس في الميتافيزيقا شيء إلا اعتقد أنه واضح كل الوضوح للنور الفطري، ويمكن أن يبرهن عليه برهنة دقيقة[33].

فإذن الميتافيزيقا هي علم يعادل في يقينه علم الهندسة، إن لم يزد عليه، وهي أكثر يقيناً من الهندسة، لأن طائفة كبيرة من الحقائق الميتافيزيقية يمكن اكتشافها قبل أن يرفع الشك من حقائق الرياضيات ولهذا ظن الشكاك وغيرهم أن إثبات وجود الله أمر غير ممكن، وكثيرون حتى يومنا هذا يظنون مستحيلاً، إن شأنه كشأن جميع الحقائق الميتافيزيقية إثباته ميسور جداً، أكثر من يقين براهين الرياضيات[34].

خلاصة القول عن فلسفة ديكارت الماورائية هو هدفها أن تضع في أساس الفلسفة بعض القضايا "الحدسية" الموثوقة، ولكن لا توجد سوى وسيلة وحيدة ممكنة للنجاح في ذلك، وهو إخضاعها لمحك الشك المنهجي[35].

الشك المنهجي والكوجيتو:

المنهج الذي يحدد ماهية الميتافيزيقا، هو المنهج الذي وصل إليه ديكارت بملاحظة العمل الذهني في الرياضيات. فقد لاحظ أن في الرياضيات استدلالات صحيحة لا نجدها في غيرها. وقرر أن من مرَّن ذهنه على عمليات الرياضيات أصبح أهلاً للبحث عن الحقائق الأخرى، لأن منهج الفكر واحد في جميع الأمور، وفي كتابي (القواعد لهداية العقل) و(المقال عن المنهج) بيان للمنهج الدقيق الذي يجب أن يتوخاه طالب الميتافيزيقا[36]، ولما كان منهج الفكر واحد في جميع الأمور، والعقل الإنساني واحد، فإنه لم يجد سبباً لهذا الاختلاف بين العلوم في مراتب اليقين إلا اختلاف في المناهج التي يسلكها الباحثون في العلوم المختلفة. وأيقن أنه لو طبق على كل علم المنهج الذي يتبعه الرياضيون في الوصول إلى براهينهم، لبلغت العلوم درجة الرياضة من حيث استقرار النتائج ولم يبق شيء يبرر اختلاف العلماء ومجادلاتهم[37].

قبل البدء في تبيان الشك المنهجي الذي اتبعه ديكارت من أجل الوصول إلى حقيقة أولى بسيطة تتميز بالوضوح والجلاء واليقين ليتخذها مبدءاً أول لفلسفته، يجدر بنا أولاً الوقوف على منهجه، فقد رأى ديكارت أهمية المنهج في الفلسفة لينقذها من الفوضى التي انتهت إليها – حسب رأيه – وهو لذلك يضع "قواعد لهداية العقل" لأنه يرى أنه خير للإنسان أن يعدل عن التماس الحقيقة من أن يحاول ذلك من غير منهج[38].

قواعد المنهج الديكارتي:

كان ديكارت يعتقد أن هناك طريقة من شأنها أن تنظم البحث الإنساني للمعرفة حتى يصبح أكثر نسقية ونجاحاً. لقد تضمن كتابه (مقال عن المنهج) جميع "القواعد لتوجيه الذهن" التي نحتاج إلى اتباعها في البحث العلمي، إذا ما أريد له أن يكون أكثر من مجرد خليط عشوائي من الحدس والتخمين. ومن هنا حاول ديكارت في هذا الكتاب أن يبين كيف يكون من الممكن اكتشاف المعرفة الحقيقية فقط باتباع بعض القواعد الرئيسة[39]. حيث يقول: "فالأربعة التالية حسبي بشرط أن يكون عزمي على ألا أخل مرة واحدة بمراعاتها صادقاً ودائماً، الأول ألا أقبل شيئاً ما على أنه حق، مالم أعرف يقيناً أنه كذلك: بمعنى أن أتجنب بعناية التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر، وألا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز بحيث لا يكون لدي أي مجال لوضعه موضع

الشك"[40]، وهذه القاعدة الأولى من قواعد المنهج الديكارتي تعرف بقاعدة "الوضوح العقلي" أو قاعدة البداهة واليقين، حيث إن ديكارت ما يعنيه بعدم قبول شيء على أنه حق هو أن القضية لا بد أن تكون واضحة Clear، ومتميزة Distinct أيضاً في تفصيلاتها وعلاقاتها. ويفهم العقل القضايا الواضحة بطريقة حدسية[41].

وهكذا ينتهي ديكارت من قاعدته الأولى إلى طلب اليقين والبداهة اللذين هما غاية العقل في بحثه عن الحقيقة.

أما القاعدة الثانية من قواعد المنهج الديكارتي تلك القاعدة التي تسمى بقاعدة التحليل، وهي كما يقول ديكارت في "المقال عن المنهج" ((أن أقسم كل واحدة من المعضلات التي سأختبرها إلى أجزاء على قدر المستطاع، على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه))[42] ولا ترمي هذه القاعدة إلى محاولة تحليل الحقائق لا بتفتيتها وتقسيمها إلى حد لا يسمح لنا بدراستها وبلوغ الهدف منها، بل بتحليلها على غرار مسائل الرياضة والهندسة، لأنه يجب علينا إزاء أي مشكلة أن نبدأ بافتراض مجموعة من الأسباب التي يحتمل أن تكون واحدة منها السبب في الظاهرة أو المشكلة ثم نقوم بفحص كل سبب منها على حدة حتى نصل إلى الأسباب الحقيقية للمشكلات[43].

أما القاعدة الثالثة، وهي القاعدة التي تسمى بقاعدة التأليف والتركيب فهي كما يقول ديكارت: "أن أسير أفكاري بنظام، بادئاً بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي أتدرج قليلاً حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيباً، بل وأن أفرض ترتيباً بين الأمور التي لا يسبق بعضها الآخر بالطبع"[44]. وهذه القاعدة لها فرعان: الأول التدرج من المبادئ إلى النتائج، وذلك بأن ننظر أولاً في حد من حدود المسألة، ثم في حد آخر، ثم النسبة بينها، ثم في حد ثالث، وهكذا حتى تأتي على جميع الحدود، ونسبها، والفرع الثاني هو افتراض النظام حين لا يتبين نظام الحدود، ثم استخراج النتائج بالطريقة التركيبية المذكورة. والمقصود بالنظام "نظام الأسباب" الذي بموجبه تلزم معرفة حد من معرفة حد سابق لزوماً ضرورياً، وإذا لم ينتج النظام المفروض، افترضنا نظاماً آخر، إلى أن نصل إلى النظام الملائم، فهنا يتدخل العلم إذ لا يقوم العلم إلا بالنظام[45] وتفتح أيضاً القاعدة باب الشغف الديكارتي بالرياضة على مصراعيه، فهي تطبق منهج الرياضة موضوعاً كاملاً على منهج الفكر الفلسفي[46].

أما في القاعدة الرابعة والأخيرة فهي تلك القاعدة التي تسمى بقاعدة الاستقراء التام أو الإحصاءات أو المراجعات الشاملة وهي كما يقول ديكارت: "أن أعمل في كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئاً"[47].

وترمي هذه القاعدة إلى التأكد من أننا لم نغفل في أثناء عملية التركيب أي جزء من أجزاء المشكلة المطروحة للحل[48] ويختلف هذا الإحصاء أو الاستقراء، كما يسميه أيضاً ديكارت عن الاستقراء الأرسطوطاليسي، في أن الغرض منه ليس الوصول إلى نتيجة كلية من أجل ما شوهد في الجزئيات، بل الوصول إلى حدود تتصل بذاتها بعضها ببعض[49].

لقد كانت صياغة المنهج بالنسبة لديكارت خطوة أولية أساسية، فقد كان يطمح إلى اكتشاف ما عساه أن تكون معرفة الأشياء الموجودة التي يمكن بلوغها بيقين، ولم يكن يعتقد أن كل المعلومات التي حصلها في "لافليش"[50] كانت زائفة على الإطلاق، بل كان بعضها زائفاً، ولم تكن لديه وسيلة لتمييزها حتى وجد منهجاً خاصاً به. وعندما أصبح لديه منهجاً، بادر باستخدامه في التأمل الأول من تأملاته. وذلك ما فعله بطريقة بارعة، إذ أنه شرع في الشك في كل شيء يمكن الشك فيه لكن يكشف ما هو على يقين منه صورة مطلقة لأنه لا يستطيع أن يشك فيه دون أن يفترض وجوده، وهذا هو مذهبه الشكي الأول أو المنهجي كما يطلق عليه أحياناً[51].

وهذا المنهج المتمثل في القواعد الأربع البسيطة _ أشرنا إليها _ أساسه يقوم على عمليتين أساسيتين: هما الحدس والاستنباط.

ـــ الحدس والاستنباط كعمليتين أساسيتين لكشف الحقائق

يرى ديكارت أن السبيل للحقيقة بوسيلتين أو فعلين هما: فعل الحدس[52] وفعل الاستنباط، وقد ذكر ديكارت أهمية هذين الفعلين وفاعليتهما في الوصول إلى اليقين في قوله: "إن جميع الأفعال العقلية التي نستطيع بها معرفة الأشياء دون أن نخشى الزلل عبارة عن فعلين اثنين أو وسيلتين هما الحدس والاستنباط"[53]، والحدس عند ديكارت هو ما يقول عنه: "أقصد بالحدس لا شهادة الحواس وهي متغيرة ولا الحكم الخادع أي حكم الخيال، وإنما أقصد به الفكرة القوية التي تقوم في ذهن خالص، ولا يصدر إلا عن نور العقل، فهو لذلك يمثل بصيرة العقل، ورؤيته لطبيعة الشيء وماهيته"[54]، فالحدس Intuition إذن هو رؤية عقلية مباشرة، نور فطري، أو غريزة عقلية، يدرك بها الذهن حقائق يتضح يقينها اتضاحاً يتبدد معه كل شك[55]، وبالتالي هو إدراك المعاني الفطرية وكل ما هو معقول ليس غير، والمعاني الفطرية هي الماهيات وهي الحقائق كما تتمثل للعقل[56]، وعلى هذا النحو يستطيع كل إنسان أن يرى بالحدس Intuition أنه موجود وأنه يفكر، وأن المثلث محدود بثلاثة خطوط، وأنه ليس للكرة إلا سطحاً واحداً، وغير ذلك من الحقائق المشابهة التي هي أكثر عدداً مما يعتقد في العادة[57].

مما تقدم نستنتج أن المعرفة اليقينية تقوم على النور الفطري الطبيعي؛ وهو نوع من الإشراق الإلهي الذي يصيب العقل الإنساني، وديكارت يؤكد على أهمية النور الفطري وهي ملكة المعرفة التي وهبنا الله إياها، وديكارت يرى كلما اتجهنا نحو البساطة وكلما اقتصرنا في نشاطنا العلمي على النور الفطري كان وصولنا للحقيقة أأمن وأيسر. وذلك لأنه يقول: "إن النفس تشتمل على شيء إلهي أودعت فيه البذور الأولى للأفكار النافعة، وإذا أثقلت هذه البذور بالدروس المعقدة، لم يجن منها إلا ثمرات غثة لا مرجى منها نفع دائم أو خير مقيم"[58].

الاستنباط عند ديكارت فهو العملية التي يستنبط بها شيء آخر، وبمعنى ذلك المرور من حد إلى حد آخر يتلوه أو ينتج عنه مباشرة وبالضرورة[59]، والاستنباط يمكن تعريفه بأنه مجموعة حدوس، إذ أن الحدس هو نقطة في أي استنباط، ومن ثم فإننا لا يجب أن نضع الحدس والاستنباط في مرتبة واحدة من حيث درجة اليقين والتميز، لأن الاستنباط يستغرق فترة من الزمان تقتضي استخدام الذاكرة التي قد تخون أحياناً، على عكس الحدس الذي يحدث في ومضة خاطفة[60].

إذن يمكن النظر إلى الحدس باعتباره مرحلة أولى تستخدم لإدراك المبادئ الأولى، للعلم والفلسفة، أما الاستدلال فهو المرحلة التي نستعين بها لتكوين قضايا أولية، تنتج عن هذه المبادئ المترتبة على النظرة الثاقبة للحدس[61]، وأهمية المبادئ البسيطة التي يتوصل إليها بالحدس تتبين لنا من خلال قول ديكارت: "إن جميع النتائج التي تستنبط من مبدأ ليس بديهياً لا يمكن أن تكون بديهية مهما يكون الاستنباط من حيث صورته صحيحاً. ويترتب على هذا ن جميع الاستدلالات التي أقاموها على مثل تلك المبادئ لم تستطع أن تؤديهم إلى المعرفة اليقينية"[62].

وهكذا فإن عقلنا بنظر ديكارت قادر على أن يعرف مبادئ بسيطة[63] وحقائق لا يرقى إليها الشك وذلك بواسطة أضوائه الطبيعية وحدها أي بواسطة الحدس، وهو قادر من ناحية أخرى وبفضل الاستنتاج، على أن يفهم حقيقة ما على أنها نتيجة حقيقة أخرى سابقة نحن منها على يقين، أي أنه قادر على تحديد كل ماهية الشيء المجهول بمقتضى الصلات التي تربطه بأشياء معروفة[64].

وهكذا لا يكون الحدس والاستنباط هما المنهج، بل المنهج هو ما بين كيف أن نستعمل الحدس حتى لا نقع في الخطأ المضاد للحقيقة؟ وكيف يجب أن يعمل الاستنباط حتى نصل إلى معرفة جميع الأشياء[65]؟

ـــــ البحث عن مبدإ لا يكون موضع شك

لقد تبين لنا مما سبق مقدار إسهام الرياضة في تأسيس المنهج الديكارتي، وكيف جعل منها منهجاً للفكر يقوم على أساس الوضوح والتميز، فقد بحث ديكارت عن مبدإ عقلي لا يكون موضع

شك ليقيم عليه فلسفته وعلمه، وقد مضى في بحثه عن ذلك المبدأ العقلي بكل حزم وإصرار، حيث يقول: "سأمضي في هذا الطريق قدماً حتى أهتدي إلى شيء يقيني، فإن لم يتيسر لي ذلك لبثت على حالي على الأقل حتى أعلم علم اليقين أنه ليس في العالم شيء يقيني، فإنَ أرشميدس لم يكن يطلب إلا نقطة ثابتة غير متحركة، لكي ينقل الكرة الأرضية من مكانها إلى مكان آخر. وكذلك أنا، يحق لي أن أعلق أكبر الآمال إن أسعدني الحظ فوجدت شيئاً يقينياً لا شك فيه"[66] وهذا الموقف الذي اتخذه ديكارت للوصول إلى حقيقة لا يمكن الشك فيها جعله يفترض أن جميع الأشياء التي يراها باطلة، ووجد أنه من الممكن فطرياً الشك في شهادة حواسه وذاكرته وأفكاره ووجود العالم الخارجي، وحتى في صدق الرياضيات[67]. ولعل ما يعبر عن هذا الموقف هو قوله: "بوسعنا أن نشك أولاً بصور الأشياء التي وقعت تحت حواسنا أو تخيلناها إطلاقاً"[68]. وما سبب هذا الشك في كل ما هو مصدره الحواس، إلا أن ديكارت يرى أنه ليس من العقل في شيء أن نطمئن إلى من خدعونا ولو مرة واحدة، فما بالك بالحواس وهي دائماً ما تخدعنا. حيث يقول: " التجربة قد علمتنا على أن حواسنا قد خدعتنا في مواطن كثيرة، وأنه يكون من قلة التبصر أن نطمئن كل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة. وكذلك نكاد نحلم دائماً ونحن نائمون". ويبدو لنا حينذاك أننا نحس بشدة ونتخيل بوضوح عدداً لا يحصى من الأشياء التي ليس لها وجود في الخارج ومتى صمم الإنسان على أن يشك في كل شيء لم يعد يجد علامة للتمييز بين الخواطر التي ترد علينا في حال النوم وتلك التي ترد علينا في حال اليقظة"[69]. ونجد موقف ديكارت فيما يتعلق بحقائق الرياضة وكل ما بدا من قبل على أنه يقيني ممثل في قوله: "بوسعنا أن نشك أيضاً في جميع الأشياء التي بدت لنا من قبل يقينية جداً. بل نشك في براهين الرياضة وفي مبادئها وأن تكون في ذاتها جلية جلاءً كافياً"[70]. وسبب هذا الشك حسب رأي ديكارت راجع إلى أن من الناس من يخطئ في أبسط الأمور حتى التي تبدو أنها واضحة، كما أن الله الذي خلقنا يستطيع أن يفعل ما يشاء؛ وربما اقتضت مشيئته أن يجعلنا بحيث نكون على ضلال[71].

ليس الشك مقصوداً هنا لذاته، بل لامتحان معارفنا وقوانا العارفة[72]، وهو خطوة التأمل الفلسفي الأول الأساسية، فإن أدى بنا إلى المبادئ الأولى كان السبيل إلى اليقين الفلسفي، والشك ذاته تأمل قائم في الزمن، له بالضرورة مراحل تنظيم من الأبسط إلى الأصعب، تؤدي في نهايتها إلى نتيجة قد تكون سلبية نقف عندها، وقد تكون إيجابية تفتح أمامنا الطريق إلى اليقين الفلسفي الكامل[73]، وقد ذهب بعض المؤلفين إلى أن الشك الديكارتي ليس كلياً مثل شك الشكاك. وذلك لسببين:

الأول: أن الفيلسوف يقصد إلى تبرير اليقين بعد المضي في الشك إلى أقصى حدوده، والثاني: أنه يستثنى بالفعل العقائد الدينية والقواعد الأخلاقية والتقاليد الاجتماعية[74]، وما يؤكد على أن ديكارت قد استثنى مجال الحياة العملية من الشك وقصره على مسائل النظر، هو ما جاء على لسانه في القسم الثالث من مقال عن المنهج الذي يتعلق بالأخلاق، حين يقول: "وكانت حكمتي الثانية أن أكون أكثر ما أستطيع جزماً وتصحيحاً في أعمالي، وألا يكون استمساكي بأشد الآراء عرضة للشك. إذا ما أصبحت عزيمتي عليها أقل ثباتاً ما لو كانت من أشد الآراء وضوحاً[75].

هكذا يتبين لنا أن ديكارت لم يكن فيلسوفاً لا أدرياً[76] بل أن مقصده الأسمى من شكه هذا هو البحث عن قاعدة أمينة يقيم عليها صرح العلم، أي إيجاد مبدأً ضرورياً لا يقبل الشك، وفي ذلك يقول: "وما كنت في ذلك – الشك – مقلداً اللاأدرية الذين لا يشكون إلا لكي يشكوا ويتكلفون أن يظلوا دائماً حيارى، فإني على عكس ذلك، كان كل مقصدي لا يرمي إلا إلى اليقين، وإلى أن أدع الأرض الرخوة والرمل، لكي أجد الصخر والصلصال"[77].

وهكذا يمكن القول إن الشك الذي قصده ديكارت أنه ليس نهاية حركة العقل الفلسفي، بل ليس بدايتها ولا الشروع فيها، إنه البحث عن نقطة البداية، النقطة التي يصح للفيلسوف أن يبدأ عندها، فالشك هو المرحلة الأولى، هو التأمل الأول في الفلسفة، هو طريق الاكتشاف الفلسفي، إنه يهدينا إلى نقطة البداية، إلى مبدأ الفلسفة وأساسها الأول[78]، وهذا ما وجده ديكارت، فحين بدأ أن كل أمل بمعرفة يقينية قد تبدد، إذ بقضية تفرض ذاتها بمنجاة عن كل انتقاد[79]، وستظل ثابتة لا تميل أمام عاصفة الإنكار التي اكتسحت كل شيء، بل أنها ستزداد يقيناً كلما أمعنت في الشك والإنكار، وتلك الحقيقة هي أن هناك ذاتاً تشك، فإن من الشك نفسه تتولد حقيقة لا سبيل إلى الطعن في ثبوتها ويقينها، وهي وجودي الشخصي الذي يشك، فلأتصور ما شئت أنني مخدوع في وجود الأشياء الخارجية ولأرفض ما شئت فكرة وجود الله، ولكنني مضطر إلى التسليم بوجود نفسي، لأنني لكي أخطئ، في هذا وأنخدع في ذلك يجب أولاً أن أكون موجوداً[80]، وهذا هو اليقين الأول الذي وصل إليه ديكارت بعد رحلة الشك، وهو اليقين الذي أطلق عليه يقين "الكوجيتو Cogito" ومعناه: "أنا أفكر إذن أنا موجود Cogito ergo sum"[81]، وهذه القضية أو العبارة إنما تنبثق دون مقدمات ودون تمهيدات، بمعنى أن الذي يفكر موجود لا شك في ذلك، فالإنسان في حالة التفكير يكون في حالة الوجود، ومن ثم يصبح موجوداً لأنه يفكر، إنها لحظة اكتشاف الإنسان لوجوده، لحظة التفكير، لحظة حدسية سريعة لا سوابق لها، ولا مقدمات[82]، كما تعتبر هذه القضية هي لب نظرية ديكارت في المعرفة، وتشمل أهم ما في فلسفته[83]، ولذلك فقد اتخذها ديكارت مبدأً أول لفلسفته، وذلك كما يقول:

"ولما انتهيت إلى هذه الحقيقة أنا أفكر، إذن فأنا موجود، كنت من الثبات (واليقين) بحيث لا يستطيع اللاأدريون زعزعتها، بكل ما في فروضهم من شطط بالغ، حكمت أني أستطيع مطمئناً أن آخذها مبدأ أول للفلسفة التي كنت أتحراها"[84]. وهكذا رأى ديكارت أن تكون نقطة البدء في المعرفة هي الذات التي تعرف أو تمتلك القدرة على المعرفة عن طريق وعي الذهن وانتباهه[85].

ومما تجب ملاحظته أن ديكارت حين أثبت وجوده من تفكيره، لم يثبت إلا ذاته المفكرة فحسب، أي أنه لم يثبت وجود نفسه ولا ما يتصل بالجسم لأنه استنتج من شكه وجود ذاته الشاكة أي المفكرة[86]، كما أثبت استقلالها – بما تنطوي عليه من تأمل، وأحاسيس – عن الجسد، وأثبت أن معرفتها أيسر من معرفة الجسد[87]، ففي كتابه مقال عن المنهج يقول: " لقد عرفت من ذلك أنني كنت جوهراً كل ماهيته أو طبيعته ليست إلا أن يفكر ولأجل أن يكون موجوداً، فإنه ليس في حاجة إلى أي مكان ولا يعتمد على أي شيء مادي، بحيث أن الأنية، أي (النفس) التي أنا بها، هي متمايزة تمام التمايز عن الجسم، بل وهي أيسر أن تعرف؛ وأيضاً لو لم يكن الجسم موجوداً البتة لكانت النفس موجودة كما هي بتمامها"[88].

ويستنتج ديكارت من هذا التمييز بين النفس والجسم أن النفس ليست عرضة للفناء مثل الجسم وأنها خالدة لا تقبل الموت معه[89]. كما يستنتج كذلك أن فكرتنا عن نفسنا أو عن فكرنا سابقة عن فكرتنا عن الجسم[90]، وبهذا يكون ديكارت، قد وضع فعلاً نهاية حاسمة لتفكير الفلاسفة القدامى، حيال فكرة الوجود (خاصة أرسطو)، وذلك لأنه قبل ديكارت، كان للوجود المادي الأسبقية أو الصدارة على الوجود الفكري أو الذهني، في حين أننا نلحظ مع ديكارت، بأن الوجود الذهني أو الفكري أصبح له الصدارة على الوجود المادي، والوجود المادي تابع له، وهكذا فإن ديكارت لا يعتبر الوجود المادي أول ما يخطر للذهن أو على البال، كما هو الحال مثلاً عند أرسطو، وإنما يرى أن كل ما ليس له وجود ذهني، أولاً، لا وجود له حقيقة[91].

هكذا حسب ديكارت فإن التفكير وحده يكشف عن وجودي الجوهري أي عن جوهر نفسي، والتفكير يكشف عن هذا الجوهر لأنه صفة الجوهر الأساسية، صفته العميقة، الداخلة في أساسه، المتغلغلة فيه، التي تتحد به ويتحد بها، فأنا أشك، أنا أريد، وبصدد كل منها أستطيع أن أقرر أني موجود وأستطيع أن أقرر ذلك أيضاً. بصدد أفعال أخرى يبدو أنها مختلفة عنها، مثل الخيال أو الإحساس[92]، ومن هنا المنطلق تمكن ديكارت أن يقول إنه اكتشف حقيقتين لا تقبلان الشك، الأولى: أنه عندما يفكر في أي شيء سواء أكان مخدوعاً أم لا فإنه يفكر، والثانية: وهي مستمدة من الحقيقة الأولى، أنه عندما يفكر، فلا بد أن يكون موجوداً[93].

هكذا استطاع ديكارت أن يصل إلى يقين أول وهو وجود "الجوهر النفسي" والذي ماهيته التفكير، وأن هذا اليقين الذي أثبت في النفس صفتها المفكرة الواعية، هو أساس كل يقين آخر بأي موضوع يمثل للنفس، وهذا اليقين الأول لا يغلق النفس على ذاتها، إنما يفتحها على غيرها من الموضوعات التي لم تثبت بعد في الوجود، وقد أعان تأمل النفس في ذاتها على المضي قدماً في اليقين والعلم وأبعدها عن الشك الذي تعرضت له[94].

ماهية الحقائق، وأنواعها، وعددها، وصلتها بالله

يرى ديكارت أن الحقائق هي طبائع وماهيات صادقة وثابتة مضمونة بصدق الله وثباته[95] وهي لا وجود لها خارج الذهن وهي ليست خاصية لشيء ما، بل هي أفكار مفطورة في النفس موضوعة بفعل قدرة الله في العقل، لا صلة لها بالحواس وإن كانت تنبه لها، وتشير إليها، كما أنها ترجع إلى ما في الإنسان من قوة على الفكر، وتتميز هذه الأفكار بالوضوح والبساطة والشمول[96]، وقد تحدَث عنها ديكارت في كتابه مبادئ الفلسفة وهو يحاول أن يحدد جميع المعاني البسيطة التي تتألف منها خواطرنا، ولكي يميز بين كل ما هو واضح في كل واحد منها وما هو غامض أو ما يمكن أن نخطئ فيه. فنجده يقول: " لقد أحصيت كل ما نعرفه من قبيل الأشياء[97] وقد بقى عليّ أن أتحدّث عما نعرفه من قبيل الحقائق: فمثلاً نرى أنه لا يمكن إيجاد شيء من العدم، لا نعتقد أن هذه القضية شيء له وجود في الخارج أو خاصية لشيء، ولكننا نأخذها حقيقة أبدية قائمة في فكرنا، ونسميها معنى شائعاً بين الناس أو مبدأً بديهياً، وإذا قلنا إن من المحال أن يكون الشيء ولا يكون في وقت واحد، وأن ما كان لا يمكن إلا يكون قد كان؛ وأن من يفكر لا يمكن أن يخلو من الوجود بفكره؛ وقضايا أخرى كثيرة من هذا القبيل، كانت هذه حقائق فحسب وليست أشياء موجودة خارج فكرنا"[98].

إذن ديكارت ينظر إلى الحقائق على أنها قائمة في الفكر والناس يسمونها بالمعاني الشائعة أو البديهيات، وهو يرى أن من خصائصها كما يقول: "يمكن معرفتها لدى الكثيرين بغاية الوضوح والتميز، لأنها إن لم تكن كذلك لما استحقت أن تسمى بهذا الاسم"[99].

أنواعها

بالنظر إلى هذه الحقائق والتي كما وصفها ديكارت بأنها تتسم بالوضوح والتميز نجد أنها تنقسم إلى عدة أنواع حسب ما يختص منها كل موضوع إلى حقائق المنطق التي تتصل بالعقل، وحقائق الرياضة التي تتصل بالعدد الذي ترد إليه قوانين الطبيعة. بما أن المادة ليست إلا مجرد امتداد وخاضعة لقوانين الحركة[100].

فحقائق الرياضة بها تتم معرفة الطبيعة الجسمية، أما حقائق الأخلاق تضمن لنا أن نعرف الحق وأن نعرف الخير بطبيعتنا الخاصة، فالخير هو ما أرانا النور الفطري أنه خير، بنفس الوجه الذي به يرينا أن شيئاً ما حق، والله هو الحق والخير الأسمى، وقد منحنا القدرة على إدراك عظمته أي بفكرنا وبواسطة النور الطبيعي الذي هو دليل على قدرة فكرنا على تلقي معرفة حدسية من الله.

أما حقائق المنطق، فهي ليست قواعد المنطق الصوري، بل ما يكشفه العقل من حقائق عن شروط عمله، أي عن طبيعته الصريحة التي هي بالجملة خاضعة لقانون عدم التناقض النسبي، ولقانون العلية[101].

عددها

الحقائق لا نهاية لعددها، نكشف منها جديداً لا ينفذ بمقتضى قانون عدم التناقض النسبي وقانون العلة الكافية كلما وجهنا فكرنا إليها، وبهذا يمكن إقامة عدد لا نهاية له من نظم العلاقات فيما بين أي عدد منها؛ وكلها يتضمن معناها أنها ممكنة الوجود الواقعي أي الجوهري في الزمن، لأنها حقيقة[102]، ولكن ديكارت يرى هذا التعداد ليس ضروريا، لأننا لا نخلو من أن نعرفها حين تعرض الفرصة للتفكير فيها وحين لا يكون لدينا من الأوهام ما يعمي أبصارنا عنها[103]، وتعليقاً على ذلك، يقول الدكتور عثمان أمين: "لا يريد ديكارت أن يحصي الحقائق، لأن كل إنسان يستطيع استكشافها بنفسه ما دام منتبهاً واعياً منهجياً، ولأن خصوبة الحقائق لا تكون في حفظها وتجميدها، بل في معاناتها والانفعال بها، وكل فكرة جاهزة منقولة فهي هامدة لا حياة فيها"[104].

صلتها بالله

يرى ديكارت أنه يوجد فوق الحقائق أو المعاني الفطرية كلها معنى كائن مطلق كلي القدرة أبدي ثابت[105] وهو الله خالق تلك الحقائق وحافظ وجودها بالطريقة ذاتها التي خلقها بها[106]. والعقل الإلهي لا يخضع لها، كما أنها ليست موضوعات خارجة عنه، مفروضة عليه، وأنها مع ذلك ليست جزءاً منه لأن الكل من الأجزاء – ولا فارق في المرتبة بين الكل والأجزاء – بل أنها لا تنبعث منه ولا تصدر عنه– حسب رأي أفلوطين،– كنا تصدر الأشعة من الشمس؛ لأن الذي صدر– برغم أنه دون الذي صدر عنه– إنما هو صادر بالضرورة، ولا مرد لصدوره، وفيضه[107].

إذن حسب (ديكارت) الله تعالى هو خالق الحقائق وهو مصدرها الأول بل هو مبدأها[108]، هنا نلمس مدى تأثره بالقديس أوغسطين. كما أن ديكارت يرى أن هذه الحقائق ثابتة، على الرغم من أنها مخلوقة، ومرد ذلك إلى أنها تستمد ثباتها من ثبات الله وصدقه، وبالتالي لا يمكن الطعن في ثباتها ولا في صدقها، كما أنه لا ضرورة عند الله تعالى، أي أن الله تعالى لا يخضع لقانون ولا حتى

ما نسميه قانون التناقض، كان من الممكن أن يقضي الله تعالى بأن تكون حقائق الرياضة والمنطق على غير ما هي عليه؛ ولكنه قضى بأن تكون كما نعرفها الآن[109]، فالحقائق العلمية التي تبدو لنا ثابتة، هي كذلك في الظاهر، وليست هي كذلك بالضرورة، بمعنى أن ثباتها ليس ضرورياً بحكم ما هيتها، لأننا إذا سلمنا بأنها حادثة بإرادة الله، فذلك يستتبع التسليم بأمر ضرورتها، ليست موجودة فيها، وبأن الله قادر على تغيير طبائعها على الدوام ساعة يشاء[110]، وأنها خاضعة له خضوعاً مطلقاً كالخضوع الذي تكون عليه سائر المخلوقات[111].

أما دليل ديكارت على خلق الحقائق فهو أننا قادرون على فهمها ومعرفتها، فتلك الحقائق لا تسمو إذن بكثير على المستوى الإنساني، وإلا ما فهمها الإنسان ولا عرفها، وما كان في مستوى الإنسان مفهوماً له، معلوماً لديه، فهو مخلوق مثله، خاضع لقدرة الله وحده[112].

مصدر الخطأ لدى الإنسان

يرى ديكارت أن إدراكنا محدود يخلط الأفكار الغامضة بالأفكار الواضحة، أما إرادتنا فحرة لا متناهية، بل يتعلق أمر رفض أو السماح باعتناق ارتباطات الأفكار التي يعرضها العقل، وبها أيضاً يتعلق أمر انتفاء اليقين والوضوح، والتميز دائماً[113]، من هذا نجد أن هناك ملكتين: ملكة الذهن أو الفكر وهي محدودة، وملكة الإرادة والمتعلقة بالرفض والقبول وهي غير محدودة، ولم ير (ديكارت) أن منشأ الخطأ يرجع إلى اشتراك هاتين الملكتين (الذهن والإرادة)[114] مع ملاحظة أن هذا ليس بسبب نقص في واحدة منها وإنما وكما يقول ديكارت: "ينشأ من أن الإرادة لما كانت أوسع من الذهن نطاقاً فإني لا أستطيع أن أحبسها في حدوده، بل أبسطها أيضاً على الأشياء التي لا أحيط بها، وإذن فالحرمان الذي يكون في الخطأ إنما ينتج من استعمالنا لحريتها استعمالاً سيئاً، والمسئولية في ذلك لا تقع على طبيعتنا ولا تقع بالتالي على الله، بل تقع على أفعالنا وتصرفاتنا[115].

إذن مصدر الخطأ هو تلك الهوة الفاصلة بين محدودية الإدراك وعدم محدودية الإرادة[116]، والفكرة أياً كانت لا تكون صادقة أو كاذبة حتى يتم إصدار حكم عليها[117] والخطأ راجع إلينا لا إلى الله، وينشأ من حماقتنا في استعمال الوسائل الممتازة التي مدنا الله بها[118] ولذلك يقول ديكارت في التأملات: "يجب علي في المستقبل أن أوجه كل انتباهي للفصل بين الأشياء التي أتصورها تصوراً كاملاً وأن أعقد العزم على ألا أطلق حكماً أبداً إلا على ما كان تصوره تام الوضوح، وتلك وسيلتي في أن أتحرر من الخطأ على الدوام وفي أن أصل في الوقت نفسه إلى الحق[119]، ويقول في المبادئ: "وكثيراً ما يؤدي تعجلهم إلى أن يتلقوا مبادئ ليست بديهية يستخلصون منها نتائج غير يقينية"[120].

يذكرنا هذا بما ذهب إليه ديكارت في مستهل مقالته عن المنهج من أهمية بالغة لحسن استخدام العقل، إذ لا يكفي أن يكون العقل سليماً، بل الأهم من ذلك هو أن نستعمله استعمالاً جيداً[121] وذلك كما يقول: "إن أكبر النفوس لمستعدة لأكبر الرذائل مثل استعدادها لأكبر الفضائل؛ والذين لا يسيرون إلا جد مبطئين يستطيعون حين يلزمون الطريق المستقيم أن يسبقوا كثيراً من يعدون[122] ولذلك يرى ديكارت أن التعجل والتهور سببان رئيسان من أسباب الخطأ، وهذا يعرفنا على الدواء وهو أنه يجب على الإرادة المسئولة عن الخطأ بسبب اندفاعها وعدم تبصرها أن تتحرر من ذلك بعزم ثابت على عدم الموافقة على أمر غامض[123].

لا يفوتنا أن ننوه بما ذهب إليه ديكارت من أن الله هو الذي يضمن كل معرفة وكل حقيقة وكل علم، فالضمان الإلهي هو الدعامة الأولى للمعرفة، فالله هو مبدأ المعرفة والوجود ومنبع اليقين[124]، وتأكيداً على أن الله هو الضمان لكل معرفة نجد ديكارت في القسم الرابع من "مقال عن المنهج" يقول: " إن الأشياء التي نتصورها جد واضحة وجد متمايزة هي جميعاً حقيقية، هذا الذي جعلته أولاً قاعدة ليس ثابتاً إلا لأن الله كائن موجود، وأنه ذات كاملة، وأن كل ما فينا يصدر عنه"[125] وكما يقول في التأمل الخامس: "فقد وضح لي كل الوضوح أن يقين كل علم وحقيقته إنما يعتمدان على معرفتنا للإله الحق، بحيث يصح لي أن أقول: إني قبل أن أعرف شيئاً آخر معرفة كاملة"[126] فضمانة جميع يقينياتنا إذن هي وجود الله[127].

خاتمة

هذه فلسفة (ديكارت) التي أقامها على أساس الكوجيتو Cogito واتخذ منهجه المشهور وسيلة لبناء الفلسفة، أنها لم تأت بجديد بل كانت بمثابة امتداد لفلسفة القرون الوسطى المسيحية، فلم تضف جديداً يذكر، اللهم ذلك المنهج الذي يتألف من القواعد الأربع التي أشرنا إليها في معرض حديثنا عن ديكارت.

لقد حاول تطبيق المنهج الرياضي على الميتافيزيقا محتذياً في ذلك حذو أفلاطون قديماً في الأكاديمية، إن أهمية ديكارت في تاريخ الفكر الفلسفي تكمن في محاولته مواجهة مشكلة المعرفة، وإشارته إلى كيفية إدراك النفس للواقع أو الحقيقة في حال انفصال النفس عن الواقع الخارجي وعن النفوس الأخرى، إن نظرية الحقائق لدى ديكارت تستمد أصولها من فلسفة القديس أوغسطين، فهذه الحقائق لديهما أزلية أبدية من خلق الله وهي ثابتة، وصادقة تستمد صدقها وثباتها من الصدق والثبات الإلهيين، وهي حقائق لا وجود لها خارج الفكر، مفطورة في النفس لا صلة لها بالحواس البتة، وتتسم بالوضوح والبساطة، ومن العسير تعدادها، والله وفقاً لنظرية الخلق المستمر عنده، هو الخالق والحافظ

للإنسان وسائر المخلوقات، وهو الضامن الوحيد لكل معرفة ولكل حقيقة، ولكل علم، لأن الله هو مبدأ المعرفة والوجود ومنبع اليقين.

إن ديكارت لا يعتبر الوجود المادي أول ما يخطر للذهن أو على البال كما هو الحال مثلاً عند أرسطو، وإنما يرى أن كل ما ليس له وجود ذهني أولاً، لا وجود له حقيقة، وقد استطاع ديكارت أن يصل إلى يقين أول وهو وجود الجوهر النفسي والذي ماهيته التفكير.

يرى ديكارت أن الحقائق هي طبائع وماهيات صادقة وثابتة ومضمونة بصدق الله وثباته؛ والله هو خالقها وهو مصدرها الأول بل هو مبدؤها والحقائق لا نهاية لها.

يرى ديكارت أن الخطأ لا يصدر عن الله بل أنه صادر عنا، ومصدر الخطأ هو تلك الهوة الفاصلة بين محدودية الإدراك وعدم محدودية الإرادة.

وأخيراً فإن الشك عند ديكارت لم يكن إلا وسيلة للوصول إلى اليقين وليس من أجل الشك ذاته، أي أن الشك لم يكن مذهباً بل منهجاً.

الهوامش

[1] ينظر: راوية عبد المنعم عباس، ديكارت أو الفلسفة العقلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، سنة 1990، ص122.

[2] المرجع نفسه والصفحة.

[3] سماح رافع، تاريخ الفكر الفلسفي في العصور القديمة والحديثة، مؤسسة الفرجاني للنشر، طرابلس، ليبيا، د ط، 1971، ص234.

[4] علي عبد المعطي، اتجاهات الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 1991، ص17.

[5] راوية عبدالمنعم عباس، مرجع سابق، ص 126.

[6] نقلاً عن المرجع نفسه، ص127.

[7] محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، منشورات البحر المتوسط، منشورات عويدات، بيروت –باريس، الطبعة الثالثة، 1983، ص621.

[8] حديث شريف، نقلاً عن محمد عبدالرحمن مرحبا، المرجع نفسه والصفحة.

[9] المرجع نفسه، والصفحة.

[10] الغزالي، المنقذ من الضلال، مطبعة ومكتبة الجندي بمصر، د ط ت، ص5.

[11] المصدر نفسه والصفحة.

[12] محيي الدين عزوز، اللامعقول وفلسفة الغزالي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص96.

[13] أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص7.

[14] المصدر نفسه، ص53.

[15] المصدر نفسه، ص54.

[16] المصدر نفسه، والصفحة.

[17] انظر: عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص22.

[18] Gerard, O' Daly, Augustine,s Philosophy of mind, Duck Worth, London, 1987, p 162.

[19] ترانتي وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص29.

[20] نقلاً عن يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار القلم، بيروت، ب. ط، 1976، ص27 – 28.

[21] جان كلود فريس، القديس أوغسطين، ترجمة عفيف رزق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ب. ط، 1982، ص33.

[22] نقلاً عن المرجع نفسه ، ص34 – 35 ، للمزيد راجع Marrou, Saint Augustin, Longmans, London, 1957, pp. 42 – 43.

[23] أوغسطين، مدينة الله، المجلد الثاني الكتب (11 – 17) ترجمة يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، 2002، ص 45–46.

[24] نقلاً عن عبد المجيد عبد التواب شيحة ، أعاظم رجال الفكر، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، 2002، ص 56 – 57.

[25] عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 22 – 23، كذلك انظر David Furley , Hlistory of philosophy from Aristotle to Augustin , Vol 1. London, 1999, p. 387– 392.

[26] عبد المجيد عبد التواب شيحة، مرجع سابق، ص57.

[27] جان كلود فريس، مرجع سابق، ص34.

[28] ديكارت، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 53.

[29] أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مطبعة للجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1936، ص113.

[30] ديكارت، المصدر السابق، ص17.

[31] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1986، ص62.

[32] راوية عبدالمنعم عباس، الفلسفة الحديثة، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص102.

[33] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص11.

[34] المصدر نفسه والصفحة.

[35] أندريه كريسون، تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث، ترجمة نهاد رضا، منشورات عويدات، الطبعة الثانية، 1982، ص65.

[36] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ص 10 – 11.

[37] ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، سميركو للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، القاهرة، ب. ت، ص40.

[38] محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1981، ص97.

[39] ديف روبنسون وجودي جروفر، ديكارت، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 2001، ص28.

[40] ديكارت، مقال عن المنهج، ص 74 – 75.

[41] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد، تقديم ومراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001، ص89.

[42] ديكارت، مقال عن المنهج، ص75.

[43] راوية عبد المنعم عباس، مرجع سابق، ص108.
[44] ديكارت، مقال عن المنهج، ص 76.
[45] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص64.
[46] راوية عبد المنعم عباس، مرجع سابق ص109.
[47] ديكارت، مقال عن المنهج، ص 76.
[48] راوية عبد المنعم عباس، مرجع سابق، ص109.
[49] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص65.
[50] هي المدرسة الملكية التي أسسها اليسوعيون في عهد هنري الرابع عام 1604، وقد درس ديكارت فيها منطق المدرسة وقرأ فيها المدخل لفورفريوس (أيساغوجي) ومقولات أرسطو (قاطيفورناس)، وكذلك تحليل القياس (أنالوطيقا الأولى) والبرهان (أنالوطيقا الثانية) والعبارة (بارمنياس)، راجع مقال عن المنهج ص55.
[51] وليم كيلي رايت، مرجع سابق، ص91.
[52] يشير الدكتور محمود محمد الخضيري إلى أن مصطلح Intuition له في الفلسفة معان متعددة، ويعني به ديكارت معنى خاصاً يطابق مفهوم كلمة (البداهة) في اللغة العربية، ولذلك يترجم هذا المصطلح إلى البداهة وليس الحدس. فاستعملها باعتبارها العمل العقلي الخاص بالإدراك البديهي، ولكن الباحث يستعمل المعنى الذائع وهو الحدس. انظر إلى ديكارت، مقال عن المنهج، الهامش ص 41.
[53] نقلاً عن: راوية عبد المنعم عباس، الفلسفة الحديثة، ص91.
[54] نقلاً عن المرجع نفسه، ص92.
[55] محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، ص99
[56] نظمي لوقا، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، د ت، ص141.
[57] ديكارت، مقال عن المنهج، ص41.
[58] المصدر نفسه، ص42.
[59] المصدر نفسه والصفحة.
[60] راوية عبد المنعم عباس، الفلسفة الحديثة، ص92-93.
[61] المرجع نفسه، ص94.
[62] ديكارت، مبادئ الفلسفة، ص36- 37.
[63] البسيط عند ديكارت ما ليس له أجزاء، فإما أن يعرف كله أو يجهل كله.
[64] بيير دوكاسيه، الفلسفات الكبرى، ترجمة جورج يونس، منشورات عويدات، الطبعة الثالثة، بيروت، 1983، ص105.
[65] نظمي لوقا، مرجع سابق، ص135.
[66] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ص93-94.
[67] وليم كلي رايت، مرجع سابق، ص 54.
[68] ديكارت، مبادئ الفلسفة، ص54.

(69) المصدر نفسه، ص54-55.
(70) المصدر نفسه، ص55.
(71) انظر المصدر نفسه، ص55.
(72) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص66.
(73) نجيب بلدي، ديكارت، دار المعارف، الطبعة الثانية، ب. ت، ص87.
(74) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص68.
(75) ديكارت، مقال عن المنهج، ص82.
(76) نزعة التوقف عن إصدار حكم ما. (الباحث).
(77) ديكارت، مقال عن المنهج، ص86.
(78) نجيب بلدي، مرجع سابق، ص92.
(79) أندريه كريسون، مرجع سابق، ص66.
(80) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، مرجع سابق، ص98.
(81) Garfrth, F. w., The Scope of philosophy, London, 1979, pp 91-29.
(82) راوية عبد المنعم عباس، الفلسفة الحديثة، ص218.
(83) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثالث، (الفلسفة الحديثة) ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977، ص113.
(84) ديكارت، مقال عن المنهج، ص90.
(85) راوية عبد المنعم عباس، الفلسفة الحديثة، ص101.
(86) أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، ص99.
(87) راوية عبد المنعم عباس، الفلسفة الحديثة، ص226.
(88) ديكارت، مقال عن المنهج، ص92-95.
(89) المصدر نفسه، ص37.
(90) ديكارت، مبادئ الفلسفة، ص57.
(91) مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه، دار الطليعة، للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1983، ص 93.
(92) نجيب بلدي، مرجع سابق، ص97.
(93) ريتشارد شاخت، رداد الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى كانط، ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص 24.
(94) نجيب بلدي، مرجع سابق، ص 100-101.
(95) نظمي لوقا، مرجع سابق، ص 193.
(96) المرجع نفسه والصفحة.

[97] فيما يتعلق بموضوعات المعرفة ميز ديكارت بين ضربين، فهي إما أشياء أو حقائق، وبعد أن انتهى من إحصاء كل ما نعرفه من قبيل الأشياء انتقل إلى الحديث عن الحقائق. للمزيد راجع ديكارت، مبادئ الفلسفة، فقرة (48)، ص86.

[98] ديكارت، مبادئ الفلسفة، ص86.

[99] المصدر نفسه، ص87.

[100] نظمي لوقا، مرجع سابق، ص193.

[101] انظر المرجع نفسه، ص140–142.

[102] المرجع نفسه، ص142.

[103] ديكارت، مبادئ الفلسفة، ص87.

[104] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[105] نظمي لوقا، مرجع سابق، ص 109.

[106] راوية عبد المنعم عباس، ديكارت أو الفلسفة العقلية، ص394.

[107] نجيب بلدي، مرجع سابق، ص 82، وكذلك انظر راوية عبد المنعم عباس، ديكارت أو الفلسفة العقلية، ص401.

[108] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2000، ص102.

[109] راجع المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[110] مهدي فضل الله، مرجع سابق، ص153.

[111] راوية عبد المنعم عباس، ديكارت أو الفلسفة العقلية، ص403.

[112] نجيب بلدي، مرجع سابق، ص83.

[113] بيير دوكاسيه، الفلسفات الكبرى، ترجمة جورج يونس، منشورات عويدات، الطبعة الثالثة، بيروت، 1983، ص108.

[114] ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، ص172.

[115] المصدر نفسه، ص 173.

[116] جنيفياف روديس لويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة عبده الحلو، منشورات عويدات، الطبعة الرابعة، بيروت، 1988، ص69.

[117] وليم كيلي رايت، مرجع سابق، ص90.

[118] أندريه كريسون، مرجع سابق، ص69.

[119] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ص 175.

[120] ديكارت ، مباديء الفلسفة ، ص 40 – 41.

[121] جنيفياف روديس لويس، مرجع سابق، ص 17.

[122] ديكارت، مقال عن المنهج، ص 103.

[123] جنيفياف روديس لويس، مرجع سابق، ص 71- 72.
[124] محمد فتحي الشنيطي، مرجع سابق، ص 102.
[125] ديكارت، مقال عن المنهج،، ص 103.
[126] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ص 221- 222.
[127] بيير دوكاسيه، مرجع سابق، ص 108.

الإرهاصات الأولى للفنِّ

د. فيصل بشير الخراز*

مقدمة:

الفنُّ كائن تاريخي له عمر قديم بقدم الوجود البشري، وما حياة الإنسان في حِلِّه وترحالِه وحركاته واستقراره إلا رجع صدى الفن، فالفن شاهد ومقياس لتطور الحضارات وازدهارها وصراعاتها على مرّ العصور وعلى مختلف حُقْبِها.

إن الآثار القديمة التي خلفها الإنسان الأول لا تعني أنها أشياء قديمة أو عديمة القيمة بقدر ما تعني تاريخاً مجسداً ولقاءً حضارياً وتعبيراً عن تاريخ يستحق البحث والدراسة ويحقق الفائدة المرجوة منه، فالمبدعات الفنية هي عمل حضاري، لأنها ترمز في بُعدها المادي إلى مجهود الإنسان عبر عصور التاريخ الطويل، وهذا مؤشر يضع الفن وفلسفته وتاريخه في إطار تشكيل هذا المجهود الطويل منذ فجر التاريخ، ومراحل تطوره لبلوغ حياة أفضل وتحسين الواقع ونهضته وتضع في الاعتبار كل الجهود المبذولة بقصد أو بدون قصد للوصول إلى الحضارة والرقي.

الفن موضوع كغيره من المواضيع ذات الوجهة الثقافية والعملية لا بد وأن يمر بمراحل متعاقبة ومتعددة حتى يصل إلى مستوى النضوج الذي يتحدد بإيجاد مدارس ونظريات متباينة، فالفن صورة من صور العمل وهو النشاط البشري المميز لتطويع البيئة وجعل المواد الطبيعية ملائمة للاحتياجات البشرية وتسخيرها لخدمته تحقيقاً لفكرة أو عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال الأكمل تلذذاً للقلب، ولقد استطاع دون قصد ابتكار وصناعة الأشكال والصور الفنية المتعددة ويشكلها من خلال علاقته المعقدة والقاسية بالطبيعة منذ كان الإنسان بدائياً في صورة كائن بيولوجي نما وتطور عبر مراحل متعاقبة في مواجهة هذا العالم الكبير والمتشعب، حتى استطاع الوصول إلى ما نحن فيه من ازدهار وتطور وحضارة تتجلى مظاهرها في الإبداع الفني بالدرجة الأولى وفي شتى المجالات وكافة جوانب الحياة، بدأ من الصناعة بمختلف أنواعها، وصولاً إلى الإنشاءات العمرانية وكل مظاهر الحياة المدنية واحتياجات البشر اليومية وإلى أصغر المقتنيات حتى إن الشكل الفني والجمالي طغى على الجودة وأصبح تسويق المنتج يعتمد على الشكل أولاً، وهذا ما جعل التجار والصنّاع يهتمون بالشكل الجمالي على حساب الجودة غالباً، وأصبح المقياس الأساسي لتطور وتحضر الشعوب من خلال فنونها الصناعية والمعمارية وغيرها، ومع ذلك قد لا يدرك الكثيرين أن الفن والجمال أساس لكل

* كلية الآداب – جامعة مصراتة.

أمورنا الحياتية بدءًا من الملابس التي نرتديها، فقد بدأت لحمايتنا من الصقيع ومن تقلبات الطبيعة إلى مظهر جمالي يبتدعه لنا رواد مبدعون في مجال فن التصميم والموضة، وقس على ذلك في كافة مظاهر الحياة.

إشكالية البحث:

وتأتي هذه الإشكالية في اعتقاد عامة الناس أن الفن والشكل الجمالي يعتبر من المظاهر المكملة للحياة المدنية المتطورة، وأنها تأتي نتيجة لاحقة بالضرورة للتقدم والتطور، أي أن الحضارة سابقة للفن وسبب في ظهوره، في حين أن الوقائع تشير إلى ما يغاير ذلك تماماً، حيث إن الفن كان أساس وعنصر فعال في نشأة الحضارة ورقيها، فهل كان للإنسان البدائي دافع وحس جمالي بالفطرة أم أن دوافعه كانت نفعية صرفة تخلو من أي قصد فني؟ وهذا ما تتناوله هذه الدراسة.

أهمية البحث:

قد لا يدرك القارئ العادي أو الباحث غير المتخصص مدى أهمية الفن والحس الجمالي وتغلغله في أساسيات حياتنا بكافة جوانبها... في حين أضحى الفن المقياس الأول والأساس لحضارة الشعوب ورقيها... أما بالنسبة للباحث المتخصص فقد يجد ضالته من خلال فنون عفا عليها الزمن ولا زالت محل إعجاب وبحث العلماء والمهتمين.

ومن هنا تأتي أهمية البحث في أصل الفن وجذوره وتتبع مراحل نشأته، إلى جانب البحث عن الدوافع التي أدّت إلى ظهوره وتواجده وتطوره، حسب ما يقتضيه مقام البحث.

أهداف البحث:

التعرف على جذور الفن وأصله ودوره في تشكيل وتكوين الحضارة الإنسانية في كل عصر وتحديد سماتها.

كيف استطاع الوعي البشري أن يبتكر الصورة الفنية وبشكلها من خلال علاقته المعقدة بالطبيعة؟

الفن البدائي كان شاهداً ودليلاً مادياً ملموساً وسجلًا حافلًا لبدايات الإنسان الأول وأسلوب معيشته في ما قبل التاريخ.

رصد نشأة الفن الأولية واستعراض مظاهر وتحديد مواطنه الجغرافية وتتبع مراحل تطوره.

تاريخ الفن بمثابة تاريخ الوعي الجمالي عند الإنسان، ويلقي الضوء على منجزات كل عصر والحضارات المتعاقبة والمنتشرة في بقاع مختلفة من الأرض.

تعتمد الدراسات التاريخية بشكل أساسي على تاريخ الفن لما وجد من آثار وأعمال فنية منحوتة ومنقوشة وغيرها وهي بمثابة أدلة مادية تؤكد نظرياتهم وتعتمد بحوثهم... وبالتالي فإن الفن

بمثابة مادة تاريخية حيّة، ولهذا آثرت أن تنصب دراستي بهذا البحث على تاريخ الفن القديم، وتوخيت في هذا العرض الرؤية التاريخية والتحليلية لتتبع الفن ونشأته في عصور ما قبل التاريخ.

عرض الموضوع

نشأة فنون العصر الحجري

بدأ الإنسان القديم Ancient Man حياته في مواجهة الطبيعة وتقلباتها في هذا العالم الشاسع محاولاً أن يجد لنفسه ملاذاً يأويه وما يسد رمقه من أجل البقاء والعيش، حيث اتخذ من الكهوف مسكناً له ومن الأشجار والحجارة الصلبة أدوات حاول تشكيلها على هيئة هروات أو ما يشبه الفأس والرمح واستعملها لحماية نفسه ولصيد الحيوانات أو الطيور، وما استعمله من أدوات كأواني وما شابه من الحجارة[1]... ولعل هذا ما دعا المؤرخين إلى تسميته بالعصر الحجري Stone Age وقد استفادوا من تلك المقتنيات والآثار التي خلفها الإنسان البدائي واعتبروها بدايته مع الفن، وبذلك نشأ الفن مع محاولات البدائي في تدبر أمور معيشته بالطبع دون قصد سوى العمل على السيطرة والتملك لبيئته والظواهر التي تحيط به وتؤثر على حياته.

وقد برز الفن القديم Ancient Art في المجتمعات البدائية من خلال الاعتقاد بالنزعة الحيويّة Animism، التي ترى أن الحياة تدب في كل شيء، وهذه المرحلة تتميز بأنها مرحلة طفولية، فالفرد هنا لا يفرق بين نفسه وبين العالم، ولكن كان الاتجاه المعروف والسائد في الفن في تلك المرحلة هي الأنماط المتشابهة من التجميل الزخرفي للشيء وإبرازه في خطوط رئيسية[2].

إن التجسيد المادي ونشوء التصوير الحسي في وعي الإنسان القديم حدث عندما هيأ له العمل جميع الوسائل الضرورية لذلك، ومن خلال العمل استطاع الإنسان القديم اختراع الأزميل فسخره لنقش معالم الحيوانات على جدران الكهوف وصخور السفوح[3].

وكان تطور الحواس الإنسانية عن طريق صيرورة العمل والاعتماد عليها أكثر من اعتماده على عقله، تعتبر المفتاح الرئيسي الذي من أجله تم إبداع الفن، وكذلك جعل الفن مرتبط ارتباطاً وطيداً مع العمل الذي خلق عند الإنسان الحاجة الجمالية، وكان العمل وسيلة لها أهمية كبيرة لكي يتمكن من التغلب على الطبيعة والسيطرة عليها وتسخيرها لخدمته وكان العمل أحد المصادر المباشرة[4].

والفن البدائي القديم Ancient Pnmitive Art يتميز بأنه فن بسيط جداً ولا يوجد به أي تعقيد ويعبر عن الوقائع الحسية التي يعيشها الإنسان آنذاك دون تعقيدات أو تعديلات وتكون خالية من أي مضمون ولا نجد بها أي تنظيم معقد أو أي نوع من التجميل المقصود[5].

وغالباً ما نجد أن الرسوم البدائية تكون مادية ملموسة كرسوم الحيوانات أو الطيور أو أشكال متعلقة بالمعتقدات الدينية والروحية وتظهر في طقوسهم واحتفالاتهم على هيئة رموز لآلهتهم أو منحوتات على هيئة تماثيل، قد تكون من الحجر أو الخشب والقش، وأيضاً الوشم على الأجسام والوجوه، إضافةً إلى الرقص وما يشبه الغناء بإصدار أصوات غريبة مثل العواء أو الصراخ أو الزغاريد وما شابه ذلك، وما قد نعتبره نوع من الإيقاعات غير المنضبطة بمحاولاته إصدار أصوات بقرع الخشب والحجر، كما استعمل في زمن لاحق قرون الحيوانات، أو قواقع الأودية، أو سيقان النباتات المجوفة تستعمل كمثل بوق لإحداث أصوات عالية ومميزة.

وقد تكون هذه الأصوات بمثابة طقوس دينية أو سحرية حسب معتقداتهم، وأغلب الظن أنهم يقدسون تلك الصور التي يرسمونها على الكهوف، وهذا العمل يعتبرونه مقدساً وله أهمية ومعاني كبيرة بالنسبة لهم(6).

وهكذا نجد الفن في هذه الحقبة مختلطاً بالسحر أو الدين أو إنتاج الغذاء أو اتقاء الشرور، ولم يكن له مدلولاً أو معروفاً بمعناه الاصطلاحي.

ظهور الفن "العوامل – الدوافع"

حسب اعتقاد علماء الآثار Archaeologists والباحثين أن الدوافع التي تقف وراء قيام الإنسان الأول بالأعمال الطقوسية التي تشبه السحر، مثل الرسم أو النقش على الجُدُرُ ومداخل الكهوف، لعلها هيبته وإجلاله لعمليات الصيد وخوفه من الفشل أو البحث عن الطمأنينة، وهكذا قد يخيل للبدائي أن بإمكانه اقتناص فريسته بالسيطرة على صورها بإقامة أنواع من الطقوس السحرية تمكنه من الاستحواذ عليها من خلال رسومها(7).

وحسب قول الفيلسوف الإنجليزي هاربرت ريد Herbert Read (1893-1968) الذي تعرض إلى دراسة جمالية الفن البدائي يؤكد وجود الموهبة الفنية منذ القدم، ويرى أن غاية فنون البدائيين تؤدي وظيفة سحرية، ولكن رغم ذلك وفي هذا الطور البدائي للثقافة البشرية، لا يمكننا إنكار أن الدافع الجمالي هو جزء أصيل من أجزاء العقل البشري(8).

إن ممارسة الإنسان القديم للفن لم تكن عفوية كما يرجح العلماء، وإنما كان عن قصد ورغبة، فقد عثر في ليموي Limewi في فرنسا على شظايا وحصى عليها رسوم مصممة بشكل متقن وبمهارة عالية(9).

الإنسان البدائي لا يهتم بالناحية الجمالية في فنه بقدر اهتمامه بغرض أو هدف معين يمكن ملاحظته أن يكون نفعياً أو اجتماعياً أو سحرياً أو دينياً، أي أنه يهتم بالمضمون أكثر من اهتمامه

بالشكل، وإذا كان ما أطلق عليه الفن البدائي كان أداة سحرية ساعدت الإنسان القديم في اعتقاده بإخضاع الطبيعة وتطويع الجماعات البشرية، إلا أنه لم يكن المصدر الوحيد، بل هناك عدّة عوامل أخرى ربما كان لجاذبية الأشياء اللامعة البراقة والضوء دور في توليد الفن[10].

ومن المؤكد أن في مقدمة تلك العوامل هي الدوافع النفعية Utilitarianism وهي من دوافع قيام الفن بالعمل والابتكار من أجل الفائدة والحرص والتملك والاقتناء والحماية، كاستعماله لأغصان الأشجار والحجر لأغراض نفعية، ولا وجود للجوانب الفنية في تلك المصنوعات البدائية[11]، أي أن هذا البدائي لم يمارس الفن للفن.

ويؤكد هاربرت ريد على أن الفن بمرور الزمن أصبح ذا صلة بالوظيفة النفعية فأصبح الجميل نافعاً والنافع جميل[12].

وفي المقابل فإن بعض العلماء يرى أن الفن أصله نوعاً من اللعب واللهو أو التسلية وإثارة الانفعالات والمشاعر الوجدانية المتعلقة بالأمور النفسية البشرية، ذلك أن الانفعالات وهبت لنا كي تثيرنا وتدفعنا للوصول إلى شيء ما، وحب الاستكشاف والمعرفة، أما تشبيه الفن باللعب فذلك لأن كلاهما على ما يبدو ظهرياً عديما النفع رغم أنهما يبعثان إلى البهجة والسرور وتحسين المزاج وبلوغ السعادة هي غاية الإنسان المنشودة[13].

ويمكن أن نستنتج من ذلك أن الأعمال السحرية والفنية كانت مجرد إيهام للنفس أو اعتقاد عديم الجدوى لخرافات الإنسان القديم إلا أنها اعتبرت أساس ونشأة لما ظهر في العصور اللاحقة والمتقدمة من خلال الظواهر المتعددة في فن العمارة والمسرح والفن التشكيلي والشعر والآداب وما إلى ذلك، وإن كان هناك عوامل أخرى يتفرد به كل مجتمع بدائي أو حضاري بسماته وطابعه المميز له، يقع تأثيرها على الفن وطرقه وصوره، فمن خلال تتبع كتب التاريخ الفني بالإمكان الاطلاع على مدى تأثر الإنسان بالطبيعة المحيطة وتأثيره فيها، ويختلف هذا التأثير المتبادل بتطور الإنسان وثقافته والعصر الذي يعيش فيه الإنسان الفنان، حيث نجد أن الفن يتأثر بالعصر الموجود فيه[14]، وبطبيعة الحال فقد تطور الفن من عصر إلى آخر حسب الفكر الإنساني والثقافة السائدة في كل عصر حتى وصل إلى العصر الحديث الذي يشكل دراسة عملية للفن البدائي وتصنيفه حسب مميزات كل مرحلة وعصر وإبراز سماته وطابعه الخاص.

وبالتالي فإن الآثار التي خلفها الإنسان القديم على مرّ العصور المتعاقبة هي بمثابة كنوز ثمينة لا تقدر بثمن، فهي نتاج تاريخي متجسداً وإرثاً حضارياً فنياً واقعياً يستحق البحث والدراسة للوصول إلى الفائدة المرجوة منه، فالمبدعات الفنية عمل حضاري ترمز في بعدها المادي إلى جهود

الإنسان عبر عصور تاريخ الممتد، وهي مؤشر يضع الفن وفلسفته وتاريخيه في إطار تشكيل هذه الجهود منذ فجر التاريخ، أي الحضارة التي تمثل ثمرة الجهود البشرية للوصول إلى حياة أفضل وتحسين الواقع والنهوض به بغضّ النظر عن كون هذه الجهود بقصد أو بغير قصد للوصول إلى الحضارة والرقي، ولكنها دون شك كانت بمثابة الإرهاصات الأولى لولادة الفن الذي تطور ونما مع مرور الزمن وتعاقب الحضارات حتى وصل إلى ما نحن فيه من ازدهار ورقي، ولاشك أن للفن تاريخ طويل حافل يقر للإنسان الفنان بدوره في بناء الحضارة.

عندما ننظر إلى تاريخ الفن Art History سنرى أن المشاركة بين الأساليب والطراز أمر لا لبس فيه، وإن تبادل الخبرات وتناقلها من عصر إلى عصر هو الأساس المشترك بين الأعمال الفنية المختلفة عبر العصور التاريخية المتعاقبة، فأي عمل فني هو حلقة وصل بين الأعمال السابقة والأعمال اللاحقة والمتعاقبة، وللفن الماضي قطعاً فضله على فن الحاضر، لذا نجد الفن في كل زمن يحمل بعض سمات باقية من الماضي بقدر ما يحمله من تجديد وتطور معاصر[15]، وهذا ما يعني العنصر الإنساني المشترك بين جميع الأمم.

لقد اعتمد تاريخ الفن بشكل عام على التطور المتوازن للمواقف الوجدانية منذ المرحلة البدائية وحتى مرحلة الإنجاز المتحضر الذي نراه ونعيشه اليوم في وقتنا الحاضر.

المواطن الأولية لظهور الفن:

إذا ما توجهنا بالبحث إلى تحديد جغرافية ومواطن هذه الفنون على أرض الواقع في مهدها ونشأتها الأولى، فلا شك نتحصل على صورة أكثر اكتمالاً ووضوحاً.

منذ العصور السحيقة في العصر الجليدي Ice Age الذي يؤرخ له بحوالي مائة وعشرون ألف سنة قبل الميلاد لم يتم العثور على ما يدل بوجود أية أعمال وصناعات سوى بقايا هياكل الحيوانات والكائنات التي ظهرت في تلك المرحلة المبكرة، ويؤرخ لهذا العصر بميلاد أجداد الإنسان الحديث بانحسار الجليد ودفء الأجواء وظهور إنسان "الهوموسابينز" Homosapenese الذي ترجع أصوله الأولية إلى جنوب آسيا وشمال أفريقيا ويرجح عمره إلى أكثر من عشرين ألف سنة وامتد وعاش هذا الإنسان القديم في إقليم "فرانكوا كنتريه" Franco Cantbnian في شمال وجنوب جبال "البرنيس" The Pyrenees Mountains[16].

ونبدأ من قارة أفريقيا فقد أجمعت دراسات وأبحاث علماء الآثار والمؤرخين على أن قارة أفريقيا هي الموطن الأول للإنسان خاصةً بعد اكتشاف مادة "الشيلليان" Chellean في العصور

السحيقة، وهي عبارة عن مواد حجرية ومخلفات وجدت في أفريقيا، تمكن العلماء الذين كانوا مختلفين في دقة تحديد الموطن الأول للإنسان من تبديد شكوكهم والتأكيد على صحة ما توصلوا إليه[17].

لقد شهدت منطقة الشرق الأوسط بشمال أفريقيا حضارات مزدهرة منذ فجر التاريخ، يشهد بذلك ما خلفته من تراث فكري وفني فضلاً عمّا كشفت عنه من منجزات وإبداع في مختلف الفنون في حضارات بلدان الشرق الأوسط في مصر والشام وبلاد الرافدين.

وإذا ما بدأنا بالبحث في شمال أفريقيا فإن ما وجده المهتمين في منطقة قفصة بتونس بمثابة ميلاد العصر الحجري، فقد وجدت آثار عبارة عن محار وبيض نعام مهشم كان يستعمله البدائي كأواني لشرابه ومأكله، بالإضافة إلى الحجارة المشذبة ذات الشكل الكروي التي استعملها مما توفر له من البيئة المحيطة[18].

وأيضاً تلك المشاهد المرسومة على الجدران الصخرية العائدة لعصور ما قبل التاريخ في عدد من المواقع مثل تاسيلي وأكاكوس Akakus – Tassilly جنوب ليبيا حيث تظهر فيها الهيئات أو الرسوم الآدمية وهي ترتدي أقنعة ومتنكرة على هيئة حيوانات بارتداء جلودها وتظهر حركتهم وكأنهم يقومون بالرقص، ولوحظ استعمال الألوان في تلك النقوش على الأسطح الحجرية[19].

وإذا ما اتجهنا إلى أقصى من ذلك جنوب أفريقيا حيث سجل الرجل البدائي رسوم الحيوانات المختلفة مثل الوعل – الدب – البيسون، وجدت على جدران الكهوف، ومن المرجح أنه كان يقوم بنقل صورها إلى الأماكن التي يأوي إليها، إما لغرض سحري، أو لكي لا ينقطع عن محيطه، أو لأغراض أخرى ولكن ما يهمنا ما يدل على أن إنسان ما قبل التاريخ كان له حس مرهف وفطرة فنية.

ومن أمثلة ذلك: "البشمان" Bushman(*) قوم يعيشون في الجهات النائية من جنوب أفريقيا ويعرفون بسكان الأدغال، يشبهون الزنوج وهم أقدم سكان أفريقيا، ويرجح أنهم السكان الأصليون لهذا الإقليم، ولهم ما يمكن أن يقال عنه أعمال فنية بدائية تختلف عن تلك الفنون البدائية الأخرى التي تم اكتشافها في مناطق مغايرة، والبشمان يمارسون الصيد والرعي، وقد لاحظ البحاث أنهم يميلون في رسومهم إلى تقليد الطبيعة المحيطة بهم ويرسمون الأشخاص والحيوانات ويمتازون بالدقة ونقل التفاصيل والأكثر من ذلك أنهم استعملوا الأصباغ المستخرجة من الأشجار أو من الطين والوحل لغرض تلوين رسومهم[20]، مما جعلها مميزة تظهر بشكل ملفت للأنظار وذات طابع فني رائع نتيجة لاستخدام ألوان مصنعة على ما يبدو من دهون الحيوانات، ولعل هذا ما جعلها تحتفظ ببريقها حتى وقتنا الحاضر، كما ظهر أنهم يستخدمون العاج والعظام والحجر في العديد من مصنوعاتهم البدائية.

ونصل إلى المنطقة الأكثر إثارةً حيث نشأت الحضارة الفرعونية على ضفاف وادي النيل بمصر، وقد شهدت وعياً جمالياً وفنياً من أروع ما يكون وكانت بمثابة ازدهار حضاري سبق غيره من الحضارات والمناطق المجاورة آنذاك، ويرجع ذلك لموقعها الجغرافي المميز وخصوبة أراضيها وهضابها الممتدة بمحاذاة نهر النيل حتى عرفت بحضارة وادي النيل.

وكان الاعتقاد الديني من العوامل الأساسية في تعزيز النواحي الفنية ولعل اعتقادهم الراسخ بعودة الأموات إلى الحياة دفعهم إلى دفن العديد من المقتنيات مع الموتى من أوانٍ فخارية وأدوات متنوعة وحلي وما إلى ذلك، وهذا ما ظهر جلياً في اهتمامهم بالمقابر التي تطورت من حفر في الأرض إلى مصطبات على السفوح ثم إلى ما هو أكثر من ذلك وصلت إلى هيئة من الإنشاءات على أشكال أهرامات ضخمة أصبحت رمزاً وأعجوبة في الفن المعماري Archaeological Art لا مثيل لها ولا زال مثيراً للجدل والإعجاب حتى في الزمن الحاضر، وشاهداً على حضارات سادت ثم بادت[21].

ولعل الأسلوب الرمزي "وهو ما يعرف بالفن الرمزي Symbolism مؤخراً" هو الأسلوب المعبر عن فن الشرقيين القدماء، وهذا الأسلوب يتميز بالسلاسة والضخامة ولكنه مع ذلك يعبر عن الجانب الفكري رغم أن الجانب المادي الحسيّ بارز ويطغى على الجانب الفكري والمعنوي ونجد أن الفكرة غامضة وغير واضحة وهذا يجعل نوع من الصراع بين المادة والفكر وهو ما يعرف اليوم بالشكل والمضمون Content and Form في الأعمال الفنية، وهذا يبدو من خلال ضخامة وارتفاع المجسمات كما نراه في الأهرامات والأعمدة الشاهقة والمسلات الفرعونية[22].

وفي مصر السفلى أقصى الجنوب أو ما يعرف حالياً بأسوان، وتحديداً في مرمرة التابعة لبلدة دير طاسا قرب منطقة البداري القبلي، عثر على أقدم فخار صنعه الإنسان آنذاك دون استعمال أية آلة في صنعه، وكان خشن الملمس وليس عليه أي نوع من الزخرفة، ويعتقد الباحثون مع مرور الوقت ظهور أنواع متعددة من الأطباق والأكواب وصناعة القلائد والحلي كالأساور مصنوعة من العظام والحجر مما يدل على وجود استعداد فطري للزينة والتجميل والتذوق الفني عند الإنسان البدائي حتى نما وتدرج ورقى إلى مراحل تطوره المتقدمة[23].

وإذا ما اتجهنا إلى الشمال الشرقي نجد الحضارات الشرقية كالبابلية والآشورية والفينيقية والكنعانية وبلاد الرافدين وسوريا، حيث كان العراق القديم هو مهبط التجمعات البشرية التي نزحت من المرتفعات الشرقية وإيران واستوطنت بلاد الرافدين واستقرت على ضفاف الأنهار وانطلقت تؤسس سبل معيشتها بدءًا من المأوى والمأكل، ومن هنا بدأ العمل وظهور ما ابتدعه من أدوات ومصنوعات مثل

الأواني والأسلحة وما إلى ذلك، كما استخدموا الطمي المتاح على ضفاف النهر في بناء المساكن وفي صناعة الفخار والقباب[24].

كما أسهمت العقيدة الدينية في اللجوء إلى الفن واستعماله من قبل العراقيين خاصة عند السومريين فشكلوا معبودات معينة وصنعوا آلهة ومعابد مما جعل هذه الأشكال ذات الصبغة الفنية تثمل وظيفة روحية لهم.

كما برع البابليون والآشوريون في البناء وتفننوا في إقامة المعابد وصناعة الحلّي والعقود وكانوا أول من استخدم الرسوم في كتاباتهم.

أما في سوريا القديمة فقد ظهرت حضارة عريقة منذ أقدم العصور حيث وجدت آثاراً فنية عظيمة تحت أنقاض مدينة "ماري" عاصمة السموريين فقد برع الإنسان البدائي السوري في النقش على الأواني واستعمال المعادن في صناعة الحلي والأقراط وما شابه، وأيضاً ما خلفه من رسومات على الجدران وحرصه على تلوينها بما توفر لديه من مواد أولية، وهذا ما جعله يميز الحقبة التي عاشها شعب الأرمن الذي سجل أمجاده الحربية ومعاركه على تلك الجدران[25].

ولقد تأثر الفن السوري بالفن العراقي نتيجة للامتداد الجغرافي المشترك والبيئة والمناخ المتشابه، إضافةً إلى توفر المواد الأولية ذات المصدر الواحد والتي اعتمد عليها واستعملها في صناعة أدواته المتنوعة، وكان نجاح الفن التدمري مؤشراً على حضارة عريقة ومعبرة عن مكونات الوجدان الشرقي وقد ظهر ذلك في فن الفسيفساء، وهذا ما تأثر به في مراحل متقدمة الفن البيزنطي[26].

وإلى أقصى الشرق القديم في بلاد الهند والسند نجد أن الفن يمتلك تاريخاً وأصولاً معقدة، فأسس الحضارة الهندوسية يرجع إلى حضارة وادي الهند، وكانت فنون المعابد مجالاً واسعاً بما في ذلك مذهب البرهمية المتصدر للمشهد الديني هناك، وكذلك الديانات والمعتقدات المختلفة أدّت إلى تشييد المعابد بطرق فنية متباينة كلٌّ حسب طقوسه وفي تناسق مع فن النحت والرسم للتأثير على أتباعهم وتقوية عقيدتهم، وكان الكهنة الهنود يحضرون رسم الآلهة على هيئة البشر، ولكن يحددون لهم ملامح خيالية ويسمحون لهم بالرسم في شكل مثالي[27].

ومع ذلك لم تمنع العقيدة البرهمية رغم تشددها من حركة ونشاط الجانب الفني وتأثره بالواقع المحيط والبيئة الخصبة، وقد ظهر ذلك في الرسومات والمقتنيات والأدوات التي يستعملونها، وإن كان من المعروف أن آراء الحكيم البراهمي المعارضة للفنون نجده يعرض البضائع والتعامل مع الفنانين والممثلين[28].

في حين ظهر الفن الصيني القديم جليًّا في محاكاة الطبيعة المحيطة برسومات ذات طابع مميز للأزهار والطيور والأسماك والحيوانات[29].

إضافةً إلى ما يظهر في مخيلتهم ومعتقداتهم وما يثمل الأساطير عندهم رسومات للتنين المجنح الذي ينفث اللهب من فيه، وبرعوا أيضاً في صناعة السلال والمراوح مما توفره لهم البيئة من أنواع النباتات ذات السيقان والألياف القشية.

وبالعودة إلى شمال المتوسط حيث أوروبا التي تميزت فيها الحضارة الإغريقية والرومانية بين أحضان الطبيعة الخلابة والمناظر الساحرة والمناخ العليل والأجواء الباردة والأمطار الغزيرة، إلى تلك الأنهار الجارية بمياهها العذبة وشلالاتها المتساقطة وتدفقها ما بين جبالها الشاهقة ووديانها السحيقة وتلالها الممتدة، إلى تلك السهول الخضراء والهضاب الخصبة أو تلك الغابات الكثيفة والأشجار المتنوعة بأغصانها المتشابكة بأوراقها الوارفة تصدر حفيفاً كلما داعبتها نسمات باردة أو رياح عابرة فتملأ الأجواء من عبق أريجها، وروائح أشجار الصنوبر والبلوط، وما أن تسكن الرياح فإن الهدوء سيعم المكان ليفسح المجال لمن أتى يشدو من طير الكناري وشقشقة العصافير، ويكتمل المشهد بتلك المسطحات الشاسعة المزدانة بالورود والأزهار، وكأنها بساط مزركش بمختلف ألوان الطيف المبهرة، وقد أشرقت الشمس لتعكس إشعاعاتها كخيوط ذهبية لتحد من قسوة الصقيع وليزداد المنظر روعةً وبهاءً، وإن استرسلت فإن الأمر يستحق العناء.

وبالتالي فإنه لا غرابة أن تعكس تلك الطبيعة تأثيراتها فهي بحد ذاتها بمثابة مجموعة من الأعمال الفنية المفعمة بالجمال والبهاء على مظاهر تلك الحضارة حيث جعلت الإحساس بالجمال والفن عندهم مميز وراقٍ ظهر واضحاً سجلته فنون الإغريق من مثالية الطبيعة حيث يبرز طابع الحياة والخيال والبحث عن المثل العليا وتعلقهم بالحياة الأخروية وما وراء الطبيعة وحبهم للبطولة وتقديسهم لشخصية البطل والقادة العظام والدعوة إلى القوة وروح المنافسة واهتموا بالألعاب الرياضية مثل المصارعة وتمجيد الأقوياء وأصحاب الأجسام القوية وذات الصحة والجمال، بالإضافة إلى ذلك فقد كان للفنون الشرقية القديمة تأثيراتها بحكم مجاورتها لها، ولعل الجوانب الدينية كانت الأكثر تأثيراً نظراً لما تمثله العقيدة من أهمية في نمط وصيرورة حياتهم الدنياوية.

وطقوسهم الغريبة لإرضاء واستمالة الآلهة وإبعاد الروح الشر عنهم ومساعدتهم ولهذا تعددت الآلهة عندهم بحسب معتقداتهم بدأً من عبادة ما حولهم من مظاهر الطبيعة مثل الشمس والقمر والسحاب، أو بعض الأشكال والمخلوقات الخيالية على هيئة حيوانات أو طيور وما إلى ذلك، وتلك

تمثل شيء من المبدعات الفنية تشير إلى الأصالة والجمال التي تميز وتجعل لهذه الحضارة طابعها الخاص خاصةً ميولهم العقلانية وتمجيدهم للقيم[30].

وبالنسبة للحضارة الرومانية المحاطة بنفس الظروف البيئية التي خلقتها تلك الطبيعة الخلابة كان ولا بد أن تقع تحت تأثيراتها الساحرة على غرار قرينتها الإغريقية، فقد كان لهم حسًّا جمالياً ظاهراً في مختلف أعمالهم وبنيانهم وأدواتهم إضافة إلى تأثرهم بالحضارات السابقة والمجاورة لهم مثل البابليين والآشوريين الذي جاؤوا من أصل آسيوي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وظهر التشابه في أعمال النحت والنقش، ولعل الأسطورة المتداولة حتى وقتنا الحاضر في بلاد الرومان عن تلك الذئبة التي أرضعت الأب الأول للرومان "رومانوس" Romanous تظل من أشهر الأعمال التي نقلها الرومان عن الإغريق.

ولعل الجانب العقائدي يظل السمة الأوفر حظاً والأكثر اهتمامًا، حيث يعتقدون بالبعث والعودة إلى الحياة بعد الموت، وهذا يفسر اهتمامهم ببناء المقابر بشكل مميز بما عليها من رسوم ونقوش تعبر عن تقديسهم لمراسم وطقوس الموت والبعث، ومن الممكن ملاحظة مدى تأثرهم بالحضارة الفرعونية من خلال المباني والعمارة التي تتسم بالأعمال الواقعية الواضحة من حيث الضخامة والعلو[31].

ولكن قد نجد ما يميزهم عن غيرهم اهتمامهم بالفنون المخصصة لخدمة القوة العسكرية والحث على البطولة والقتال ونحت تماثيل للأباطرة والقادة المميزين، وشيدوا المسارح لاستعراض القوة والمنافسة من خلال عروض المصارعة وأيضاً إلقاء الخطابة السياسية والتحريضية.

أما في الوسط الشمالي الغربي لأوروبا "سويسرا وجنوب ألمانيا" فإن البيئة الجيولوجية أسهمت في تحديد معالم البناء والأسلوب المعماري، فهناك ما يعرف بالفن البحيري "اللاكوستري" La Castrine فقد وجدت بقايا متعددة من المساكن ذات الركائز الخشبية لازالت قائمة والتي حفظتها مياه البحيرات، كما عثر على العديد من المصنوعات الخزفية والأواني والأقداح منها ما هو على شكل زهرة الزنبق[32].

ويرجح العلماء بداية ظهور إنسان ألمانيا القديم وهو خير مثال على الإنسان منذ فجر ظهوره على الأرض، وكان شبيهاً بالحيوان له جمجمة كبيرة ومحدباً ويعرف بإنسان "النياندرتال" Niandrtal الذي عاش عصر ما قبل نهاية عصر الينوليتي(*) Neolithic Age وجدت آثار من بقايا أدواته مثل الفأس والرمح وما يشبه السكين الحجري، مما يشير إلى ممارسته لطقوس غريبة[33].

كما تم العثور على نوع آخر من فنون البدائيين في أسبانيا أطلق عليه "الفن الكزبي"، وكانت عبارة عن رسومات للأدوات التي كان يستعملها الرجل البدائي مثل السيوف والمكاشط والأزاميل رسمها على الجدران المكشوفة وجدران الكهوف، واستعمل اللون الأحمر والأسود في تلوينها، ولعل ما عثر عليه لاحقاً كان الأكثر أهمية وهو ما اكتشفه "السينور مارسلينو سوتولا" Marcielino Sotola، وهو من الباحثين المعروفين في مجال دراسة آثار الإنسان القديم، فقد عثر على مدخل كهف التاميرا عام 1879 في منطقة (التاميرا) Tamira بشمال أسبانيا، وكان بداخل هذا الكهف رسوم لحيوانات برية لنوع من الثيران البرية تسمى "البيزون" ومنحوتات من العظام وحجر الصُوّان[34]، ولكنها ظلت مثاراً للجدل والشك حول أصالة رسوم التامير هذه، إذ تبدو أنها من عمل إنسان عاقل تماماً، وليس إنساناً بدائياً، فقد بلغت رسوم الحيوانات درجة عالية من الإتقان تعتمد على دقة ملاحظاته[35]، ويرى العلماء أن هذه الدقة ترجع إلى كثرة الممارسة التي جعلته يتوصل إلى ضبط النسب الصحيحة في أجزاء جسم الحيوانات، وهذا ما لم يصل إليه البدائيون المعاصرون من سكان أستراليا الأصليين من المستوى المتقدم[36].

وفي فرنسا عام 1901 اكتشف الأب "بريول" Periole وهو عميد المختصين بدراسة آثار ما قبل التاريخ كهف فوند دي جوم Fond de Goume نسبةً إلى اسم المنطقة الموجود بها، واكتشف لاحقاً كهوف "الألزاس" بمنطقة "دوردونيا" عام 1941 وكهف كامبريللا Camberlles وكهوف لامونث La Monthe، وهي عبارة عن قنوات مائية تمتد تحت الأرض لمسافات عميقة تصل إلى آلاف الأمتار ومسدودة عند نهايتها ومن الصعب إدراكها في بعض الأماكن، وما يدعو إلى الاستغراب والدهشة كيف استطاع البدائي الوصول إلى تلك الأعماق ونقش حفرياته ورسومه للحيوانات بتلك الدقة والإتقان وعلى الأسطح المنخفضة والضيقة للكهوف[37]، مما يدل على أنهم قاموا بذلك العمل وهم مستلقون على ظهورهم، فما هو الدافع لتكبدهم هذه المشاق والمخاطر لتنفيذ نقوشهم في أعماق بعيدة عن مداخل الكهوف كما في رسوم جبال "الرون" Roan Mountain في منطقة "فرانكو كانتبريه" Franco Cantbrian[38].

واعتبرت رسوم الكهوف تتميز بروح التعبير المباشر، وتصنع عمقاً وطابعاً وحركة للعديد من الحيوانات من خلال توضيح تعاريجها ومكوناتها لتتوافق مع طبيعتها في بيئتها القاسية.

وقد اعتبرت هذه المكتشفات التي ترجع إلى ما قبل التاريخ أعجوبةً تبعث على الدهشة والانبهار، وظاهرة تستحق الدراسة والبحث في تاريخ الفن بأسره، حيث تمثل كهوف ما قبل التاريخ مدرسة فنية تكتشف تاريخ الفن في تلك العصور السحيقة.

وهكذا تأكدت أصالة الاكتشافات الأولية وتوالت الأبحاث في مناطق مختلفة من قارات العالم القديم وتوصلت إلى ما ابتدعه الإنسان الأول الذي بلغ أوج نضوجه في نهاية العصر الحجري القديم.

الخاتمة وأهم النتائج:

نخلص إلى أن هذه الآثار والحفريات التي خلفها الإنسان القديم وبغضّ النظر عن دوافعه سحرية كانت أم نفعية، فهي آثار فنية من حيث الشكل وإن كانت خالية من المضمون، والشكلية تلتقي مع النفعية Formalism/Utilitrianism، وهذا لا ينفي وجود الإحساس الجمالي عند الإنسان البدائي عملياً، بل هو نزعة قديمة وما خلفه يشير إلى استعداد فطري للتذوق الفني والذي نما وتدرج خلال مراحل تطوره عبر أحقاب متتالية.

- لذلك كان صانع الأدوات البدائي الذي شكل الحجر والشجر كي تخدم الإنسان و كان غرضه نفعياً لا أكثر ومن هنا يكون بمثابة الفنان الأول.
- ليس من الضروري أن يحتوي العمل النفعي على العنصر الفني أو الجمالي، ولكن في الغالب كل إنتاج فني يحتوي على عنصر نفعي، وهذا يؤكد على وجود علاقة ضرورية بين الجمال والحاجة أو الفن والنفعية ويؤكد أن الحاجة أم الاختراع.
- اعتمد تاريخ الفن بشكل عام على التطور المتوازن للمواقف الوجدانية منذ المرحلة البدائية وحتى مرحلة الإنجاز المتحضر الذي نشهده في وقتنا الحاضر.
- اعتمد المؤرخون والباحثون على دراسة التاريخ لتعزيز أبحاثهم وإثباتها من خلال تلك الآثار والحفريات التي تركها البدائي كدليل مادي ملموس، وتتبع مراحل تطوره عبر العصور.
- هناك عدّة عوامل أدّت إلى نشأة وتشكيل الفن البدائي بدءًا من الموقع الجغرافي والبيئة المحيطة والمعتقدات الدينية وهذا ما لاحظناه من خلال استعراض الحضارات القديمة بمختلف مناطقها وتحديد مواقعها الجغرافية والطابع المميز لكل منها.
- وأخيراً نستطيع أن تقول: إن الإنسان فنَّان بطبعه وإن نفسه نزَّاعة إلى الجميل النافع، والنافع الجميل عبر كل العصور وعلى مختلف الحضارات.

الهوامش

(1) راوية عبدالمنعم عباس، فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص24.

(2) المرجع نفسه، ص25.

(3) عدنان رشيد: دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985، ص151.

(4) رمضان الصباغ: القيم الجمالية بين المثالية والمادية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2001، ص38.

(5) محمد عزيز نظمي: علم الجمال، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1986، ص82.

(6) محمد علي أبو زيان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط8، 1992، ص222.

(7) عاطف محمود عمر: الدوافع النفسية لنشوء الفن، دار العلم، القاهرة، ص29.

(8) Herbert Read: Art and Society, Eaber and Faber, London, 1936, p.9.

(9) عبدالكريم عبدالله: فنون الإنسان القديم، مطبعة المعارف، بغداد 1973، ص78.

(10) أرنست فشر: ضرورة الفن، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية للكتاب، 1998، ص47.

(11) عاطف محمود عمر: الدوافع النفسية لنشوء الفن، مرجع سابق، ص19.

(12) Herbert Read: Art and Society, Op Cit, p12.

(13) سناء خضر: مبادئ فلسفة الفن، مرجع سابق، ص125.

(14) راوية عبدالمنعم عباس: فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، مرجع سابق، ص432.

(15) محسن محمد عطية: جذور الفن، عالم الكتب، القاهرة، 2004، المقدمة.

(16) راوية عبدالمنعم عباس: الفن والحضارة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص21.

(17) المرجع نفسه، ص18.

(18) سناء خضر: مبادئ فلسفة الفن، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004، ص131.

(19) محمد أبو شحمة: مجلة كلية الآداب، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، العدد الأول، 2014، ص340.

(*) قبائل البشمان هي خليط من الزنوج والبيض الذين ظهروا في هذه البقعة من الأرض من أجل الزراعة حسب أبحاث ودراسات كنوز كوهني أحد علماء الآثار جامعة اكسفورد.

(20) سناء خضر: مبادئ فلسفة الفن، مرجع سابق، ص136.

(21) راوية عبدالمنعم عباس: فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، مرجع سابق، ص27.

(22) أميرة حلي مطر، فلسفة الجمال، دار المعارف، ط. بدون، 2004، ص35.

(23) سناء خضر: مبادئ فلسفة الفن، مرجع سابق، ص132.

(24) محمد صدقي: الموجز في تاريخ الفن، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص66.

(25) راوية عبدالمنعم عباس: فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، مرجع سابق، ص30.

(26) راوية عبدالمنعم عباس: الفن والحضارة، مرجع سابق، ص38.

(27) تاريخ السر الحسن: قضايا جمالية وإنسانية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ص51-54.

(28) محمد عزيز نظمي: علم الجمال، مرجع سابق، ص17.

(29) عمر عاطف محمود: الدوافع النفسية لنشأة الفن، مرجع سابق، ص87.

[30] راوية عبدالمنعم عباس، الفن والحضارة، مرجع سابق، ص42-44.

[31] محمد علي أبوزيان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص8.

[32] راوية عبدالمنعم عباس: الفن والحضارة، مرجع سابق، ص25.

[*] مصطلح يطلق على المرحلة الأخيرة من العصور الحجرية القديمة ويعرف بالعصر الحجري الحديث، وهي مرحلة استقرار الإنسان القديم ويؤرخ لها ما بين 10000-7000ق.م

[33] محسن محمد عطية: جذور الفن، مرجع سابق، ص18-19.

[34] المرجع نفسه، ص20-21

[35] المرجع نفسه، ص20.

[36] ثروت عكاشة: الفن المصري القديم، الجزء الأول، دار المعارف بمصر، 1971، ص101.

[37] محسن محمد عطية: جذور الفن، مرجع سابق، ص23.

[38] راوية عبدالمنعم عباس: الفن والحضارة، مرجع سابق، ص21.

المراجع والمصادر:

1- أرنست فشر: ضرورة الفن، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية للكتاب، 1998.

2- أميرة حلي مطر، فلسفة الجمال، دار المعارف، ط. بدون، 2004.

3- تاريخ السر الحسن: قضايا جمالية وإنسانية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

4- ثروت عكاشة: الفن المصري القديم، الجزء الأول، دار المعارف بمصر، 1971.

5- راوية عبدالمنعم عباس، فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991.

6- الفن والحضارة، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1996.

7- رمضان الصباغ: القيم الجمالية بين المثالية والمادية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2001.

8- سناء خضر: مبادئ فلسفة الفن، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004.

9- عاطف محمود عمر: الدوافع النفسية لنشوء الفن، دار العلم، القاهرة.

10- عبدالكريم عبدالله: فنون الإنسان القديم، مطبعة المعارف، بغداد 1973.

11- عدنان رشيد: دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985.

12- محمد أبو شحمة: مجلة كلية الآداب، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، العدد الأول، 2014.

13- محمد صدقي: الموجز في تاريخ الفن، دار المعارف، القاهرة، 1980.

14- محمد عزيز نظمي: علم الجمال، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1986.

15- محمد علي أبو زيان: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط8، 1992.

16- محسن محمد عطية: جذور الفن، عالم الكتب، القاهرة، 2004.

17- Herbert Read: Art and Society, Eaber and Faber, London, 1936.

مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا

سامي عامر المخلوف *

1/1 المقدمة ومشكلة البحث

تعتبر التغذية من العناصر المهمة في نمو الفرد والحفاظ على أدائه في الحياة اليومية وخاصةً إذا كان الغذاء يحتوي على العناصر والمكونات الأساسية حتى يستفيد الفرد من هذه العناصر، ومعرفة الأفراد لغذائهم ومكوناته الصحيحة من الأمور المهمة جداً؛ فإمداد الجسم بالغذاء المفيد والجيد يجعل الفرد قادراً على التواصل وبذل الجهد في هذه الحياة وهذا فيما يخص الفرد غير الرياضي، فما بالك بالفرد الرياضي الذي يحتاج إلى الغذاء الذي يزوده بالطاقة للوصول إلى أعلى أداء وإنجاز رياضي له.

ويؤيد ذلك ما أشار إليه محمد رشدي (1999)أن الأفراد الذين يتنافسون رياضياً يبحثون دائماً عن وسيلة لتحسين الأداء سواء كانت باستخدام بعض الأجهزة أو المعدات أو الطرق التدريبية المتطورة وفي هذا الصدد فإن التغذية تمثل أيضاً عاملاً مهمّاً لتحسين الصحة والأداء الرياضي. ((10:9

ويضيف نشوان عبدالله (2009) نقلاً عن عكلة سليمان، بأن تناول الغذاء بشكل غير مناسب يؤدى إلى مشكلات صحية وبدنية وأمراض مختلفة، لذلك من الضروري تناول الغذاء المتوازن والمتكامل الذي يشمل جميع عناصر الغذاء وفق احتياجات الجسم، كذلك تناول الأغذية وفقاً لوزن الجسم ونوع النشاط اليومي والرياضي الممارس ومتطلباته، واختيار نوع الغذاء وتقدير السعرات المكتسبة، وكذلك اتباع القواعد الغذائية الصحيحة قبل وأثناء وبعد التدريب، كل ذلك يحافظ على صحة الرياضي ويساعد في الأداء الجيد. (183:12)

ويرى كمال عبد الحميد، وأبو العلاء عبد الفتاح(1991) أن الثقافة الغذائية تدفع الفرد باتباع عادات غذائية سليمة لنشر الوعي الغذائي الصحيح، حيث إن العادات والتقاليد الغذائية غير السليمة تلعب دوراً كبيراً في تدهور الحالة الصحية.(10:5)

* كلية التربية البدنية ـ جامعة مصراتة.

وللغذاء مكانة خاصة للرياضين في ضوء ما أثبتته التجارب العلمية المتعددة من حيث الارتباط الوثيق فيما بين التغذية وكل من الصحة العامة ومكونات اللياقة البدنية والكفاءة البدنية والأداء الحركي للمهارات الحركية، الأمر الذي أدى إلى اهتمام الرياضيين بمدى تأثير النظام الغذائي المتبع على كفاءة أدائهم الرياضي.

ويعتبر الهدف الأساسي من تغذية الفرد الرياضي هو تزويد الجسم بالمواد الغذائية الأساسية، وأن التنظيم السليم للتغذية في ظروف التدريب المختلفة من حيث شدة التدريب، وحجم التدريب، وكذلك في ظروف المباريات، يعطى الحيوية والنشاط لجسم الرياضي، ويعمل على فسح المجال للوصول إلى النتائج الرياضية العالية.(128:5)

وفي ضوء ما تقدم ومن خلال اهتمام الباحث في هذا المجال واطلاعه على العديد من المراجع العلمية والدراسات السابقة المرتبطة بموضوع البحث وكذلك المقابلة الشخصية مع بعض الرياضيين حول مستوى الثقافة الغذائية لديهم ومعرفة مكونات الغذاء وتأثيره على حرق وتعويض الطاقة اللازمة لممارسة النشاط الرياضي بمختلف أنواعه، وما للثقافة الغذائية والعلم بمكونات الغذاء من اتصال مباشر بالرياضي في مختلف الظروف، تبين للباحث افتقار بعض الرياضيين للمعلومات اللازمة حول الغذاء والتغذية الصحية للرياضي وعدم الدراية التامة بمكونات الغذاء وتأثيره على ممارسة النشاط الرياضي.

ومن هنا تتضح مشكلة هذا البحث إذ تكمن في معرفة مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا، وأن هذا البحث يمثل إضافة نوعية تسهم في تنمية المعرفة بالغذاء ومكوناته الأساسية للرياضيين.

2/1 أهمية البحث

هناك علاقة مباشرة ومؤثرة بين التغذية والمستوى الرياضي للاعبين، فمن المعروف علمياً ومسلم به بديهياً أن أي مجهود بدني ورياضي يلزمه استهلاك الطاقة المخزونة داخل الجسم، وأن هذا الاستهلاك للطاقة يتوقف على نوعية وشدة النشاط الرياضي الذي يقوم به اللاعب، وهذا بالتالي يستلزم تعويض هذه الطاقة المستهلكة بالغذاء ومكوناته الأساسية.

ومعرفة الغذاء المناسب لكل نوع من أنواع الأنشطة الرياضية يلعب دوراً مهمّاً في الاستمرار والارتقاء بهذا النشاط من خلال اللاعبين، وليست كمية الغذاء هي التي يجب أن يهتم بها الرياضي

بل أيضاً نوعية الغذاء وما يحتويه من مكونات تساعده على توليد الطاقة للوصول إلى الأداء المثالي وتحقيق الإنجازات المطلوبة منه.

وتلعب المعرفة بالغذاء السليم دوراً مهماً في الحفاظ على صحة الرياضي، حيث لا يوجد أدنى شك في أن ما يأكله ويشربه الرياضي سوف يؤثر على صحته ووزنه وتركيب جسمه ومصادر الطاقة فيه قبل وأثناء وبعد المنافسات، وذلك أن الغذاء المثالي بجميع مكوناته الأساسية يحسن النشاط البدني والأداء الرياضي والاستشفاء من المجهود البدني.

ويتفق هذا مع المبادئ الأساسية لتغذية الرياضيين التي ذكرها كلاً من يوسف لازم وصالح أبو خيط بأن:

1. استخدام أو تناول المواد الغذائية الملائمة للنشاط المنتظم وذلك لإدامة عملية التمثيل الغذائي في مختلف أجهزة وخلايا الجسم.
2. أن الأغذية المتنوعة والتي تأتي عن طريقة استخدام مواد غذائية متنوعة أو استعمال طرق مختلفة في تحضيرها وإعدادها توفر الاعتدال في عمل أجهزة الجسم.
3. إدخال مواد غذائية سريعة الهضم وليس من المواد الغذائية التي تتعب المسالك الهضمية.
4. استخدام العوامل الغذائية التي تساعد على زيادة سرعة تعبئة الكتل العضلية وزيادة القوة، وكذلك الزيادة المنتظمة للكتل العضلية يجب أن تكون ذات علاقة مناسبة مع وزن الرياضي.(59:8)

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث وذلك في معرفة مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا ولذلك يأمل الباحث أن يسهم هذا البحث في إعطاء المختصين مؤشراً واضحاً عن المستوى الحقيقي للثقافة الغذائية عند الرياضيين، وبالتالي تساعدهم في وضع البرامج الخاصة بالتغذية لرفع مستوى الثقافة الغذائية وتحسين العادات الغذائية لديهم، بهدف الوصول إلى أفضل إنجاز رياضي.

3/1 هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى التعرف على مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا.

4/1 تساؤل البحث

في ضوء هدف البحث يحاول الباحث الإجابة على التساؤل التالي:

ما مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا؟

5/1 مصطلحات البحث

1/5/1 التغذية: هي مجموعة العمليات المختلفة التي بواسطتها يحصل الكائن الحي على الغذاء أو العناصر الغذائية الضرورية (15)

2/5/1 علم التغذية: هو دراسة مكونات ما يتطلبه جسم الإنسان من المواد الغذائية اللازمة ومدى الاستفادة منها (15)

3/5/1 الثقافة الغذائية: هي مجموعة المعارف والمفاهيم والمعلومات والخبرات والسلوكيات والاتجاهات الغذائية الصحيحة اللازمة والضرورية للفرد الرياضي (تعريف إجرائي) .

1/2 الدراسـات السابقـة

1/1/2 الدراسات العربية

1- دراسة مها أحمد فكري (1995) (6) وكانت بعنوان " العلاقة بين الثقافة الغذائية لدى مدربي الفرق الرياضية وبعض دلالات الصحة لدى اللاعبين "وتهدف هذه الدراسة إلى تعرف على مستوى الثقافة الغذائية للمدربين وبعض دلالات الصحة للاعبي بعض الأنشطة الرياضية الجماعية (قدم–سلة–يد) متمثلة في (الطول– الوزن – مجموعة القوة العضلية مرونة الرقبة – السعة الحيوية– سمك الدهن– الهيموجلوبين – اللياقة الدورية التنفسية – الكفاءة البدنية) وأيضاً الفرق بين مدربي بعض الألعاب الجماعية (قدم، سلة، يد) في مستوى الثقافة الغذائية. وكذلك الفرق بين لاعبي بعض الألعاب الجماعية (قدم، سلة، يد) في بعض دلالات الصحة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي على عينة البحث وذلك من خلال قياس مستوى الثقافة الغذائية، وكانت أهم نتائج هذه الدراسة وجود فروق بين مدربي بعض الألعاب الجماعية (قدم، سلة، يد) في مستوى الثقافة الغذائية.

2- دراسة زكريا حسن (1999) (3) حيث كانت بعنوان "دراسة مقارنة بين الرياضيين وغير الرياضيين في المعلومات والاتجاهات الغذائية لطلاب المرحلة الثانوية بمحافظة دمياط"، وكان هدف الدارسة بناء مقياس للمعلومات والاتجاهات الغذائية لطلاب المرحلة الثانوية وأيضاً معرفة الفرق بين الرياضين وغير الرياضين من طلاب المرحلة الثانوية في المعلومات والاتجاهات الغذائية واستخدام الباحث المنهج الوصفي وكانت العينة عمدية من الطلاب الرياضيين وعددها (100) طالب من المدرس الثانوية وعينة أخرى عشوائية من الطلاب غير الرياضيين بالمرحلة الثانوية

وقوامها(100) طالب، وكانت أهم النتائج تميز الرياضين عن غير الرياضيين في المعلومات الغذائية المتعلقة بإنقاص الوزن وأمراض سوء التغذية والعناصر الغذائية وعلاقة النمو بالتغذية وأيضاً من النتائج بأن الممارسة الرياضية تسهم في إثراء المعلومات والاتجاهات الغذائية لدى الرياضيين.

3- دراسة سليمان الحوري (2001) (4) حيث كانت هذه الدراسة بعنوان" بناء مقياس للثقافة الغذائية للرياضيين وغير الرياضيين والتعرف على مستوى الثقافة الغذائية لدى طلبة الجامعة الرياضيين وغير الرياضيين " حيث طبقت الدارسة على عينة عشوائية من طلبة جامعة ديالي – العراق على (60) طالباً مقسمين إلى (30) طالباً رياضياً و(30) طالباً غير رياضي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي لمناسبته لطبيعة الدارسة، وكانت أهم النتائج انخفاض مستوى الثقافة الغذائية لدى أفراد عينة البحث بصورة عامة، وأن هناك تفوقاً نسبياً بسيطاً في الثقافة الغذائية لدى الرياضيين عن غير الرياضيين غير دال إحصائياً، وأوصى الباحث باستخدام مقياس الثقافة الغذائية في تقييم درجة المعلومات الغذائية لطلبة الجامعة، وتدريس موضوع التربية الغذائية أو الثقافة الغذائية ضمن المناهج التعليمية في الجامعات.

4- دراسة أشرف محمد صالح عبد الحكيم (2002) (1) والتي كانت بعنوان "دراسة مقارنة في الثقافة الغذائية لدى ناشئي ومدربي بعض الألعاب الفردية والجماعية" ويهدف هذا البحث لتعرف على الثقافة الغذائية لدى مدربي الألعاب الفردية والجماعية، والتعرف على الثقافة الغذائية لدى ناشئي الألعاب الفردية والجماعية، والفرق بين المدربين والناشئين في الثقافة الغذائية في بعض الألعاب الفردية والجماعية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، وتم اختيار العينة بالطريقة العمدية العشوائية وعددهم (120) لاعباً تتراوح أعمارهم ما بين (15-20) سنة و(24) مدرباً في (4) أنشطة مختلفة، وكانت أهم نتائج هذه الدراسة اقتصار المدربين على الاهتمام بالعادات الغذائية للناشئين داخل المجال الرياضي فقط متجاهلين عاداتهم الغذائية خارج النشاط الرياضي (مع الأسرة – الرحلات – الحفلات).

5- دراسة خالد بدر(2007) (2) والتي كانت بعنوان " أثر برنامج للثقافة الغذائية على الوعي الغذائي للمدرب الرياضي" ويهدف هذا البحث إلى تعرف على برنامج للثقافة الغذائية على الوعي الغذائي للمدرب الرياضي، واستخدم الباحث المنهج التجريبي على عينة من مدربي بعض الأنشطة الرياضية المختارة، وكانت أهم النتائج أثر برنامج الثقافة الغذائية قيد البحث على الوعي الغذائي للمدرب الرياضي.

6- دراسة العلي وخويلة (2007) (7)حيث كانت الدراسة بعنوان " مدى الوعي الصحي الغذائي لدى لاعبي المنتخبات الرياضية في جامعة اليرموك" وكانت عينة الدراسة مكونة من (120)

لاعباً تم اختيارهم بالطريقة العشوائية من مجتمع الدراسة المكون(210) لاعباً ضمن المنتخبات في جامعة اليرموك وقام الباحثان بإعداد استبانة خاصة اشتملت على ثلاثة محاور الأول يتعلق بالواقع الرياضي والثاني يتعلق بمدى الوعي للعادات الغذائية الصحيحة للرياضين والثالث يتعلق بمدى وعيهم بأهمية الكشف الطبي المباشر والدوري وكانت أهم النتائج أن (87.50%) يتناولون ثلاث وجبات فأكثر يومياً ، وأن (72.50%) يتناولون المشروبات الغازية بدرجة كبيرة ، وأنه لا يوجد إشراف طبي مباشر على الفرق الرياضية .

7- دراسة ميناس مشعل ووليد الرحاحلة ومعاذ بطانية (2010)(10) حيث كانت بعنوان" الحصيلة المعرفية للثقافة التغذوية ومستوى اللياقة الهوائية لذى طلبة كلية التربية الرياضية في الجامعة الأردنية" وكان هدف الدراسة التعرف على مدى امتلاك طلبة كلية التربية الرياضية في الجامعة الأردنية للحصيلة المعرفية حول الثقافة التغذوية ومستوى اللياقة الهوائية لديهم كما يقدرونها بأنفسهم كما هدفت إلى معرفة العلاقة الارتباطية بين حصيلتهم المعرفية حول الثقافة التغذوية ومستوى لياقتهم الهوائية لدى الطلبة، وأجريت هذه الدراسة على عينة عشوائية مكونة من (251) طالباً وطالبة تم اختيارهم من مجتمع الدراسة المكون من (593) طالباً وطالبة، واستخدم المنهج الوصفي بالأسلوب المسحي، وكانت أهم النتائج وجود نقص في المعرفة التغذوية بشكل عام بين طلبة كلية التربية الرياضية في الجامعة الأردنية بالإضافة إلى أن مستوى اللياقة الهوائية كان بدرجة متوسطة بتقدير الطلبة أنفسهم، وأنه لا توجد علاقة ارتباطية بين الثقافة التغذية ومستوى اللياقة الهوائية لدى طلبة كلية التربية الرياضية في الجامعة الأردنية وأهم ما يوصي به الباحثين بضرورة الاهتمام بموضوع الثقافة التغذوية والعمل على إدخاله ضمن المناهج التعليمية في الجامعات.

وأهم ما يوصي به الباحثون بضرورة الاهتمام بموضوع الثقافة التغذوية والعمل على إدخاله ضمن المناهج التعليمية في الجامعات.

2/1/2 الدراسات الأجنبية

1- دراسة ديني ودان Denny and Dunn(2007) (14) حيث كانت بعنوان "مقارنة الثقافة التغذوية بالاتجاهات والسلوكيات الغذائية لطلبة كلية التربية الرياضية" كان هدف الدراسة مقارنة الثقافة التغذوية بالاتجاهات والسلوكيات الغذائية لطلبة كلية التربية الرياضية واشتملت عينة الدراسة على (190) طالباً وطالبة (92) منهم من الذكور و(98) من الإناث يمارسون جميعهم الألعاب الرياضية، واستخدم الباحثان استبانة التغذية العامة (GNKQ) كأداة للدراسة وكانت على

أربعة محاور هي (مصادر التغذية، اختيار الغذاء الصحي، والعلاقة بين النظام الغذائي والأمراض والتوصيات الغذائية) وكانت أهم النتائج أن هناك انخفاضاً كبيراً في نسبة الثقافة التغذوية لدى العينة، وبناءً عليه أوصى الباحثان بضرورة وجود اختصاصيين في التغذية مع الرياضيين لتزويدهم بالمعلومات الصحيحة حول التغذية والعادات الغذائية ويجب عمل المزيد من الدراسات لقياس أثر الثقافة التغذوية على السلوكيات الغذائية.

2-دراسة براين وديفيس Brien and Davies (2007) (13) حيث كانت بعنوان " العلاقة بين الثقافة التغذوية ومؤشر كتلة الجسم (BMI) "وهدفت هذه الدراسة إلى استقصاء العلاقة بين الثقافة التغذوية ومؤشر كتلة الجسم (BMI)، وكانت عينة البحث مكونة من (500) فرد (267) منهم إناث و (239) منهم ذكور وتم اختيارهم عشوائياً من قاعدة بيانات كبيرة للممارسين للرياضة بشكل عام، واستخدم الباحثان استبانة التغذية العامة (GNKQ) كأداة للدراسة، واشتملت على محورين (اختبار الغذاء، والتوصيات الغذائية) وهما الأكثر صلة بأهداف الدراسة وكانت من النتائج التي أشارت إليها هذه الدراسة أن الثقافة التغذوية قد لا تكون العامل الأهم هو السلوك الغذائي الذي تتبعه العينة، وبناء عليه فقد أوصى الباحثان بعمل دراسات مستقبلية يستخدم فيها تصاميم لقياس الثقافة التغذوية والسلوك الغذائي، بدعم من المؤشرات الحيوية للحالة الصحية.

1/3 خطة وإجراءات البحث

1/1/3 منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الوصفي بالأسلوب المسحي وذلك لمناسبته لطبيعة وهدف البحث.

2/1/3 مجتمع البحث

يتمثل مجتمع البحث في لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا (فئة الكبار) خلال الموسم الرياضي 2013- 2014.

3/1/3 عينة البحث

تم اختيار عينة البحث بالطريقة العمدية من لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا(فئة الكبار) والبالغ عددهم (18) لاعباً.

4/1/3 أدوات جمع البحث:

لجمع البيانات الخاصة بالبحث استخدم الباحث الأدوات التالية:

1/4/1/3 المقابلة الشخصية:

قام الباحث بإجراء المقابلة الشخصية مع عدد من اللاعبين من عينة البحث بهدف التعرف على العادات الغذائية اليومية لديهم والأطعمة التي يتناولها هؤلاء اللاعبين في الثلاث وجبات الرئيسة (الإفطار– الغذاء– العشاء) وذلك للاسترشاد بها عند وضع مفردات الاستبيان الخاص بتحديد مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا.

2/4/1/3 الاستبيان :

قام الباحث بإعداد استمارة استبيان الخاصة بالبحث بالاطلاع على المراجع العلمية والدراسات السابقة والتي تم من خلالها التوصل إلى المكونات الغذائية التالية:

1– الكربوهيدرات. 2– البروتينات. 3– الدهون.

بعد ذلك قام الباحث بعرض مكونات استمارة الاستبيان على مجموعة من الخبراء في مجال التربية البدنية، مرفق (1) وذلك لإبداء الرأي في مدى كفاية مكونات الاستمارة لما وضعت من أجله، وكذلك الأهمية النسبية لكل مكون، مرفق (2).

1/2/4/1/3 خطوات إعداد استمارة الاستبيان :

1– بعد تحديد مكونات الاستمارة تم وضع مجموعة من الأطعمة أمام كل مكون من المكونات السابقة، بحيث تعطي في مجموعها المكون الذي تمثله، وقد بلغ عدد هذه الأطعمة (54) نوعًا، وقد قام الباحث بتوزيعها على النحو التالي:

- (20) نوعاً في المكون الأول (الكربوهيدرات).
- (18) نوعاً في المكون الثاني (البروتينات).
- (16) نوعاً في المكون الثالث (الدهون).

2– تم عرض استمارة الاستبيان في صورتها الأولية، مرفق (3)، على السادة الخبراء، مرفق (1)، وذلك في الفترة 23– 2– 2014 إلى 29– 2– 2014 لإبداء الرأي في:

- مدى كفاية الأطعمة لكل نوع.
- تقدير أهمية الأطعمة وفقاً لميزان التقدير الثلاثي، أتناول ويقدر لها (3) درجات، أتناول بشكل غير منتظم ويقدر لها (2) درجات، لا أتناول ويقدر لها (1) درجة واحدة.
- سلامة ووضوح الصياغة اللغوية لكل نوع من الأطعمة.

3- تم إجراء التعديلات بناء على آراء السادة الخبراء والمحكمين، وأصبح الاستبيان في صورته النهائية يضم (50) نوعاً يمثلون أطعمة الاستبيان، مرفق (4) موزعة على المكونات الأساسية الثمانية وفقاً لما يلي:

المكون الأول: الكربوهيدرات ويتضمن (20) نوعاً.

المكون الثاني: البروتينات ويتضمن (16) نوعاً.

المكون الثالث: الدهون ويتضمن (14) نوعاً.

2/2/4/1/3 المعاملات العلمية لاستمارة الاستبيان

1- صدق الاستبيان

اعتمد الباحث في حساب صدق استمارة الاستبيان على آراء المحكمين للإفادة برأيهم في مدى صدق الاستمارة لتحقيق الهدف الذي وضعت من أجله وتم التطبيق على مجموعة من المحكمين، مرفق (1) في الفترة من 22 - 2 - 2014م إلى 29 - 2 - 2014م، واتفق المحكمين على المكونات بنسبة تراوحت من 80% إلى 100% على الأطعمة مما يشير إلى صدق الاستبيان كما هو موضح بجدول (1).

جدول (1)

نسبة الاتفاق لصدق المحكمين لمكونات الاستبيان وأطعمته

م	المكونات	نسبة الاتفاق
1	الكربوهيدرات	%90
2	البروتينات	%100
3	الدهون	%90

2- ثبات الاستبيان

تم تطبيق استمارة الاستبيان عن طريق تطبيق الاستمارة وإعادة تطبيقها في الفترة من 5-3- 2014م إلى 15- 3- 2014م على عينة قوامها (10) لاعبين من مجتمع البحث بفاصل زمني قدره عشرة أيام، وبحساب معامل الارتباط بين التطبيق الأول والتطبيق الثاني تم حساب معامل الثبات كما هو موضوع بجدول (2).

جدول (2)

معامل الارتباط بين التطبيق الأول والثاني لمكونات استمارة الاستبيان

لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية(ن=10)

م	المكونات	معامل الارتباط	الصدق الذاتي
1	الكربوهيدرات	0.86	0.93
2	البروتينات	0.95	0.97
3	الدهون	0.84	0.92

قيمة (ر) الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) = 0.63

يتضح من جدول (2) أن معامل الارتباط تراوح ما بين (0.80) إلى (0.95) وهي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05) مما يشير إلى ثبات استمارة الاستبيان وإعدادها في صورته النهائية، مرفق (4).

جدول(3)

التكرر والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي

(الكربوهيدرات) والخاص بوجبة الإفطار ن=18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	الإفطار						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
الكربوهيدرات	1	الخبز	15	%83.33	2	%11.11	1	%5.55	%92.59	20.37	دال
	2	الأرز المطبوخ	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	3	البسكويت	9	%50	8	%44.44	1	%5.55	%81.48	6.37	دال
	4	حبة تفاح	4	%22.22	11	%61.11	3	%16.66	%68.51	6.40	دال
	5	قطعة كيك	9	%50	9	%50	0	%0	%83.33	9.00	دال
	6	المكرونة	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	7	العدس	0	%0	3	%16.66	15	%83.33	%38.88	21.00	دال
	8	الحمص	0	%0	3	%16.66	15	%83.33	%38.88	21.00	دال
	9	البازلاء	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.40	دال
	10	عسل النحل	5	%27.77	10	%55.55	3	%16.66	%70.37	4.37	غير دال
	11	السكر	3	%16.66	6	%33.33	9	%50	%55.55	3.00	غير دال
	12	المربى	6	%33.33	9	%50	3	%16.66	%72.22	3.00	غير دال

13	الفواكه وعصائرها	13	%72.22	5	%27.77	0	%0	%90.74	14.40	دال
14	الحلويات	2	%11.11	12	%66.66	4	%22.22	%62.96	9.37	دال
15	الحليب	9	%50	4	%22.22	5	%27.77	%74.07	2.40	غير دال
16	الزبادي	8	%44.44	7	%38.88	3	%16.66	%75.92	2.40	غير دال
17	الكسكسي	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
18	البازين	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
19	البطاطا	0	%0	4	%22.22	14	%77.77	%40.74	17.37	دال
20	الشكولاتة	6	%33.33	12	%66.66	0	%0	%77.77	12.00	دال
	درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي							%59.63		

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

يتضح من الجدول (3) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون الكربوهيدرات بوجبة الإفطار، حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (20) نوعاً، وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (100.00%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى. وقد انحصرت استجابات اللاعبين في ميزان التقدير الثلاثي في أتناول بشكل منتظم ما بين (15,0) تكرار، وأتناول بشكل غير منتظم ما بين (12,0) تكرار ولا أتناول ما بين (18,0) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة تبين أن (15) نوع منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

جدول(4)

التكرر والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي(الكربوهيدرات) والخاص بوجبة الغذاء ن=18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	الغذاء						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
الكربوهيدرات	1	الخبز	1	%5.55	8	%44.44	9	%50	%51.85	6.40	دال
	2	الأرز المطبوخ	14	%77.77	4	%22.22	0	%0	%92.59	17.37	دال
	3	البسكويت	0	%0	4	%22.22	14	%77.77	%40.74	17.37	دال
	4	حبة تفاح	9	%50	6	%33.33	3	%16.66	%77.77	3.00	غير دال
	5	قطعة كيك	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.40	دال
	6	المكرونة	17	%94.44	1	%5.55	0	%0	%98.14	30.40	دال
	7	العدس	1	%5.55	11	%61.11	6	%33.33	%57.40	8.40	دال

	8	الحمص	1	%5.55	8	%44.44	9	%50	%51.85	6.37	دال
	9	البازلاء	1	%5.55	14	%77.77	3	%16.66	%62.96	16.37	دال
	10	عسل النحل	0	%0	9	%50	9	%50	%50	9.00	دال
	11	السكر	0	%0	5	%27.77	13	%72.22	%42.59	14.37	دال
	12	المربى	0	%0	2	%11.11	16	%88.88	%37.03	25.37	دال
	13	الفواكه وعصائرها	7	%38.88	10	%55.55	1	%5.55	%77.77	7.07	دال
	14	الحلويات	2	%11.11	11	%61.11	5	%27.77	%61.11	7.07	دال
	15	الحليب	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	16	الزيادي	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	17	الكسكسي	16	%88.88	1	%5.55	1	%5.55	%94.44	25.07	دال
	18	البازين	11	%61.11	6	%33.33	1	%5.55	%85.18	8.37	دال
	19	البطاطا	2	%11.11	15	%83.33	1	%5.55	%68.51	20.40	دال
	20	الشكولاتة	1	%5.55	17	%94.44	0	%0	%68.51	30.40	دال
		درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي							%61.01		

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

تضح من الجدول (4) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون الكربوهيدرات بوجبة الغذاء، حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (20) نوعاً، وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (100.00%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى، وقد انحصرت استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية في ميزان التقدير الثلاثي فيما يلي: خانة أتناول بشكل منتظم ما بين (17,0) تكرار، وخانة أتناول بشكل غير منتظم ما بين (17,0) تكرار، وخانة لا أتناول ما بين (18,0) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة تبين أن (19) نوعاً منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

جدول(5)

التكرار والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي

(الكربوهيدرات) والخاص بوجبة العشاء ن=18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	العشاء						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
الكربوهيدرات	1	الخبز	7	%38.88	10	%55.55	1	%5.55	%77.77	7.07	دال
	2	الأرز المطبوخ	8	%44.44	6	%33.33	4	%22.22	%74.07	1.37	غير دال
	3	البسكويت	0	%0	11	%61.11	7	%38.88	%53.70	10.37	دال
	4	حبة تفاح	4	%22.22	13	%72.22	1	%5.55	%72.22	13.07	دال

5	قطعة كيك	1	%5.55	9	%50	8	%44.44	%53.70	6.37	دال	
6	المكرونة	7	%38.88	8	%44.44	3	%16.66	%74.07	2.40	غير دال	
7	العدس	0	%0	9	%50	9	%50	%50	9.00	دال	
8	الحمص	0	%0	7	%38.88	11	%61.11	%46.29	10.40	دال	
9	البازلاء	1	%5.55	12	%66.66	5	%27.77	%59.25	10.37	دال	
10	عسل النحل	0	%0	10	%55.55	8	%44.44	%51.85	9.37	دال	
11	السكر	0	%0	6	%33.33	12	%66.66	%44.44	12.00	دال	
12	المربى	0	%0	4	%22.22	14	%77.77	%40.74	17.37	دال	
13	الفواكه وعصائرها	8	%44.44	9	%50	1	%5.55	%79.62	6.37	دال	
14	الحلويات	0	%0	15	%83.33	3	%16.66	%61.11	21.00	دال	
15	الحليب	0	%0	9	%50	9	%50	%50	9.00	دال	
16	الزبادي	0	%0	9	%50	9	%50	%50	9.00	دال	
17	الكسكسي	0	%0	3	%16.66	15	%83.33	%38.88	21.00	دال	
18	البازين	0	%0	4	%22.22	14	%77.77	%40.74	17.37	دال	
19	البطاطا	2	%11.11	12	%66.66	4	%22.22	%62.96	9.40	دال	
20	الشكولاتة	2	%11.11	16	%88.88	0	%0	%70.37	25.37	دال	
	درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي							%57.58			

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

يتضح من الجدول (5) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون الكربوهيدرات بوجبة العشاء، حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (20) نوعاً، وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (88.88%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى، وقد انحصرت استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية في ميزان التقدير الثلاثي، فيما يلي: خانة أتناول بشكل منتظم ما بين (8,0) تكرار، وخانة أتناول بشكل غير منتظم ما بين (16,3) تكرار وخانة لا أتناول ما بين (15,3) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة تبين أن (16) نوعاً منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

جدول(6)

التكرار والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي

(البروتينات) والخاص بوجبة الإفطار ن =18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	الإفطار						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
البروتينات	1	لحم الخروف	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	2	لحم البقر	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	3	لحم الابل	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال

	4	لحم الدجاج	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	5	الأسماك	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.37	دال
	6	البيض المسلوق	5	%27.77	11	%61.11	2	%11.11	%72.22	7.07	دال
	7	البيض المقلي	4	%22.22	14	%77.77	0	%0	%74.07	17.37	دال
	8	الجبن بأنواعها	8	%44.44	7	%38.88	3	%16.66	%75.92	2.40	غير دال
	9	الفاصوليا	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.37	دال
	10	الفول	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.37	دال
	11	الحليب ومشتقاته	8	%44.44	6	%33.33	4	%22.22	%74.07	1.40	غير دال
	12	البطاطا	0	%0	2	%11.11	16	%88.88	%37.03	25.37	دال
	13	العدس	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	14	الهمبرجر	4	%22.22	8	%44.44	6	%33.33	%62.96	1.40	غير دال
	15	الشاورما	4	%22.22	8	%44.44	6	%33.33	%62.96	1.40	غير دال
	16	الشبسى	0	%0	3	%16.66	15	%83.33	%38.88	21.00	دال
	درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي								%48.14		

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

يتضح من الجدول (6) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون البروتينات بوجبة الإفطار، حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (16) نوعاً، وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (100.00%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى، وقد انحصرت استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية في ميزان التقدير الثلاثي فيما يلي: خانة أتناول بشكل منتظم ما بين (8,0) تكرار وخانة أتناول بشكل غير منتظم ما بين (14,0) تكرار، وخانة لا أتناول ما بين (18,0) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة تبين أن (12) نوعاً منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

جدول(7)

التكرار والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي (البروتينات) والخاص بوجبة الغذاء ن=18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	الغذاء						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
البروتينات	1	لحم الخروف	14	%77.77	4	%22.22	0	%0	%92.59	17.40	دال
	2	لحم البقر	4	%22.22	10	%55.55	4	%22.22	%66.66	4.07	غير دال
	3	لحم الابل	16	%88.88	2	%11.11	0	%0	%96.29	25.37	دال
	4	لحم الدجاج	15	%83.33	3	%16.66	0	%0	%94.44	21.00	دال

5	الأسماك	7	%38.88	8	%44.44	3	%16.66	%74.07	2.37	غير دال
6	البيض المسلوق	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
7	البيض المقلي	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
8	الجبن بأنواعها	0	%0	3	%16.66	15	%83.33	%38.88	21.00	دال
9	الفاصوليا	1	%5.55	13	%72.22	4	%22.22	%61.11	13.07	دال
10	الفول	0	%0	11	%61.11	7	%38.88	%53.70	10.37	دال
11	الحليب ومشتقاته	0	%0	2	%11.11	16	%88.88	%37.03	25.37	دال
12	البطاطا	3	%16.66	12	%66.66	3	%16.66	%66.66	9.00	دال
13	العدس	1	%5.55	9	%50	8	%44.44	%53.70	6.37	دال
14	الهمبرجر	1	%5.55	11	%61.11	6	%33.33	%57.40	8.40	دال
15	الشاورما	0	%0	13	%72.22	5	%27.77	%57.40	14.37	دال
16	الشبسى	0	%0	15	%83.33	3	%16.66	%61.11	21.00	دال
	درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي							%61.10		

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

يتضح من الجدول (7) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الاول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون البروتينات بوجبة الغذاء، حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (16) نوعاً، وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (100.00%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى، وقد انحصرت استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية في ميزان التقدير الثلاثي، فيما يلي: خانة أتناول بشكل منتظم ما بين (16,0) تكرار وخانة أتناول بشكل غير منتظم ما بين (15,0) تكرار، وخانة لا أتناول ما بين (18,0) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة تبين أن (15) نوعاً منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

جدول (8)

التكرار والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي

(البروتينات) والخاص بوجبة العشاء ن=18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	العشاء						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
البروتينات	1	لحم الخروف	7	%38.88	8	%44.44	3	%16.66	%74.07	2.40	غير دال
	2	لحم البقر	3	%16.66	7	%38.88	8	%44.44	%57.40	2.40	غير دال
	3	لحم الابل	8	%44.44	6	%33.33	4	%22.22	%74.07	1.40	غير دال
	4	لحم الدجاج	7	%38.88	10	%55.55	1	%5.55	%77.77	7.10	دال
	5	الأسماك	7	%38.88	7	%38.88	4	%22.22	%72.22	1.10	غير دال

	6	البيض المسلوق	0	%0	3	%16.66	15	%83.33	%38.88	21.00	دال
	7	البيض المقلي	0	%0	3	%16.66	15	%83.33	%38.88	21.00	دال
	8	الجبن بأنواعها	0	%0	10	%55.55	8	%44.44	%51.85	9.40	دال
	9	الفاصوليا	3	%16.66	11	%61.11	4	%22.22	%64.81	6.40	دال
	10	الفول	0	%0	7	%38.88	11	%61.11	%46.29	10.40	دال
	11	الحليب ومشتقاته	0	%0	11	%61.11	7	%38.88	%53.70	10.40	دال
	12	البطاطا	0	%0	16	%88.88	2	%11.11	%62.96	9.40	دال
	13	العدس	0	%0	8	%44.44	10	%55.55	%48.14	9.10	دال
	14	الهمبرجر	1	%5.55	14	%77.77	3	%16.66	%62.96	16.40	دال
	15	الشاورما	1	%5.55	15	%83.33	2	%11.11	%64.81	20.40	دال
	16	الشبسى	0	%0	15	%83.33	3	%16.66	%61.11	21.00	دال
		درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي							%59.37		

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

يتضح من الجدول (8) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون البروتينات بوجبة العشاء، حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (16) نوعاً، وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (88.88%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى، وقد انحصرت استجابات اللاعبين في ميزان التقدير الثلاثي في أتناول بشكل منتظم ما بين (8,0) تكرار، وأتناول بشكل غير منتظم ما بين (16,3) تكرار، ولا أتناول ما بين (15,1) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة، تبين أن (12) نوعاً منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

جدول (9)

التكرر والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي

(الدهون) والخاص بوجبة الإفطار ن=18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	الإفطار						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
الدهون	1	القشطة	2	%11.11	6	%33.33	10	%55.55	%51.85	3.37	غير دال
	2	الزبدة	2	%11.11	5	%27.77	11	%61.11	%50	5.07	دال
	3	السمن الحيواني	1	%5.55	3	%16.66	14	%77.77	%42.59	16.37	دال
	4	الزيت النباتي	1	%5.55	6	%33.33	11	%61.11	%48.14	8.37	دال

	5	زيت الزيتون	2	%11.11	13	%72.22	3	%16.66	%64.81	12.37	دال
	6	اللحم الدسم	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	7	السمك الدسم	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
	8	الكبدة	1	%5.55	3	%16.66	14	%77.77	%42.59	16.40	دال
	9	صفار البيض	3	%16.66	12	%66.66	3	%16.66	%66.66	9.00	دال
	10	الزيتون	8	%44.44	7	%38.88	3	%16.66	%75.92	2.37	غير دال
	11	البندق	0	%0	10	55.55	8	%44.44	%51.85	9.37	دال
	12	اللوز	0	%0	9	%50	9	%50	%50	9.00	دال
	13	اللحم المقلي	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.37	دال
	14	لحم القديد	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال
		درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي							%48.54		

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

يتضح من الجدول (9) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون الدهون بوجبة الإفطار، حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (14) نوع وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (100.00%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى، وقد انحصرت استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية في ميزان التقدير الثلاثي، فيما يلي: خانة أتناول بشكل منتظم ما بين (8,0) تكرار وخانة أتناول بشكل غير منتظم ما بين (13,0) تكرار، وخانة لا أتناول ما بين (18,3) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة، تبين أن (11) نوعاً منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

جدول (10)

التكرار والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي (الدهون) والخاص بوجبة الغذاء ن=18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	الغذاء						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
الدهون	1	القشطة	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.37	دال
	2	الزبدة	0	%0	3	%16.66	15	%83.33	%38.88	21.00	دال
	3	السمن الحيواني	0	%0	6	%33.33	12	%66.66	%44.44	12.00	دال

4	الزيت النباتي	2	%11.11	7	%38.88	9	%50	%53.70	4.37	غير دال	
5	زيت الزيتون	0	%0	16	%88.88	2	%11.11	%62.96	25.37	دال	
6	اللحم الدسم	10	%55.55	8	%44.44	0	%0	%85.18	9.37	دال	
7	السمك الدسم	5	%27.77	10	%55.55	3	%16.66	%70.37	4.40	غير دال	
8	الكبدة	5	%27.77	12	%66.66	1	%5.55	%74.07	10.40	دال	
9	صفار البيض	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.40	دال	
10	الزيتون	2	%11.11	14	%77.77	2	%11.11	%66.66	16.10	دال	
11	البندق	1	%5.55	10	%55.55	7	%38.88	%55.55	7.10	دال	
12	اللوز	1	%5.55	13	%72.22	4	%22.22	%61.11	16.60	دال	
13	اللحم المقلي	4	%22.22	13	%72.22	1	%5.55	%72.22	13.10	دال	
14	لحم القديد	7	%38.88	11	%16.55	0	%0	%79.62	10.40	دال	
	درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي							%59.65			

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

يتضح من الجدول (10) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون الدهون بوجبة الغذاء، حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (14) نوعاً، وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (94.44%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى .وقد انحصرت استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية في ميزان التقدير الثلاثي، فيما يلي: خانة أتناول بشكل منتظم ما بين (10,0) تكرار، وخانة أتناول بشكل غير منتظم ما بين (16,1) تكرار، وخانة لا أتناول ما بين (17,0) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة، تبين أن (12) نوعاً منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

جدول (11)

التكرر والنسبة المئوية والأهمية النسبية وقيمة كا2 لا راء عينة البحث في المكون الغذائي

(الدهون) والخاص بوجبة العشاء ن=18

المكون الغذائي	م	الأطعمة المقترحة	العشاء						الأهمية النسبية	كا2	مستوى الدلالة
			أتناول		أتناول بشكل غير منتظم		لا أتناول				
			ك	ن	ك	ن	ك	ن			
الدهون	1	القشطة	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.40	دال
	2	الزبدة	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال

3	السمن الحيواني	0	%0	0	%0	18	%100	%33.33	36.00	دال	
4	الزيت النباتي	1	%5.55	1	%5.55	16	%88.88	%38.33	25.10	دال	
5	زيت الزيتون	0	%0	14	%77.77	4	%22.22	%59.25	17.40	دال	
6	اللحم الدسم	4	%22.22	12	%66.66	2	%11.11	%70.37	9.40	دال	
7	السمك الدسم	2	%11.11	12	%66.66	4	%22.22	%62.96	9.40	دال	
8	الكبدة	2	%11.11	14	%77.77	2	%11.11	%66.66	16.10	دال	
9	صفار البيض	0	%0	1	%5.55	17	%94.44	%35.18	30.40	دال	
10	الزيتون	4	%22.22	11	%16.55	3	%16.66	%68.51	6.40	دال	
11	البندق	0	%0	14	%77.77	4	%22.22	%59.25	17.40	دال	
12	اللوز	0	%0	15	%83.33	3	%16.66	%61.11	21.00	دال	
13	اللحم المقلي	1	%5.55	15	%83.33	2	%11.11	%64.81	20.40	دال	
14	لحم القديد	0	%0	12	%66.66	6	%33.33	%55.55	12.00	دال	
	درجة التحقق الكلية للمكون الغذائي							%53.13			

قيمة كا2 الجدولية عند مستوى دلالة معنوية (0.05) = 5.99

يتضح من الجدول (11) أن النسب المئوية التي تعبر عن استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية على مفردات استبيان الثقافية الغذائية في مكون الدهون بوجبة العشاء حيث بلغ عدد الأطعمة المقترحة (14) نوعاً، وذلك بنسب مئوية تراوحت ما بين (100.00%) كحد أعلى و (0.00%) كحد أدنى، وقد انحصرت استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية في ميزان التقدير الثلاثي، فيما يلي: خانة أتناول بشكل منتظم ما بين (4,0) تكرار، وخانة أتناول بشكل غير منتظم ما بين (15,0) تكرار، وخانة لا أتناول ما بين (18,2) تكرار، وعند حساب (كا2) للدلالة الإحصائية للفروق في استجابات لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بالنسبة لكل نوع من الأطعمة المقترحة، تبين أن (14) نوعاً منها ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.05).

1/5 مناقشة النتائج:

1/1/5 للإجابة عن تساؤل البحث ما مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا؟

استخدم الباحث الأهمية النسبية كمؤشر لمستوى الثقافة الغذائية لكل نوع من الأطعمة المقترحة للمكونات الغذائية بالثلاثة وجبات (الإفطار، الغذاء، العشاء) في الاستبيان المطروح على عينة البحث، وبناء على آراء الخبراء اعتمدت النسب المئوية التالية:

– النسب المئوية من 75% – 100% تحقق مستوى عالي.
– النسب المئوية من 50% – أقل من 75% تحقق مستوى متوسط.
– النسب المئوية من 0% – أقل من 50% تحقق مستوى ضعيف.

أوضحت نتائج جدول (3) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالكربوهيدرات بوجبة الإفطار كانت بمستوى عالي في الأطعمة أرقام (20,16,13,5,3,1) حيث كانت النسب المئوية لإجابة عليها من قبل اللاعبين أكثر من (75%) ، وكانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (15,14,12,11,10,4) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (19,18,17,9,8,7,6,2) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى اللاعبين في هذا المكون الغذائي متوسطاً، حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون الكربوهيدرات في وجبة الإفطار (59.63%).

كما تبين من خلال نتائج جدول (4) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالكربوهيدرات بوجبة الغذاء، كانت بمستوى عالي في الأطعمة أرقام (18,17,13,6,4,2) حيث كانت النسب المئوية لإجابة عليها من قبل اللاعبين أكثر من (75%)، وكانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (20,19,14,10,9,8,7,1) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (16,15,12,115,3) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا في هذا المكون الغذائي متوسطاً، حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون الكربوهيدرات في وجبة الغذاء (61.01%).

يتبين من خلال نتائج جدول (5) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالكربوهيدرات بوجبة العشاء، كانت بمستوى عالي في الأطعمة أرقام (13,1) حيث كانت النسب المئوية لإجابة عليها من قبل اللاعبين أكثر من (75%)، وكانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (20,19,16,15,14,10,9,7,6,5,4,3,2) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (18,17,12,11,8) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا في هذا المكون الغذائي متوسطاً، حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون الكربوهيدرات في وجبة العشاء (57.58%).

يتبين من خلال نتائج جدول (6) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالبروتينات بوجبة الإفطار، كانت بمستوى عالي في الأطعمة أرقام (8) حيث كانت النسب المئوية لإجابة عليها من قبل اللاعبين أكثر من (75%)، وكانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (15,14,11,7,6) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (16,13,12,10,9,5,4,3,2,1) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا في هذا المكون الغذائي منخفضاً، حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون البروتينات في وجبة الإفطار (48.14%).

يتبين من خلال نتائج جدول (7) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالبروتينات بوجبة الغذاء كانت بمستوى عالي في الأطعمة أرقام (4,3,1) حيث كانت النسب المئوية لإجابة عليها من قبل اللاعبين أكثر من (75%)، وكانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (16,15,14,13,12,10,9,5,2) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (11,8,7,6) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا في هذا المكون الغذائي متوسطاً، حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون البروتينات في وجبة الغذاء (61.10%).

يتبين من خلال نتائج جدول (8) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالبروتينات بوجبة العشاء كانت بمستوى عالي في الأطعمة أرقام (4) حيث كانت النسب المئوية لإجابة عليها من قبل اللاعبين أكثر من (75%)، وكانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (16,15,14,12,11,9,8,53,2,1) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (13,10,7,6) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا في هذا المكون الغذائي متوسطاً حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون البروتينات في وجبة العشاء (59.37%).

يتبين من خلال نتائج جدول (9) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالدهون بوجبة الإفطار كانت بمستوى عالي في الأطعمة أرقام (10) حيث كانت النسب المئوية لإجابة عليها من قبل اللاعبين أكثر من (75%)، وكانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (12,11,9,5,2,1) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (14,13,8,7,6,4,3) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي

المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا في هذا المكون الغذائي منخفضاً، حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون الدهون في وجبة الإفطار (48.54%).

يتبين من خلال نتائج جدول (10) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالدهون بوجبة الغذاء كانت بمستوى عالي في الأطعمة أرقام (14,6) حيث كانت النسب المئوية لإجابة عليها من قبل اللاعبين أكثر من (75%)، وكانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (13,12,11,10,8,7,5,4) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (9,3,2,1) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا في هذا المكون الغذائي متوسطاً، حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون الدهون في وجبة الغذاء (59.65%).

يتبين من خلال نتائج جدول (11) أن درجة التحقق لأنواع الأطعمة المقترحة في المكون الغذائي والخاص بالدهون بوجبة العشاء والتي كانت بعيدة كل البعد عن المستوى العالي في الأطعمة المقترحة واقتصرت على المستوى المتوسط والضعيف، حيث كانت بمستوى متوسط في الأطعمة أرقام (14,13,12,11,10,8,7,6,5) بنسب مئوية أكثر من (50%) وكانت بمستوى ضعيف في الأطعمة أرقام (9,4,3,2,1) بنسب مئوية أقل من (50%) وقد كان مستوى الثقافة الغذائية لدى لاعبي المنتخب الأول لكرة القدم الخماسية بدولة ليبيا في هذا المكون الغذائي متوسطاً، حيث بلغت النسبة المئوية للأطعمة المقترحة بمكون الدهون في وجبة العشاء (53.13%).

1/6 الاستنتاجات والتوصيات

1/1/6 استنتاجات البحث:

في ضوء نتائج البحث توصل الباحث إلى الاستنتاجات التالية:

1- أن مستوى الثقافة الغذائية عند اللاعبين كان متوسطاً وهناك تركيز على أطعمة معينة في بعض المكونات مع إغفال أطعمة لها فائدة وقيمة أكثر من التي تم التركيز عليها.

2- قلة الوعي الغذائي من قبل أفراد العينة في فهم المكونات الغذائية الأساسية والربط بينها وبين الأطعمة الموجود بها هذه المكونات، وكذلك تناول بعض الأطعمة في غير موعدها الطبيعي.

3- لا توجد محاضرات ومنشورات وإرشادات غذائية للاعبين تزيد من فهمهم للمكونات الغذائية والأطعمة المرتبطة بها.

4- أشارت النتائج المتحصل عليها أن هناك تركيز من قبل أفراد العينة على الأطعمة الغنية بالبروتين الحيواني فقط دون التركيز على الأطعمة التي تحتوي على البروتين النباتي، ويرجع هذا التركيز بسبب الفهم الخاطئ لأفراد العينة، أن البروتين موجود فقط في اللحوم، مما يؤدي إلى عدم التنوع في الأطعمة الخاصة بهذا المكون والاستفادة منها.

5- التركيز على الأطعمة الموجودة في المكون الغذائي الكربوهيدرات، وهذا أمر طبيعي وذلك لاعتقاد اللاعبين أن أكثر سعرات حرارية يمكن الحصول عليها هي من الكربوهيدرات حيث يعطي كل 1 غرام 4 سعرات حرارية، ويحتاج جسم اللاعب حوالي 60% من السعرات الحرارية على شكل كربوهيدرات (أي حوالي 300 – 500 غرام) وحسب العمر.

2/1/6 توصيات البحث:

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحث بما يلى :

1- الاستفادة من نتائج الاستبيان المصمم من قبل الباحث في زيادة الثقافة الغذائية مع وضع برامج تثقيفية تهتم بالوعي الغذائي، ومعرفة المكونات الغذائية وما يرتبط بها من أطعمة للارتقاء بالمستوى والإنجاز الرياضي للاعبين.

2- إجراء محاضرات تثقيفية مع توزيع منشورات وإرشادات تسهم في رفع مستوى الثقافة الغذائية لدى اللاعبين.

3- توفير اختصاصي تغذية يشرف على البرامج الغذائية لدى اللاعبين قبل وأثناء وبعد المنافسات، مع وضع برامج غذائية أخرى في فترات الراحة وبين المسابقات الرياضية.

6- إنشاء لجنة علمية متخصصة في العلوم الرياضية داخل الاتحادات ولجان المنتخبات تهتم بتطوير اللاعبين على أسس علمية ومن هذه العلوم علم تغذية الرياضية.

7- إجراء أبحاث و دراسات مشابهة تهتم بالمنتخبات الوطنية بشكل عام والاستفادة من نتائج هذه الأبحاث والدراسات في تطوير اللاعبين للوصول إلى أفضل إنجاز رياضي لهم.

المـراجـع

1/1/7 المراجع باللغة العربية

1- أشرف محمد صالح عبد الحكيم: دراسة مقارنة الثقافة الغذائية لدى ناشئي ومدربي بعض الألعاب الفردية والجماعية، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية الرياضية، جامعة حلوان(2002) .

2- خالد بدر: أثر برنامج الثقافة الغذائية على الوعي الغذائي للمدرب الرياضي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة حلوان(2007).

3- زكريا حسن: دراسة مقارنة بين الرياضيين في المعلومات والاتجاهات الغذائية لطلاب المرحلة الثانوية بمحافظة دمياط، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنين، القاهرة، جامعة حلوان(1999).

4- سليمان الحوري: بناء مقياس للثقافة الغذائية للرياضيين وغير الرياضيين، مجلة المعلمين، جامعة ديالي كلية التربية الرياضية العراق(2001).

5- كمال عبد الحميد، وأبو العلاء عبد الفتاح: التغذية للرياضيين، الطبعة الأولى، مركز الكتاب للنشر(1991).

6- محمد العلي وخويلة قاسم: دراسة مدى الوعي الصحي الغذائي لدى لاعبي المنتخبات الرياضية في جامعة اليرموك، أربد، الأردن، ملخصات بحوث المؤتمر العلمي الدولي الثاني، المستجدات العلمية في التربية البدنية والرياضة، جامعة اليرموك، كلية التربية الرياضية، أربد الأردن(2007).

7- – محمد رشدي: التغذية في المجال الرياضي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر(1999).

8- محمد محمد الحماحمي: التغذية والصحة للحياة والرياضة، دار النشر والكتاب، القاهرة(2000).

9- مها أحمد فكري: العلاقة بين الثقافة الغذائية لذى مدربي الفرق الرياضية وبعض دلالات الصحة لدى اللاعبين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الرياضية بنين، جامعة الزقازيق(1995).

10- ميناس مشعل، ووليد الرحاحلة ومعاذ بطانية دراسة العلوم التربوية، المجلد 38، العدد 2012، الأردن(2012).

11- نشوان عبد الله: فن الرياضة والصحة، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن(2009).

12- يوسف لازم و صالح بشير أبو خيط: الأسس الفسيولوجية للتدريب في كرة القدم، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن(بدون تاريخ).

2/1/7 المراجع الأجنبية

13- Brien, G and Davies, M. Nutrition Knowledge and body mass index ,Health Education Research(2007) .

14- Dunn, Debra and Denny George. Nutrition Knowledge and Attitudes of college Athletes , The sport Journal , united states Sportacadimy (2007).

3/1/7 مراجع شبكة المعلومات (الأنترنت)

15-http://www.jcctv.net/index-85786710410046.42571208.html

أثر تقنية المعلومات والاتصالات ICT على إدارة الشركة العامة للكهرباء (الشركة العامة للكهرباء فرع الوسطي– دراسة حالة)

أ. أبوبكر عبدالله القطار & أ. عزالدين علي عياد *

الملخص:

هدفت الدراسة للتعرف على أثر ICT على إدارة الشركة العامة للكهرباء فرع الوسطى كدراسة حالة لغرض تقديم توصيات واقتراحات من شأنها أن تسهم في زيادة وتعزيز دور ICT. ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم اعتماد (82) استبيان من مجتمع العينة. وأُستخدم التحليل الإحصائي "اختبار الإشارة"، والبرنامج الإحصائي Minitab لاتخاذ القرار المناسب.

وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها، وضوح إيجابية استخدام أجهزة ICT، وإدراك تام من قبلهم لأهميتها وفوائدها ودورها في الرفع من مستوى الأداء وإنجاز أعمال إدارة الموارد البشرية بالشركة، وبالرغم من ذلك توجد بعض المعوقات منها: قلة المعرفة والاستخدام لبعض البرمجيات، ضعف التدريب ومواكبة التطور، وضعف تعاون الإدارات مع إدارة المعلوماتية بالشركة.

وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات أهمها زيادة اهتمام إدارة الشركة بمواكبة التطور المستمر والمتسارع لوسائل ICT، والعمل على رفع مستوى التعليم والتدريب على تقنياتها. وكذلك أتمتة الإدارات والاستغلال الأمثل للبنية التحتية للاتصالات بالشركة.

المقدمة:

يشهد عالمنا المعاصر حالياً ثورة هائلة في تقنية المعلومات والاتصالاتICT، والتي تعمل على سرعة الحصول على المعلومات ونشرها بأقصى سرعة ممكنة وبأقل تكاليف، فهي تعتبر معياراً للتطور والرقي وفرضت واقعاً جديداً يسعى دائماً إلى تحسين مستوى الأداء في مختلف المجالات، حيث لعبت تقنية المعلومات والاتصالات ICT ولا تزال تلعب دورا مهمًّا ومحوريا في إنجاز أعمال الكثير من المؤسسات في مجالاتها الإدارية والمالية والفنية وغيرها، بل وتجاوزت ذلك إلى المساعدة في صنع القرار.

* قسم الحاسوب – المعهد العالي للمهن الهندسية – مصراتة.

وبذلك اتجهت الدراسة إلى أثر تقنية المعلومات والاتصالات ICT على إدارة الشركة العامة للكهرباء بليبيا، باعتبارها إحدى أكبر الشركات الرائدة في البلاد، وأن تقنية المعلومات والاتصالات تمثل رافداً وداعماً لنشطات الشركة.

اعتمدت هذه الدراسة على منهجين هما الوصفي التحليلي ودراسة الحالة، وزعت عشوائياً على عينة من الموظفين من مختلق المستويات الإدارية بالشركة فرع الوسطي، قوامها 100 استمارة استبيان، باعتبار أن فروع الشركة العامة للكهرباء بليبيا لها نفس الطابع ونفس الظروف. وكذلك لقلة الإمكانيات المتاحة والظروف الأمنية، حالت دون إجراء الدراسة في كل فروع الشركة، وقد استخدمت الدراسة التحليل الإحصائي اختبار الإشارة وهو أحد الاختبارات الإحصائية اللامعلمية، وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي Minitab لاتخاذ القرار المناسب وذلك لدراسة دور استخدام التقنية الحديثة والمعلومات في إدارة الشركة.

مفهوم تقنية المعلومات والاتصالات ICT ومكوناتها:

نظراً لأهمية تقنية المعلومات والاتصالات واتساع مدى اهتمام المؤسسات بهذا الموضوع نتيجة للدور الذي تؤديه هذه التقنية في نجاح المنظمات على اختلاف تخصصاتها، وكذلك فإن تعدد استعمال ICT لتشمل جميع الحقول العلمية والعملية، فإنه يصعب وجود مفهوم موحد متفق علية وذلك لاختلاف وجهات النظر تبعاً للخلفيات العلمية للمستفيدين من هذه التقنية، إلا أن هنالك عناصر مشتركة ضمن عدة تعريفات التي قدمت من مختلف الباحثين في هذا المجال. ومن هذه التعريفات:

- الوسائل الآلية لمعالجة البيانات وتشمل جمع وتحليل ومعالجة وحفظ البيانات والمعلومات وتبادلها وتكوين قواعد للمعلومات اللازمة لإدارة النشاط المعني أو اتخاذ القرار المطلوب [2].
- الجانب التكنولوجي من نظام المعلومات الذي يشمل المكونات المادية والبرمجيات التي تعمل سوية من أجل الوصول إلى أهداف المنظمة [4].
- تلك الأدوات التي تستخدم لبناء نظم المعلومات التي تعاون الإدارة على استخدام المعلومات لدعم احتياجاتها في مجال اتخاذ القرارات والعمليات التشغيلية في المنظمة، وتتضمن البرامج الفنية والبرامج الجاهزة وقواعد البيانات وشبكات الربط بين الحاسبات وعناصر أخرى ذات علاقة [1].

تؤدي تقنية المعلومات أدوارها المهمة في المنظمات والمؤسسات من خلال تفاعل مجموعة من العناصر التي تشكل المكونات الأساسية لها، وشأنها شأن مفهوم تقنية المعلومات لم تشهد مكونات تقنية المعلومات أي اختلاف أو تباين ما بين الباحثين في إطار تحديدها، إذ يجمع العديد منهم على مجموعة مكونات أساسية لتقنية المعلومات التي يمكن تلخيصها في أجهزة الحواسيب

وملحقاتها، وقواعد البيانات، والشبكات والاتصالات، والرزم البرمجية، هذا بالإضافة للموارد البشرية والتي تشكل أهمية بالغة للنظام.

واقع ICT في الشركة العامة للكهرباء:

تعتبر الشركة العامة للكهرباء أحد الشركات الأساسية في ليبيا والتابعة وزارة الكهرباء والطاقة، ومن ضمن الإدارات التابعة للشركة الإدارة العامة للمعلوماتية وهي المعنية ببناء الشبكة المعلوماتية للشركة، ومتابعة التطور فيها بكل ما يمنحه مجال تقنية المعلومات من وسائل متقدمة ومتطورة؛ فمنذ عام 2005م بدأت الإدارة العامة للمعلوماتية بتصميم الشبكة المعلوماتية للشركة وفقاً للبيانات التي تم تجميعها ذات العلاقة بالبنية التحتية للاتصالات والمعلوماتية للمواقع المستهدفة بمشروع التطوير المالي والإداري والمعلوماتي بإشراف بعض الشركات المتخصصة، وصولاً إلى الوضع الحالي والذي يتمثل في ربط المدن الليبية الرئيسة بوسائط اتصالات عالية الاعتمادية والكفاءة، حيث تم تنفيذها وتطويرها ضمن مشاريع مركز التحكم الوطني ومراكز التحكم الجهوية والتي تغطي كامل الشريط الساحلي وجبل نفوسة والجنوب الليبي، وكذلك شبكة الكوابل الأرضية للاتصالات عبر الألياف البصرية التي تم تنفيذها بالمدن الليبية ضمن مشروع مراكز تحكم التوزيع التي تمكن الشركة من تحقيق مستهدفاتها وتسيير أعمالها على الوجه الأمثل [3].

وتسعى حاليا إدارة نظم الربط الشبكي بالشركة باستكمال تركيب الشبكات المعلوماتية المحلية بمختلف مواقع الشركة، من خلال فريق تقني مكون من كوادر فنية تضم مهندسين وفنيين ليبيين أكفاء، التابعين لدائرة التخطيط ومتابعة نظم الربط الشبكي ودائرة تركيبات الشبكات المعلوماتية، حيث يقوم الفريق التقني بإجراء عدد من المراحل الضرورية واللازمة في تجهيز المواقع المراد ربطها بالشبكة المعلوماتية الموحدة، والمتمثلة في:

- إجراء المسح الميداني.
- تجميع البيانات المطلوبة لإجراء الدراسات الفنية.
- تجهيز للمخططات وإعداد التصاميم الفنية للشبكات المعلوماتية.
- إعداد جداول حصر كميات المعدات والمواد اللازمة لتركيب الشبكات المعلوماتية المحلية للمواقع المستهدفة بالربط الشبكي المعلوماتي الموحد حسب المعايير القياسية.

ويتم تنفيذ أعمال التركيب لجميع مكونات الشبكة المحلية للمواقع بما في ذلك تركيب أجهزة الاتصالات وسحب كوابل الألياف البصرية وكوابل الشبكة وتجميعها وترقيمها وتركيب النهايات الخاصة بها وإجراء الاختبارات اللازمة لذلك والتشغيل ضمن الشبكة المعلوماتية الموحدة، وتختلف

طريقة ربط الشبكة المحلية LAN للمواقع استنادًا على الدراسة الفنية التي تحدِّد نوع وكيفية الربط مع شبكة الاتصالات الواسعة WAN فمنها المتصلة عبر كابل الألياف البصرية أو وصلة الميكروويف أو كابل الشبكة UTP، أو نقاط الوصول اللاسلكية وكذلك تم استخدام تقنية خطوط النقل الرقمي DSL عبر كوابل البريد النحاسية المؤجرة Leased Line في بعض المواقع.

ويستخدم فريق الربط الشبكي عدة برمجيات رئيسة لتسيير عمل الشبكة حفاظاً على تقديم خدمات الربط الشبكي الموحَّد لجميع التقسيمات الإدارية بالشركة للوصول إلى الأنظمة العاملة بالشركة بجودة عالية وبدون انقطاع وتتمثل هذه البرمجيات في الآتي:

- نظام مراقبة وإدارة موارد الشبكة: يتم اعتماد برنامج Solar Winds كمنظومة مراقبة وذلك حتى يسمح للفريق بتحديد الأعطال، وإخراج التقارير اللازمة لتحديد مستوى فعالية الشبكة.
- برنامج التحكم في الدخول ACS وذلك للتحكم في مستخدمي الشبكة الافتراضية VPN.
- برنامج إدارة الشبكة المحلية LMS حيث يقوم بإضافة جميع الأجهزة تلقائيا، ومن تم معرفة أغلب المعلومات التقنية عليها، وإمكانية التهيئة المحدودة لها.
- نظام الحماية تعتمد الشركة على وسائل حماية للشبكة، منها ما هو موجود بالشبكة الطرفية ويتمثل في الجدار الناري Firewall وخادم البروكسي Bluecoat Proxy بحيث يتم حماية الشبكة من التهديدات الخارجية، وتم اعتماد برنامج Kasper Sky كوسيلة حماية من الفيروسات والمخترقين.

وتوفر الشبكة المعلوماتية الموحدة بالشركة العامة للكهرباء لمستخدميها إمكانية التواصل مع المؤسسات الأخرى، وتتمثل الخدمات المتاحة في تصفح المواقع الالكترونية بالإنترنت، وخدمات البريد الإلكتروني، كما توجد بعض المنظومات الجاهزة مثل منظومة شؤون العاملين، ومنظومة المالية، ومنظومة خدمات المستهلكين [3].

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة منهجين من مناهج البحث هما الوصفي التحليلي ودراسة الحالة لكون الأول أكثر وأنسب المناهج البحثية ملائمة لوصف الحالة موضوع البحث، وتحليل البيانات وتفسيرها سعيا للوصول إلى مزيد المعرفة عن الموضوع، ولكون الثاني الأنسب لفهم أشمل وأعمق لتوفير الصورة الكلية عن الحالة موضوع الدراسة من خلال الجوانب المتعلقة بجمع البيانات والمعلومات، وقد استخدمت الدراسة التحليل الإحصائي اختبار الإشارة وهو أحد الاختبارات الإحصائية اللامعلمية، وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي Minitab لاتخاذ القرار المناسب وذلك لدراسة دور استخدام التقنية الحديثة والمعلومات في إدارة الشركة.

مجتمع الدراسة وأدوات جمع البيانات:

يتكون مجتمع الدراسة من عينة عشوائية من مختلف فئات الموظفين من مدراء وإداريين ومهندسين وفنيين وعاملين بالشركة العامة للكهرباء فرع المنطقة الوسطى، وبلغ عدد الاستبيانات المعتمدة (82)، حيث تم تصميم الاستبيان الذي استخدام كأداة لجمع البيانات باعتباره يعكس الواقع الحقيقي للشركة ويتيح جمع البيانات من عدد كبير من المستهدفين وبكامل حريتهم وبأقل مجهود وأسرع وقت، ومن تم تحليلها واستخلاص النتائج منها.

تحليل واختبار فرضيات الدراسة:

تناول هذا الجانب من التحليل اختبار فرضيات الدراسة للوصول إلى قرار بشأن رفض أو عدم رفض الفرض الصفري وذلك باستخدام البيانات التي تم الحصول عليها من الاستبيانات الموزعة على المشاركين في الدراسة وذلك باستخدام التحليل الإحصائي المناسب وهو اختبار الإشارة وذلك لدراسة أثر استخدام تقنية المعلومات والاتصالات على إدارة الموارد البشرية.

ثم استخدام اختبار الإشارة The Sign Test، باعتباره أحد الاختبارات الإحصائية اللامعلمية التي تجرى عندما تكون البيانات مقاسة بمقياس ترتيبي، وهو اختبار مقابل لاختيار t الأحادي (1^{st} sample t) الذي يجرى عندما تتبع البيانات التوزيع الطبيعي وفى هذه الدراسة قد تم استخدام اختبار الإشارة لأن البيانات ترتيبية، ويستخدم اختبار الإشارة لاختبار:

الفرض الصفري H0: أن وسيط درجة الموافقة حول عبارة يساوي قيمة محددة أو أقل.

الفرض البديل H1: أن وسيط درجة الموافقة حول هذه العبارة أكبر من هذه القيمة.

وقد تم اختبار هذه الفروض في هذه الدراسة على النحو التالي:

- الفرض الصفري H0: لا يوجد استخدام أو تطبيق لهذه التقنية.
- الفرض البديل H1: يوجد استخدام أو تطبيق لهذه التقنية.

وقد أعطيت البيانات القيم والرتب التالية:

البيان	معدومة	منخفضة	متوسطة	عالية	الوسيط
الرتبة	1	2	3	4	2.5

البيان	غير موافق نهائيا	غير موافق	لا ادري	موافق	موافق بشدة	وسيط
الرتبة	1	2	3	4	5	3

ولاتخاذ قرار حول هذه الفرضية تم استخدام برنامج Minitab لإجراء التحليل الإحصائي والوصول إلى اتخاذ القرار التالي:

1- إذا كانت قيمة مستوى المعنوية المشاهد (P-value) أكبر من 0.05 فهذا يدل على قبول الفرض الصفري أي أنه لا يوجد استخدام أو تطبيق لهذه التقنية.

2- إذا كانت قيمة مستوى المعنوية المشاهد (P-value) أصغر من أو تساوي 0.05 فهذا يدل على رفض الفرض الصفري وقبول الفرض البديل وأنه يوجد استخدام أو تطبيق لهذه التقنية.

مدى معرفة واستخدام بعض أجهزة ICT:

تمت دراسة مجالات استخدام بعض الأجهزة التقنية في مجتمع الدراسة عن طريق عينة الدراسة لاختبار الفرضية التالية:

- الفرض الصفري H_0: لا يوجد استخدام لهذه الأجهزة.
- الفرض البديل H_1: يوجد استخدام لهذه الأجهزة.

وتم اختبار هذه الفرضية لكل فقرة من فقرات الاستبيان الخاصة بهذه الفرضية عن طريق اختبار الإشارة الإحصائي وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي Minitab وكانت النتائج كما بالجدول رقم (1).

الجدول رقم (1) يبين نتائج التحليل الإحصائي
لمدى معرفة واستخدام بعض أجهزة ICT

العبارة	معدومة		منخفضة		متوسطة		عالية		مستوى المعنوية المشاهد P-value	القرار
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
1 حاسب PC وطابعة Printer	8	11.9	4	6.0	32	47.8	23	34.3	0.0000	رفض H0
2 حاسوب خادم شبكةServer	13	33.3	8	20.5	13	33.3	5	12.8	0.7388	قبول H0
3 هاتف محمولMobile Phone	14	35.0	5	12.5	12	30.0	9	22.5	0.4373	قبول H0
4 أجهزة الاتصال بالإنترنت Internet	2	3.3	١٦	19.7	28	45.9	19	31.1	0.0000	رفض H0
5 شبكة داخلية LAN	18	40.9	4	9.1	11	25.0	11	25.0	0.5598	قبول H0
6 الشبكة الإفتراضية الخاصة VPN	19	63.3	6	20.0	3	10.0	2	6.7	1.0000	قبول H0
7 الأجهزة الذكيةSmart Devices	7	14.0	6	12.0	24	48.0	13	26.0	0.0005	رفض H0
8 فاكس Fax	9	22.5	4	10.0	13	32.5	14	35.0	0.0192	رفض H0
9 ماسح ضوئي Scanner	17	48.6	5	14.3	5	14.3	8	22.9	0.9552	قبول H0
10 كاميرا رقمية Digital Camera	13	34.2	7	18.4	10	26.3	8	21.1	0.6864	قبول H0
11 أقراص ليزرية(CD , DVD)	8	18.6	9	20.9	10	23.3	16	37.2	0.1110	قبول H0
12 وحدات تخزينHD ,Flash	9	16.4	5	9.1	22	40.0	19	34.5	0.0002	رفض H0
13 جهاز GPS	14	32.6	7	16.3	16	37.2	6	14.0	0.5000	قبول H0
14 أخرى	10	62.5	3	18.8	3	18.8	16	100.0	0.9979	قبول H0
العـــــام	-	-	-	-	-	-	-	-	0.0324	رفض H0

نستنتج من الجدول رقم (1) أن العبارات (1,4,7,8,12) ترفض الفرض الصفري وتقبل البديل، أي أنه يوجد معرفة واستخدام لبعض أجهزة تقنية المعلومات والاتصالات؛ أما العبارات (2,3,5,6,9,10,11,13,14) فإنها تقبل الفرض الصفري، أي أنه لا يوجد معرفة واستخدام لبعض أجهزة تقنية المعلومات والاتصالات لهذه الأجهزة. وبصفة عامة فإنه من خلال النتائج بالجدول أعلاه نجد أن مستوى المعنوية المشاهدP-value أصغر من 0.05، وهذا يدل على رفض الفرض الصفري وقبول البديل، أي أنه يوجد معرفة واستخدام لبعض أجهزة تقنية المعلومات والاتصالات، وخاصةً أجهزة الحاسوب الشخصية والطابعات والأجهزة الذكية وبعض وحدات التخزين مثل الأقراص الخارجية External HD، والذاكرة الوميضية Flash.

معرفة البرمجيات ومدى استخدامها:

تمت دراسة معرفة البرمجيات ومدى استخدامها في مجتمع الدراسة عن طريق عينة الدراسة لاختبار الفرضية التالية:

- الفرض الصفري H_0 :لا يوجد معرفة بالبرمجيات ومدى استخدامها.
- الفرض البديل H_1 : يوجد معرفة بالبرمجيات ومدى استخدامها.

وتم اختبار هذه الفرضية لكل فقرة من فقرات الاستبيان الخاصة بهذه الفرضية عن طريق اختبار الإشارة الإحصائي وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي Minitab وكانت النتائج كما بالجدول رقم (2).

جدول رقم (2) يبين نتائج التحليل الإحصائي لمدى معرفة البرمجيات ومدى استخدامها

العبارة	معدومة		منخفضة		متوسطة		عالية		مستوى المعنوية المشاهد P-value	القرار
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
1 نظام تشغيل النوافذ Windows	6	10.0	3	5.0	30	50.0	21	35.0	0.0000	رفض H0
2 حزمة أوفيس MS-Office	7	15.6	10	22.2	15	33.3	13	28.9	0.0676	قبول H0
3 التصفح والبحث في الإنترنت	2	3.4	9	15.5	26	44.8	21	36.2	0.0000	رفض H0
4 إرسال وقراءة الرسائل البريدية email	6	11.1	8	14.8	24	44.4	16	29.6	0.0003	رفض H0
5 طباعة التقارير والرسائل	1	1.6	7	11.1	31	49.2	24	38.1	0.0000	رفض H0
6 نقل وتبادل الملفات	4	8.2	8	16.3	15	30.6	22	44.9	0.0002	رفض H0
7 المحادثة وتبادل الرسائل القصيرة	2	4.2	13	27.1	20	41.7	13	27.1	0.0066	رفض H0
8 الحوار والتواصل الاجتماعي	4	8.2	14	28.6	19	38.8	12	24.5	0.0427	رفض H0
9 التعامل وإعدادات الشبكات	18	40.0	11	24.4	13	28.9	3	6.7	0.9822	قبول H0
10 تنصيب وإزالة البرامج والأجهزة	18	38.3	12	25.5	10	21.3	7	14.9	0.9800	قبول H0
11 تصميم المواقع الإلكترونية	32	74.4	9	20.9	0	0.0	2	4.7	1.0000	قبول H0
12 منظومات إدارية ومالية	28	59.6	10	21.3	6	12.8	3	6.4	1.0000	قبول H0
13 الأنظمة الخبيرة والذكاء الاصطناعي	34	82.9	4	9.8	2	4.9	1	2.4	1.0000	قبول H0
14 منظومة شركة الكهرباء GECOL	30	83.3	4	11.1	2	5.6	0	0.0	1.0000	قبول H0
15 أخرى	13	76.5	4	23.5	0	0.0	0	0.0	1.0000	قبول H0
العام	-		-		-		-		0.8998	قبول H0

نستنتج من الجدول رقم (2) أن العبارات (1,3,4,5,6.7,8) ترفض الفرض الصفري وتقبل البديل، أي أنه يوجد معرفة واستخدام لهذه البرمجيات؛ أما العبارات (2,9,10,11,13,14,15) فإنها تقبل الفرض الصفري، أي أنه لا يوجد معرفة واستخدام لهذه البرمجيات، وبصفة عامة فإنه من خلال النتائج بالجدول أعلاه نجد أن مستوى المعنوية المشاهد P−value أكبر من 0.05 وهذا يدل قبول الفرض الصفري أي أنه لا يوجد معرفة وإستخدام لمعظم هذه البرمجيات، على الرغم وجود معرفة عند بعض أفراد العينة ببعض البرمجيات مثل الطباعة واستخدام نظام تشغيل النوافذ والتصفح والبحث في الانترنت.

دراسة إيجابيات تقنية المعلومات والاتصالات:

تمت دراسة ايجابيات التطور التقني في مجتمع الدراسة عن طريق عينة الدراسة لاختبار الفرضية التالية:

- الفرض الصفري H_0: لا يوجد إيجابية لاستخدام تقنية المعلومات والاتصالات.
- الفرض البديل H_1 : يوجد إيجابية لاستخدام تقنية المعلومات والاتصالات.

وتم اختبار هذه الفرضية لكل فقرة من فقرات الاستبيان الخاصة بهذه الفرضية عن طريق اختبار الإشارة الإحصائي وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي Minitab وكانت النتائج كما بالجدول رقم (3).

جدول رقم (3) يبين نتائج التحليل الإحصائي لإيجابية استخدام ICT

العبارة	غير موافق نهائيا		غير موافق		لا أدري		موافق		موافق بشدة		مستوى المعنوية المشاهد P-value	القرار
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
1 تعمل ICT على توفير الوقت في إعداد التقارير	0	0.0	1	1.2	0	0.0	24	29.3	57	69.5	0.0000	رفضH0
2 استخدام ICT يدعم تنسيق العمل في الشركة	1	1.3	5	6.3	2	2.5	31	39.2	40	50.6	0.0000	رفضH0
3 تساهم ICT على خصوصية وسرية العمل	1	1.3	8	10.4	13	16.9	32	41.6	23	29.9	0.0000	رفضH0
4 استخدام ICT يبسط الإجراءات	0	0.0	1	1.2	4	4.9	33	40.2	44	53.7	0.0000	رفضH0
5 تسجيل المعاملات آليا يسهّل متابعتها	0	0.0	3	3.8	3	3.8	30	38.5	42	53.8	0.0000	رفضH0
6 توفر ICT قواعد بيانات ترشّد القرارات	1	1.2	2	2.4	12	14.6	30	36.6	37	45.1	0.0000	رفضH0
7 ICT تدعم قنوات الاتصال بين الوحدات الإدارية	1	1.3	0	0.0	5	6.5	30	39.0	41	53.2	0.0000	رفضH0
8 الاعتماد على ICT يرفع كفاءة الأداء	0	0.0	3	3.8	5	6.3	32	40.5	39	49.4	0.0000	رفضH0
9 تساهم ICT في دعم الجانب الأمني للشركة	0	0.0	6	7.4	16	19.8	26	32.1	33	40.7	0.0000	رفضH0
10 عمل ICT على التنبؤ بالمشاكل واقتراح حلولها	1	1.3	7	9.1	29	37.7	18	23.4	22	28.6	0.0000	رفضH0
11 ساهم ICT في تبادل المعلومات بين الفروع	0	0.0	1	1.3	5	6.3	33	41.3	41	51.3	0.0000	رفضH0
12 حفظ المعلومات بواسطة ICT ضرورة للمتابعة	0	0.0	2	2.6	12	15.6	24	31.2	39	50.6	0.0000	رفضH0
العـــــام	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	0.0000	رفضH0

نستنتج من الجدول رقم (3) أن كل عبارات الجدول (من 1 إلى 12) ترفض الفرض الصفري وتقبل البديل، أي أنه يوجد فهم لإيجابية استخدام تقنية المعلومات والاتصالات، ومن خلال النتائج بالجدول أعلاه نجد أن مستوى المعنوية المشاهد P−value أصغر من 0.05، وهذا يدل على رفض الفرض الصفري وقبول البديل، وبصفة عامة فإنه يوجد قناعة تامة عند كل أفراد عينة الدراسة بأهمية ودور تقنية المعلومات والاتصالات في التطوير والرفع من مستوى الأداء في الشركة.

دراسة معوقات تطبيق التقنية:

تمت دراسة معوقات تطبيق التقنية في مجتمع الدراسة عن طريق عينة الدراسة لاختبار الفرضية التالية:

- الفرض الصفري H_0 :لا توجد معوقات لتطبيق التقنية.
- الفرض البديل H_1 : توجد معوقات لتطبيق التقنية.

وتم اختبار هذه الفرضية لكل فقرة من فقرات الاستبيان الخاصة بهذه الفرضية عن طريق اختبار الإشارة الإحصائي وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي Minitab وكانت النتائج كما بالجدول رقم (4).

جدول رقم (4) يبين نتائج التحليل الإحصائي لمعوقات تطبيق ICT

العبارة	غير موافق نهائيا		غير موافق		لا أدري		موافق		موافق بشدة		مستوى المعنوية المشاهد P-value	القرار
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
1 ضعف التدريب علىICT يعيق تقدم العمل	0	0.0	2	2.6	2	2.6	29	37.7	44	57.1	0.0000	رفضH0
2 مستوى التعليم يؤثر على جودة استخدام ICT	1	1.3	1	1.3	2	2.6	33	42.9	40	51.9	0.0000	رفضH0
3 ارتفاع تكلفة ICT يعيق تطوير الشركة	5	6.3	23	28.8	17	21.3	24	30.0	11	13.8	0.2248	قبول H0
4 إساءة استخدام ICT يحد من الاستفادة منها	0	0.0	4	5.4	9	12.2	37	50.0	24	32.4	0.0000	رفضH0
5 عدم اهتمام الإدارة بـ ICT يحد من استخدامها	0	0.0	24	4.9	7	8.5	38	46.3	33	40.2	0.0000	رفضH0
6 الهاتف والفاكس يقلل من الاهتمام بـ ICT	2	2.7	4	32.9	12	16.4	21	28.8	14	19.2	0.1528	رفضH0
7 التردد في استخدام ICT خوفا من نتائجه	0	0.0	4	7.0	20	35.1	20	35.1	13	22.8	0.0000	رفضH0
8 ضعف تعاون الإدارات مع إدارة المعلوماتية	1	1.3	8	10.5	12	15.8	31	40.8	24	31.6	0.0000	رفضH0
9 الشعور بفقد الوظيفة من استخدامICT يحد منها	7	8.9	21	26.6	13	16.5	22	27.8	16	20.3	0.1340	رفضH0
10 قلة ضمان السرية لـ ICT يحد من استخدامها	3	3.9	15	19.5	19	24.7	28	36.4	12	15.6	0.0029	رفضH0
11 ضعف مواكبة تطورICT يحد من فائدتها	1	1.3	6	7.8	8	10.4	39	50.6	23	29.9	0.0000	رفضH0
12 اعتماد الخبرة فقط لنيل المعلومات يحد من ICT	2	2.5	15	18.8	20	25.0	29	36.3	14	17.5	0.0006	رفضH0
العـــــام	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	0.0000	رفضH0

نستنتج من الجدول رقم (4) أن العبارات (1,2,4,5,7,8,10,11,12) ترفض الفرض الصفري وتقبل البديل، أي أنه يوجد معوقات لاستخدام أو تطبيق لتقنية المعلومات والاتصالات؛ أما العبارات (3,6,9) فإنها تقبل الفرض الصفري، أي أنه لا يوجد معوقات لاستخدام أو تطبيق لهذه التقنية، وبصفة عامة فإنه من خلال النتائج بالجدول أعلاه نجد أن مستوى المعنوية المشاهد P–value أصغر من 0.05 وهذا يدل على رفض الفرض الصفري وقبول البديل، أي أنه يوجد معوقات لاستخدام أو تطبيق ICT، مثل ضعف التدريب ومواكبة التطور، ضعف مستوى التعليم وإساءة استخدام هذه التقنية، قلة اهتمام إدارة الشركة بـICT و ضعف تعاون الإدارات مع إدارة المعلوماتية.

علاقة وسائل تقنية المعلومات والاتصالات بالموارد البشرية:

تمت دراسة العلاقة بين وسائل التقنية الحديثة والموارد البشرية في مجتمع الدراسة عن طريق عينة الدراسة لاختبار الفرضية التالية:

الفرض الصفري H_0: لا توجد علاقة بين وسائل تقنية المعلومات والاتصالات والموارد البشرية.

الفرض البديل H_1 : توجد علاقة بين وسائل تقنية المعلومات والاتصالات والموارد البشرية.

وتم اختبار هذه الفرضية لكل فقرة من فقرات الاستبيان الخاصة بهذه الفرضية عن طريق اختبار الإشارة الإحصائي وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي Minitab وكانت النتائج كما بالجدول رقم (5).

جدول رقم (5) يبين نتائج التحليل الإحصائي للعلاقة بين ICT بالموارد البشرية

العبارة	غير موافق نهائيا		غير موافق	لا أدري	موافق		موافق بشدة		مستوى المعنوية المشاهد P-value	القرار
	العدد	النسبة			العدد	النسبة	العدد	النسبة		
1 مفهوم استخدام ICT في الموارد البشرية واضح لك	3	3.8	14	13	37	46.8	12	15.2	0.0001	رفض H0
2 استخدام ICT بالشركة يؤثر على الموارد البشرية	2	2.5	6	10	39	48.1	24	29.6	0.0000	رفض H0
3 الأفضل للإدارة التوظيف عبر الانترنت	4	5.2	16	17	24	31.2	16	20.8	0.0071	رفض H0
4 الأفضل للإدارة تأهيل عاملينها باستخدام ICT	1	1.3	3	3	28	35.0	45	56.3	0.0000	رفض H0
5 الأفضل للموظف التأهيل بـ ICT لإثبات مكانته	1	1.3	8	5	26	33.3	38	48.7	.0.0000	رفض H0
6 ICT تسهّل الوصول لمعلومات الموارد البشرية	0	0.0	2	5	41	51.3	32	40.0	0.0000	رفض H0
7 نظام معلومات الأفراد يسهّل التعامل مع المعلومات	1	1.3	0	3	37	47.4	37	47.4	0.0000	رفض H0
8 استخدام ICT بإدارة الموارد البشرية يقلل الأخطاء	0	0.0	5	13	31	39.2	30	38.0	0.0000	رفض H0
9 استخدام ICT بالإدارة يحسّن الخدمات للموظفين	0	0.0	0	6	29	36.7	44	55.7	0.0000	رفض H0
10 استخدامICT بالموارد البشرية يفعّل دور الوظيفة	1	1.3	0	4	33	42.3	40	51.3	0.0000	رفض H0
11 توفر ICT بإدارة الموارد البشرية العمل عن بعد	1	1.2	4	16	31	37.8	30	36.6	0.0000	رفض H0
12 تعطيICT لإدارة الموارد دور في اتخاذ القرار	0	0.0	2	9	35	45.5	31	40.3	0.0000	رفض H0
13 كثرة أعطال ICT يخل بدور إدارة الموارد	3	3.9	5	16	21	27.3	32	41.6	0.0000	رفض H0
العـــــام	-	-	-	-	-	-	-	-	0.0000	رفض H0

نستنتج من الجدول رقم (5) أن كل العبارات (من 1 إلى 13) ترفض الفرض الصفري وتقبل البديل، أي أنه يوجد فهم للعلاقة بين وسائل تقنية المعلومات والاتصالات ICT والموارد البشرية، ومن خلال النتائج بالجدول أعلاه نجد أن مستوى المعنوية المشاهد P-value أصغر من 0.05، وهذا يدل رفض الفرض الصفري وقبول البديل، وبصفة عامة فإنه كل أفراد عينة الدراسة على معرفة تامة بوجود علاقة قوية ومؤثرة بين وسائل تقنية المعلومات والاتصالات والموارد البشرية بالشركة.

الاستنتاجات:

من خلال المنهج الذي اتبع في الدراسة تم التوصل إلى النتائج التالية:

1- يوجد لدى معظم عينة الدراسة، معرفة واستخدام لبعض أجهزة تقنية المعلومات والاتصالات.

2- لا يوجد لدى معظم عينة الدراسة معرفة واستخدام لبعض برمجيات تقنية المعلومات والاتصالات.

3- هناك وضوح لدى معظم عينة الدراسة لإيجابية استخدام تقنية المعلومات والاتصالات وإدراك تام من قبلهم لأهميتها وفوائدها ودورها في الرفع من مستوى الأداء بالشركة الأمر الذي يساعد على تبنى استخدام تقنية الاتصالات والمعلومات لدى الشركة العامة للكهرباء بليبيا.

4- يوجد معوقات لاستخدام وتطبيق تقنية المعلومات والاتصالات بالشركة العامة للكهرباء بليبيا، مثل ضعف التدريب ومواكبة التطور، ضعف مستوى التعليم وإساءة استخدام هذه التقنية، قلة اهتمام إدارة الشركة بـ ICT وضعف تعاون الإدارات مع إدارة المعلوماتية.

5- يوجد فهم لدى معظم عينة الدراسة بعلاقة ودور وسائل تقنية المعلومات والاتصالات على إنجاز أعمال إدارة الموارد البشرية، وبأهمية ودور هذه التقنية في التطوير في أداء الشركة العامة للكهرباء بليبيا.

التوصيات:

1- العمل على رفع مستوى التعليم لدى الموارد البشرية بالشركة، وتأهيلهم وتدريبهم على تقنيات المعلومات والاتصالات من خلال إقامة الدورات التدريبية وورش العمل المتكررة.

2- مواكبة التطور المستمر والمتسارع لوسائل تقنية المعلومات والاتصالات ICT.
3- اهتمام إدارة الشركة بتوطين وسائل تقنية المعلومات والاتصالات بإداراتها وفروعها، لتسهيل الوصول للمعلومات المطلوبة بسرعة ودقة متناهية.
4- قيام إدارة الشركة بالتوجيه الرسمي لدعم طرق التواصل والتعاون بين مختلف إدارات الشركة وإدارة المعلوماتية.
5- الاستغلال الأمثل للبنية التحتية للاتصالات بالشركة والمتمثلة في الكوابل الأرضية عبر الألياف البصرية لربط فروع الشركة بالمدن الليبية كافة.
6- تفعيل ودعم العمل بالمنظومات المختلفة لأتمتة إدارات الشركة وتطويرها.

المراجع

[1] ثابت عبدالرحمن إدريس، نظم المعلومات الإدارية في المنظمات المعاصرة، الدار الجامعية، القاهرة، 2005م.

[2] عبد الخرابشة، منظمة التجارة العالمية (WTO) ومهنة تدقيق الحسابات، مؤتمر جمعية المحاسبين القانونيين الأردنيين، عمان، 2000.

[3] مبروك نشوان، 2012م، إدارة نظم الربط الشبكي، مجلة الكهرباء أخبار وآراء، طرابلس، عدد 5، ص6.

[4] Turban, E., Miclean E., wetherbe, J., westfall, R., & Raine, K., Information Technology for management, Making connections, 1999.

صورة الجسم وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير بمدينة مصراته

د. حسين محمد الاطرش*

ملخص البحث

يتلخص البحث الحالي في التعرف على صورة الجسم وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراته، على عينة قوامها (30) وتم تطبيق مقياس صورة الجسم ومقياس التوافق النفسي الاجتماعي، والإجابة عن تساؤلات البحث استخدمت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومعامل الارتباط واختبار(ت) وقد أشارت نتائج البحث الى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين صورة الجسم والتوافق النفسي الاجتماعي لا توجد فروق دالة إحصائيا في صورة الجسم لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة وفقا لمتغير العمر ومكان البتر، وتوجد فروق دالة إحصائيا في صورة الجسم لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية، ولا توجد فروق دالة إحصائيا في التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة وفقا لمتغير العمر ومكان البتر، وتوجد فروق دالة إحصائيا في التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية.

مقدمة البحث

تترك الحروب والثورات على مر العصور الكثير من الكوارث والجرائم والتدمير ومن أكثر عواقبها المؤثرة ما يتعلق بالإصابات الإنسانية كالإعاقات ، والتشوهات الجسدية التي ترافق صاحبها طوال الحياة

وفي حرب التحرير في ليبيا استخدمت أدوات القتل والتدمير من قبل كتائب الطاغية ومرتزقته بوحشية، فتم استخدام الأسلحة الفتاكة المدمرة للإنسان والبنيان والأرض، وليس هذا فحسب، فقد تركت حرب التحرير آلامًا ومعاناة بين أفراد الشعب الليبي إلا أن ظاهرة البتر كانت ملحوظة بكثرة من قبل وسائل الإعلام والمؤسسات الصحية والاجتماعية، ومع تزايد حالات البتر تتزايد معاناة المصابين

* كلية الآداب – جامعة مصراتة.

الذين تسوء حالتهم بمرور الوقت حيث تتفاقم وتتضاعف الآثار الصحية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية لتلك الحالات، حيث يعتبر البتر في حد ذاته إعاقة لما فيها من فقدان لأحد أطراف الجسم، والمتضرر بالبتر يمر بمراحل متعددة غيرت منظومة الإحساس بالأمن والسلام لديه.

ومما لاشك فيه إن الفئات الاجتماعية التي تواجه مشاكل معقدة وحساسة في مختلف المجتمعات هي فئة المعاقين، حيث إن الإعاقة عموما والبتر خصوصا يمثل مشكلة جسمانية اجتماعية ونفسية تؤثر على الأفراد وعلى المجتمع حيث يشعر المبتور بمعاناة قد تصل لدرجة الاضطراب ويشمل هذا الاضطراب نموذجا أشمل يتكون من الأبعاد البيولوجية والنفسية والاجتماعية. (الليل، 1998: 45)

وإن من التغيرات التي تحدث للفرد المبتور والتي تصبح خصوصية تميزه عن الآخرين هي صورة الجسم فقد تؤثر هذه الصورة المطبوعة في ذهن المبتور على توافقه النفسي الاجتماعي.

إن صورة الجسم لدى الأفراد عامة والمبتورين خاصة تشكل من مصادر شعورية ولاشعورية وتمثل مكونا أساسيا في مفهومنا عن ذواتنا. (عبدالستار، 2007 : 67)

إن التوافق بأبعاده المختلفة له أهمية كبيرة في حياة الفرد والجماعة، وإن كل مجالات الحياة التي يتفرع منها علم النفس يمكن النظر إليها من زاوية التوافق أو عدم التوافق والشخصية السوية تكون نتيجة مباشرة للتوافق الجيد وهي التي تحدد قدرة الفرد على التوافق مع نفسه وبيئته وهناك عدة صفات ومظاهر للتوافق يتميز بها صاحب السلوك السوي من حيث التوافق والصحة النفسية حتى يمكن التغلب على بعض عيوب المحاكاة: منها تقبل الفرد لنفسه ولإمكانياته، ففكرة المرء عن نفسه وتقبله لإمكانياته واستعداداته تساعده على التوافق مع الآخرين. (فهمي ، 1976 : 24)

ومن مظاهر التوافق كذلك تعدد اهتمامات الفرد وقدرته على تحمل المسؤولية ، فتعدد اهتمامات الفرد وعدم تركيزه على جانب واحد من الحياة يتيح له فرصة كبيرة للاستمتاع بالحياة، وهذه التعددية وما يعقبها من مرونة تعتبر إحدى مؤشرات التوافق النفسي السويّ، وقدرة الفرد على تقبل المسؤولية، وإدارة شؤون حياته واتخاذ قراراته تعد دليلا على اعتماده على نفسه وبالتالي نضجه الوجداني والاجتماعي وتوافقه النفسي والاجتماعي. (عطية، 1997 : 34)

والنجاح في العمل والنظرة الإيجابية للحياة وتقبلها أيضا هي من صفات ومظاهر التوافق النفسي السليم، فالنجاح في العمل يعد من إحدى الدعامات المهمة في حياة الإنسان والرضا عن العمل ينعكس على حياة الفرد ونفسيته وبالتالي توافقه النفسي والنظرة الإيجابية للحياة وتقبلها هي من أهم الدعامات المهمة ومحاولة إصلاح ما يمكن إصلاحه ومساهمته البناءة في الحياة تمثل دعما مهمًا لصحته النفسية، فالاتجاه الإيجابي السوي هو لب التوافق والصحة النفسية السليمة. (الطيب، 1990: 34)

وقد أكد (ستافيري) على أن صورة الجسم لها أثر بالغ على تفاعل الفرد الاجتماعي، ويؤثر نتائج هذا التفاعل على نمو وتطور الشخصية. (مجلة علم النفس، العدد 39، 1996 :9-8)

حيث إنه من المتعارف عليه أن ثقافة المجتمع هي التي تضع المعايير الجسدية للجسم المثالي ويأتي اهتمام الباحث بهذا البحث لما له من أثر علي توضيح العالم الخاص الذي يعيشه الاشخاص مبتوري الاطراف والاضطرابات التي تعاني منها هذه الفئة ومدى تقبله لصورة جسمه وتأثير ذلك علي توافقهم النفسي الاجتماعي.

مشكلة البحث

إن أهم ما دفع الباحث وحفزه للبحث الحالي هو أن بعض مبتوري الأطراف يرون بأن البتر إعاقة تحد من نمو قدراتهم وإمكانياتهم الخاصة وأن الآمال والطموحات التي بنوها لأنفسهم قبل الإصابة قد تبددت وأن حياتهم أصبحت تعتمد على مساعدة الآخرين لهم، كما يسودهم نوع من الترقب الحذر لمستقبلهم القادم وتخوفهم من مستوى الخدمات المقدمة لهم وأن تغير المظهر العام لشكل أجسامهم نتيجة الإعاقة يشعرهم بالإحراج أمام الناس ولذلك يحاولون إخفاءها بالابتعاد عن الآخرين وبالنظر لما تعانيه هذه الفئة من المجتمع من الصعوبات وسوء أو انخفاض مستوى توافقهم النفسي والذي يؤثر بدوره سلبا على برامج العلاج الطبي والطبيعي، ونظرا لإهمال هذا الجانب العلاجي المهم (العلاج النفسي) عند التعامل مع المرضى والمعاقين في بلادنا وخاصة الإعاقات الدائمة التي تلازم الشخص طوال حياته مثل حالات البتر، وما يأمله الباحث من رفع مستوى خدمات العلاج الطبيعي والتأهيل لجعل المريض يتقبل مرضه أو إعاقته ويتكيف معها لكي يمارس نشاطات حياته بشكل أقرب للطبيعي قدر الإمكان بين أفراد أسرته بشكل خاص وفي المجتمع بشكل عام.

ومما سبق فإن مشكلة البحث تتحدد في الإجابة على التساؤلات الآتية:

س1. ما مستوى صورة الجسم لدى عينة من مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة؟

س2. ما مستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة؟

س3. إلى أي مدى توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين صورة الجسم والتوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة؟

س4. إلى أي مدى توجد فروق ذات دلالة إحصائية في صورة الجسم لدى عينة من مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة تبعا لمتغير (العمر – الحالة الاجتماعية –نوع البتر).

س5. إلى أي مدى توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة تبعا لمتغير (العمر – الحالة الاجتماعية – نوع البتر).

أهداف البحث:

1. التعرف على مستوى صورة الجسم من وجهة نظر مبتوري الأطراف .
2. التعرف على مستوى التوافق النفسي الاجتماعي من وجهة نظر مبتوري الأطراف.
3. التعرف على نوع العلاقة بين صورة الجسم والتوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة.
4. التعرف إلى الفروق ذات الدلالة الإحصائية في صورة الجسم لدى مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير تبعا لمتغير. (العمر – الحالة الاجتماعية – نوع البتر).
5. التعرف إلى الفروق ذات الدلالة الإحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى مبتوري الأطراف بعد حرب التحرير تبعا لمتغير(العمر – الحالة الاجتماعية – نوع البتر).

أهمية البحث:

تكمن أهميه هذا البحث في:

1. التعرف على احتياجات مبتوري الأطراف وما تواجههم من اضطرابات تتعلق بمدى تقبلهم لصورة الجسم وتأثير ذلك على توافقهم النفسي الاجتماعي.
2. يستفيد العاملون في مجال التأهيل وعلم النفس من هذا البحث في الوقوف على احتياجات هذه الفئة وتقديم الخدمات لهم.
3. مساعدة مبتوري الأطراف على مواجهة ضغوط وتحديات الحياة المستقبلية في ظل الظروف التي خلفتها الإعاقة.
4. وتستفيد كذلك مؤسسات الدولة في إقامة مراكز تختص بالمبتورين والأطراف الصناعية وتقديم الخدمات العلاجية والتأهيلية.
5. وتستفيد منه الأسر الليبية في الوقوف على احتياجات أبناءهم وحل مشكلاتهم.
6. ندرة الدراسات والبحوث حول هذا الموضوع والتي يفتقر لها المجتمع الليبي حسب علم الباحث.

حدود البحث:

تم إجراء البحث الحالي في سنة 2014 –2015م. على الأفراد الذين فقدوا طرف أو أكثر من أطراف الجسم الحركية خلال حرب التحرير واقتصر البحث على عينة من الذكور فقط نظرا لقلة إصابة الإناث بالبتر خلال حرب التحرير بمدينة مصراتة.

مصطلحات البحث:

صورة الجسم

تعرف على أنها تصور عقلي أو صورة ذهنية يكونها الفرد وتسهم في تكوينها خبرات الفرد من خلال ما يتعرض له من أحداث ومواقف وبناء على ذلك فإن صورة الجسم قابلة للتعديل والتطوير. (كفافي ، والنيال ، 1996)

التعريف الإجرائي لصورة الجسم

هي صورة ذهنية وعقلية يكونها الفرد عن جسمه سواء في مظهره الخارجي أو في مكوناته الداخلية وأعضاءه المختلفة وقدرته على توظيف هذه الأعضاء وإثبات كفاءته وما قد يصاحب ذلك من مشاعر أو اتجاهات موجبة أو سالبة عن تلك الصورة الذهنية للجسم ويقاس بالدرجة الكلية التي يحصل عليها أفراد العينة على مقياس صورة الجسم المستخدم في البحث الحالي.

التوافق النفسي الاجتماعي

هو الملائمة أو الموائمة بين الظروف الاجتماعية والمشاعر النفسية للفرد وبين الإطار الاجتماعي المحيط به أو الشعور النفسي الذي يعيشه. (عبدالله أبو جعفر، 2003)

التعريف الإجرائي للتوافق النفسي الاجتماعي

هو إشباع الفرد لحاجته النفسية وتقبله لذاته واستمتاعه بحياة خالية من التوترات والصراعات والأمراض النفسية واستمتاعه بعلاقات اجتماعية ومشاركته في الأنشطة الاجتماعية ويقاس بالدرجة الكلية التي يحصل عليها أفراد العينة على مقياس التوافق النفسي الاجتماعي المستخدم في البحث الحالي.

البتر

عرفه (علي وعبد الهادي) بأنه حالة من العجز الجسدي تحدث للفرد في أي مرحلة من مراحل عمره، وهو عبارة عن استئصال جزء من أجزاء الإنسان يتم لإنقاذ حياته أو لتحسين أداء العضو الذي تمنعه الإصابة من القيام بوظيفته. (علي، وعبدالهادي 1997)

التعريف الإجرائي للبتر

هم أولئك الأفراد المصابون بفقد أحد الأطراف العليا أو السفلى أو جزء منها أو كلاهما نتيجة الأمراض أو الحوادث أو الحروب (حرب التحرير) مما تجعل حياة الفرد أكثر صعوبة بل وتزيد من حدة مشكلاته خاصة المهنية والتشغيلية.

حرب التحرير

هي الحرب التي اندلعت منذ 17 فبراير 2011 لتحرير ليبيا من الحكم الظالم المستبد.

الإطار النظري

صورة الجسم Body Image

تمهيد :

يعتبر مظهر الجسم من الأمور الرئيسة التي تشغل بال الكثير من الناس، ويظهر ذلك جليا في النظرة الخارجية التي تختص بالتأثيرات الاجتماعية للمظهر والنظرة الداخلية التي تشير إلى التجارب أو الخبرات الشخصية التي يبدو عليها مظهر الفرد في الواقع، والنظرة الداخلية بمعناها الواسع هو ما أطلق عليها علماء النفس صورة الجسم Body image.

حيث يصل الفرد إلى هذا العالم وهو كيان فيزقى يخضع لخصائص النمو وقوانينه العامة، والتي تسير إلى الأمام متجهه نحو تحقيق عرض ضمني وهو النضج ، ومع استمرارية العملية النمائية وتعقدها والتي تشتمل على كافة الجوانب التي تشكل بنيان الإنسان سواء كانت جسمية عقلية أو انفعالية وجدانية واجتماعية، فيبدأ الفرد في تكوين نظرة نحو ذاته تتضمن أفكارا واتجاهات ومعاني ومدركات حولها، وبتعبير أدق يكون الفرد مفهوما نحو ذاته كما يكوّن أفكارا ومشاعر وإدراكات حول جسمه، تنمو لديه صورة ذهنية نحو جسمه متضمنة الخصائص الفيزيقية والخصائص الوظيفية واتجاهاته نحو هذه الخصائص. (الدخيل، 2007 : 59)

تعريف الصورة الجسمية

- حسب "موسوعة علم النفس والتحليل النفسي" هي الفكرة الذهنية للفرد عن جسمه وصورة الجسم هي الأساس لخلق الهوية، إذ أن الأنا الأعلى على حد تعبير ((فرويد)) إنما هو في الأساس أنا جسمي، ويرى ((فرانسيسكو)) أن صورة الجسم في علاقتها بالواقع تمثل جوهر الظاهرة النفسية فهي مسألة أساسية في تكوين الشخصية، إذ ينفصل الأنا عن الأنا بفضل الصورة الجسمية. (عبد القادر، 2003 : 471)

- ويري (Schilder) بأنها تعني شكل الجسم كما نتصوره في أذهاننا ، والطريقة التي يبدو بها الجسم لأنفسنا ، والعملية التي ينجزها كوحدة مميزة. (فايد، 2004 : 125).
- ويعرفه (روزين وآخرون) هي صورة ذهنية إيجابية أو سلبية يكونها الفرد عن جسمه وتعلن عن نفسها من خلال مجموعة من الميول السلوكية التي تظهر مصاحبة لتلك الصورة، والملمح الأساسي لتعريف المظهر الجسمي لصورة الجسم هو تقييم الفرد لحجمه ووزنه أو أي جانب آخر من الجسم يحدد المظهر الجسمي. (الدسوقي، 2006 : 16)
- يعرفها (عبد الحميد، وكفافي) على أنها صورة ذهنية نكونها عن أجسامنا ككل، بما فيها الخصائص الفيزيقية والوظيفية (إدراك الجسم) واتجاهاتنا نحو هذه الخصائص (مفهوم الجسم) على أن صورة الجسم تتبع لدينا من مصادر شعورية ولاشعورية وتمثل مكونا أساسيا في مفهومنا عن ذواتنا. (فايد ، 2010 : 125) .
- ويعرفها (أنور) بأنها الصورة الذهنية للفرد عن تكوينه الجسماني وكفاءة الأداء الوظيفي لهذا البنيان تتحدد هذه الصورة بعوامل: ((شكل أجزاء الجسم، وتناسق هذه الأجزاء للجسم، والشكل العام للجسم، والكفاءة الوظيفية للجسم والجانب الاجتماعي لصورة الجسم)). (أنور، 2001 : 131)
- هذا ويشير علماء الأنثروبولوجيا إلى أن صورة الجسم هي التصور الذي يكونه الشخص عن جسده والطريقة التي يبدو له بها بشكل واع إلى هذا الحد أو عبر سياق اجتماعي وثقافي يضفي تاريخه الشخصي عليه طابعا خاصا، فصورة الجسم ليست من المعطيات الموضوعية، إذ أنها ليست واقعا وإنما قيمة ناتجة أساسا عن تأثير المحيط والتاريخ الشخصي للفاعل. (دافيد لوبروتون، 1993 : 145)
- كما تعرف صورة الجسم بأنها الفكرة الذهنية التي يكونها الفرد عن جسمه ككل بما فيها الخصائص الفيزيقية والوظيفية والتي تسهم بالتبعية في تقييمه لذاته. (فرج، 1994 : 2)

ومن خلال ما سبق يعرف الباحث صورة الجسم على أنها تصورات ذهنية إيجابية أو سلبية يكونها الفرد من خلال المظهر الجسمي وهي مسألة أساسية في تكوين الشخصية.

أهمية صورة الجسم Significance Of Body Image :

يذكر ((بيفر Pipher)) أن المظهر عامل مهم في العلاقات وفي الحياة ، وترى ((بريكي جيمس)) أن خبرة الجسم مهمة لنمو النفسي البدني، وأن صورة الجسم لها أهمية وجدانية ورمزية أيضا، لأن المظهر الجسمي له أهميته، بدون شك يفترض وجود علاقة مهمة بين تقييماتنا لأجسامنا وحالتنا

النفسية، فهي مسح واسع عن صورة الجسم أجراه (ركاش روي نستندوجاندا) تضمن عدة بنود لتحديد حالة النفس الاجتماعية، وانصبت البنود على تقدير الذات والرضا عن الحياة والاكتئاب والوحدة ومشاعر القبول الاجتماعي، أظهر المسح أن الأشخاص ذوي التقييمات الإيجابية عن صورة الجسم السلبية عن صورة جسمهم حققوا مستويات أدنى من التوافق النفسي الاجتماعي. (بريالة هناء، 2013 : 27)

إن نمو صورة الجسم الإيجابية تساعد الناس في رؤية أنفسهم جذابين وهذا ضروري لنمو الشخصية الناضجة فالناس الذين يحبون أنفسهم ويفكرون بأنفسهم على نحو إيجابي على الأرجح يكونون أكثر صحة.

بينما صورة الجسم السلبية يمكن أن تؤثر على حياة الفرد ، فالناس ذوي صورة الجسم السلبية لديهم تقدير ذات منخفض، يحاولون إخفاء أجسامهم بالملابس الفضفاضة والقاتمة، إن مسألة صورة الجسم بين الأطفال والمراهقين مهمة جدا، فصورة الجسم السلبية يمكن أن تؤدي إلى الاكتئاب، وتقدير الذات المنخفض، فالجسم مصدر الهوية وعدم الرضا عن الجسم لدى الإنسان يترتب عليه الكثير من المشكلات النفسية، وكذلك بعض الأمراض النفس جسمية التي تؤدي إلى تشويش صورة الجسم، وتنشأ هذه المشكلة عندما لا يتوافق شكل الجسم مع ما يعد مثاليا حسب تقدير المجتمع. (الأنصاري، 2002 : 181)

مكونات صورة الجسم Body Image Components

تشتمل صورة الجسم على مكونتين مهمين هما:

المثال الجسمي Body Ideel

يعرف مثال الجسم على أنه النمط الجسمي الذي يعتبر جذابا ومناسبا من حيث العمر ومن حيث وجهة ثقافة الفرد.

فمفهوم ثقافة الفرد بالمثال الجسمي له دور لا يستهان به فيما يكونه الفرد من صورة نحو جسمه وتطابق أو اقتراب مفهوم المثال الجسمي كما تحدده ثقافة الفرد صورة الفرد الفعلية لجسمه ويسهم بطريقة أو بأخرى في تقدير الفرد لذاته وتباعد مفهوم مثال الجسم السائد في المجتمع من صورة الفرد لجسمه يعد مشكلة كبيرة، إذ تختل صورة الفرد الفعلية لجسمه، فيسهم بطريقة أو بأخرى في انخفاض تقدير الذات. (كفافي، والنيال، 1996 : 27)

مفهوم الجسم Body Concept

إذ يشمل هذا المفهوم على الأفكار والمعتقدات ، والحدود التي تتعلق بالجسم فضلا على الصورة الإدراكية التي يكونها الفرد حول جسمه.

إذ ترى ((جيمس Gems)) أن صورة الجسم تتكون من مكون انفعالي يشير إلى الشعور السار ومكون معرفي يشير إلى الرضا عن الجسم والحياة. (الدسوقي، 2006 : 16) .

أبعاد صورة الجسم Body Image Dimensions

يتفق الباحثون على نحو متزايد أن لصورة الجسم مفهوم متعدد الأبعاد Multi dimensional، حيث يرى ((الشرباوي)) أن صورة الجسم تتبلور حول أربعة أبعاد هي: صورة أجزاء الجسم، الشكل العام للجسم، الكفاءة الوظيفية للجسم، الصورة الاجتماعية للجسم (الشرباوي، 2001 : 136) .

ووضع كل من ((كفافي ، والنيال)) أربعة أبعاد من صورة الجسم وهي كالتالي: بعد يتعلق بالوزن، بعد يتعلق بالجاذبية الجسمية، بعد يتعلق بالتآزر العضلي، وبعد يتعلق بتناسق أعضاء الجسم. (كفافي، والنيال، 1996 : 17)

ويشير ((فايد)) إلى أن صورة الجسم تنقسم إلى ثلاثة أبعاد هي: الرضا عن مظهر الجسم، وملامح الوجه والشكل الخارجي، والمظهر بصفة عامة. (فايد، 2006 : 177)

نستنتج مما سبق أن كلا منا له صورة عن نفسه في عقله، تلك الصورة تقترن باعتقادنا عن كيفية إدراك الآخرين لنا، فصورة الجسم خبرة شخصية تعتمد على كيف يرى الفرد نفسه؟

التوافق النفسي الاجتماعي

تمهيد:

إن عملية التوافق هي سلسلة من الخطوات تبدأ عندما يشعر الفرد بحاجة ما وتنتهي عندما تشبع هذه الحاجة وما بين بدايتها ونهايتها يقوم الفرد بمحاولات مختلفة يجاهد فيها لتخطي العقبات التي تحول دون إشباعه الفوري والمباشر لحاجته. (عوض ، 1996) .

حيث يعتبر التوافق المحور الأساسي لمعظم الدراسات في مجال الصحة النفسية تعني توافق الفرد ذاتيا واجتماعيا ويمثل التوافق الذاتي في قدرة الفرد على حل صراعاته وتوتراته الداخلية باستمرار حلا ملائما.

تعريف التوافق

تعريف التوافق لغة:

- فقد عرف في لسان العرب : بمعنى وفق الشيء ما لاءمه، وقد وافقه واتفق معه توافقا. (ابن منظور، مادة و ف ق).

تعريف التوافق اصطلاحا:

يعرفه ((وولمان Wolman)) : بأنه قدرة الفرد على إشباع حاجاته ومقابلة معظم متطلباته البيئية الاجتماعية من خلال علاقة منسجمة مع البيئة التي يعيش فيها. (عطية، 1997)

ويعرفه حامد زهران: بأنه عملية ديناميكية مستمرة تتناول السلوك والبيئة ((الطبيعية الاجتماعية)) بالتغيير والتعديل حيث يحدث التوازن بين الفرد وبيئته. (زهران، 1977 : 29)

كما يعرفه ((لازاروس Lazarus)) : بأنه مجموع العمليات النفسية التي تساعد الفرد على التغلب على المتطلبات والضغوط المتعددة. (القذافي، 1998 : 177)

ويعرفه أحمد راجح : بأنه قدرة الفرد على تغيير سلوكه وعاداته واتجاهاته عندما يواجه موقفا جديدا، أو مشكلة مادية. (راجح، 1999)

تعريف التوافق النفسي الاجتماعي

هو حالة من التواؤم والانسجام مع البيئة والتي تنطوي على قدرة الفرد على إشباع معظم حاجاته وتصرفاته.(فهمي، 1970 : 148)

وهو إشباع الفرد لحاجاته النفسية وتقبله لذاته واستمتاعه بحياة خالية من التوترات والصراعات والأمراض النفسية واستمتاعه بعلاقات اجتماعية ومشاركته في الأنشطة الاجتماعية. (الداهري، سفيان، 1997 : 3)

عناصر التوافق

تقسم عناصر التوافق إلى عنصرين أساسيين هما:

الأول: المحيط النفسي الداخلي للإنسان ويقصد به الفرد وما ينطوي عليه في بنائه النفسي من الحاجات والدوافع والخبرات والقيم والميول والقدرات وكل ذلك يساعد في توجيه السلوك الإنساني.

الثاني: هو المحيط الخارجي للفرد والذي تقصده البيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية والتي تتفاعل مع العناصر في تكوين المحيط العام للفرد ولكن يكون أحدهما هو الغالب في حياة الفرد. (الحاج ، 1977: 25 – 26)

مطالب (عوامل) التوافق

يلخص (زهران) مطالب التوافق في النقاط التالية:

1- نمو واستثمار الإمكانيات الجسمية إلى أقصى حد ممكن وتحقيق الصحة الجسمية لأنها ذات صلة وثيقة بالصحة النفسية.
2- النمو العقلي المعرفي يتم بشكل مثالي عند تحقيق أقصى الحدود الممكنة للنمو العقلي وتحصيل أكبر قدر من المعرفة واكتساب أسلوب التفكير العلمي الناقد.
3- تكوين مفهوم إيجابي عن الذات لأن تقدير الذات يسهم في الصحة النفسية للفرد وفي توافقه الاجتماعي المناسب.
4- النمو الاجتماعي ويقتضي ذلك المشاركة الفعالة في حياة الجماعة والاتصال السليم المثمر مع أفرادها وتنمية المهارات الاجتماعية التي تحقق التوافق الاجتماعي السوي، كما ويقتضي ذلك تقبل الواقع ووجود منظومة من القيم التي توجه الفرد وتكيفه مع بيئته المحيطة.
5- تحقيق الذات وتحقيق الدوافع للنجاح والتحصيل ومن المهم إشباع الحاجات مثل الحاجة إلى الأمن والانتماء والحب والتقدير.
6- النمو الانفعالي إلى أقصى درجة ممكنة وهذا عنصر مهم لتحقيق الصحة النفسية ويتطلب القدرة على ضبط الذات والنجاح في التعبير عنها والاتزان الانفعالي.
7- قبول التغيرات في الذات والبيئة والتوافق معها، مثل ما يواجه الفرد في شيخوخته من تغيرات على حياته كالتقاعد أو وفاة الزوج أو الزوجة أو الضعف الجسدي. (زهران، 1988: 30 – 32)

عوائق التوافق

يلخص ((عودة ، ومرسى)) عوائق التوافق في النقاط التالية :

1) العوائق الجسمية: ويقصد بها العاهات والتشوهات الجسمية ونقص الحواس التي تحول بين الفرد وأهدافه.
2) العوائق النفسية: ويقصد بها نقص الذكاء الاجتماعي أو ضعف في القدرات العقلية والمهارات النفسية والحركية أو خلل في نمو الشخصية.
3) العوائق المادية الاقتصادية: ويقصد بها نقص المال وعدم توفر الإمكانيات المادية وهذا يعتبر عائقا كبيرا يمنع كثيرا من الناس من تحقيق أهدافهم في الحياة وقد يسبب لهم الشعور بالإحباط.
4) العوائق الاجتماعية : ويقصد بها القيود التي يفرضها المجتمع في عاداته وتقاليده وقوانينه لضبط السلوك وتنظيم العلاقات. (عودة ، ومرسى ، 1984 : 175)

العوامل المؤثرة في عملية التوافق

إن عملية التوافق لا تتحقق عند الفرد إلا إذا توافرت عدة عوامل وأسس تساعده على عملية التوافق وهي كالتالي:

1- الحاجات الأولية والنفسية والاجتماعية:

ومنها الحاجات التي لم يكتسبها الفرد من بيئته عن طريق الخبرة والتعلم وإنما هي تولد مع الإنسان ويكون مزود بها مثل حاجته إلى (الطعام والشراب والراحة والنوم) ومنها الحاجات التي تنمو معه ويكتسبها من خلال تفاعله مع البيئة المحيطة به مثل الحاجة إلى (التقدير والحب والاحترام والنجاح). (الطيب، 1990 : 42)

1- تأثير الحالات الجسمية الفسيولوجية على التوافق:

تعتبر الإعاقات الجسمية بأنواعها أحد العوامل الأساسية في عملية التوافق سواء كانت الإعاقة وراثية أو بيئية حيث إن المظاهر الجسمية الخاصة التي تكون شاذة عن المألوف تؤثر في عملية التوافق فالقصر المفرط أو البدانة الزائدة تجعل الفرد سيئ التوافق ومصدرا لفشله اجتماعيا. (مياسا ، 1997 : 27)

الأزمات الاجتماعية والكوارث:

إن الأزمات الاجتماعية والكوارث كحدوث تصدع أسري كالطلاق أو الموت، أو الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين، أو الكوارث الإنسانية مثل الحروب وما ينتج عنه من قتل وتشريد وتخريب حيث إن هذه التغيرات إن كانت مفاجئة أو غير مفاجئة تؤدي إلى تغيرات سلوكية سيئة في حياة الأفراد والجماعة وبالتالي تأتي بآثار سلبية. (عبد الستار، إبراهيم، 1985)

البتر Amputation

تمهيد:

يعتبر بتر الأطراف جزء من الحضارة البشرية منذ آلاف السنين وقد تم العثور على بقايا لأطراف صناعية بديلة في المقابر المصرية وفي نيومكسيكو، واستخدم البتر في الممارسات الدينية كطقوس دينية وكعقاب على حد سواء ولا يزال اليوم يمارس بتر الأطراف في بعض بلدان الشرق الأوسط بشكل منتظم كشكل من أشكال العقاب.

إن فئة مبتوري الأطراف من ضحايا الصراع العسكري غالبا ما تكون من فئة الشباب الصغار في السن ومن غير المقاتلين كما هو الحال في البتر الذي يحدث بسبب حوادث المرور على الطرقات وحوادث التدريبات العسكرية.

ومن المتعارف عليه أن البتر يترك تأثيرات على الأفراد والمجتمع عامة ومنها الاضطرابات النفسية والمشاكل الصحية والتغيرات الاجتماعية، ولابد من التدخل للحد من هذه الاضطرابات للتخفيف من وطأة الآثار السلبية المترتبة على البتر والحد من العقبات التي تواجه هذه الفئة إلى خلق آليات للتكيف مع وضع الجسد الجديد حيث يعتبر هذا الفقدان لا تعويض فيه.

تعريف البتر:

لغة: البتر: القطع ، وسيف باتر وبتار: قاطع والأبتر المقطوع الذنب والذي لا عقب له، وكل أمر منقطع من الخير.

اصطلاحا: يقصد بالبتر إزالة أو عدم نمو الأطراف أو جزء منها والبتر إما أن يكون ولاديا أو مكتسبا وقد يكون نتيجة لحوادث الطرق، حوادث الحرائق، حوادث الصناعة، حوادث الملاعب، حوادث السقوط، الإصابات في ميادين القتال والحروب، والكوارث الطبيعية مثل: البراكين والزلازل، والأورام والأمراض الخبيثة مثل: السرطان. (وفاء، 2006)

أنواع البتر

أولا: البتر في الأطراف السفلية

ويكون لأحدهما أو للطرفين ويشتمل على:

* بتر القدم Foot Amputation :
- بتر أصبع القدم أو أكثر من أصبع.
- بتر منتصف القدم.
- بتر القدم بأكمله أو أي جزء منه.
- بتر الساق Transtibial ويشتمل على أي بتر من الركبة حتى الكاحل .
- فصل الركبة Knee Disarticulation يحدث هذا البتر عند مستوى الركبة .
- بتر الفخذTrans Femoral ويشتمل على بتر أي جزء من الفخذ من عند الحوض حتى مفصل الركبة.
- فصل الحوض Hip Disarticulation يكون من عند مفصل الحوض مع الفخذ بأكمله.

ثانيا : البتر في الأطراف العلوية

ويكون إما بتر طرف واحد أو الاثنين معا ويشتمل على:

- بتر اليد أو جزء منها Hand Amputation بما فيها الأصابع أو الإبهام أو جزء من اليد تحت الرسغ.
- فصل الرسغ Wrist Disarticulation يتم فيه بتر العضو عند مستوى الرسغ.
- بتر عظمة الساعد Transradial وذلك الذي يحدث تحت الكوع حتى الرسغ.
- بتر عظمة العضد Trasshumeral وذلك الذي يحدث فوق الكوع حتى الكتف.
- فصل الكتف Shoulder Disarticulation يتم البتر عند مستوى الكتف مع بقاء نصل الكتف وقد يتم استئصال عظمة الترقوة أو عدم استئصالها. (القاضي،2009: 97)

بحوث ودراسات سابقة لها علاقة بمتغيرات البحث:

دراسة النجار(1997) هدفت الدراسة لمعرفة أثر الإعاقة الجسمية (بالشلل السفلي) على تقدير الذات والتوافق النفسي الاجتماعي بين معاقي الانتفاضة وأقرانهم من إعاقات أخرى، وبين المعاقين جسميا ومن غير المعاقين، وتكونت عينة الدراسة من (14) معاقا بالشلل السفلي من الذكور بسبب إصابات الانتفاضة، و(35) معاقا من الذكور بسبب حوادث أخرى، و(80) فردا من غير المعاقين، واستخدم الباحث مقياس تقدير الذات للباحث (أحمد صالح: 1988) واختبار التوافق الشخصي والاجتماعي للباحث (علي الديب: 1988) وطبق على بيئة قطاع غزة وتوصل الباحث للنتائج التالية:

توجد فروق دالة إحصائيا بين المعاقين جسميا (الشلل السفلي) بسبب الانتفاضة وبين المعاقين بسبب حوادث أخرى في تقدير الذات والتوافق النفسي الاجتماعي لصالح معاقي الانتفاضة.

كما وأشارت النتائج لوجود فروق دالة إحصائيا بين المعاقين جسميا من (الانتفاضة وحوادث أخرى) وغير المعاقين في تقدير الذات والتوافق النفسي الاجتماعي لصالح غير المعاقين.

وتوجد فوق دالة إحصائيا في تقدير الذات والتوافق النفسي الاجتماعي لذوي الدخل المرتفع، ولا توجد فروق دالة إحصائيا في تقدير الذات والتوافق النفسي الاجتماعي تبعا لمتغير المستوى التعليمي.

أما الهدف من دراسة وليامس (2004) وصف الإسناد النفسي الاجتماعي والمعايشة الاجتماعية على مدى سنتين بعد بتر الطرف السفلي، وتكونت عينة الدراسة من (89) مبتور في الأطراف السفلى وتمت متابعتهم من خلال الاتصال بهم بعد شهر من البتر ثم بعد 6 أشهر، ثم بعد 12 شهر، ثم بعد 24 شهر، وكانت النتيجة مستوى عالي من التوافق النفسي الاجتماعي خلال هذه السنتين من إجراء عملية البتر.

بينما عرفت دراسة حسن (2006) إلى التعرف على الأبعاد السيكو دينامية لمبتوري الأطراف والأصحاء في صورة الجسم وتقدير الذات، وتكونت العينة من (30) شخصًا، (15) أصحاء، و(15)

مبتوري الأطراف واستخدمت الباحثة منهج الإكلينيكية الانتقائية، واستخدمت أدوات سيكو مرية تمثلت في اختبار تقدير الذات ومقياس صورة الجسم ، واختبارات اكلينيكية ((المقابلة الاكلينيكية، اختبار تفهم الموضوع))، وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق في السيكوديناميات بين مبتوري الأطراف والأصحاء.

أما دراسة (القاضي، 2009) هدفت هذه الدراسة للتعرف على قلق المستقبل وعلاقته بصورة الجسم ومفهوم الذات لدى حالات البتر بعد الحرب على غزة وتأثير بعض المتغيرات ((الجنس ، الحالة الاجتماعية ، وجود أبناء أم لا، مكان البتر، سبب البتر، مدة الاصابة)) واتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من (250) حالة بتر وهي عينة عشوائية طبقت عليها أدوات الدراسة بعد إجراء الصدق والثبات عليها، وهي (مقياس قلق المستقبل، ومقياس صورة الجسم، ومقياس مفهوم الذات) وهي من إعداد الباحثة وتوصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين قلق المستقبل وصورة الجسم، بين قلق المستقبل ومفهوم الذات.

ولا توجد فروق دالة إحصائيا في قلق المستقبل لدى حالات البتر في جميع المتغيرات.

ولا توجد فروق دالة إحصائيا في صورة الجسم لدى حالات البتر في جميع المتغيرات ما عدا متغير (مدة الإصابة) وذلك لصالح ذوي الإصابة الأقل من سنة.

ولا توجد فروق دالة إحصائيا في مفهوم الذات لدى حالات البتر في جميع المتغيرات.

واجرى(أبو سكران، 2009) لدراسة الكشف عن العلاقة بين التوافق النفسي والاجتماعي ومركز الضبط (الداخلي –الخارجي) للمعاقين حركيا في قطاع غزة، حيث اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي حيث تكونت عينة الدراسة من (360) معاقًا من مختلف الإعاقات الحركية مثل (الشلل الدماغي، الشلل الرباعي، القدم المسطحة، تقوس الساقين...الخ) في قطاع غزة، والأدوات التي استخدمت في هذه الدراسة هي: مقياس التوافق النفسي والاجتماعي من إعداد (ليلى وافي، 2006) ومقياس مركز الضبط (الداخلي – الخارجي) من إعداد (علاء كفافي، 1982)، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: وجود علاقة ارتباطية بين التوافق النفسي والاجتماعي ومركز الضبط (الداخلي – الخارجي) لدى أفراد العينة.

ووجود فروق ذات دلالة احصائية في التوافق النفسي والاجتماعي للمعاقين حركيا تبعا لمتغير الجنس لصالح الذكور، وتبعا لمتغير الحالة الاجتماعية لصالح المتزوج، وتبعا لمتغير درجة الإعاقة لصالح الإعاقة البسيطة، وتبعا لمتغير الحالة الاقتصادية لصالح من يعمل.

ولا توجد فروق ذات دلالة احصائية في مركز الضبط للمعاقين حركيا تبعا للمتغيرات (الجنس، الحالة الاجتماعية، درجة الاعاقة، سبب الاعاقة).

بينما توجد فروق ذات دلالة احصائية تبعا لمتغير الحالة الاقتصادية لصالح من يعمل.

إجراءات البحث:

منهج البحث ومتغيراته:

اتبع الباحث المنهج الوصفي الارتباطي، ومتغيرات البحث صورة الجسم (متغير مستقل) والتوافق النفسي الاجتماعي (متغير تابع).

مجتمع البحث:

يتكون مجتمع البحث من مجموعة من الأفراد داخل مدينة مصراتة، والذين تعرضوا لتشوهات في المظهر الخارجي للجسم بسبب الإصابة بالبتر بعد حرب التحرير 2011/02/17.

عينة البحث:

وهي عينة عشوائية بسيطة طبقت عليها أدوات البحث ، وقد بلغ عددهم (30) فردا من مبتوري الأطراف كعدد نهائي لعينة البحث، وتم استبعاد (3) استمارات لم تصل إلى درجة القبول في مقياس (ص) في التوافق النفسي الاجتماعي وهي (5) درجات، كما تم استبعاد (2) استمارتين لعدم اكتمال الإجابة وعدم مصدقية المفحوص في الإجابة.

وصف العينة:

قام الباحث بحساب التكرار والنسب المئوية لمتغيرات البحث وهي: (العمر، الحالة الاجتماعية، مكان البتر).

أولا: بالنسبة للعمر:

يوضح الجدول رقم (1) أن ما نسبته 64% أعمارهم 25 سنة أو أقل، وأن ما نسبته 36% أعمارهم فوق 25 سنة.

جدول رقم (1)

يوضح أفراد العينة توزيع حسب العمر حيث ن = 25

المتغير	تصنيفه	العدد	النسبة
العمر	25 سنة أو أقل	16	%64

	فوق 25 سنة	9	%36
المجموع		25	%100

ثانيا: بالنسبة للحالة الاجتماعية:

يوضح الجدول رقم (2) أن ما نسبته 32% حالتهم الاجتماعية متزوج، وأن ما نسبته 68% حالتهم الاجتماعية أعزب .

جدول رقم (2)

يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية حيث ن = 25

المتغير	تصنيفه	العدد	النسبة
الحالة الاجتماعية	متزوج	8	%32
	أعزب	17	%68
المجموع		25	%100

ثالثا: بالنسبة لمكان البتر:

يوضح الجدول رقم (3) أن ما نسبته 60% مكان البتر علوي، وأن ما نسبته 40% مكان البتر سفلي .

جدول رقم (3)

يوضح توزيع أفراد العينة حسب مكان البتر حيث ن = 25

المتغير	تصنيفه	العدد	النسبة
مكان البتر	علوي	15	%60
	سفلي	10	%40
	علوي وسفلي معا	0	%0
المجموع		25	%100

إعداد وضبط أدوات البحث:

- مقياس صورة الجسم.
- مقياس التوافق النفسي الاجتماعي.

أولا: مقياس صورة الجسم

1- وصف المقياس:

هو من إعداد الباحثة (وفاء محمد حميدان القاضي، 2009) ويتكون من 32 فقرة، (2) فقرات موجبة، و(30) فقرة سالبة، وقد قامت بتطبيقه على عينة من حالات البتر في المؤسسات الخاصة بقطاع غزة والتي تتراوح أعمارهم من (18) سنة فما فوق.

2- صدق المقياس:

قامت مصممة المقياس بحساب صدق المقياس بطريقتين:

صدق المحكمين:

أ. قامت مصممة المقياس بعرض المقياس على نخبة من المتخصصين في ميدان علم النفس والتأهيل ، وقام جميع المحكمين بالاطلاع على المقياس وابداء جملة من التعليقات والملاحظات عليها وتم حذف بعض العبارات ، وتعديل بعضها ، بناء على ما اتفق عليه أكثر من (75 %) من المحكمين صدق الاتساق الداخلي.

ب. تم التحقق من صدق الاتساق من خلال حساب معامل ارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية للمقياس بواسطة برنامج (SPSS).

3- ثبات المقياس:

تم حساب الثبات لمقياس صورة الجسم بطريقتين:

أ. معامل ألفا كرو نباخ Cronbach Alpha عن طريق برنامج الحاسوب (SPSS).

ب. التجزئة النصفية بين الفقرات الزوجية والفقرات الفردية.

4- تصحيح المقياس:

قامت مصممة المقياس باستخدام مقياس ثلاثي الأبعاد حيث تم تقييم حالات البتر على عبارات المقياس وتعطى الدرجات (3، 2، 1) للبدائل (دائما – أحيانا – نادرا) على الترتيب في حال كانت العبارة إيجابية، بينما تعطى الدرجات (1، 2، 3) على الترتيب في حال العبارات السالبة، حيث مجموع الدرجات التي يحصل عليها حالة فالفرد المبتور في المقياس صورة الجسم العظمى (96)، والدرجة الدنيا (32).

قام الباحث باستخراج الصدق الظاهري للمقياس وذلك بعرضه في صورته الأولية على عدد من المحكمين في العلوم النفسية وذلك للحكم على مدى صلاحية الفقرات و مناسبته لدى مبتورين

الأطراف في الفئه الليبية في ضوء آراء المحكمين كانت نسبة الاتفاق على نفس الفقرات (90%) مما يشير إلى تمتع مقياس صورة الجسم درجة جيدة من الصدق.

قام الباحث بحساب ثبات مقياس صورة الجسم باستخدام معامل ألفا كرونباخ Cronbach Alpha وكان يساوي (0.798) مما يدل علي أن المقياس يتمتع بدرجه عالية من الثبات.

ثانيا: مقياس التوافق النفسي الاجتماعي:

أولا: وصف الصورة الأصلية لمقياس التوافق النفسي الاجتماعي

- هو من إعداد (زينب أحمد علي الأوجلي، 1998)، ويتكون من (69) فقرة، منها (7) فقرات لقياس صدق إجابة المفحوص، و(14) فقرة موجبة، و(48) فقرة سالبة.
- صدق القياس:

وقد قامت مصممة المقياس بحساب صدق المقياس كما يلي:

1. دراسة الصدق التميزي للبنود.
2. دراسة صدق التكوين الفرضي عن طريق:
1. التحليل العاملي للبنود.
2. اختبار بعض الفروض حول علاقة المقياس ببعض المقاييس الأخرى.
3. اختبار بعض الفروض حول قدرة المقياس على التمييز بين المجموعات المعارضة.

وقد وجد أن للمقياس قدرة عالية على التمييز بين الأفراد.

- ثبات المقياس:

لقياس ثبات المقياس استخدمت مصممة المقياس طرقا متعددة، منها التطبيق وإعادة التطبيق، وحساب ارتباط التطبيق المتعاقبين، وحساب معاملات الاتساق الداخلي للمقياس من خلال التجزئة النصفية واستخراج معامل (ألفاكرونباخ)، هذا بالإضافة إلى استخراج الخطأ المعياري للمقياس، وأسفرت نتائج الثبات عن معاملات استقرار واتساق عالية.

- طريقة التصحيح

أولا: يصحح مقياس صدق إجابة المفحوص ورمزه (ص) كالآتي / تنطبق دائما (4) أربع درجات، وتنطبق غالبا (3) ثلاث درجات، وتنطبق أحيانا (2) درجتان، وتنطبق نادرا (1) درجة واحدة، ولا تطابق أبدا (0) صفر، ولقبول الإجابة المفحوص على مقياس التوافق (ت) يجب أن

تتساوى الدرجة الكلية على مقياس صدق إجابة المفحوص (ص) = 5 خمسة درجات فما فوق، شرط أن تكون موزعة على (3) فقرات فأكثر من فقرات المقياس (ص) السبعة.

ثانيا: يصحح مقياس التوافق (ت) المكون من (62) فقرة ، فيها (14) فقرة تمثل الاتجاه الإيجابي، وتصحح كما يلي، تنطبق دائما (4) أربع درجات، وتنطبق غالبا (3) ثلاث درجات، وتنطبق أحيانا (2) درجتان، وتنطبق نادرا (1) درجة واحدة، ولا تنطبق أبدا (0) صفرا.

و(48) فقرة تمثل الاتجاه السلبي وتصحح كالآتي:

تنطبق دائما (0) صفر، تنطبق غالبا (1) درجة واحدة، وتنطبق أحيانا (2) درجتان، وتنطبق نادرا (3) ثلاث درجات، ولاتطبق أبدا (4) أربع درجات، وتدل الدرجة المرتفعة لهذا المقياس على التوافق الإيجابي، بينما تدل الدرجة المنخفضة على سوء التوافق، وقد اتبعت الباحثة في البحث الحالي نفس طريقة التصحيح.

ثانيا: تكييف مقياس التوافق النفسي الاجتماعي:

لما كان المقياس لم يعد لمبتوري الأطراف قام الباحث بتكيف المقياس وتعديله وعرضه على عدد من المحكمين في العلوم النفسية والتربوية وذلك للحكم على مدى صلاحية الفقرات ومناسبتها لدى مبتوري الأطراف في ضوء أراء المحكمين تم تعديل (12) فقرة أرقام (3، 4، 5، 14، 23، 31، 35، 36، 47، 48، 57، 67)، وذلك بدون تغيير اتجاه الفقرة وطريقة التصحيح ، كان هناك اتفاق بينهم بنسبة (**95%**). مما يشير إلى تمتع المقياس بدرجة عالية من الصدق الظاهري كذلك تم حساب الباحثتان ثبات مقياس التوافق النفسي الاجتماعي باستخدام معامل ألفا كرونباخ Cronbach Alpha و كان يساوي (0.85) مما يدل علي أن المقياس يتمتع بدرجه عالية من الثبات.

تطبيق أدوات البحث

- تم توزيع المقياسين لكل فرد مبتور.
- رصد النتائج ومعالجتها إحصائيا.

باستخدام:

- المتوسطات الحسابية. – الانحراف المعياري. – معامل الارتباط. – الاختبار التائي لدلالة الفروق.

- **نتائج البحث وتفسيرها:**

نتيجة السؤال الأول والذي ينص على ما يلي:

إلي أي مدي توجد مستويات متباينة في صورة الجسم لدى حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة؟

وللإجابة على هذا السؤال قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لجميع فقرات مقياس صورة الجسم كما هو موضح في الجدول رقم (4).

جدول رقم (4)

المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لمقياس صورة الجسم

المقياس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	أقل إجابة	أعلى إجابة	متوسط الإجابات
صورة الجسم	68.88	14.94	48	92	70

يتبين من الجدول السابق أن متوسط الإجابة قد بلغ(70/96) وتعتبر درجة جيدة إلى حد ما ويعزو الباحث ذلك إلى أن التغير الجسماني الناتج عن البتر قد يؤدي إلى تغير وجداني، ولهذا التغيير أثر على التوافق النفسي الاجتماعي وهذا يؤكد ارتباط صورة الجسم بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى هذه الفئة ويعتبر الفرد شكل الجسد والمظهر الخارجي هو أساس قبول الفرد من الآخرين، وأنه من الطبيعة الإنسانية أن الإنسان يحمل صفة التعويض عن المفقود، ولكن البتر يحمل صفة الديمومة في الفقدان، وفي التناسق الحركي، فالمظهر صورة مادية وذهنية تلازم الإنسان عبر المراحل العمرية يؤدي إلى ازدياد الانتباه والمراقبة للمظهر العام، ويسعى الفرد إلى الوصول إلى الصورة المثالية فيجد في الطرف الصناعي وسيلة إلى تحقيق ذلك.

نتيجة السؤال الثاني الذي ينص على ما يلي:

إلي أي مدي توجد مستويات متباينة في التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة؟

للإجابة على هذا السؤال قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لمقياس التوافق النفسي الاجتماعي كما هو موضح في الجدول رقم (5).

جدول رقم (5)

المتوسطات الحسابية والانحراف المعياري لمقياس التوافق النفسي الاجتماعي

مقياس	المتوسطات الحسابية	الانحراف المعياري	أقل إجابة	أعلى إجابة	متوسط الإجابات
التوافق النفسي	167.8	29.09	112	235	193.5

الاجتماعي					

يتبين من الجدول السابق إلى أن متوسط الإجابة قد بلغ (194/276) وتعتبر درجة جيدة إلى حد ما، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (وليامس، 2004) بوجود مستوي عالي من التوافق النفسي الاجتماعي بعد إجراء عملية البتر ويعزو الباحث الحصول على هذه الدرجة في مقياس التوافق النفسي الاجتماعي إلى أن الفرد المبتور يشعر بأنه سيكون مستقرا في حالته، فالبتر لا تعويض فيه ولا يعود للجسم مرة أخرى الجزء المفقود منه، وهذا يرتبط بالاستسلام فحالة الفرد الجديدة بعد البتر تجعل الفرد أقل استقرارا وأكثر عرضة للاضطرابات، وهذا يجعله يتجنب الحديث مع الأهل والأصدقاء عن المستقبل؛ لأن فيه تذكرة لجسده الجديد وتذكر لتفاصيل الحدث الصادم الذي مر فيه الفرد، ولكن الواقع الجديد يجعل الفرد لا يشعر بالطمأنينة والهدوء بالنسبة لحياته المستقبلية لأن الفرد نتيجة التجربة الصادمة التي مر بها والتي أدت إلى فقد أحد أطراف جسمه، جعله في حالة من القلق نحو متطلبات الحياة المستقبلية، فيدرك أن البتر سيؤثر على مستقبله وكذلك على تحقيق أهدافه وخططه في الحياة، مما يؤدي بالفرد المبتور أن يميل إلى العزلة والانطواء ويبتعد عن نظر الآخرين إليه.

نتيجة السؤال الثالث والذي ينص على ما يلي:

معاملات ارتباط (بيرسون) بين إلى أي مدى توجد علاقة دالة إحصائيا بين صورة الجسم والتوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة؟

وللإجابة على هذا السؤال قام الباحث بحساب معامل الارتباط بيرسون بين صورة الجسم والتوافق النفسي الاجتماعي كما هو موضح في الجدول رقم (6).

الجدول رقم (6)

صورة الجسم والتوافق النفسي الاجتماعي

المقياس	التوافق النفسي الاجتماعي	صورة الجسم	مستوى المعنوية للمشاهد	مستوى الدلالة (0.05)
صورة الجسم	0.628	1	0.001	دال إحصائيا

التوافق النفسي الاجتماعي	1	0.628		

يتبين من الجدول السابق أن معامل الارتباط بيرسون بين صورة الجسم والتوافق النفسي الاجتماعي يساوي (0.628) وهي علاقة قوية جدا ذو دلالة احصائية عند مستوى (0.05) وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (أبو سكران، 2009) ويعزو الباحث نتيجة هذه العلاقة إلى أن صورة الجسم لها تأثير على التوافق النفسي الاجتماعي أي أنه كلما شكلت صورة الجسم للفرد المبتور عن جوانبه السلبية عن جسمه كلما قل التوافق النفسي الاجتماعي لأن صورة الجسم لها علاقة بمتطلبات التوافق النفسي الاجتماعي للفرد وطموحاته.

نتيجة السؤال الرابع والذي ينص على ما يلي:

إلى أي مدى توجد فروق ذات دلالة احصائية في صورة الجسم لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراته وفقا لمتغير العمر (25 سنة أو أقل ، فوق 25 سنة).

وللإجابة على هذا السؤال قام الباحث باستخدام اختبار (t) للتعرف على فروق مقياس صورة الجسم التي تعزى لمتغير(25 سنة أو أقل) (فوق 25 سنة) كما هو موضح في الجدول رقم (7).

الجدول رقم (7)

يوضح نتائج الاختبار التائي للكشف عن الفروق في صورة الجسم وفق لمتغير العمر – الحالة الاجتماعية – مكان البتر

صورة الجسم	المتوسط	الانحراف المعياري	t المحسوبة	درجات الحرية	مستوى المعنوية للمشاهد	مستوى الدلالة (0.05)
25 سنة أو أقل	64.44	11.49	1.119	23	0.275	غير دال إحصائيا
فوق 25 سنة	71.33	16.38				
متزوج	86.38	4.83	6.86	23	0.000	دال إحصائيا
أعزب	60.65	9.98				
علوي	69.80	14.19	0.37	23	0.71	غير دال
سفلي	67.50	16,68				

يتضح من الجدول السابق أن فيه مستوى المعنوية للمشاهد (0.275) أقل من (0.05) وبذلك تشير إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا في صورة الجسم لدى حالات البتر بعد حرب التحرير تعزى

لمتغير العمر، (25 سنة أو أقل ، فوق 25 سنة) وتتفق هذه النتيجة مع دراسة القاضي (2009) ويعزى الباحث ذلك من الأفراد المصابين بالبتر (25 سنة أو أقل، فوق 25 سنة) يعانون نفس المشاعر من آثار الصدمة.

كذلك يتبين من الجدول السابق أن قيمة مستوى المعنوية للمشاهد (0.000) أقل من (0.05) ما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مقياس صورة الجسم تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية (متزوج ، أعزب) وتتفق هذه النتيجة مع دراسة أبو سكران (2004) ولم تتفق مع دراسة (القاضي، 2009) حيث أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيا في صورة الجسم تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية، ويرى الباحث أن الحالة الاجتماعية بين المتزوج والأعزب مختلفة، فالمتزوج يقيم دائما أدائه في ظل صورة جسده، والأعزب ينظر إلى صورة من وجهة نظر الآخرين له، فصورة الجسم بالنسبة للأفراد مهمة ويلعب الآخرين دورا في وضع معايرها.

ويتبين من الجدول السابق أيضاً عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في مقياس صورة الجسم تعزى لمتغير مكان البتر (علوي، سفلي) لأن مستوى المعنوية للمشاهد (0.71) وهي أكبر من (0.05) وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (القاضي، 2009) بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مقياس صورة الجسم تعزى لمتغير مكان البتر ويعزو الباحث إلى أن نوع البتر أيا كان نوعه يعتبر فقدان وهذا الفقدان لا تعويض فيه وكل جزء له أهميته وينظر الفرد إلى جسمه بأنه متناسق ومتكامل والبتر يغير من نظرة التناسق والتكامل.

نتيجة السؤال السابع والذي ينص على ما يلي:

إلى أي مدى توجد فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي لدى عينة من حالات البتر بعد حرب التحرير بمدينة مصراتة وفقا لمتغير العمر (25 سنة أو أقل، فوق 25 سنة). وللإجابة على هذا السؤال قام الباحث باستخدام الاختبار التائي للتعرف على فروق مقياس التوافق النفسي الاجتماعي التي تعزى لمتغير العمر (25 سنة أو أقل ، فوق 25 سنة) ، كما هو موضح في الجدول رقم (8) .

الجدول رقم (8)

يوضح نتائج الاختبار التائي للكشف عن الفروق في التوافق

النفسي الاجتماعي وفقا لمتغير العمر– الحالة الاجتماعية – مكان البتر

التوافق النفسي	المتوسط	الانحراف المعياري	t المحسوبة	درجات الحرية	مستوى المعنوية	مستوى الدلالة

الاجتماعي					للمشاهد	(0.05)
25 سنة أو أقل	156.33	17.500	1.51	23	0.14	غير دال إحصائيا
فوق 25 سنة	174.25	32.679				
متزوج	198.75	24.37	5.35	23	0.000	دال إحصائيا
أعزب	153.24	17.48				
علوي	161.40	24.20	1.37	23	0.183	غير دال إحصائيا
سفلي	177.40	34.28				

وكذلك يتبين من الجدول السابق أن قيمة مستوى يتبين من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في مقياس التوافق النفسي الاجتماعي تعزى لمتغير العمر (25 سنة أو أقل – فوق 25 سنة) لأن المستوى المعنوي للمشاهد (0.14) وهي أكبر من مستوى الدلالة (0.05) وتتفق هذه النتيجة مع دراسة أبو سكران (2009) بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي تعزي لمتغير العمر، ويعزو الباحث ذلك إلى تشابه الأوضاع التي تعرض لها الأفراد (مبتوري الأطراف) بمختلف أعمارهم، حيث إن المعاناة والظروف القاسية، وما نتج عن هذه المعاناة من اضطرابات وتغيرات جسمية متشابهة بمختلف الأعمار وكلهم تعرضوا للبتر وفقدوا جزءا من أجزاء أجسامهم وبالتالي ظهور الجسم بشكل جديد (مشوه وناقص).

المعنوي للمشاهد (0.000) وهي أقل من مستوى الدلالة عند مستوى (0.05) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مقياس التوافق النفسي الاجتماعي تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية (متزوج – أعزب) وهذا ما يتفق مع دراسة (أبو سكران، 2009) بوجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي للمبتورين وفقاً لمتغير الحالة الاجتماعية (متزوج – أعزب).

ويعزو الباحث إلى أن المبتور المتزوج لديه توافق نفسي واجتماعي أكثر من المبتور الأعزب؛ لأن المتزوج رغم الضغوطات التي يتعرض لها إلا أن له زوجة تقوم بجزء كبير من حمل الأعباء الحياتية والمتطلبات الأسرية على عكس المبتور الأعزب الذي ليس لديه زوجة أو أبناء مع وجود أعباء حياتية وضغوط أسرية كبيرة، ولا يشاركه فيها أحد، وهذا يؤثر سلبا على توافق ورضا المبتور العازب، بينما كان توافق ورضا المبتور المتزوج نفسيا واجتماعيا أقل سوءا وأفضل حالا من المبتور العازب.

ويتبين من الجدول السابق ايضاَ عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مقياس التوافق النفسي الاجتماعي تعزى لمتغير مكان البتر (علوي – سفلي) لأن المستوى المعنوي للمشاهد (0.183) وهي أكبر من مستوى الدلالة عند مستوى (0.05) ولم تتفق هذه النتيجة مع دراسة النجار (1997). التي أكدت على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في التوافق النفسي الاجتماعي تعزي لمتغير مكان البتر، ويعزو الباحث إلى أن أيا كان نوع البتر فالجزء المفقود هو جزء من الجسم الكلي للفرد هذا يسبب الشعور بالنقص والعجز ويعتبر الجزء المفقود له دور أساسي في سلبية التوافق النفسي الاجتماعي لدى الفرد المبتور.

وغالبا ما يشعر الفرد وخاصة في وقت الصدمات التي تترك تأثيرات جسمانية على الفرد المبتور أن لو لم تبتر يده بدلا من قدمه لما لها من أهمية، وآخر يرى لو بترت قدمه بدلا من يده، أي يدرك أن كل جزء من أجزاء الجسم له دوره وأهميته ووظيفته، بمعنى أن الفرد لا يستطيع الاستسلام للفقدان أو الاستغناء عن أي جزء من أجزاء جسمه.

التوصيات

في ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث الحالي يوصي الباحث بما يلي:

1. توفير المجتمع والمؤسسات فرص عمل لتشغيل هذه الفئة.
2. تطوير برامج التأهيل الخاصة بالبتر ومواكبة ما هو جديد وحديث في هذا المجال.
3. التأكيد على أهمية تأهيل مبتوري الأطراف في المراحل المبكرة من خلال تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية والطبية والمهنية.
4. تقديم برامج الإرشاد والتوجيه لحالات البتر والأثار الصحية النفسية المترتبة على البتر.
5. تدريب كوادر طبية للتعامل مع حالات البتر والآثار الصحية السلبية التي يعاني منها هؤلاء الأفراد نتيجة الطرف الصناعي.
6. العمل على دمج الأفراد المعاقين بغير المعاقين في كافة المؤسسات التربوية والخدمية والصحية لما له من الأثر البالغ في نشر الثقة والتوافق الإيجابية بين المعاقين.

المقترحات

في ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث الحالي يقترح الباحث إجراء البحوث التالية:

1. إجراء دراسة مقارنة بين حالات بتر الحروب والحالات المرضية.

2. إجراء دراسة مقارنة بين حالات البتر وحالات أخرى لإعاقات مختلفة.
3. دراسة برنامج مقترح للتخفيف من الضغوط النفسية لدى المعاقين حركيا وحاجتهم للإرشاد النفسي.
4. اجراء دراسة بعنوان التوافق النفسي للمعاقين حركيا وعلاقته بالخدمات المقدمة لهم في مراكز العلاج الطبيعي.

المراجع

1. إبراهيم عبدالستار، (1985): ثلاثة جوانب في دراسة الإبداع، مجلد 15، العدد 4، عالم الفكر، الكويت .
2. أحمد عزت راجح، (1999): أصول علم النفس، الإسكندرية، دار المعارف، الطبعة 11.
3. أنديش الطاهر الفقهي، (1999): تحديد بعض العوامل ذات العلاقة بالتوافق النفسي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة طرابلس.
4. أنور محمد الشرباوي، (2001): علاقة صورة الجسم ببعض المتغيرات لدى المراهقة، رسالة ماجستير، كلية التربية، عين الشمس، الزقازيق .

5. علاء الدين كفافي، مايسة أحمد النيال (1996): صورة الجسم وبعض التغيرات لدى عينات من المراهقات، دراسة ارتقائية ارتباطية عبر ثقافية، مجلة علم النفس، العدد 39.

6. جمال الدين بن مكرم الأفريقي بن منظور، (1997) : لسان العرب ، الطبعة 6، بيروت، دار مادي .

7. جمال عطية خليل فايد، (2006): صورة الجسم وعلاقتها ببعض أنماط التفاعلات الاجتماعية لدى التلاميذ في مرحلة الطفولة المتأخرة، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة.

8. حامد عبدالسلام زهران، (1988): الصحة النفسية والعلاج النفسي، القاهرة، عالم الكتب.

9. حسني علي فايد، (2004): شكل الجسم وتقدير الذات المتغيرات الوسيطة في العلاقة بين الكمالية والتشوه العصبي، مجلة الإرشاد النفسي، ومركز الإرشاد، العدد 15.

10. حسني علي فايد ، (2010): سلسلة في علم النفس دراسات في السلوك والشخصية، الطبعة 1، مؤسسة طبية للنشر والتوزيع، مصر.

11. رمضان محمد القذافي، (1998): الصحة النفسية والتوافق، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة 3.

12. زينب محمود شقير، (2005): الشخصية السوية والمضطربة ، الطبعة 3، دار النهضة المصرية، القاهرة .

13. صالح حسن الداهري، سفيان صالح نبيل، (1997): الذكاء الاجتماعي والقيمة الاجتماعية لدى طلبة علم النفس في جامعة تعز وعلاقتها بالتوافق النفسي الاجتماعي، اليمن.

14. طه فرج عبدالقادر وآخرون، (2003): موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، الطبعة 1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت .

15. علي الديب، (1988): التوافق الشخصي والاجتماعي للراشدين ، مجلة التربوية الجديد، المجلد 3، العدد 11.

16. على و عبد الهادي و أحمد (1997): دراسة نفسية لتأهيل فاقدي أعضاء الجسم عن طريق البتر، مجلة علم النفس، العدد التاني والأربعون السنة الحادية عشر، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب.

17. فايز الحاج، (1977): الصحة النفسية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
18. مجدي محمد الدسوقي، (2006): اضطرابات صورة الجسم الأساليب التشخيص الوقاية والعلاج، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
19. محمد عودة، وكمال مرسى، (1984): الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام، دار القلم، الكويت.
20. محمد عبد الطاهر الطيب، (1990): مبادئ الصحة النفسية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
21. محمد جعفر جمل الليل، (1998): علاقة بعض المتغيرات بالقلق العام لدى طلاب وطالبات المرحلة المتوسطة والثانوية في المملكة العربية السعودية، مجلة علم النفس، العدد 32، كلية التربية، جامعة أم القرى.
22. محمود عباس عوض، (1996) : الموجز في الصحة النفسية، القاهرة، دار المعارف.
23. محمود محمد إبراهيم عطية، (1997): التوافق النفسي والاجتماعي للطلاب مع البيئة المدرسية وعلاقته بالتحصيل، رسالة ماجستير في التربية، قسم الإرشاد النفسي، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات التربوية.
24. مصطفى فهمي، (1997): الآثار النفسية لكبار السن في الحساسية الزائدة والإعجاب بالماضي وإهمال الذات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
25. مصطفى فهمي، (1970): الإنسان والصحة النفسية، الأنجلو المصرية، القاهرة.
26. مي سليمان الدخيل، (2007): صورة الجسم وعلاقتها بفقدان الشهية العصبي والشره العصبي لدى طالبات جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك سعود، السعودية.
27. نورا عبدالستار، (2007): الجسم وعلاقتها بتقدير الذات لدى طالبات المرحلة الثانوية صورة بمدينة مكة المكرمة ومحافظة جدة، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
28. هناء يريالة، (2013): صورة الجسم لدى المصابين بتشوهات ناتجة عن الحروق، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر – بسكرة.

29.وفاء محمد احميدان القاضي، (2009): قلق المستقبل وعلاقته بصورة الجسم وتقدير الذات لدى حالات البتر بعد الحرب على غزة ، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.

التباين الفصلي في تركيز المغذيات في مياه شاطئ مدينة مصراتة

د. البشير أحمد الجطلاوي* & فاطمة بشير قزيط

الملخص

في شاطئ منطقة ازريق بمدينة مصراتة تمت دراسة التغيرات الفصلية في تركيز المغذيات في صورة النيتروجين الكلي و الفوسفور الكلي والسيليكا في صورة (SiO_2)، وتمت الدراسة فصليا و لمدة 4 فصول متتالية (شتاء 2015–خريف 2015)، وكان تركيز المغذيات منخفض بصفة عامة، و تركيز الفوسفور بصفة خاصة، و كان التباين الفصلي أكثر وضوحا في تركيز النيتروجين مقارنة بنظيره في الفوسفور و السيليكا، فأعلى تركيز للنيتروجين الكلي كان في فصل الصيف (5.27 مج/ ل) بينما كان أقل تركيز له في فصل الربيع (1.2 مج/ ل)، وأعلى تركيز للفسفور الكلي كان في فصل الربيع (0.24 مج/ ل) و أقل تركيز كان في الشتاء (0.22 مج/ ل)، و أعلى تركيز للسيليكا كان في الصيف (1.2 مج/ ل) وأقل تركيز كان في الشتاء(0.8 مج/ ل) وانخفاض تركيز الفسفور وعدم وجود تباين فصلي يوحي بأن الفوسفور قد يكون هو العامل المحدد للهوائم النباتية، والارتفاع النسبي لتركيز السيليكا وعدم وجود تباين فصلي يوحي بندرة الهوائم النباتية (الدياتومات) التي تستهلك السيليكا في نباء وترميم أصدافها.

الكلمات الأساسية:

المغذيات، النيتروجين الكلي، الفوسفور الكلي، السيليكا، التباين الفصلي، مياه البحر، مصراتة.

المقدمة

المغذيات (**Nutrients**) تشمل عدة مركبات منها النيتروجين و الفوسفور والسيليكا، وهي مركبات أساسية تحتاجها جميع الكائنات الحية لعمليات الأيض والنمو والتكاثر، فالنيتروجين هو المكون الأساسي للأحماض الأمينية و الأحماض النووية ويدخل في تركيب مكونات آخري في الخلية و منها الغشاء الخلوي، والفوسفور يوجد مبدئيا في الأحماض النووية والدهون الفوسفورية (Phospholipids) التي تدخل في تركيب الغشاء الخلوي وفي مركب آدينوسين ثلاثي الفوسفات (ATP)، ويدخل السيليكون وخصوصا ثاني أكسيد السيليكون (SiO_2) في تركيب صدفة الدياتومات [1].

* قسم الأحياء– كلية التربية – جامعة مصراتة.

توجد المغذيات في المياه البحرية، فالنيتروجين يوجد في عدة أشكال منها؛ النترات (Nitrate) وهو المكون الأساسي الثابت للنيتروجين غير العضوي المذاب الذي يمكن استهلاكه من قبل الكائنات الحية، في حين تستطيع بعض الكائنات الحية استهلاك النيترايت (Nitrite) والأمونيا والنيتروجين الجزيئي المذاب، ويوجد الفوسفور في صورة مركبات الفوسفات ويعتبر مركب أورثوفوسفات (Orthophosphate) من أهم مركبات الفوسفور في مياه البحر المتاحة الاستخدام البيولوجي، بينما يوجد السيليكون في صورة ثاني أكسيد السيليكون (SiO_2) [2] ويرجع وجود المغذيات في مياه البحر إلى العمليات الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية، بما فيها عملية تثبيت النيتروجين، وتحلل المواد العضوية في البحر [3] وكذلك المياه الجوفية ومصبات الأنهار ومياه الصرف الصحي ومياه المصانع[4]، وتلعب العمليات الفيزيائية دورا مهما في توزيع وإعادة توزيع المغذيات في مياه البحر عن طريق فعل التيارات وكذلك عمليات الخلط العمودي للمياه التي تعمل على نقل المغذيات من الطبقات العميقة إلى الطبقات السطحية[5,6].

خصائص مياه البحر بعضها غير قابل للتغير (Conservative) وهي التي لا تتأثر بالإنتاجية الأولية للنظام البيئي مثل الملوحة والاس الهيدروجيني وبعضها قابلة للتغير (Non-conservative) مثل درجة الحرارة والأكسجين المذاب والمغذيات وتركيز الكلوروفيل أ (Chlorophyll a) ترجع أهمية المغذيات في مياه البحر إلى أهمية الكائنات الدقيقة، وأهمها الطحالب، التي تتغذى عليها، فهي تمثل الحلقة الأولى في السلسلة الغذائية البحرية والتي تصبح بدورها غذاء الهوائم الحيوانية وغيرها من الحيوانات الأخرى، حيث تلعب المغذيات دورا أساسيا في تنظيم و التحكم في الكثافة والكتلة الحية والإنتاجية (الأولية والصافية) والإزهار الربيعي (Phytoplankton spring bloom) للهوائم النباتية في البيئات المائية المختلفة، ففي الغالب البيئة البحرية يعمل النيتروجين كعامل محددة (Limiting factor) للهوائم النباتية [7]، بينما في معظم برك المياه العذبة يتغير الوضع و يصبح الفوسفور هو العامل المحدد للكتلة الحية للهوائم النباتية [8]، في حين مياه الدلتا حيث تختلط مياه البحر المالحة بالمياه العذبة يكون التحكم في الهوائم النباتية موسمي، أي في بعض الفصول يكون النيتروجين هو العامل المحدد بينما يكون الفوسفور هو العامل المحدد في فصول أخرى [9,10] وتعتبر فترة تحكم النيتروجين أطول من فترة تحكم الفوسفور في أغلب الفصول [11]. يرجع كون النيتروجين و ليس الفوسفور هو العامل المحدد في البيئة البحرية إلى التركيز العالي للفوسفور و عدم تكتله و سهولة انتشاره في مادة قاع البحر [12].

تركيز هذه المغذيات في البحر المتوسط منخفض مقارنة بتركيزها في البحار والمحيطات الأخرى كبحر البلطيق وبحر الشمال، وهذا ربما أدى بدوره إلى انخفاض الكثافة الحيوية للهوائم النباتية في هذه المياه و افتقارها إلى الكثير من أنواعها، وما يتغذى عليها من الكائنات الأخرى، يستثنى من ذلك المناطق التي تتعرض للتلوث بمياه الصرف الصحي وغيرها من الملوثات الأخرى. أما فيما يتعلق بالبيئة البحرية الليبية فقط فقد تمت دراسة هذه المغذيات مع مواد كيميائية أخرى في مناطق مجاورة لمدينة طرابلس؛ مثل قرقارش وغوط الرمان [13] والزاوية وصبراتة [14].

تهدف هذه الدراسة إلى بحث التباين الفصلي (الموسمي) في تركيز مركبات النيتروجين والفوسفور المختلفة في صورة نيتروجين وفوسفور كلي، وكذلك تركيز السيليكات في صورة ثاني أكسيد السيلكون وتأثير بعض خواص الكيمو–فيزيائية لمياه البحر عليها، إن هذه الدراسة جزء من مشروع أوسع لدراسة الجوانب المختلفة في عدة مجالات في المياه المقابلة لشاطئ منطقة مصراتة وفي المنطقة الوسطى؛ من زليتن حتى سرت.

المواد و طرق البحث

لتقدير تركيز النيتروجين الكلي والفوسفور الكلي والسيليكا في مياه منطقة الدراسة تم جمع العينات من ساحل منطقة ازريق في غرب مدينة مصراتة على بعد 600 م من الشاطئ (32.4°14.9′N)، وهي منطقة خالية من النشاطات البشرية، منتصف كل فصل من فصول السنة ابتداء من فصل الشتاء (شهر يناير) في سنة 2015 واستمرت لمدة 4 فصول متتالية؛ جمعت 5 عينات في كل فصل، بحجم 5 لتر لكل منها، وعلى عمق 1.5 م من سطح الماء، وتم ترشيحها عبر مرشحات (450 µ) للتخلص من الشوائب، ثم بعد ذلك غلفت بغلاف أسود من النيلون، وحفظت في الثلاجة لحين عملية التحليل، في كل مرة يتم فيها جمع العينات يتم تسجيل البيانات الكيمو–فيزيائية للماء ودرجة حرارة الجو بمعدل 6 قراءات وذلك باستخدام جهاز Hach Q40.

تم استخدام الطريقة المستخدمة من قبل Guo وآخرون [15] معّدلة وكما جاء في كتالوج شركة هاك(HACH) (2011) [16] لتقدير العناصر في المياه ومياه المجاري ومياه البحر(جدول 1).

جدول 1: الاختبارات المستخدمة في تقدير تراكيز المغذيات

ت	العنصر	الاختبار المستخدم
1	النيتروجين (N_2)	اختبار لينج (Lange) لتقدير النيتروجين الكلي (LCK 138)

2	الفسفور (P)	اختبار هاك (HACH) لتقدير الفسفور الكلي (Method 8190)
3	السيليكا (Si)	اختبار هاك (HACH) لتقدير السيليكا في صورة ثاني أكسيد السيليكا

اختبار لنج (Lange) لتقدير النيتروجين الكلي

يوضع 1.3 مل (ml) من ماء العينة في أنبوبة التفاعل ويضاف إليها 1.3 مل من محلول هيدروكسيد الصوديوم وكيس واحدة يحتوي على كل منفوق كبريتات البوتاسيوم dipotassium peroxodisulphate (Potassium persulphate) بتركيز 65% وميتابورات الصوديوم (Sodium metaborate)بتركيز 20% وحمض البوريك المائي(Disodium tetraborate) تيترا ثنائي الصوديوم (Anhydrous boric acid) بنسبة تركيز 15–20%، ثم تقفل الأنبوبة مع عدم الرج، و يسحن المخلوط لمدة 60 دقيقة في درجة حرارة 100 م°، ثم يبرّد ويضاف إليه كمية من فوسفات الصوديوم(Sodium sulfite)بتركيز 70% و أزاد الصوديوم 0.7% (Sodium azide) بتركيز 0.7%، ثم تقفل أنبوبة التفاعل و تقلب عدة مرات برفق حتى تختفي المواد المتكتلة تماما، و بهذا تصبح العينة مهضومة. عاير 5 مل من العينة المهضومة بالمحلول المعد لذلك، و القراءة هي النيتروجين الكلي العينة (مج/ ل).

اختبار هاك (Hach) لتقدير الفسفور الكلي

تهضم العينة، بوضع 25 مل من العينة في دورق سعة 125 مل، وتضاف محتويات كيس من مسحوق Potassium persulfate ويدوّر الدورق برفق لخلط المكونات، بواسطة قطارة معايرة يضاف 2 مل من 5.25 Nحمض كبريتيك، يوضع الدورق على صفيحة تسخين (Hot plate) ويسخن حتى درجة الغليان ليصبح حجم المخلوط أقل من 20 مل، ثم يضاف قليل من الماء المقطر منزوع الأيونات (Deionized) ليصل حجم المخلوط إلى 20 مل، ثم يبرّد المخلوط في درجة حرارة المعمل، و يضاف إليه 2 مل من 5.0 N هيدرو أكسيد الصوديوم، ثم ينقل المخلوط إلى مخبار مدرج و يضاف إليه قليل من الماء المقطر منزوع الأيونات ليصل حجمه إلى 25 مل بمعايرة 5 مل من العينة المهضومة يتم الحصول تركيز الفوسفور الكلي (مج/ ل).

اختبار هاك (Hach) لتقدير السيليكا

تم تقدير السيليكا في العينة في صورة ثاني أكسيد السيليكون (SiO_2) حيث تم وضع 10 مل من العينة في أنبوبة الجهاز المعد للاختبار، ثم يضاف محتويات كيس واحد من مسحوق

Molybdate Reagent للتركيز العالي للسليكا، وتدوّر الأنبوبة برفق حتى تذوب محتويات المخلوط بالكامل، ثم تضاف محتويات كيس واحد من Acid Reagent powder Pillow، سيظهر اللون الأصفر في وجود السيليكا أو الفسفور، سوف يظهر لون أصفر في حالة وجود السيليكا أو الفسفور، وفي هذه الحالة يحدث تفاعل لمدة 10 دقائق، للتخلص من الفسفور واللون الناتج عنه تضاف محتويات كيس واحد من مسحوق Citric Acid، بعد دقيقتين يختفي أي أثر للفسفور. لتجهيز الكنترول تملأ أنبوبة جهاز أخرى بـ 10 مل من العينة الأصلية، وتوضع في الجهاز ويصفر الجهاز، ثم توضع الأنبوبة التي بها المخلوط وتؤخذ القراءة و هي SiO_2 (مج/ ل).

النتائج

التباين الفصلي في العوامل الكيمو–فيزيائية

معظم العوامل لم يطرأ عليها تغير يذكر كالأس الهيدروجيني والملوحة والتوصيل وفرق الجهد، بينما المجموعة الأخرى من العوامل كدرجة الجو ودرجة حرارة الماء وتركيز الأكسجين المذاب تغيرت مع تغير فصول السنة، فقد كانت أعلى درجة حرارة للهواء الجوي في فصل الربيع (25 م°) وأقل درجة حرارة في الشتاء (16 م°) بينما أعلى درجة حرارة لمياه البحر كانت في فصل الصيف (24 م°) وأقل درجة حرارة في فصل الشتاء (17 م°)، وكان أعلى تركيز للأكسجين المذاب في فصل الربيع (11.08 مل/ ل) وأقل تركيز في فصل الخريف (8.29 مل/ ل)، وأعلى درجة ملوحة في فصل الشتاء حيث بلغت 38.9‰ و أقلّها في فصل الربيع 38.2‰، وأعلى توصيل كهربي كان في فصل الصيف 61 بينما أقل توصيل كان في فصل الربيع (51)، وأعلى فرق جهد كان في فصل الربيع (121 mV) وأقله كان في فصل الخريف 118 mV (جدول 2).

جدول 2: التباين الفصلي في العوامل الكيميائية– الفيزيائية للهواء الجوي و مياه البحر خلال فصول الدراسة (يناير 2015– خريف 2015) في شاطئ منطقة مصراتة (المتوسط ± الانحراف المعياري، عدد القراءات=6).

الفصل	شتاء	ربيع	صيف	خريف
شهر جمع العينات	يناير	ابريل	يوليو	أكتوبر
يوم جمع العينات	20	19	13	27
وقت جمع العينات (الساعة)	9:15	8:30	6:30	9:15
درجة حرارة الجو (م°)	16±0.22	25±0.1	23±0.09	22±0.03
درجة حرارة الماء (م°)	17±0.01	21±0.08	24±0.04	21.5±0.04
الأس الهيدروجيني	8.01±0.03	8.02±0.2	8.02±0.04	8.07±0.3

الأكسجين المذاب (مل/ ل)	9.8±0.5	11.08±0.08	8.47±0.35	8.29±0.06
الملوحة (‰)	38.9±0.04	38.2±0.03	38.6±0.02	39±0.01
التوصيل الكهربي	51.5±0.05	51±0.036	61±0.12	59.3±0.15
فرق الجهد (mV)	119.9±0.03	121±0.01	120±0.25	118±0.09

التباين الفصلي في تركيز المغذيات

كان تركيز النيتروجين، بصفة عامة، أعلى من تركيز المغذيات الأخرى، وكان أعلى تركيز له في فصل الصيف (5.27 مج/ ل) وأدنى تركيز له كان في فصل الربيع (1.5 مج/ ل)، بينما كان تركيز الفوسفور هو الأدنى من بين التراكيز وكانت تراكيزه متقاربة (0.22–0.24 مج/ ل) في جميع الفصول ما عدا فصل الخريف حيث انخفض (0.05 مج/ ل)، في حين زاد تركيز السيليكا تدريجيا في الفصول المدروسة، وكان تركيزه في فصل الشتاء (0.8 مج/ل) وهو الأدنى، وفي فصل الخريف (1.6 مج/ل) وهو الأعلى (شكل 1).

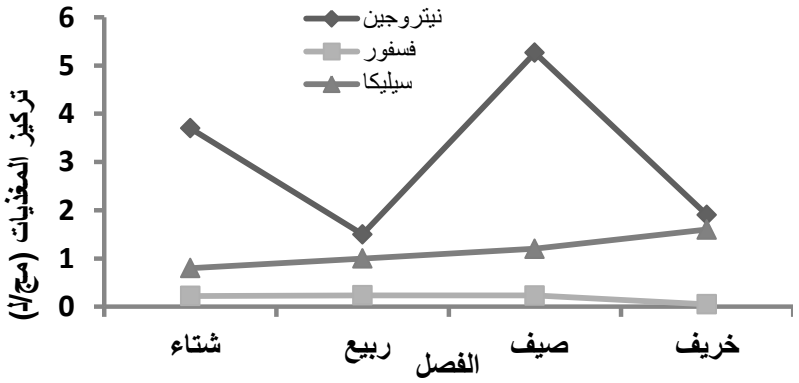

شكل 1: التباين الفصلي في تركيز المغذيات (النيتروجين و الفوسفور و السيليكا) (مج/ ل) خلال سنة 2015 في شاطئ مصراتة (لتفادي ازدحام البيانات لم تدرج أعمدة الخطأ العياري في الشكل و هي محصورة بين 0.01–0.04، عدد العينات=5)

العلاقة بين التباين في العوامل القابلة للتغير والتباين في تركيز المغذيات

رغم حدوث التباين الفصلي في العوامل القابلة للتغير أي درجة حرارة الماء (م°) وتركيز الأكسجين المذاب (مج/ ل) في مياه شاطئ منطقة الدراسة إلا أنه لا يوجد ارتباط بين هذا التباين والتباين الفصلي في تركيز كل من النيتروجين والفوسفور والسيليكا (شكل 2).

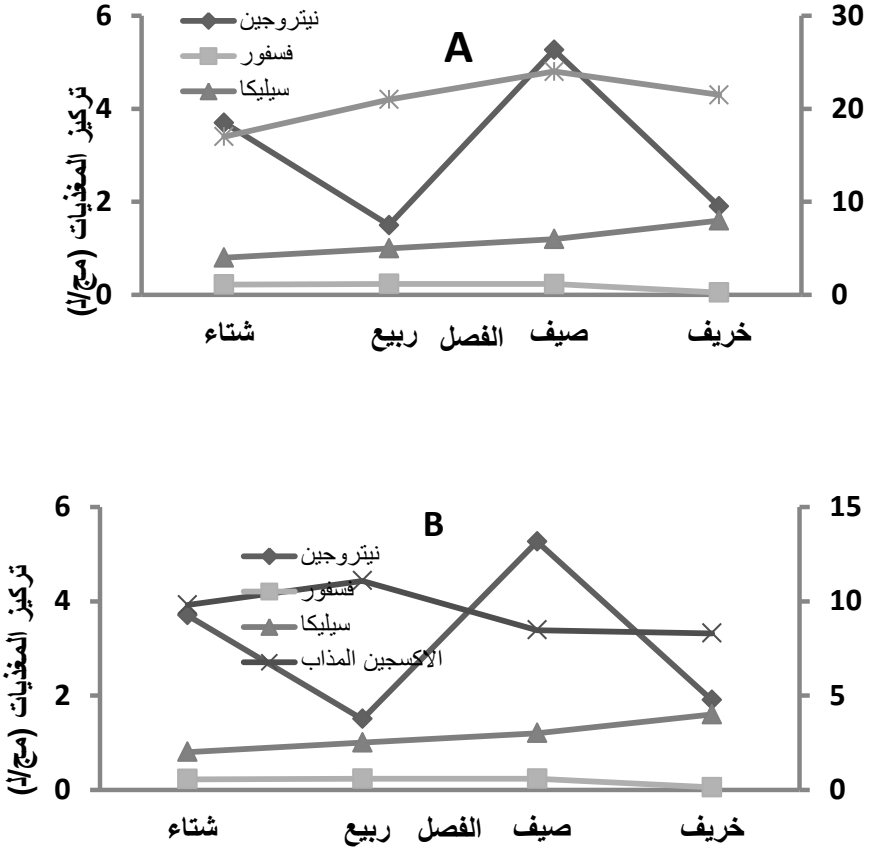

شكل 2: العلاقة بين التباين الفصلي في تركيز المغذيات (عدد العينات=5) و التباين الفصلي في كل من درجة حرارة ماء البحر (م°) (A) و تركيز الأكسجين المذاب (مج/ ل) (B)، (قيم الخطأ العياري في درجة حرارة ماء البحر 0.01-0.08، وفي الأكسجين المذاب 0.06-0.5،عدد القراءات =6).

المناقشة

تركيز النيتروجين في هذه الدراسة أعلى من تركيز الفسفور والسيليكا وهذا يتطابق مع ما وجد في شمال شرق المحيط الاطلسي [2] وشمال المحيط الهادي [18]، ووجد في هذه الدراسة أيضا أن تركيز السيليكا أعلى من تركيز الفوسفور وهذا يتطابق مع ما وجد في خليج العقبة [17]. أوضحت نتائج هذه الدراسة كذلك أن تركيز المغذيات في البحر الذي تطل عليه منطقة مصراتة أعلي من نظيرتها في منطقتي قرقارش وغوط الرمان إلا أنها كانت أقرب إلى نظيرتها في منطقة قرقارش التي تمت دراستها في سنتي 2004 و 2005 [13] (جدول 3)، ربما يعزى هذا التباين إلى اختلاف

الظروف والعوامل التي تؤثر على تركيز المغذيات مثل الملوثات [13] والهوائم النباتية [17]، وربما يرجع سبب التباين إلى اختلاف الطرق المستخدمة في عملية تقدير هذه العناصر.

جدول (3) تركيز المغذيات في مناطق قرقارش وغوط الرمان (2004–2005)؛ و مصراتة (2015) ليبيا، بيانات منطقتي قرقارش وغوط الرمان بعد Elmelah و آخرون (2006) بتصرف [13].

الفصل	شتاء (يناير 2005)			ربيع (أبريل)			صيف (يوليو)			خريف (أكتوبر)		
المغذيات	N_2	P	Si	N_2	P	Si	N_2	P	Si	N_2	P	Si
قرقارش	0.90	0.41	0.57	0.78	0.36	0.32	–	0.28	0.50	1.11	0.39	0.69
غوط الرمان	0.33	0.08	0.34	0.36	0.08	0.11	–	0.02	0.21	0.24	0.05	0.19
مصراتة	3.7	0.22	0.8	1.2	0.24	1	5.27	0.23	1.2	1.68	0.05	1.6

جاء في هذه الدراسة ان تركيز الكلي للنيتروجين انخفض خلال فصلي الربيع والخريف حيث تعتدل درجات الحرارة وارتفع تركيز النيتروجين عندما ارتفعت درجات الحرارة في الصيف وارتفع كذلك عندما انخفضت درجات الحرارة في الشتاء، وهذه الحقيقة تنفي تأثير درجة الحرارة المباشر على تركيز النيتروجين في منطقة الدراسة وتعزز احتمال التأثير غير المباشر لدرجات الحرارة عن طريق الهوائم النباتية، حيث اعتدال درجات الحرارة وشدة الإضاءة وطول الفترة الضوئية (Photoperiod) في فصل الربيع يجعل الظروف مناسبة لنمو وتكاثر الهوائم النباتية وبالتالي يزداد عددها وكتلتها الحيوية فيما يعرف بظاهرة الإزهار الربيعي للهوائم النباتية (Phytoplankton spring bloom) التي تعتمد في غذائها بشكل كبير على النيتروجين، وهذا يؤدي إلى نقص تركيز النيتروجين في مياه البحر، وهذه الظاهرة تحدث في فصلي الربيع والخريف، وقد ذكر في بعض الدراسات أن الهوائم النباتية تخفض تركيز النيتروجين لفترة قليلة خلال فترة الإزهار الربيعي [17]، أما في فصل الصيف، فترتفع درجة الحرارة وتشتد شدة الاضاءة وهذه ظروف غير مناسبة لنمو الهوائم النباتية وبالتالي تتناقص كثافتها وكتلتها الحيوية مما يسمح لتركيز النيتروجين بالزيادة، وما يحدث في فصل الصيف نجده يحدث في فصل الشتاء حيث تنخفض درجة الحرارة وتقل شدة الإضاءة والفترة الضوئية وهذه أيضا ظروف غير مناسبة لنمو والحياة الهوائم النباتية فتؤدي إلى انخفاض عددها و تقلص كتلتها الحيوية وهذا يسمح

للنيتروجين باستعادة تركيزه بعد نقصه في فصل الخريف إلا أنه لا يصل إلى المستوى الذي وصل اليه في فصل الصيف وذلك ربما يرجع إلى أسباب فيزيائية.

هناك زيادة تدريجية في تركيز السيليكا من بداية الدراسة في فصل الشتاء سنة 2015 حتى نهايتها في فصل الخريف من السنة نفسها، ولم يظهر أي تأثير لدرجات الحرارة بصورة مباشر أو غير مباشر، وبما أن استنزاف السيليكا يرجع في الغالب إلى الدياتومات [18] هذا ربما يرجع إلى ندرة وقلة كثافة أنواع الهوائم النباتية التي تستهلك وتستخدم السيليكا في بناء صدفتها في منطقة الدراسة، وبالتالي عدم استهلاك السيليكا أدى إلى تراكمها وجعل تركيزها أعلى من تركيز الفوسفور، في معظم البيئات البحرية النيتروجين هو العامل المحدد للكتلة الحيوية للهوائم النباتية [7] وذلك لأن الهوائم النباتية تحتاج إلى كمية أكبر من النيتروجين مقارنة بما تحتاجه من الفسفور [19] إلا أنه في منطقة الدراسة قد يكون الفسفور هو العامل المحدد لوجود الهوائم النباتية وذلك لانخفاض تركيزه في جميع فصول (السنة) الدراسة وعدم وجود تباين فصلي وعدم ارتفاع تركيزه حتى في الفصول التي يفترض فيها تدني الكثافة والكتلة الحيوية للهوائم النباتية كفصلي الشتاء والخريف.

دراسة المغذيات في منطقة مصراتة وفي المنطقة الوسطى بصفة عامة ما زالت في بدايتها وهي بحاجة الى القاء مزيدا من الضوء حول تأثير العمق على تركيز هذه المغذيات والتباين المكاني (Spatial variability) في تركيزها ودراسة مكوناتها منفصلة مثل دراسة تركيز النيتروجين العضوي وغير العضوي والنترات والنيتريت والأمونيا في حالة النيتروجين وسيليكات وثاني أكسيد السيليكون في حالة السيليكا والفوسفات واورثو فوسفات في حالة الفوسفور وغيرها.

الشكر

يتقدم الباحثان بالشكر الجزيل لكل من حميد إبراهيم قزيط و أ. حسين سالم عبد القادر على المساعدة في جمع العينات وتحليلها.

المراجع

1. Abdo, M. H. (2005) Physico-chemical characteristics of Abuz`baal ponds, Egypt. Egypt. Journal of Aquatic Research, 31 (2):1-15
2. Patey, M. D., Rijkenberg, M. J.A., Statham, P. J. Stinchcombe, M. C., Achterberg, E.P., Mowlem, M.(2008) Determination of nitrate and phosphate in seawater at nanomolar concentrations, Trends in Analytical Chemistry, 27(2): 169-182
3. Marsh, J. A. (1977) Terrestrial inputs of nitrogen and phosphorus on fringing reefs of Guam, Proc. 5th Int. Coral Reef Symp. 1: 331-336
4. Lewis, J. B. (1985) Groundwater discharge onto coral reefs, Barbados (West Indies), Proc. 5th Int. Coral Reef Symp., 6: 477-481
5. Badran, M. I.(2001) Dissolved oxygen, chlorophyll a and nutrients: seasonal cycles in water of the Gulf Aqaba, Red Sea,Aquat. Ecosys. Health Manage., 4(2): 139-150
6. Rasheed, M. Badran, M., Huettel, M. (2003) Particulate matter filtration and seasonal nutrient dynamics in permeable carbonate and silicate sands of the Gulf of Aqaba, Red Sea, Coral reef, 22(2): 167-177
7. Howarth, R. W. (1988) Nutrient limitation of net primary production in marine ecosystem. Ann. Rev. Ecol. syst. 19: 89-110.
8. Schindler, D. W. (1972) Evolution of phosphorus limitation in lakes. Science, 195: 260-262
9. Caraco, N. Tamse, A., Boutros, O., Valiela, I. (1987) Nutrient limitation of phytoplankton growth in brackish coastal ponds. Can. J. Fish. Aquat. Sci. 44: 473-476.

10. Caraco, N. (1988) What is the mechanism behind the seasonal switch between N and P limitation in estuaries? Can. J. Fish. Aquat. Sci. 45: 381-383

11. Fisher, T. R., Peele, E.R., Ammerman, J. W., Harding, L. W. (1992) Nutrient limitation of phytoplankton in Chesapeake Bay. Mar. Ecol. Prog. Ser. 82: 51-63.

12. Caraco, N. Cole, J. Likens, G. E. (1990) Comparison of phosphorus immobilization in sediments of freshwater and coastal marine systems. Biogeochemistry 9: 277-290

13. Elmelah, M. A., Abuissa, A. A., Gheat, B. M. (2006a) Seashore water characteristics in the vicinity of Tripoli, Libya, Libyan journal of marine science, 11:5-28.

14. Elmelah, M. A., Benamer, M. A. Abuissa, A. A. (2006b) Physical and chemical seawater properties of selected locations from the Libyan coast, Libyan journal of marine science, 11:37-51.

15. Guo, L., Zhang, J-Z, Celine, G. (2004) Speciation and fluxes of nutriens (N, P, Si) from the upper Yukan River, Global Biogeochemical cycles 18(1): 15-25

16. HACH (updated 2011) For Technical Assistance, ed. 6, Printed in the USA.

17. Manasrah, R., Raheed, M. Badran, M. (2006) relationships between water temperature, nutrients and dissolved oxygen in the northern Gulf of Aqaba , Red Sea, Oceanologia 48(2): 237-253.

18. Wong, C. S., Waser, N. A. D., Nojiri, Y., Johnson, W. K., Whitney, F. A., Page, J. S. C., Zeng, J. (2002) Seasonal and interannual variability in the distribution of surface nutrients and dissolved

inorganic carbon in the Northern North Pacific: Influence of El nino. Journal of Oceanography, 58: 227−243.

19. Aljetlawi, A. A. (2003) Effects of size on growth and survival in a deposit feeding amphipod, Monoporeiaaffinis, in the Gulf of Bothia, Ph D. Thesis, Department of Animal Ecology, Umea Univ.

Seasonal variability in nutrients concentration in Misurata coast, Libya

Albashir A. Aljetlawi
Fatma BashirEgzait

The seasonal variability in concentration of nutrients (N, P, Si) was studied in the coast of Misurata region for 4 seasons continuously during the period of winter (January) 2015- Autumn 2015. The estimation of nitrogen and phosphorus expressed in total nitrogen and total phosphorus respectively while silica estimated as SiO_2. The results showed the nutrients concentrations, namely phosphorus concentration, were low. The largest seasonal variation was in nitrogen concentrations, whereas the highest value was in Summer season (5.27 mg/l) while the lowest value was in Spring (1.2 mg/l). The largest values for phosphorus and silica was in Spring (0.24 mg/l) and Summer(1.2 mg/l) respectively, while the lowest value were in winter (0.22 mg/l) and (0.8 mg/l) respectively. These results revealed the low concentration of phosphorus is the main limiting factor for phytoplankton growth that characterized Mediterranean Sea, and the high concentration of silica throughout the year revealed non-existence of phytoplankton utilize silica in shell construction.

Keywords

Nutrients, total nitrogen, total phosphorus, silica, seawater, seasonal variability, Misurata.

تأثير إضافة الجليسرول علي تحلل نموذج نشط لـ DNA في وسط قلوي

The Effect Of Glycerol On The Hydrolysis Of Activated DNA Model

د. محمد سليمان ساسي‡، حنان فتحي الأصيفر*

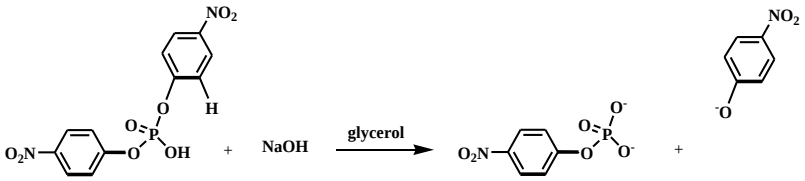

(BNPP) DNA model pNPP pNP

الملخص Abstract: استخدمت المادة Bis-(p-nitrophenyl) phosphate (BpNPP) كنموذج نشط لـ DNA وفوعلت في وسط قاعدي من 1M NaOH، مع تغيير كثافة وسط التفاعل بإضافة نسب مختلفة من الجليسرول. واستخدم الجليسرول كونه أحد نواتج تحلل الدهون الثلاثية في جسم الكائن الحي مما يؤثر على كثافة الدم وعلى وسط تحلل الـ DNA الطبيعي. وبتغيير نسب الجليسرول من (0%، 10%، 25%) لوحظ وجود تأثيراً واضحاً على معدل التفاعل وأعطى المعدلات 5×10^{-6} s^{-1}، 7.6×10^{-6} s^{-1}، 1×10^{-5} s^{-1} على التوالي، أي أن زيادة نسب الجليسرول أدى إلى زيادة معدل التفاعل. وأجري التفاعل عند درجات حرارة مختلفة في وجود 10% جليسرول وذلك لمعرفة أثرها على معدل التفاعل وكذلك لحساب $\Delta H^{\neq}$، $\Delta S^{\neq}$ فكانت قيمة معدل التفاعل عند درجة حرارة 20°C 7.6×10^{-6} s^{-1} وعند 30°C 3×10^{-5} s^{-1} وعند 40°C 5×10^{-5} s^{-1} وعند 50°C 8×10^{-5} s^{-1} 60°C 1×10^{-4} s^{-1}، ومن هذه القيم نستنتج أنه بزيادة درجة الحرارة يزداد معدل التفاعل. حسبت بعض القيم الثيرموديناميكية كالانثالبي ($\Delta H^{\neq}$) والذي كانت قيمته تساوي 39.02 kJ mol^{-1} وهي قيمة موجبة مما يدل على أن التفاعل ماص للحرارة، وكذلك حسب الانتروبي ($\Delta S^{\neq}$) فكانت قيمته سالبة وتساوي -149.9 J K^{-1} mol^{-1} مما يشير إلى أن النواتج أقل فوضى من المواد المتفاعلة.

‡ قسم الكيمياء – كلية التربية – جامعة مصراتة.

* معيدة بقسم الكيمياء – كلية التربية – جامعة مصراتة.

الكلمات الدليلية Keywords: تحلل نموذج نشط لـ DNA في وسط قلوي – إضافة نسب مختلفة من الجليسرول إلى الوسط.

المقدمة Introduction: من المعروف أن المواد التي تتكون منها أنسجة الكائنات الحية هي عبارة عن مركبات مختلفة بعضها مركبات عضوية وأخري غير عضوية. وأكثر المواد العضوية انتشاراً في الكائنات الحية هي المركبات التي تنتمي إلى الكربوهيدرات والبروتينات والليبيدات والأحماض النووية، حيث يوجد نوعين من الأحماض النووية في أنسجة الكائنات الحية وهما DNA، RNA، يوجد الحمض النووي على شكل شريطين ملتفين في شكل حلزوني مزدوج، و ينفصل هذان الشريطان إذا انخفض الرقم الهيدروجيني المحلول عن 4، أو إذا ارتفع رقم pH عن 11، أما في نطاق pH من 4–11 فإنه توجد شحنة سالبة لكل وحدة نيوكليوتيدية وهذه الشحنة ناتجة عن تأين الفوسفات ثنائي الإستر.[1] والدهون هي عبارة عن جليسريدات، وتصنف الجليسريدات إلى جليسريدات أحادية وثنائية وثلاثية بناء على عدد وحدات الأحماض الدهنية.

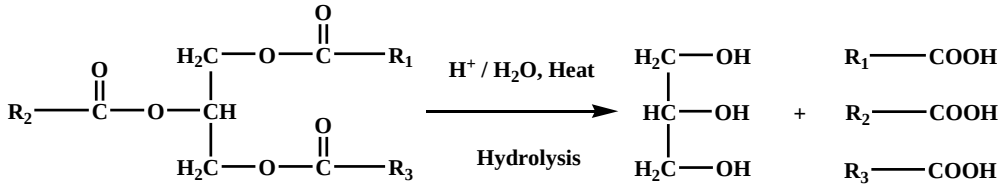

وتوجد الدهون المتعادلة (الجليسريدات الثلاثية) في أنسجة الكائن الحي، والتي قد تتحلل أحيانا في الدم إلى جليسرول وأحماض دهنية (المعادلة أعلاه) ومنها تتغير كثافة الدم ولزوجته، وذلك بسبب إضافة الجليسرول.[2,3] ولهذا السبب تم استخدام الجليسرول لدراسة تأثير تغيير كثافة وسط التفاعل عند دراسة تحلل المادة BpNPP كنموذج نشط لـ DNA. كما تم أيضاً تغيير درجات الحرارة من (20°C – 60) ومعرفة أثرها على معدل التفاعل لـ BpNPP.

الجزء العملي Experimental part:

الأجهزة والأدوات المستعملة والمواد الكيميائية Apparatus and chemical materials

1. زجاجيات مختلفة Different glasses (ماصات عادية، ماصات ميكرولترية، مخابير مدرجة، دوارق قياسية حجمية).
2. ميزان كهربائي حساس نوع Electronic balance Sartorius.
3. UV–vis (جهاز الأشعة فوق البنفسجية والمرئية) JENWAY Spectrophotometer.
4. حمام مائي $0.1\ ^{\circ}C \pm$ من نوع D. 30938 Burgwedel
5. محلول من BpNPP تركيزه 10mM، محلول بارا نيترو فينول (pNP) تركيزه 2.5mM، ماء مقطر، جليسرول، هيدروكسيد الصوديوم.

تحضير المادة المدروسة في البحث BpNPP:

حضرت المادة المدروسة BpNPP من تفاعل مولين من البارا نيترو فينول مع مول من ثلاثي كلورو فوسفات، في وجود ثلاثي إيثيل أمين و ثنائي كلورو ميثان، ثم أجريت عملية تحلل المائي بإضافة الماء و خروج الكلور كمجموعة مغادرة في صورة HCl. وبعد إجراء عملية التنقية باستخدام عمود الكروروماتوجرافيا تم الحصول على المركب النقي من BpNPP وفقاً للمعادلة المبينة أدناه:

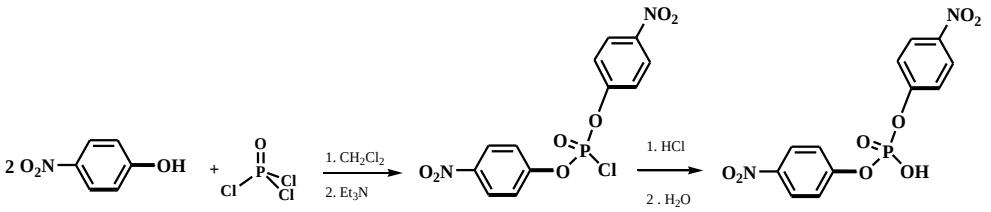

(BpNPP) DNA model

وتعتبر المادة المدروسة BpNPP هي نموذج نشط لـ DNA و كمحاكاة طبيعية لتحلل الحيوي للفوسفات الثنائية في جزيئه DNA الطبيعية. وقد استخدمت هذه المادة في هذا البحث لأنها تعطي بارا نيترو فينوليت كمجموعة مغادرة والتي لها $pK_a = 7.14$ وتمتص الأشعة المرئية عند طول موجي 400nm مما يجعل تتبع التقدم في هذا التفاعل سهلاً.[4,5,6]

تحضير المحاليل:

1. تحضير محاليل من 1M NaOH تحتوي على نسب مختلفة من الجليسرول (0%, 10%, 25%). ثم توزن 4 جرام من NaOH وتوضع في دورق سعة 100 مل، ثم أضيف الجليسرول حسب النسبة المطلوبة ويكمل الحجم بالماء المقطر إلى العلامة.

2. تحضير محلول من بارا نيتروفينول تركيزه 2.5 mM في 1M NaOH و 10% جليسرول.

3. تحضير محلول قياسي من مركب BpNPP:

– يوزن 0.068g من مركب BpNPP ثم يذاب في 2 ml من الماء المقطر للحصول على محلول BNPP تركيزه 100 mM.

– يحضر بالتخفيف محلول قياسي تركيزه 10 mM، حيث يسحب 100µL بواسطة ماصة ميكرولترية من المحلول الذي تركيزه 100 mM ونضع هذا الحجم في وعاء صغير بغطائه سعته 1000 µL ويكمل الحجم بالماء المقطر وذلك للحصول على محلول BpNPP تركيزه 10 mM وهو (المحلول الأم) وتحسب الامتصاصية العظمى لهذا التركيز من خلال قانون (لامبيرت بير):

$$A = \varepsilon \times C \times L = 19711 \times 10/1000 \times 1 = 197.11$$

ونظراً لأن هذه القيمة 197.11 لا يمكن قياسها بجهاز UV-vis و بالتالي يخفف هذا المحلول.

– يخفف المحلول الذي تركيزه 10 mM إلي محلول تركيزه 0.05mM.

– تحسب الامتصاصية العظمى لهذا التركيز من قانون (لامبيرت بير).

$$A = \varepsilon \times C \times L = 19711 \times (0.05/1000) \times 1 = 0.985$$

وعليه فإن التركيز 0.05mM تكون امتصاصية العظمى 0.985، وتعتبر هذه القيمة ملائمة للجهاز المستخدم UV-vis.

– يسحب بالماصة الميكرولترية 5 µL من المحلول الذي تركيزه 10 mM وتوضع في خلية حجمها 1ml ثم يضاف إليها 995 µL من محلول يحتوي في كل مرة على نسب مختلفة من الجليسرول في وجود NaOH تركيزه 1M للحصول على محلول من BpNPP تركيزه 0.05 mM.

حساب معامل الامتصاصية المولارية (Epsilon) للبارا نيتروفينول:

– بعد تشغيل جهاز UV-vis لمدة كافية، يثبت الطول الموجي عند 400 nm.

– تملأ الخلية Cuvette بمحلول (1M NaOH، 10% جليسرول)، ويصفر امتصاص الجهاز.

– قياس الامتصاصية للتراكيز المختلفة (µ60M، 50، 40، 30، 20) والتي تم تحضيرها من تخفيف حجوم مناسبة من المحلول القياسي 2.5 mM حسب العلاقة:

$$M1 \times V1 = M2 \times V2$$

– نرسم العلاقة البيانية بين التركيز على المحور السيني وامتصاصية المحاليل السابقة على المحور الصادي كما في الشكل 1.

حساب معدلات التفاعل لتحلل BpNPP بإضافة نسب مختلفة من الجليسرول:

– يتم متابعة تحلل BpNPP من خلال تتبع زيادة تركيز pNP **في الوسط القلوي**.

– تشغيل جهاز UV-vis ويثبت الطول الموجي عند 400 nm.

– تملأ الخلية (Cuvette) بمحلول 1M NaOH، يحتوي على 25% جليسرول و75% ماء مقطر.

– توضع الخلية و بها المحلول (وسط التفاعل) في جهاز UV-vis و يتم تصفير الجهاز بطرح امتصاص الخلية و الوسط.

– تضاف إلى الخلية التي تحتوي على µ995L من المحلول (وسط التفاعل) µ5L من محلول 10mM BpNPP بواسطة الماصة الميكرولترية حيث يتم الحصول على محلولBpNPP 0.05mM ثم تغلق الخلية بغطائها و يتم تنظيفها من الخارج بمنديل الورق الناعم و خصوصا من الجهة الشفافة.

– توضع الخلية في جهاز UV-vis و تؤخذ الامتصاصية عند الزمن صفر وهو الزمن الذي يبدأ فيه التفاعل بمجرد إضافة µ5L من محلول 10 mM BpNPP إلى وسط التفاعل ثم يتم تتبع إنجاز التفاعل و ذلك بقراءة الامتصاصية عند فترات زمنية مختلفة، وبعدها يتم رسم العلاقة بين الامتصاصية و الزمن وذلك لحساب معدل التفاعل.

– تكرر الخطوات السابقة مرة أخرى باستخدام وسط التفاعل يحتوي على 10% و0% جليسرول ونحسب k_{obs} في كل مرة.

تأثير درجة الحرارة على معدلات تحلل BpNPP مع 1M NaOH 10% جليسرول:

– يجهز الحمام المائي ونثبته عند درجة حرارة 30 °C.

– يؤخذ دورق قياسي سعته 25ml ثم نضع فيه 10ml من المحلول (10% جليسرول و 1M NaOH) ويغلق بإحكام.

– يوضع الدورق القياسي لمدة 10 دقائق في الحمام المائي، وذلك حتى يأخذ المذيب درجة حرارة الحمام المائي.

– يضاف إلى وسط التفاعل في الدورق وهو في الحمام المائي 50 µl من محلول 10mM BpNPP بواسطة ماصة ميكرولترية للحصول على محلول من BpNPP تركيزه 0.05mM ثم يسحب بالقطارة وبسرعة من هذا المحلول ويوضع في خلية 1ml ثم توضع الخلية بسرعة في جهاز UV-vis وتؤخذ الامتصاصية عند الزمن صفر وهو الزمن الذي يبدأ فيه التفاعل بمجرد إضافة 50Lµ من محلول BpNPP إلى وسط التفاعل مع الحفاظ على درجة حرارة 30°C و ذلك بإرجاع المحلول الذي أخذت امتصاصيته بسرعة إلى الدورق الذي في الحمام المائي بواسطة القطارة ويتم قراءة الامتصاصية عند فترات زمنية مختلفة وترسم العلاقة بين الامتصاصية والزمن وذلك لحساب معدل التفاعل k لـ BpNPP كما سبق ذكره.

– نكرر الخطوات السابقة نفسها مع تغيير درجة الحرارة من 30°C إلى 40°C ثم 50°C وأخيراً إلى 60°C.

– عند 60 °C تم تتبع تقدم إنجاز التفاعل تقريباً إلى نهايته بقراءة الامتصاصية عند فترات زمنية مختلفة مع الحفاظ على درجة حرارة 60 °C حتى وصلنا تقريباً إلى الامتصاصية العظمى 0.915 كما في الشكل (8). وبعدها رسمت العلاقة البيانية بين الامتصاصية والزمن للحصول على معدل التفاعل.

النتائج والمناقشة Results and discussion

تم حساب معامل الامتصاصية المولارية (Epsilon) للبارا نيتروفينول وذلك من ميل الخط المستقيم الذي تم الحصول عليه من الشكل (1) كالآتي:

$$\varepsilon = \text{Slope} \times 10^6 = 0.019711 \times 10^6 = 19711$$

وهذا القيمة قريبة جداً مما هو منشور في دراسة سابقة ولكن بدون الجليسرول حيث كانت قيمة الامتصاصية المولارية ε لبارا نيترو فينوليت 18320.[5]

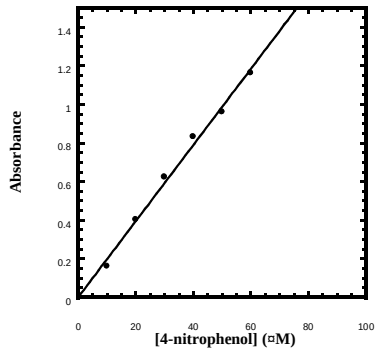

الشكل (1) امتصاصية محاليل مختلفة من بارا نيتروفينول في وسط من 1M NaOH، 10% جليسرول ودرجة حرارة 20°C، الميل 0.019711، التقاطع 0.00027، معامل الارتباط 0.996.

ومن الشكل (2) تم حساب معدل التفاعل k لـ 0.05 mM BpNPP مع 1M NaOH ونسبة الجليسرول فيه كانت 25 % تحت درجة حرارة 20 °C من العلاقة التالية:

$$k_{obs} = \text{Slope} / A$$

حيث أن Slope = الميل الذي يتم الحصول عليه من خلال هذا الشكل، A = الامتصاصية العظمى وهي 0.985, k_{obs} = معدل التفاعل الملاحظ.

$$k_{obs} = 2.371 \times 10^{-5} / 0.985$$
$$= 2.407 \times 10^{-5}\ s^{-1}/2$$
$$k_{obs} = 1.2035 \times 10^{-5}\ s^{-1}$$

ونظراً لان المادة المدروسة BpNPP تحتوي على مجموعتين مغادرتين متماثلتين ولهما نفس pK_a و لذلك فإن معدل التفاعل قسم على 2.

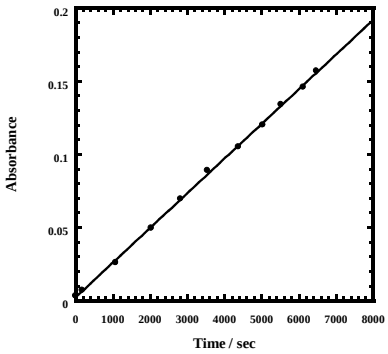

الشكل (2) العلاقة بين امتصاصية بارا نيترو فينوليت كمجموعة مغادرة مع الزمن في تفاعل 0.05mM BpNPP مع 1M NaOH نسبة الجليسرول فيه 25 % تحت درجة حرارة 20°C، الميل 2.3705×10^{-5}، التقاطع 0.002181، معامل الارتباط 0.999.

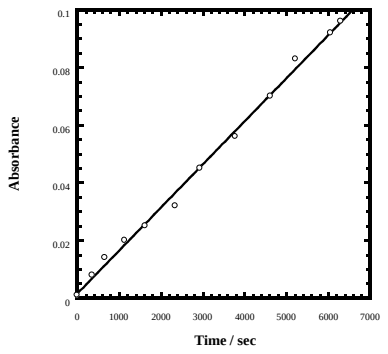

الشكل (3) العلاقة بين امتصاصية بارا نيترو فينوليت كمجموعة مغادرة مع الزمن في تفاعل 0.05mM BpNPP مع 1M NaOH نسبة الجليسرول 10% تحت درجة حرارة 20°C، الميل 1.4943×10^{-5}، التقاطع 0.002، معامل الارتباط 0.998، ومعدل $7.6\times10^{-6}\ s^{-1}$.

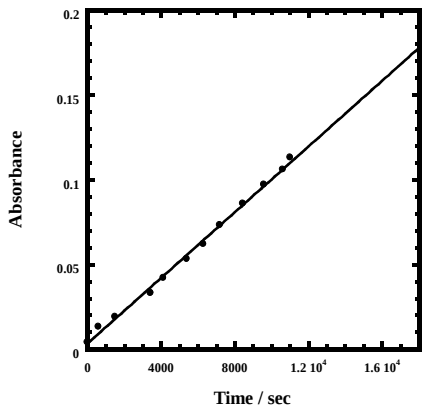

الشكل (4) العلاقة بين امتصاصية بارا نيترو فينو ليت كمجموعة مغادرة مع الزمن في تفاعل 0.05 mM BpNPP مع 1M NaOH نسبة الجليسرول 0 % تحت درجة حرارة 20 °C، الميل 9.6824×10^{-6}، التقاطع 0.003، معامل الارتباط 0.998، ومعدل التفاعل $4.9\times10^{-6}\ s^{-1}$[1]. وهذا المعدل قريب جداً مما هو منشور حول نفس التفاعل ولكن بدون الجليسرول حيث كانت $4.996\times10^{-5}\ s^{-1}$.[(7)]

تأثير درجة الحرارة على معدلات تحلل BpNPP مع 1M NaOH 10% جليسرول:

من خلال تتبع التقدم في التفاعل عند درجات حرارة مختلفة وذلك بقياس الامتصاص الناتج عن زيادة تركيز PNP مع الزمن وبرسم العلاقة بين الامتصاص مقابل الزمن تحصلنا على الأشكال 5، 6 والتي من خلالها تم حساب k_{obs} حيث كانت عند 30°C 3×10^{-5} s^{-1} وعند 40°C 5×10^{-5} s^{-1}.

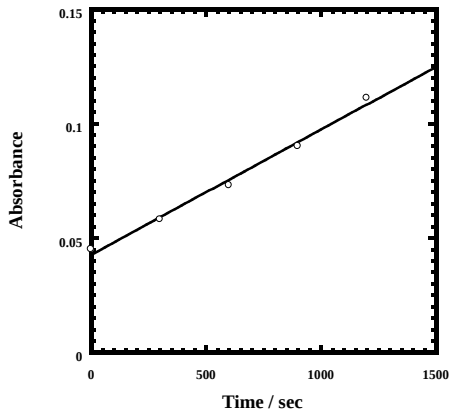

الشكل (5) العلاقة بين امتصاصية بارا نيترو فينوليت كمجموعة مغادرة مع الزمن في تفاعل 0.05mM BpNPP مع 1M NaOH نسبة الجليسرول فيه 10% تحت درجة حرارة 30°C، الميل 5.4667×10^{-5}، التقاطع 0.0426، معامل الارتباط 0.996 ومعدل التفاعل 2.775×10^{-5} s^{-1}.

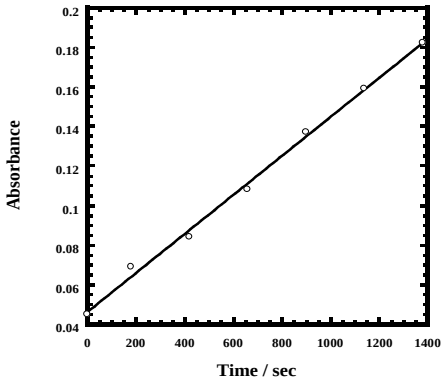

الشكل (6) العلاقة بين امتصاصية بارا نيترو فينوليت كمجموعة مغادرة مع الزمن في تفاعل 0.05mM BpNPP مع 1M NaOH نسبة الجليسرول فيه 10% تحت درجة حرارة 40°C، الميل 9.8425×10^{-5}، التقاطع 0.046، معامل الارتباط 0.998، ومعدل التفاعل $4.996\times10^{-5}s^{-1}$.

أما في الأشكال 7، 8 فقد تم تتبع التفاعل كاملاً، ومن خلالها كان k_{obs} يساوي 8×10^{-5} s^{-1} عند 50 °C و يساوي 1×10^{-4} s^{-1} عند 60 °C.

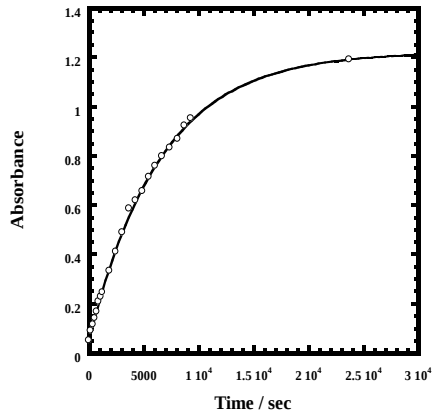

الشكل (7) العلاقة بين امتصاصية بارا نيترو فينو ليت كمجموعة مغادرة مع الزمن في تفاعل BpNPP (0.05mM) مع NaOH 1M نسبة الجليسرول 10% عند درجة حرارة 50°C، الميل 0.050، التقاطع 1.221، معامل الارتباط 0.999، ومعدل $0.000154\ s^{-1}$.

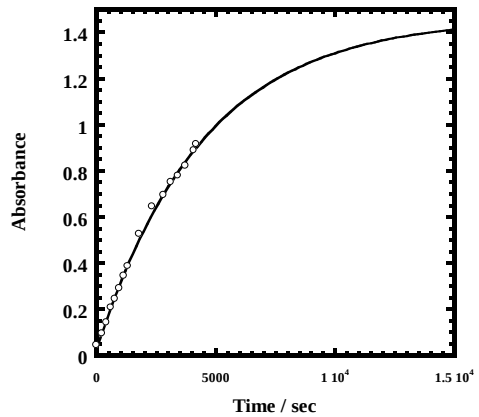

الشكل (8) العلاقة بين امتصاصية بارا نيترو فينو ليت كمجموعة مغادرة مع الزمن في تفاعل BpNPP (0.05mM) مع NaOH 1M نسبة الجليسرول 10% عند درجة حرارة 60°C, الميل 0.024، التقاطع 1.461، معامل الارتباط 0.999، ومعدل $0.00022479\ s^{-1}$.

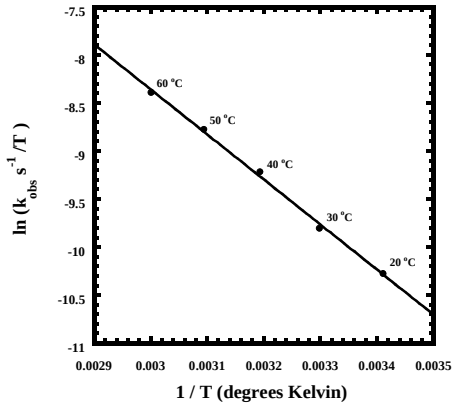

الشكل (9) العلاقة بين $(\ln k_{obs}\ S^{-1}/T)$ مع $(1/T)$ حيث إن T درجة الحرارة المطلقة بينما 1/T مقلوب درجة الحرارة المطلقة، k_{obs} معدل التفاعل الملاحظ حيث أن الميل 4693-، التقاطع 5.723، معامل الارتباط 0.999.

ومن الشكل(9) تم حساب الانثالبي والانتروبي لهذا التفاعل (التحلل القلوي لـBpNPP) وذلك باستخدام معادلة إيرينج: [8]

$$\ln k / T = (- \Delta H^{\#} / R) (1/T) + (\ln k_B / h) + (\Delta S^{\#} / R)$$

k ثابت معدل التفاعل،T درجة حرارة المطلقة، $\Delta H^{\neq}$ إنثالبي التنشيط، R الثابت العام الغازات، k_B ثابت بولتزمان، h ثابت بلانك، $\Delta S^{\neq}$ إنثروبي التنشيط. وتم حساب الانثالبي $\Delta H^{\neq}$ من خلال هذه العلاقة: $Slope = -\Delta H^{\neq}/R$

حيث إن Slope هو ميل الخط المستقيم لهذا الشكل وهو 4693−, R ثابت الغاز المثالي ويساوي $8.314 J\ K\ mol^{-1}$

$$\Delta H^{\neq} = 39.02\ kJ\ mol^{-1}$$

بينما تم حساب الانتروبي $\Delta S^{\neq}$ من خلال هذه العلاقة: $\Delta S^{\neq} = R \times$ التقاطع - 197.5

حيث إن التقاطع يتم الحصول عليه من خلال الشكل وهو يساوي 5.723

$$\Delta S^{\neq} = -149.9\ J\ K^{-1}\ mol^{-1}$$

الاستنتاجات Conclusions:

من النتائج المتحصل عليها من خلال قياس الامتصاصية لبارا نيترو فينول كما هو مبين في الشكل (1) تم الحصول على معامل الامتصاصية المولارية Epsilon للمجموعة المغادرة بارا نيترو فينوليت والتي قيمته تساوي 19711 وبمقارنة هذه القيمة مع الدراسات السابقة[5] التي كانت فيها قيمة الامتصاصية المولارية 18300 مما يدل على أن تغيير كثافة الوسط (بإضافة الجليسرول) أثرت قليلاً على قيمة Epsilon لبارا نيترو فينول، ومن المعلوم أن تحلل BpNPP في الوسط القاعدي سيعطي بارا نيتروفينوليت (pNP) كمجموعة مغادرة وبارا نيتروفينايل فوسفيت أحادي (pNPP) والذي هو ثابت في الوسط القلوي.

ويعتبر هذا التفاعل الذي تم من خلاله الحصول على بارا نيتروفينوليت كمجموعة مغادرة من تفاعلات الرتبة الأولى الكاذبة؛ نظراً لأن تركيز NaOH لم يتغير مع مرور الزمن. لاحظنا من الأشكال (2، 3، 4) أن تغيير كثافة الوسط القاعدي بنسب مختلفة من الجليسرول (0%، 10%، 25%) أثرت على معدل التفاعل لـ BpNPP مما يستدل على أن زيادة كثافة الوسط تؤدي إلى زيادة معدل تحلل BpNPP في الوسط القلوي. ومن الأشكال (5، 6، 7، 8) لاحظنا أثر تغيير درجات الحرارة من(20°C - 60) على معدل التفاعل لـ BpNPP حيث وجد أن معدل التفاعل يزداد بزيادة درجة الحرارة مما يدل على أن التفاعل ماص للحرارة.

ومن الشكل (9) وباستخدام معادلة إيرينج تم حساب الانثالبي و الانتروبي حيث كانت قيمة الانثالبي $39.02\ kJ\ mol^{-1}$ مما يدل على أن التفاعل ماص للحرارة. وهذه القيمة قريبة جداً من قيمة منشورة لتحلل مركب Bis 2,4-DNPP في الوسط القلوي حيث كانت قيمة الانثالبي $42.5\ k\ J\ mol^{-1}$.[10] وحسبت قيمة الانتروبي لهذا التفاعل فكانت $-149.9\ J\ K^{-1}mol^{-1}$ مما يدل على أن النواتج أقل فوضى من المتفاعلات. ووجدت هذه القيمة قريبة جداً من قيمة الانتروبي المنشورة لتحلل مركب Bis 2,4-DNPP في الوسط القلوي حيث كانت القيمة $-135\ k\ J\ mol^{-1}$.[10]

المراجع References:

1. الأحماض النووية/Faculty.mu.edu.sa/public/uploads

2. شعبان نجم دراز وآخرَين: مبادئ في الكيمياء الحيوية، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1999.

3. إبراهيم مصطفى وآخرون: الكيمياء العضوية والحيوية ،المركز الوطني للتخطيط التعليمي والتدريس، 2003– 2004.

4. Zalatan, J. G.; Herschlag, D., Alkaline Phosphatase Mono- and Diesterase Reactions: Comparative Transition State. *Journal of the American Chemical Society* **2006,** *128* (4), 1293-1303.

5. Kirby, A. J.; Younas, M., The reactivity of phosphate esters. Diester hydrolysis. *Journal of the Chemical Society B: Physical Organic* **1970**, 510-513.

6. Williams, N. H.; Wyman, P., Base catalysed phosphate diester hydrolysis. *Chemical Communications* **2001,** (14), 1268-1269.

7. Younas, M. R., Abdur Iqbal, M. , Hydroxide Ion Catalysed Hydrolysis of Diaryl Phosphates. *J. CHEM. SOC. PA.* **1981,***3* (3).

8. https: // ar.wikipedia.org / wiki /

9. Orth, E. S.; Wanderlind, E. H.; Medeiros, M.; Oliveira, P. S. M.; Vaz, B. G.; Eberlin, M. N.; Kirby, A. J.; Nome, F., Phosphorylimidazole Derivatives: Potentially Biosignaling Molecules. *The Journal of Organic Chemistry* **2011**.

REFERENCE

1. Hagan, E.; Jeswiet, J. (2003) A review of conventional and modern single-point sheet metal forming methods, Proceedings of the Institution of Mechanical Engineers, Part B: Journal of Engineering Manufacture, 217(2), 213-225.
2. Hussain, G.; Gao, L.; Hayat, N.; Ziran, X. (2009) A new formability indicator in single point incremental forming. Journal of Materials Processing Technology, 209, 4237-4242.
3. Matsubara, S (1994). Incremental backward bulge forming of a sheet metal with a hemispherical tool. Journal of the Japan Society for Technology of Plasticity, 35, 1311-1316.
4. Kim S. W, Y. S. Lee, S. H. Kang and 1.H. Lee, (2007) Incremental forming of Mg alloy sheet at elevated temperatures, Journal of Mechanical Science and Technology 21 1518-1522.

Conclusion

The present research aimed also at investigating the significance of temperature in the process of incremental forming. The investigations assessed some conclusions:

- No correlation between fracture and temperature in the incremental forming process.
- Increase in temperature is due to friction and large contact area between the tool and the sheet.
- The temperature ranges between a slightly lower than 45°C and little above 60°C.
- Temperature has no effect on the material properties of the part due to low level of temperature.

It is recommended to investigate further in terms of temperature effect using different materials mainly materials that have high strength.

sheet where the sheet is deformed down vertically (Figure 8). Such low temperature does not play role in affecting material properties in incremental forming process.

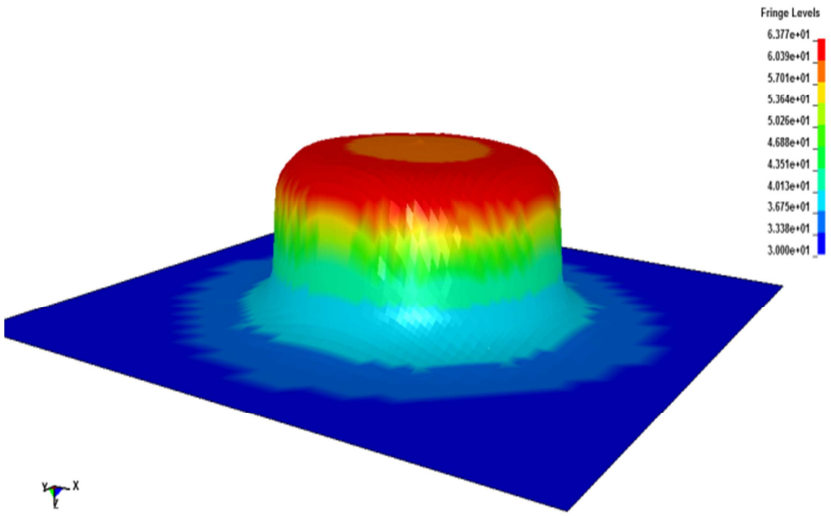

Figure 8: Temperature measurement at the corner **خطأ! لا يوجد نص من النمط المعين في المستند.**

Temperature effect on different materials

Two materials have been used to compare the results of each metal (same parameters applied force, feed rate, step size, tool size, multi passes). AA-1100 aluminium alloy showed high formability and good dimensional accuracy close to the CAD model. Mild steel showed high strength in forming the sheet because of the high carbon content. However less cracks appeared than in the aluminium sheet. Moreover, the temperature of the mild steel sheet was higher while in the forming process compared to the aluminium sheet. This is simply because of the high carbon content that makes the sheet harder and subsequently increased the temperature.

The temperature curve shows six waves that represent the six forming stages as shown in Figure 7. In the first forming pass the temperature increased slightly by increasing forming depth until it reached its peak at the end of the forming pass by 51.3 °C

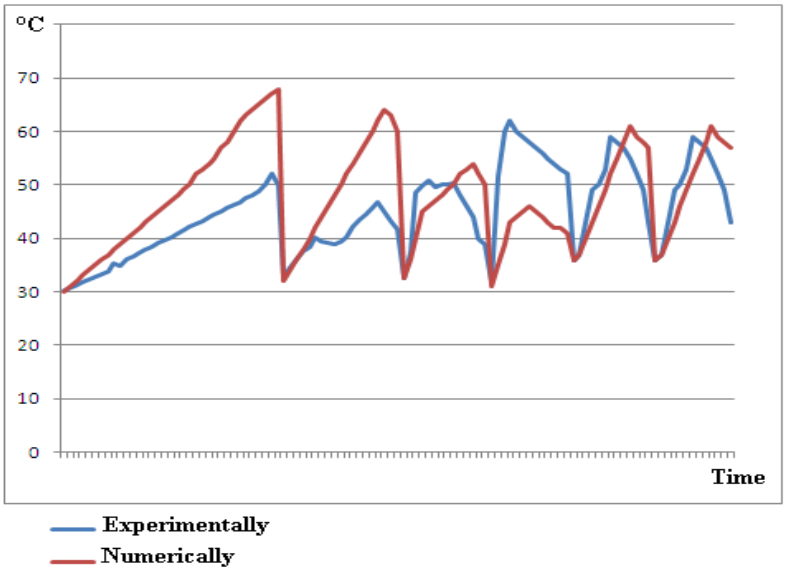

Figure 7: Experimental and numerical results of temperature curve in ISF

The numerical results show a little higher temperature at 68 °C in the first forming pass which represents the highest temperature among the forming passes. Because of the forcible tool on the base material to deform it from scratch to the conical shape, the value of friction appears in the full contact area between the tool and the sheet, making the temperature quite high. On the other hand, the experimental results show higher temperature in the forth forming pass at 62 °C due to a large contact area between the tool and the

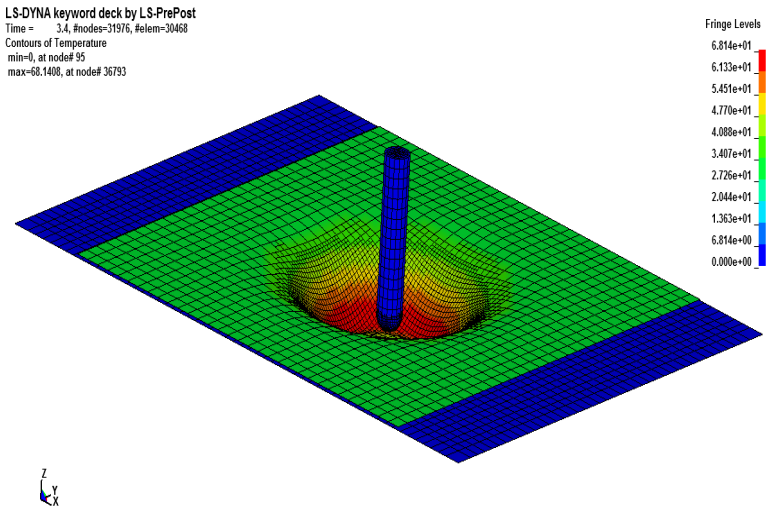

Figure 5: Numerical results for temperature in ISF

The real time measurement of the part temperature recorded from the thermographic camera shows that the maximum temperature appears in the contact area between the tool and the formed sheet as shown in Figure 6.

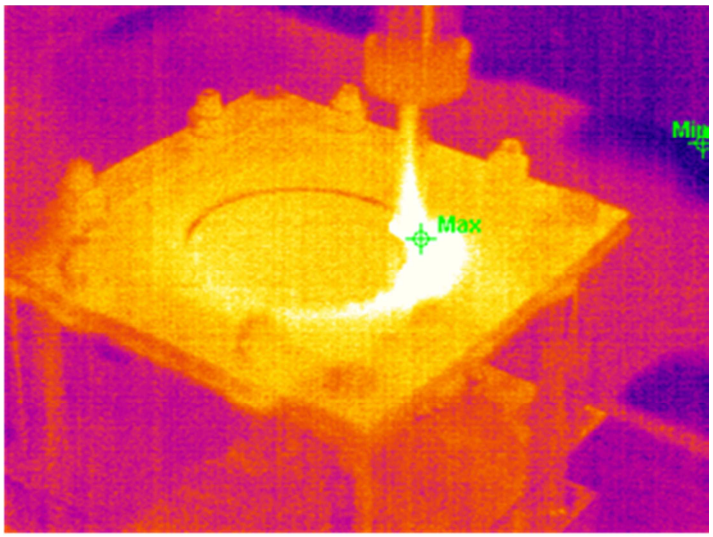

Figure 6: Thermal imaging by thermo-graphic camera

camera incorporated in the same unit, operators can simply locate the scene to be inspected, snap the shutter and then have both high resolution thermal and visual images taken and saved together in a single file with one name.

Figure 4: Thermal imaging by thermo-graphic camera

The integrated laser locator helps operators accurately associate a hot spot shown in thermal images with the real physical target. Documenting infrared inspections gets much faster and more certain. Offering an unmatched high thermal sensitivity of 0.06°C and high temperature measurement accuracy of ±1°C or ±1%, the camera enables operators to pinpoint the smallest temperature difference quickly and clearly.

Numerical and experimental results

The cup was successfully formed with six stages numerically and experimentally. The numerical simulation shows the scale of the temperature and the meshed part with the forming tool and backing plate (Figure 5).

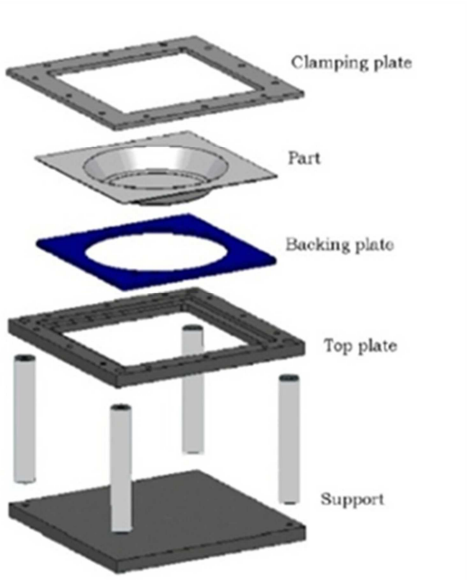

Figure 3: Exploded assembly view

The sheet was 2 mm thick and the feed rate was 1000 mm/min. The forming tool has a diameter of 15 mm with hemi-spherical head which has a spindle speed of 500 rpm. In most metal forming processes, friction is undesirable so metalworking lubricants are applied to sheet interface in all forming passes to reduce harmful effects of friction. Therefore, grease was used for lubrication while forming, and the part is cleaned between each forming pass to remove loose wear particles and apply new grease. Tool paths of each forming pass were generated using CATIA software. The shape of the formed part is a cylindrical cup. The dimensions of the cylindrical cup are h = 60 mm and r = 60 mm. Six forming stages were used to form a final cup.

The thermographic camera THERMOPRO TP8 is used to record the temperature while forming the part in every pass as shown in Figure 4.It gives crisp thermal and visual imaging. It catches the initial temperature at 30 °C. With a 384 x 288 pixel IR camera and a colour 1280 x 1024 visible

Working principles of ISF

The working principle of ISF is illustrated in Figure 2. The setup typically consists of a head forming tool, a fixture, a blank holder, and a blank. The blank is firmly clamped to the fixture. The movement of the forming tool can be programmed in three axes of translation and for spindle rotation. The form-giving tool representing the required shape remains stationary throughout the process. Using a suitable tool path strategy, the forming tool moves around the form-giving tool, from top to bottom. The forming tool is in contact with the blank and pushes the blank down level by level in the predefined vertical steps, and incrementally deforming the blank until the desired shape has been formed. Thus, a CNC controlled movement of a universally usable forming tool produces the desired shape.

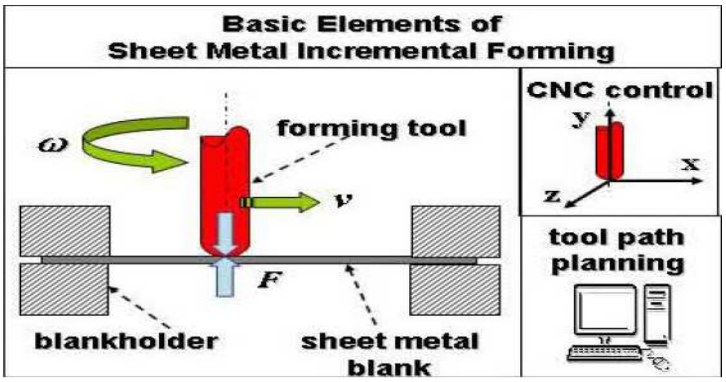

Figure 2 the working principle of ISF

Experimental setup

The experiment is conducted on a CNC milling machine. A clamping device was used to fix the sheet on the table of the machine. Since a milling machine with a vertical spindle was used, a setup had been designed for this machine. An exploded assembly view and a cross section view of the setup are presented in Figure 3.

and strain rate such that re-crystallisation process take place simultaneously with the deformation, for example rolling, forging, extrusion. On the other hand, cold working is the deformation carried out under conditions (< 0.3Tm) where re-crystallisation does not occur andrecovery processes are not effective for instance wire/tube drawing, swaging and coining. In this case, the incremental forming is considered as cold working process.

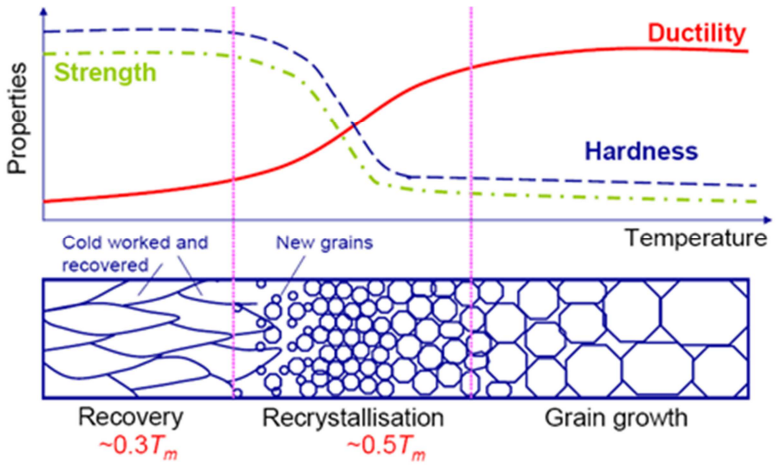

Figure 1: Effect of temperature on metal forming processes

The major cold-working operations, Table 1, can be classified fundamentally under the headings of drawing, bending, shearing, and squeezing, as follows:

Table 1: Classification of cold working operation

Drawing	Bending	Shearing	Squeezing
Incremental forming	Angle	Slitting	Rolling
Stretch forming	Roll forming	Trimming	Swaging
Shell drawing	Flanging	Cut-off	Cold forging
Spinning	Straightening	Dinking	Coining

have complex shapes or are only needed in small series, as is the case with unique aeronautic and automotive parts. Therefore, there is a need for a flexible technology that is also viable for small and medium-sized enterprises. Incremental sheet forming (ISF) is a new process for manufacturing sheet metal parts which is well suited for small batch production or prototyping (1, 2). ISF, also known as Die-less NC Forming, was introduced in Japan by Matsubara (3) as a method for prototyping and manufacturing sheet metal products in small series. A heating apparatus was developed in order to enhance formability at elevated temperature (4). However, incremental forming process for the sheet has not been done under temperature influence.Metal-forming processes use a remarkable property of metals which is their ability to flow plastically in the solid state without concurrent damage of their properties. Furthermore, by simply moving the metal to the desired shape, there is little or no waste. In industrial metal forming manufacture there are three basic temperature ranges that the metal is worked at, cold working, warm working, and hot working. These methods or working processes are used to mechanically shape metals into other product forms.

Classification of Temperature-Working Operations

The properties of the metal are affected by temperature when the work temperature is raised as shown in Figure 1. At higher temperature, ductility increases and both yield strength K and strain hardening n decrease while losing on surface finish and dimension accuracy. The metal will respond in a different way to the same manufacturing operation if it is performed under different temperatures. Hot working is defined as deformation under conditions of temperature (0.6-0.8Tm, Tm is the melting point of the metal)

THERMAL EFFECT ON MATERIAL IN INCREMENTAL SHEET METAL

Salah B. M. Echrif, Amer Husein Akier *

Abstract:

It is quite familiar in the field of metal forming processes that the properties of a metal while forming may change with an increase in temperature. Studies on thermal effect have not been done before in the case of incremental sheet forming (ISF). For that the paper aimed to investigate the effect of temperature which may result different material properties. In the present paper, the thermal effect is investigated numerically using Ls-dyna and experimentally using thermograph camera. Both numerical and experimental results are in close agreement. It is found that the maximum temperature reached experimentally 62 °C whereas it only reached numerically 68 °C which means the properties does not change. Therefore, it is considered as low temperature compared to conventional forming processes like deep drawing. Thus, temperature doesn't play roll in effecting on material properties in incremental forming process.

Introduction

Nowadays, many industries use forming processes like deep drawing and stamping in order to manufacture sheet metal components with high productivity. These processes need large initial investments and long die-preparation times, with specific dies for each part, particularly when the parts

* Faculty of Education, Tagora- Libya.

References

1. Akbar, R.A. (2002). A study of Teaching Practice of prospective Secondary School Teachers and Development of a Teaching Practice Model, Arid Agriculture University, Rawalpindi. Unpublished PHD Thesis.
2. Akinsola, M.K. (2014) Assessing pre-service teachers teaching Anxiety. American Journal of Educational Research 2. 12.pp 41-44.
3. Azeem, M. (2011). Problems of prospective Teachers during Teaching Practice, Academic Research International. Vol. 5, Issue 2.
4. Bolarfinwa,O. (2010). Effects of Teaching Practice on Student-Teacher in Tertiary Institutins in Nigeria, Munich, GTIN, Verlag.
5. Brown,D. P and R,Nacino-Brown.(1990) Effective Teaching Practice. Lechhampton, Chetenham: thornes Publishers LTD.
6. Marais,P. (2011). The Significance of Student-Teachers, Involvement in Co- curricular Activities. International Journal for E-learning Security.Vol, 1. 3/4 pp 81-88.
7. Okobia, E.O. (2013). Analysis of perceived Challenges Faced by Student-Teachers during Teaching Practice Exercise. Journal of Education Practice. Vol. 4. 11. pp 2-13.
8. Preece,P. (1979). Student Teacher Anxiety and Class Problems on Teaching Practice: across Lagged Panel Analysis.Britsh Educational Research Journal. Vol. 1. pp.13-19.
9. Ranjan, R. (2013). A student of Practice teaching Program: Transitional Phase for Student- Teacher. Voice of Research. Vol. 1.4.pp 24- 28
10. Sharma, D.(2015). Listening to the Experiences and Concerns of Pre-Service Teachers during Teaching Practice Programs: MIER Journal of Education Studies, Trends and Practices. Vol. 5, 1, pp 14-27.
11. Tarusha, F &O. Bilali,(2015) Factors Influencing the Appearance of Teaching Anxiety to Student Teachers. European Journal of Social Sciences, Education and Research. Vol. 3, 2.pp. 90-94
12. Weistein, C. (1990) Prospective Elementary Teachers' Believes about Teaching: Implications for Teacher Education.Vol,6. 3, pp 279-290

sub-skills, the teaching practice lecturers in the faculty should organize effective and adequate practice and orientation for student-teachers before tackling teaching practice exercise.

3. The students who study English language teaching methodology II are large number. They should be divided into small groups not more than 20 students in each class.

4. Students have to participate in all activities of school such as preparing the timetable, evaluation of class work and home work, arrangement of tutorial groups, sports, games, morning assembly, sharing in news board, information board, decoration of classroom and so on. Therefore, the student-teachers have to spend the whole day in schools as real teachers.

7. Conclusion

It has been asserted that teaching is a unique profession that requires adequate skills on the part of student- teachers which constitute an important part of teaching practice program. This study indicates that all students 100% who study in English department, achieved English teaching method I. We can generally say that those students have an idea about the teaching methods which deal with different ways of teaching any target language for non-native speakers. About 70% of the students did not accomplish English language teaching II before joining teaching practice program. This subject introduces different techniques for teaching different skills and sub-skills during teaching any foreign language because the students are sometimes asked to teach any skill or component during carrying out teaching practice. This means that not all students get chance to practice teaching language skills and sub-skills during studying this course. So it is unwise to ask them teach different skills or components correctly. Since there were no meetings or lectures to introduce the rules and routine used in the schools where the students apply teaching practice. It is clear that the majority of the students who carry out the teaching practice program did not have any idea about the rules and routine used in these schools. This makes the students of teaching practice in a passive role. What they dois just giving their classes and sometimes attending the morning assembly.

5.The findings of the study

The ways of gathering data in this study are personal interview of students who accomplished the teaching practice program last year.

They confirmed that there were many problems encountering the student teachers during carrying out teaching practice. Accordingly, the researchers found out the following:

1.All the interviewed students 100% accomplished teaching methodology I.However30% of them accomplished teaching methodology II. Whereas 70% did not. This means that most of pre-service-teachers lack the knowledge of the techniques of teaching language skills and sub-skills before tackling this program which had bad results on their performance.

2. Non of the pre-service teachers had opportunity to attend any lectures or meetings where they applied this program. As a consequence, they did not have any information or ideas about school activities. It seems that there is a need for good relationship between student-teachers and teachers in schools so as to enable them achieve the desired outcomes from the teaching practice exercise. The schools have a great role to play in helping the student-teachers professionally. They have to be expected to report on the work of pre-service teachers to the college. These reports have a great value to the university and have to be given an important attention.

3. Data indicated (see table 3) that most of pre-service teachers did not get a chance to give presentations about language skills and sub-skills which made them encounter many hindrances during carrying out their teaching practice program in the schools. Educators in the Education Faculty have to give a chance to student-teachers to rehearse and give lessons in front of their colleagues in all aspects of the language before tackling teaching practice exercise in schools to make it more effective and fruitful.

6.Recommendations

1.The time allotted to English language teaching methodology is inadequate. It should be at least six hours a week. At the present, the students study only four hours a week.

2. Since this study revealed that the majority of student-teachers complained that they were not given adequate teaching practice exercises in all skills and

This table shows that all the students 100% did not get any chance to have lectures or meetings to be aware of the program and the routine used in the school during applying teaching practice. So all of them are not aware of the rules and routine used by the teachers and students in the school.

The table also shows that students of teaching practice did not involve themselves in the activities done by the teachers and students in the school.

The same table also clarifies that only two students 20% attended two lectures about school program and two students attended only one lecture, whereas all the students100% did not get chance to attend any lectures with the teachers or the head-master in these schools.

4.3.Table 3.Language Aspect

Which of the following components did you get chance to give presentations during studying English teaching methods?

Item	students									
	S1	S2	S3	S4	S5	S6	S7	S8	S9	S10
Listening	✗	✗	✓	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗
Speaking	✗	✗	✗	✗	✓	✗	✓	✗	✗	✗
Reading	✗	✗	✓	✗	✗	✗	✗	✓	✗	✗
Writing	✗	✓	✗	✓	✗	✗	✗	✗	✗	✗
Grammar	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗
Vocabulary	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✓	✗
Pronunciation	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✓	✗	✗	✓

From the above table, it is obvious that most of the students did not get chance to give presentations about the all language skills and sub-skills, but some of them 20% gave presentations about two components, others about 80% gave only one presentation. This indicates that during studying English language teaching methodology II, the students could not get chance to practice teaching different skills or sub-skills. This can be owed to the limited time allotted to teaching this course and the large number of students in each group.

From this table, it is clear that all the ten students 100% studied English language teaching I. This means that all of them have general idea about the teaching methods used for teaching foreign languages. As mentioned before, the concentration during studying this course is upon the communicative approach because the syllabus of the material used in Libyan schools is based on this method. This table also shows that only three students out of ten 30% studied English language teaching II. This means few students accomplished this course whereas the rest 70% did not accomplish this course before joining the teaching program. They do not have a complete idea about the way of teaching language skills and sub-skills. This means that they ignore the suitable techniques for the teaching process. It is also clear that most of the students who accomplished English language teaching II, did not study the way of teaching all the language components. Only some of them did and this is due to many factors such as the time allocated to this course by English department and the large number of the students who study this course together.

4.2. Table 2.Social Aspect

Items	students									
	S1	S2	S3	S4	S5	S6	S7	S8	S9	S 10
Have you been given any lectures about the school year program and routine?	✓	✗	✗	✗	✗	✗	✓	✗	✗	✗
Have you been involved in any activities done by the school where you applied teaching	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗
Have you attended any meetings with the teachers and the headmaster in the school to introduce you things you sometimes need?	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗

3. Providing opportunity for evaluating the student potential as a teacher and suitability for teaching profession.
4. Overcoming the problems of discipline and enabling student teachers to develop method of teaching.
5. Putting theories into practice and developing a deeper understanding of educational principles and their application for learning.
6. Developing skill in use of fundamental procedures, techniques and methods of teaching.
7. Enabling the student-teachers effectively to plan and prepare lessons.
8. Developing desirable profession interests, attitudes, techniques and methods of teaching.
9. Enabling student teachers to acquire desirable characteristics/ traits of teachers and displaying appropriate behavior.
10. Developing skills such as fluent speaking, meaningful reading and using teaching aids.
11. Discovering own strengthen and weakness.
12.Exchanging ideas and methods between practicing school and teacher training institution.

4. Data analysis

4.1. Table 1.Educational Aspect

Items	students									
	S1	S2	S3	S4	S5	S6	S7	S8	S9	S10
Did you accomplish English teaching methodology I?	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
Did you accomplish English teaching methodology II?	✗	✓	✗	✓	✗	✗	✓	✗	✗	✗
If yes, did you study the way of teaching all the language skills and sub-skills?	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗	✗

for student- teachers, Student-teachers are not imparted practice training of different methods of teaching before they are sent for teaching practice exercise, Majority of student–teachers are not informed about the rules and regulations of the practicing schools.

Furthermore, Empirical findings support the notion that high level of anxiety among student –teachers may be tied to negative consequences such as class control problems and class disruptions. Preece (1979) found correlation between student- teacher anxiety and class control problems. Tarusha and Bilali (2015) showed that the teaching anxiety to student teachers was influenced by a number of factors that are associated with specific characteristics of learning situations such as teaching planning, ability to analyze problems of learning , class management, assessment of students, public speaking and teaching observationp from mentor teacher. Ranjan (2013) comments in his study on the practice teaching program that the student-teachers were able to apply the education theory learnt at the institution into practice but there were some complaints appeared during performing the program, for example the student-teachers felt unhappy for not respecting and welcoming by staff members of the school. They were often excluded from many school activities. Education faculties have to talk and arrange in advance with school teachers about teaching practice to remove worries and clarify the benefits the students can get from this program. Sharma (2015) points out that colleges of education impart not only theoretical information but also practical knowledge and skills in teaching different subjects to student teachers at the end of the session. According to Sharma, teaching practice is carried out for practical application of knowledge and skills in authentic teaching and learning environment. It is a valuable opportunity where pre-service students are in a position to increase their knowledge, do experiments on the basis of the acquired information and to solve the problems related to teaching.

Akbar (2002) provides a number of objectives of teaching practice:

1. Providing the prospective teachers with an opportunity of establishing appropriate teacher- student relationship.
2. Developing personal relationship with others: administration, teachers, parents and students.

teachers in the actual teaching and learning before getting into a real world of teaching profession. It is an important part of teacher training. The process of preparing, training and supplying the student-teachers with the basic skills of teaching is considered to be one of the tasks of colleges of education. Weinstein (1990) pointed out that teaching practice is the period in which real levels of pre-service teachers' basic skills are determined. These skills will enable them to be successful teachers in their future. Bolarfinwa (2010) defines teaching practice as a double functional experience within the field to acquire some practical experiences in order to shapen the student-teacher up for profession and evaluate such student-teacher in terms of amount and quality of professional learning. Practice is meant to help pre-service teachers cultivate teaching habits. Marais (2011) says that teaching practice is a concept that refers to other terms such as student teacher, field studies, in-field experience and school-based experience. Marais (2011) also provides three connotations concerning the learning experience of student-teachers in schools which are: (1) The practicing of teaching skills and acquisition of the mentor teacher's role. (2) The whole range of student teachers' experience during teaching practice periods in schools and (3) The practical aspects of the course as distinct from theoretical studies. Okobia, etal, (2013) conducted a study which investigated the challenges faced by student-teachers at faculty of Education in Benin city of Benin during their teaching practice performance. The findings of their study revealed that the majority of the student-teachers encountered some problems. These include: the student-teachers were excluded from the staff meeting in schools, teaching practice is a period of stress for them, lack of cooperation from subject teachers or school supervisors, lack of instructional materials and resources and difficulty in planning lesson notes.

Brown and Brown (1990) indicated that the teaching practice provides the following features: 1. Gaining confidence. 2. Getting benefits from criticism. 3. A chance to learn about students in real life before joining teaching career. 4. A chance to learn skills and attitudes. 5. A competent effective teacher. 6. A chance to improve knowledge of subject matter. Azeem (2011) concluded in his study which dealt with problems of prospective teachers during teaching practice that The majority of schools do not prepare the timetables

department students study about 128 credits to get the degree of bachelor in education (English language specialization).They study 70% English language courses, 20% education subjects and 10% general courses.

As a prerequisite factor, students are not allowed to join teaching practice program unless they accomplish at least 78 credits out of 128, and to pass some courses concern this program such as English language teaching methodology **I** and English language teaching methodology **II**. These courses help students get special knowledge about the suitable techniques of teaching the target language. For example, teaching methodology **I** gives students information about types of teaching methods used in different centuries, such as the grammar translation method, the direct method, the audio-lingual method and the communicative approach. In teaching methodology II, students are given courses about the techniques used to teach the four language skills(listening, speaking, reading and writing) and language components such as phonetics, vocabulary and grammar. During these courses, students get chance to practice teaching different language elements in the faculty to prepare themselves for teaching practice program. The staff member who is responsible for this course , divides the students into individuals and each one tries to prepare a specific lesson about aspect of the language skills and carry it out in front of their colleagues and to accept their critique.

The paper is divided into seven sections. Section one contains abstract. Section two is the introduction of the study, whereas section three deals with literature review which relates to student-teacher practice. Section four contains data analysis of students interview tables used by the researchers. Section five shows the results and findings of this study. Section six is the conclusion and the last section is some recommendations for the students and teaching experts.

3. Literature review

Teaching practice is an important component towards becoming a teacher. Akinsola (2014) defines teaching practice as a time when all learned theoretical concepts and ideas in educational psychology, management of classroom, subject content, curriculum development, various philosophies dealing with education are called into use. It provides experiences to student-

An Evaluation of Teaching Practice Program Undertaken by Student-Teachers of English Major

Ahmad Almahdi Shteiwi [*] **& Mustafa Abdusalam Hamuda** [*]

1.Abstract

This paper examines the teaching practice program carried out by English majors at Education faculty, Misrata University . It investigates the challenges faced by them during performing teaching practice exercise. It deals with pre-service teachers from the perspective of student-teachers' experiences and personal views. Ten students-teachers were chosen randomly to elicit their views concerning teaching practice program. The discussion is based on the results of these interviews and qualitative method was adopted to analyze the data obtained. Student- teachers of English language are not well- prepared to encounter and perform teaching practice process in the classrooms because they tackle the teaching practice program in secondary schools before they finish the study of teaching methodology subjects. The findings revealed that (1) The time allotted to teaching methodology I & II is inadequate.(2) lack the knowledge of the techniques of teaching language skills and sub-skills before tackling this program. (3) Pre-service teachers are not given chances to participate in school activities, attend meetings or evaluate class work and homework. (4) Student-teachers tackle the teaching practice program before they accomplish teaching methodology II.

2. Introduction

This paper deals with an evaluation to the to the teaching practice program used by English Department, Faculty of Education. Since the graduates of this college will be teachers of English, the faculty organized a specific plan to be adopted during carrying out teaching practice program.

The English Department has its plan to help the students carry out what required easily in order to be reliable to teach English in all levels of general education (primary, preparatory and secondary stage). English

[*] Department of English, Faculty of Education, University of Misurata.

Bibliography

Aldahesh, A. Y. (2007). English Phrasal Verb in Bilingual English Arabic Dictionaries. URL : http // translationjournal.net/journal/47phrasal. Htm . (1 January 2009)

Allsop, j. (2004). Test YourPhrasal Verbs. Edinburgh. Pearson Education limited.

Cambridge Phrasal Verbs Dictionary. (2006). 2nd ed. Cambridge. Cambridge University press.

Coe, N, Harrison, M and Paterson, K . (2006). Oxford Practice Grammar. Oxford

Oxford University Press .

Cooper, T. C. (1999). Processing of Idioms by L2 learners of English InTESOL Quarterly 33 (2), 233 – 262.

Eastwood, j. (2006). Oxford Practical Grammar. Oxford. Oxford University Press.

Green Baum, S. (1996).The Oxford English Grammar. Oxford .Oxford University Press.

Longman Phrasal Verbs Dictionary. (2001), Edinburgh. Pearson Education limited. Edinburgh. England .

McArthur, T & Beryl, A. (1995)York Dictionary of English Phrasal Verbs and Their Idioms. Beirut: York Press.

McCarthy , M . & O'Dell, f. (2004). English Phrasal Verbs in Use. Cambridge. Cambridge University Press.

Palmer, F. R. (1988). 2nd ed. The English Verb . London : Longman Linguistic Library.

Prince, p. (1996) The Role of the context versus translation as a function of proficiency. In The Modern language journal, 80, 478 – 493.

Yatskovich , I . Some ways of translating English Phrasal Verbs into Russian. http:

U . R . L . //ranslationjournal,v3. (3. July 1999).

Yule, G (1998) 2nd ed. Explaining English Grammar. Oxford. Oxford University Press.

* شخص ما ينفجر !

In this sentece, blow up means suddenly becomes very angry. But some students translate it without knowing its metaphorical meaning.

4.1 Conclusion

This study has investigated the written errors made by some university students in translating phrasal verbs from English into Arabic.

The finding of this paper showed that some Libyan university students encountered a reasonable degree of difficulty in translating English phrasal verbs into Arabic.

Such difficulties were attributed to some problems such as, adopting literal translation, Overgeneralization of rules and other problems that encountered some students in the university.

4 . 2 Recommendations

Having obtained data from the study, I can recommended the following:

1- Translation should be taught from the first year of the university to the students of English to help them find out the suitable equivalence between English and Arabic depending on the context.

2- Teachers of translation must clarify the difference among the different kinds of phrasal verbs.

3- Students should concentrate on the structure of phrasal verbs in English especially the idiomatic ones.

4- Students should avoid adopting literal translation unless when it is necessary.

5- Teachers of translation should encourage the intelligent and self – guided use of specific dictionaries.

6 Teachers of translation should encourage the students to guess the meanings of phrasal verbs from a context, because the next step is to move from recognition to production.

7- Teachers of translation should clarify the effect of the context as a good strategy in both learning and translating phrasal verbs.

8- Consulting specific dictionaries as Longman Phrasal Verbs Dictionary, York Dictionary of English Phrasal Verbs and Their Idioms, Cambridge Phrasal Verbs Dictionary and other Dictionary for English Idioms.

- Joanna managed to scrape through her final examinations.
* جوانا قررت ان تكشط خلال امتحاناتها النهائية.
- My parents broke up last year and I've been depressed ever since.
* والدي انكسر السنة الماضية وانا مستاءة منذ ذلك الوقت.

Selecting the right meaning of the word is not usually easy for English language learners and it is a fatal mistake to select the first of sereval. This is clear in sentence No. 7 with the word **shot**, the student chose the first meaning " اطلقت " and does not care with other meanings. (Al – Mawrid 2000: 850).

3. Difficulties in translating some idomatic phrasal verbs especially when they come

a lone not in a senteces or a text, because of the diffrence between the two languages in this respect. This error is repeated in senteces (3.10.19 and 20).

- May I ask a question? "Fire a way ".
* هل لي بسؤال ؟ أغرب عن هنا.

This is completely wrong because fire away here means to tell someone that you are ready for them to begin asking you questions or speaking about something, e.g. Do you mind if I ask you something, Woody? "Fire a way ".
(longman Phrasal Verbs Dictionary, 2000:167).

- We treated up the house in order to be able to sell it quickly.
* لقد قمنا بمعالجة المنزل حتي نتمكن من بيعه بسرعة.

In this sentece the phrasal verb is not founded in the dictionaries, but according to Jak Allsop 2002: 100 the phrasal verb treated up means decorated it cheaply and quickly.

Here, neither the context, nor the adverbial element of the phrasal verb hint at the real meaning of the combinationtreatedup.

- He liked to break in his assistants slowly.
* هو احب ان يقاطع مساعديه ببطء.

In this sentece, again neither the context, nor the adverbial elment of the phrasal verb hint at the real meaning of the combination break in.

According to the Longman Dictinary of phrasal verbs (2001), the phrasal verb break has the following ' unexpeted ' meaning : to help (smb)to become accustomed (to work, etc.)

- Someone blows up !

17	My parents broke up last year and I've been depressed ever since.	16	80 %	4	20 %
18	Jim and Ian get on really well.	8	40 %	12	60 %
19	He liked to break in his assistants slowly.	0	0 %	20	100 %
20	Someone blows up!	14	70 %	6	30 %

Before starting to analyze the students' errors in this test, it can be said that the students made errors in translating the same sentences. The anayisis below deals with the repeated errors that were made by students either in the same sentence or in different sentences. The common errors made by some Libyan students under investigation and some samples of their translations are as follows:

1.Adoptingliteral translation technique, i.e.Some students adopted literal translation technique as aprocedure in translation wich sometimes leads to incorrect results. This error is repeated in four sentences (9. 17. 19 and 20), as in:

- These statistics look strange. Have we slipped up somewhere?

* تبدو هذه الإحصائيات غريبة. هل تعثرنا أحيانا؟

- My parents broke up last year and I've been depressed ever since.

* والداي تحطموا السنة الفائتة ، وانا ضغطت منذ ذلك الوقت.

- He liked to break in his assistants slowly.

* هو احب ان يقاطع مساعدية ببطء .

-Someone blows up!

* شخص ما ينفجر.

2.Overgeneralization of rules:

Some students thoght that phrasal verbs are translated easily by taking the meaning of the basic verb alone ; in some cases this is all right, as in come in or sit down but in others it does not as in sentences (7, 12, 13 and 17).

- The police officer shot off before anyone could stop her.

* الشرطية اطلقت النار قبل ان ياتي أي احد ويوقفها.

- I've passed out a couple of times recently.

* مررت عدة مرات مؤخرا.

3	May I ask a question ? " firea way "	0	0 %	20	100 %
4	It was gitting late so I decided to turn in.	0	0 %	20	100 %
5	I can't shake off this cold.	16	80 %	4	20 %
6	My father told me off because I used his electric raxor.	18	90 %	2	10 %
7	The police officer shot off before anyone could stop her.	2	10 %	18	90 %
8	It was so hot in the examination room that several students nodded off.	8	40 %	12	60 %
9	These statistics look strange. Have we slipped up somewhere.	17	85 %	3	15 %
10	We treated up the house in order to be able to sell it quickly.	10	50 %	10	50 %
11	In london this morning, people wearing masks held up a van carrying gold.	8	40 %	12	60 %
12	I've passed out a couple of times recently.	10	50 %	10	50 %
13	Joanna managed to scrapethrough her final examinations.	14	70 %	6	60 %
14	Chill out! life's too short to get so stressed !	8	40 %	12	60 %
15	It's time he woke up to what's happening.	20	100 %	0	0 %
16	He went round the room toppingup glasses whenever he noticed that anyone needed a top – up.	14	70 %	6	30 %

3 .2 The test

The test comprised two sets of sentences.

Students were given two huors to translate them and were allowed to use dictionaries.

The test included 20 sentences in English to be translated into Arabic.

Each sentence included a different phrasal verb.

The purpose of this test is to measure the students' ability to translate phrasal verbs from English into Arabic through sentences.

3. 3 Data Analysis

The main purpose of data analysis is to investigate the types of errors made by some Libyan universty students, in translating English phrasal verbs into Arabic, and find out the main reasons behind making such errors.

As mentioned before, the number of involved students was 20 and the method used in calculating data was numerating the correct and incorrect translations for each sentence dividing them to the whole number of the answers and finding out the percentage of the correct and incorrect answers. But before embarking upon explaining the students' errors in translating English phrasal verbs into Arabic.

It is worth mentioning that some students made some errors in the Arabic version but such errors are not discussed in this paper.

The following table illustrates the results of the test of the translation test.

These results were tabulated showing the correct and incorrect translations and their percentages for each sentence as mentioned above.

Table 1

Results of the transltion test

No . of students 20

No	The senteces	Correct. Tra	%	Incorrect. Tra	%
1	It’s a lovely dress , but you'll need to turn it up an inch or two.	12	60 %	8	40 %
2	I didn’t want to do it, but the other boys egged me on	16	80 %	4	20 %

There is a difference, in that niether case can the adverb be replaced by a preposition plus a noun phrase. But the semantic relation of room and mess is like that of clothes and stain, sink and dirt.

3. 0 The translation problems encountered by students under investigation

This section investigates the types of errors made by some Libyan students in translating phrasal verbs from English into Arabic based on their answers in a test given to them.

The sample used is chosen randomly from the students of English at Misurata Univeristy – Faculty of Education.

3. 1 Subject of the study

The subjects of this study were native speakers of Arabic, studying English as a major subject of specialisation in the department of English, Faculty of Education University of Misurata. They were fourth year univesitry students of the academic year (2011 – 2012).

The total number of the subjects was 20 female students and their ages ranged between 20 – 24.

The reason behind choosing students at this level was based on the assumption that students of this age and level were expected to have been exposed to use the phrasal verbs in English during their study of the university. Therefore, they are expected to be able to translate Englishphrasal verbs into Arabic. At the University stage, the subjects studied specialized courses for four years.

In the first year, they studied:

Grammar, Reading Comprehension, WritingSkills, Conversation Practice and Listening and Speaking.

In the second year, besides the previous subjects, they studied Phonetics, Introduction to Literature,Introduction to Linguistics, Teaching Methodology and Vocabulary and Spelling.

In the third year, they studied Grammatical structure,Translation I. Vocabulary VI Advanced Reading, Academic Writing,Poetry, Short Story,French Language and Morphology.And in the fourth year, they studied, ESP, Teaching Practice, Language Testing,Translation II, Novel, Drama, semantics , Syntax and Research Project.

The pilot flew the plane in.
The operations completed: the flag was up (up the pole), and the plane was in (in the port). These accounts for the diffrerence between:
- He pulled up the rope.
- He pulled upwards the rope.
To pull up means to final up position; to pull upwards does not.
Hence the first, but not the second, is sementically (as well as formally) a phrasal verb.
This is a natural consequence of the relationship between adverb and preposition and supports the suggestion that phrasal verbs always contain an adverb that may also be a preposition.
Yet there are problems with some phrasal verbs that seem to be non – idiomatic. For consider the diffrence between the following pairs:

She washed out the stain.
She washed out the colthes.
She wiped out the dirt.
She wiped out the sink.

In the first of eash pair there is the normal relaitionship – the adverb can be replaced by a preposition plus noun phrase:

She washed the stain out of the clothes.
She wiped the dirt out of the sink.

In the second of each pair,however, the noun phrase that follow the preposition in this extanded version (the colthes, the sink) actually occurs. It might seem that out is here a preposition (out,(of) the clothes, out(of) the sink) and that is the object of the verb (the stain, the dirt) that has been omitted. But it is clearly wrong – out even here is adverb as shown by the pronoun test:

She washed it out.
She wiped it out.

A simplar pair is:

She tided up the room.
She tided up the mess.

The best way to do this by triyng to remember a sentence using the phrasl verb. McCarthy (2004:14)

2. 5. 2 Literal and metaphorical meaning

Sometimes the basic meaning of a phrasl verb and the additional meanings are clearly linked.

This is because some additional meanings are based on a metaphor or an image which may have a direct connection with its literal or basic meaning.

A metaphor is a way of expressing something by comparing with something else that has similar characteristics. Here is an example:

LITERAL { BASIC } MEANING		METAPHORICAL MEANING		
Blow up a baloon	→	blow up a building	→	someone blows up
Inflate or fill with air		make it explode		suddenly becomes very angry

Sometims a phrasl verb only exists as a phrasal verb in the metaphorical meaning, but you can guess what it means from the meaning of the basic verb without the particle. For example:

These statistics look strange. Have we slipped up somewhere?

He slips up (make a mistake) clearly comes from slip (fall usually because the floor is wet or the ground is icy). (McCarthy : 2004:14).

2.5.3Register

Another important aspect of a phrasal verbs is register . phrasal verbs are typical of spoken English or informal writing, e.g. letters to friends and articles in popular journalism. There are often one – word equivalents, synonyms, for use in a more formal spoken or written style.

For example: miss out a question or omit a question.

As with all English vocabulary , there are some different uses from one geographical area to another. For example, British , American and Australian speakers would use tidy up as a synonym.

2.6.1 Semantics

According to Palmer (1988: 224), in all the phrasal verbs with a literal meaning there is a verb of motion and the particle idicates the direction of the motion. There is a further semantic feature of the phrasal verb as a whole, that of indicating a final resultant position. Consider:

He ran the flag up.

awareness	he will soon sober up.
visibility	I was glad when he turned up.
Up = completion:	he cleaned up his room.
Down =decrease in:	
Level	prices have come down.
size	the swelling has gone down.
activity	we asked them to quite down.
readiness	the troops were told to stand down.
Down = completion:	all operations have been shut down.

As illustrated in the folowing example, there are other examples in English of a very clear distinction between the positive and negative implications of (up↑) and (down↓).

Examples : a) When I'm **down**, evrything seems hopless.

b) but when I'm **up**, evrythings seems just fine.

Or : in feelings ; they go up and down, e. g.

a) The film cheered us up considerably

= made us start to feel happier. (positive)

b) Calm down ! losing your temper won't solve the problem

= stop feeling angry, upset or exited. (negative)

2. 5. 1 Metaphor and register

Multiple meanings of phrasal verbs

A phrasal verb can have a number of different meanings, e. g.

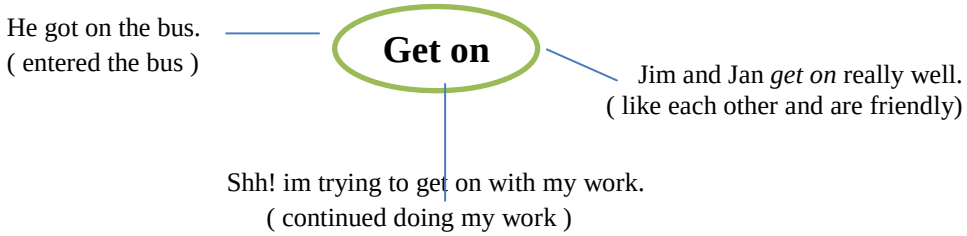

Often there is no direct connection betwwen the various meanings and you have just to learn each different meaning of the phrasal verb.

2. 4. 5 The particle up and down

The normal distinction made between **up** and **down** in English is between a physically higher and a physically lower location. This physical distinction is clearly part of the functional difference between asking someone to **jump up** versus **jump down**. Indeed most verbs denoting physical action can combine with these "directional movement" particles to produce combinations with fairly clear literal meanings as illustrated in the following examples: Yule (1989: 171)

Up

a) Can you lift up the cover?

b) He told them all to stand up.

c) We'll come up when we're finished.

Down

a) Can you climb down?

b) I'll walk down the other said.

c) We didn’t see him fall down.

In the case of **up**, the sense of "increase" can extend into the number of different conceptual domains. The previous examples for the particle up convey a sense of " increase in level" on some kind of vertical scale .

In the case of **down** as a particle, the sense of "decrease" can also be found in term of "level"(his temperature has gone down).

With **up** there is a sense of an action being goal – oriented and reaching a state of completion which does not have possible negative implications of **down**.

These distinction in the conceptual domains of **up** and **down** are summarized in the following box:

Summary box: the particles **up** and **down**

Up = increase in	
level	things are heating up.
size	fill it up.
activity	we will stir things up.
readiness	they're all fired up.

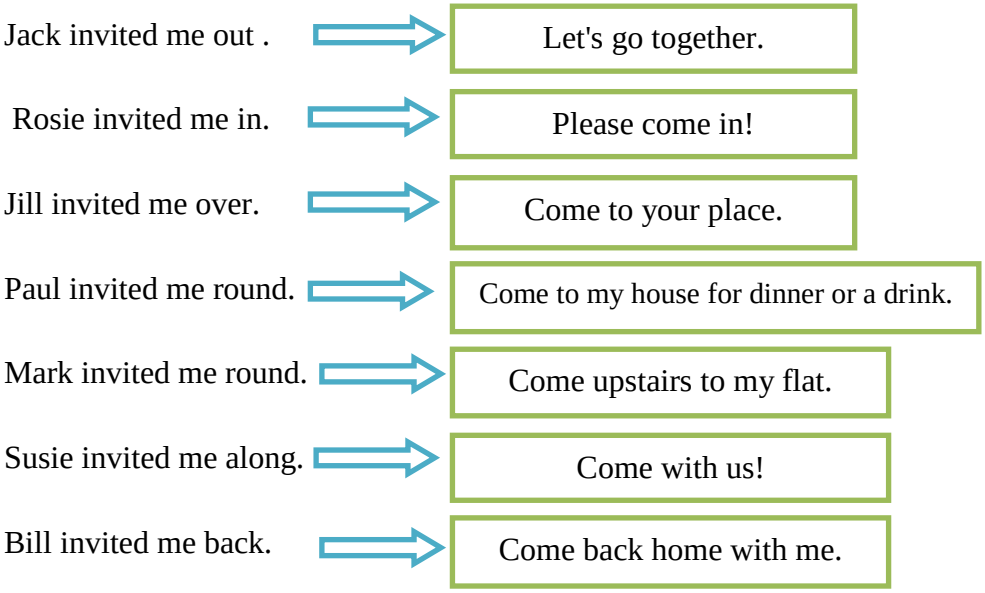

2. 4. 3 What other meanings can particles have ?

Most particles convey a number of difficult senses. For example, **over** can have various meanings, including:

a) changing position, e. g. in fall over(fall to the ground) or move over (change the place where you are sitting or standing to make room for someone else)

b) an idea of thoroughness, e. g. in read over (read thoroughly)

talk over(discuss something thoroughly before making a decision).

2. 4.4 Where does the particle go?

With verbs that have an object :

- Sometimes the particle has to go before the object of the verb, e. g. I am looking for my keys, not * I am looking my keys for.
- Sometimes it must go after the object, e. g. I have a lot of work on not * I have on a lot of work.
- Sometimes the particle may go either before or after the object, e. g. the thunder woke up the children or the thunder woke the children up.

Notice that if the object is a pronoun e, g. him, them, then the particle must go after it, e. g. The thunder **woke** them **up** not * the thunder **woke up** them.

2 – They can also be transitive with an object which occupies an order according to its nature.

3 –Object inversion is possible, if it is a noun, it can be both before and after the adverb. For instance, we can say:

The doctor will write out a prescription for Woody or the doctor will write a prescription out to him.

+ when the noun is long it is preferred after the adverb.

e . g. He will write out a prescription that include extra iron and vitamins.

+ On the contrary if the object is a pronoun it is always placed before the adverb e . g. The doctor will write it out Cited from the internet (e.ducalia.com)

2. 4 Synonyms of phrasal verbs

A phrasal verb can often be replaced by a single verb will more or less the same meaning. The single – verb Synonyms are often, but not always more formal.

Phrasal verbs	Single – verb synonyms
put off	postpone
take off	remove
turn off	arrive

Example: Everyone **turned up** on time for the meeting. (less formal)

Everyone **arrived on** time for the meeting. (more formal)

2. 4. 1 Particles in phrasal verbs

A particle is either a proposition(e.g. from, to with) or an adverb (e. g. out, up, about).You can create phrasal verbs by adding different particles to a basic verb. McCarthy (2004:8).

2. 4. 2 What does the particle mean?

In phrasal verbs the particle has a clear basic meaning. Look at the examples of different particles used with the verb invite. On the right of the arrows, you can see what the original speaker probably said.

Examples: McCarthy(2004:10)

b) we can get round that problem.

c) she ran into a friend of a store.

Or with a direct object required before the particle, as in:

a) They won't ask us back.

b) This weather gets me down.

c) I wonder if you me help me up.

And with the option of placing the object before or after the particle, as in:

a) Turn off the radio! turn that radio off !

b) He chopped down the tree. He chopped the tree down.

c) Hold up your hands! hold your hands up!

According to Quirk in comprehensive grammar of English language, a phrasal verb is defined as a mixture of a " lexical verb and particle that form a whole unit ", they are sums of meaning e. g . " Woody passed out yesterday while working in his film studio but soon he came round " (cited in www. e. ducalia. com)

2.2 Types of phrasal verbs

Grammatically there are there types of phrasal verbs. (Norman Coe, Mark Harrison and Ken Paterson 2006: 190)

1 – The first type consists of verb + adverb and they have an object.

ex . She put on the hat.

She put the hat on.

2 – The second type of phrasal verbs consists of verb + adverb, but there is no object.

ex. I usually get up at seven o'clock.

3 – The third type consists of (verb + adverb + preposition) and they have an object.

ex. We are looking forward to your news

Some common verbs of this type are:

Do away with, face up with, run out of and look up to**.**

2. 3 Characteristics of phrasal verbs

Phrasal verbs accept the following conditions:

1- Phrasal verbs can be intransitive verbs without object – like in:

Woody passed out yesterday while working in his film studio but soon he came round.

Even though the main difficulty of learning phrasal verbs is recognized, there is a progressive research on testing factors that affect learning and understanding phrasal verbs so far.

It goes without saying that English Phrasal Verbs constitute one of the major difficulties learners of English language as well as translators and interpreters encounter when rendering this type of idiomatic expressions into their own language.

"This is due to the syntactic and semantic complexity of such problematic phrases." (Aldahesh: 2009)

Although defining the phenomenon of (EPVs) is still controversial among researchers in such domains as grammar, linguistics, pedagogy and lexicography, scholars have come up with lather comprehensive definitions on this phenomenon. But studying the essence of several definitions proposed by scholars in such disciplines as grammar, linguistics, lexicography, pedagogy and EPVs can be generally defined as " a combination of two or three items (a verb + a proposition + a verb + an adverb, or a verb + an adverb + a proposition) it functions as a single unit of meaning in the sense that its meaning cannot be deduced from the total sum of the meanings of its separate elements (Aldahesh, 2007: 1).

Some examples are:

to bring up / to bring down
to turn on / to turn off
to knock down / to knock off
to take in / to take off
to give up / to give in
to black out / to tip off
to get away with / to put up with

According to George Yule (1998: 167 - 168), these combination can be used without direct object as :

a) come in!
b) get off!
c) go away!

Or with a direct object require after a particle as in:

a) I came across an old photo of you.

usually defined as the fact that " the meaning of the complex unit does not result from simple combination of these of its consistency" Arnaud and Sauvignon (1997:161).

With regard to the meaning of idiomatic phrasal verbs, Liao and Fukuya (2004) found that the learners chose fewer figurative phrasal verbs than literal phrasal verbs on multiple – choice test. They explained that this avoidance is due to the semantic difficulty of figurative phrasal verbs.

Finally, the previous studies indicate that idiomatic phrasal verbs might be harder to translate than transparent phrasal verbs for translators and ESL learners. Therefore, it will be necessary to investigate the effect of semantic properties of phrasal verbs and to examine the effective translating conditions for idiomatic phrasal verbs.

2.0 Phrasal Verbs in English

This section deals with the definition, use and structure of phrasal verbs as well as their types.

2.1 Definition and structure of phrasal verbs

According to Ton McArthur and Beryl Atkins (1995), phrasal verbs are mainly colloquial. They are used casually, in everyday speech, or in order to express vivid, emotional and frequently slangy points to conjure up special metaphoric relationship and jokes and to label actions in such everyday areas as cooking, gardening maintaining the car, repairing things and shopping. They are usually combination of simple, monosyllabic verbs (put, take, get etc.) and members of set of particles (on, up, out etc.).The combination is nowadays called phrasal because, on paper, it presents the appearance of a two – word rather than a single item. Although it looks like a phrase, it functions in many respects like a single word, though under certain condition other items (director objects, adverbs) can come between verb and particle.

Many phrasal verbs do not have transparent meaning, so it is hard to know the whole meaning by combining the meaning of the components, verbs and particles. Such idiomatic meanings make learners feel that they are difficult to learn, to use and even to translate although learners of English recognize their importance.

1.1 Review of literature

One of the common beliefs about lexical acquisition is that using context clues to guess meaning of words is a good strategy.

Cooper (1999) examined what is the most and common strategy to learn and understand idioms by using a 'Think- Aloud' protocol. His study shows that successful learners use an inferring strategy to learn idioms. The findings of this study show that using context can be a successful strategy in the teaching and learning of multiword expressions, Prince (1996) compared the use of context and translation in learning words from French EFL learners. He compared these two conditions in the learning phase as well as in the recall phase for two groups of learners, the advanced and the weak learners.

For the context learning group, isolated sentences, including the target words, were given, and the subjects of the translation learning group were asked to write down the meaning of target words.

After the treatment, he splits each learning group into two recall conditions respectively and conducts an immediate post-test. He found that the advanced learners in the translation learning condition achieved more than those in the context learning condition.

Another study by Aldahesh (2007) who looked at the English phrasal verbs in general English-Arabic dictionaries stating that English-Arabic dictionaries dedicated to EPVs (English Phrasal Verbs) are much lower than their counterparts of English-English dictionaries of PVs. In fact there are three bilingual English Arabic dictionaries of PVs namely Al-Mawrid, AL-Mughni Al-Akbar and The Oxford English Arabic Dictionary of Current Usage.

It is worth mentioning that Al-Mawrid is by no means comprehensive in terms of covering EPVs, as Aldahesh said.

In conclusion, as inferring from context is one of the common strategies in vocabulary, it will be meaningful to investigate the effect of the context in translating phrasal verbs from English into Arabic, and if the phrasal verb meaning is unpredictable from the context, here the translator has to consult bilingual dictionaries.

It is generally admitted that phrasal verbs are thought to be one of the difficult items for translators and learners of English as a second language. The reason is that some phrasal verbs have an idiomatic meanings which is

The Problems Encountered in Translating English Phrasal Verbs into Arabic by Faculty of Education Students In Misurata.

Mr. Mohammed Ahmad Abu Mustafa *

1- Introduction

A phrasal verb is a verb that consists of two or three words. Its meaning is different from the meaning of those words would which have if we considered each one separately. For example, the meaning of carry out (= Do) in the sentence 'Scientists carried out an experiment' is not related to the normal meaning of 'carry' or the normal meaning of 'out'. Some students cannot guess the meaning of pull up (= stop) in the sentence 'A car pulled up outside the house' even if they know what 'pull' and 'up' mean.

Most phrasal verbs consist of two words; get up, go off, turn on, make out, etc. The first word is a verb, the second one is called a particle, which is either an adverb (such as 'out') or a preposition (such as 'with'). There are also some three-word phrasal verbs. For example, catch up with, look forward to.
(Longman Dictionary of Phrasal Verbs, 2001).

Phrasal verbs are generally considered to be idiomatic combinations of a verb and an adverbial particle. One of the problems that some university students encounter is the translation of English phrasal verbs into Arabic. This is because the proper translation of English phrasal verbs depends on the context in which they are used, which suggests the appropriate interpretation of the described action to render the same idea and meets the requirements of translation into the target language.

This paper is an attempt to discuss the use of some of phrasal verbs in English and how they can be understood and translated into Arabic.

Accordingly, it aims to investigate phrasal verbs in English to find out the solutions for such problems and introduce some methods which may affect the use as well as the translation of those phrasal verbs by some university students.

* Department of English, Faculty of Education, University of Misurata.

References

- Bugs World 5-6. Digital Pupil's Books and Activity Books. [cd-rom]. (2004). ElisendaPapiol& Maria Toth. MACMILLAN. ISBN 978-0-2307-1942-2.

-Krashen, S. D. (2002), Second language Acquisition and Second language Learning. University of Southern California.

-Krashen, S (1982); Martin (1983); Mitchell (1983); &Medina (2000). "Using Music to Enhance Second Language Acquisition: From Theory to Practice".

-Suzanne L. Medina, Ph. D. Lalas, J & Lee, S. (2002). Language, Literacy, and Academic Development for English language Learners.Pearson Educational Publishing.

-Rixon (1993); Lems (1996); Medina (2002); Lake (2003); Brown (2006). Andrea Jecmínková (2009). Music and Songs in Adult ESL Teaching.Bacherlor's Diploma Tesi. Masaryk University.Faculty of Arts.Department of English and American Studies.

- Papiol, E &Toth, M. (2004). Bugs 6 (Pupil's Book & Student's Book). Macmillan Heinemann. English Language Teaching.

-DreamEnglishKids. "Body Parts Song for Kids: My body!" [video]. Retrieved 3thFebruary, 2013, from http://www.youtube.com/watch?v=Rc_kIWKLiD8.

were given songs in their class activities, they showed some attitudes that I considered favorable to promoting oral production. Most of students were motivation, participation, cooperation, relaxation and self-confidence. In addition, they were pleased with the different proposed activities around songs given.

There was improvement in oral production when they focused on expressing their ideas freely more than when they were concerned about accuracy. Students spoke more in English when they talked about songs, both in English and Arabic because the topics were interesting for them. As a result, they showed much more motivation, participation and better class work.

To sum up, the implementation of the different activities using songs in English seemed a successful strategy to encourage oral production in students and it showed satisfactory results for them (for teachers and for the school).

songs were implemented, students spoke more in English; they showed more willingness to speak when the situation was meaningful for them. Another change in students' oral production was observed when students interacted among themselves. Then, the video recordings showed students asking each other questions, sharing information and speaking in Arabic or sometimes in English during the preparation of the activities. Group work functions as an integration tool, speaking was more clearly and quickly, this change was observed in most students' oral production. We could see during the development of all the proposed activities that many students were more spontaneous and confident when speaking.

Conclusion

In specific, this study sought to explore Libyan EFL teachers and students' attitudes toward using songs, teacher thoughts about the effectiveness of songs, and their frequency of using songs and accessibility. As I have already illustrated EFL teachers seem to have strong beliefs, and positive attitudes about the pedagogical value of songs. However, having a closer look at the Libyan EFL curriculum for fifth grade, one comes to realize that songs are not given the necessary attention on a systematical basis. Therefore, depending on the strong beliefs of teachers about the pedagogical value of using songs, I believe that songs should be approached on a structured and systematical basis in Libya.

Findings showed that Problems which encounter using songs in teaching English in our primary classes, come across to a dilemma with the teachers stated very positive feelings about the pedagogical value of songs, further the teachers found it difficult to find appropriate songs and believed that they do not have enough resources to use as songs. In a way these findings strengthen my earlier argument that songs are not planed as an aid manner in Libyan EFL settings and that there was a need for a structured and systematical approach regarding songs.

On the other hand, after the implementation of this action-research in the class, I could conclude that classroom research processes definitively helped improve our classes and achieve very good results with our students. In this specific case, we aimed at encouraging oral production through the use of songs and, from that point of view, I could say the following; when students

emerged from our data indicated that songs were generators of favorable factors such as motivation, participation, cooperation, relaxation and self-confidence. Moreover, the use of these activities showed important changes in students' oral production. For example, their pronunciation was perfect, they spoke clearly and quickly, interacted more with one another, and spoke more when the topic was interesting for them, they were speaking spontaneously and automatically, and they were very interested and motivated.

In view of the findings, we consider that this attitude was a key element to be generated in the classroom because it allowed students to feel motivated, improve learning and became more spontaneous when speaking in English.

They are presented in Table 1.

BEFORE	WHEN USING SONGS
• They didn't participate much in class.	• They spoke more when the topic is interesting for them.
• They used words or short phrases.	• They spoke using reasons and opinions about chosen songs.
• They reduced their interaction with the teacher to present the lesson or homework.	• Students interacted more with one another.
•They spoke slowly and mispronounced words.	• Most students spoke clearly and more quickly.

In relation to this aspect, it was observed and registered in the field notes that before implementing the activities, our students had low levels of oral production. Then, during the development of the tasks, the collected data showed that students have made a notable progress. Clearly, these kinds of activities encouraged them to speak English. Before the implementation, we observed that our students did not participate much in class. The video recordings showed they were shy and afraid to speak in English. Most of them preferred for the teacher to speak in Arabic. After the new activities of

Results of the fifth statement of the questionnaire showed that the majority of EFL teachers, (80%) found it difficult to find an appropriate song for every topic of the English language syllabus. (12%) disagreed with statement five, and (8%) stated that they were undecided.

Results for the seventh statement of the questionnaire showed that (44%) of the participating teachers, believed that using songs to teach English might distract students' attention during the lesson. (10%) stated that they were undecided, and (46%) disagreed with this statement. The ten statement of the questionnaire asked whether the cassettes, VCD or DVD available for the subjects, results revealed that the great majority of the participating EFL teachers couldn't find them easily (86%) disagreed with this statement. (10%) stated that they were undecided, and (4%) agreed with the same statement.

Finally, the results for statement thirteen indicated that (44%) of the participating teachers believed that they couldnot measure students' knowledge of English when they used songs in their classes. (34%) stated that they were undecided, and (22%) disagreed with statement thirteen. Overall, the majority (72%) thought that they did not have enough resources to use as songs, and the majority (80%) found it difficult to find appropriate songs.

These findings showed that the majority of the participating teachers had problems in finding and reaching to appropriate songs. The percentage of those who believed that using songs to teach English might distract students' attention was (44%) and those who disagreed with this (46%) were almost equal. This finding showed that half of the participating EFL teachers had problems about the ways related to how to present and teach songs to YLs. They needed to training about the ways of presenting and teaching English through songs to YLs without distracting students' attention.

In observation stage for the class, the focus of the project was to encourage students' oral production using English songs in class. Therefore, a set of activities was designed. The data analysis showed two kinds of students' attitudes towards activities when using songs for teaching English. Some attitudes appeared with more frequency than others did; therefore, they were described according to that order. Our findings also showed important changes in students' oral production. To begin with, the first outcome that

Statement		Strongly agree		Agree		Disagree		Strongly Disagree		Undecided	
		N	%	N	%	N	%	N	%	N	%
3	I believe that I do not have enough resources to use as songs.	11	22	25	50	10	20	3	6	1	2
5	I find it difficult to find an appropriate song for every topic of the English language curriculum.	19	38	21	42	6	12	_	_	4	8
7	I believe that using songs to teach English may distract students' attention during the lesson.	13	26	9	18	16	32	7	14	5	10
10	The cassettes, CDs and VCD or DVD are not available for the subjects	_	_	2	4	23	46	20	40	5	10
13	I believe that I cannot measure students' knowledge of English when I use songs in my classes.	6	12	16	32	10	20	1	2	17	34

As could be seen from Table 3, Problems that encountered using songs in teaching English in Libyan primary classes were explored by means of five statements. The analysis of the results for the third statement of the questionnaire revealed that the majority of the participating EFL teachers, (72%) believed that they did not have enough resources to use as songs. (26%) disagreed with statement three, and (2%) stated that they were undecided.

(98%) believed that songs accelerated the memorization of vocabulary. The rest, (2%) stated that they were undecided.

Results of the fourth statement of the questionnaire indicated that the great majority of EFL teachers, (90%) believed that songs provide a large amount of repetition which resulted in automatic use of the target language. (6%) stated that they were undecided, and (4%) disagreed with the same statement.

Results for the eighth statement of the questionnaire showed that all of the participating EFL teachers (100%) believed that songs were a highly motivating and entertaining way of teaching English, especially for YLs.

Results of the twelfth statement of the questionnaire showed that the great majority of the teachers, (88%) disagreed with this statement that songs were not very effective in teaching English to YLs. (6%) stated that they were undecided, and (6%) agreed with statement twelve.

Finally, the responses for statement No. 15 of the questionnaire showed that the majority of the teachers, (84%) believed that using songs could lower students' anxiety toward learning English. (4%) stated that they were undecided, and (12%) disagreed with the same statement.

Overall, it was possible to argue that the participating EFL teachers had very positive thoughts about the effectiveness of using songs in teaching English to YLs. Depending on the analysis of teacher responses deriving from this research, it could be said that the most effective means of using songs in teaching English to YLs was that songs were highly motivating and entertaining with (100%).The second was that songs accelerated the memorization of vocabulary with (98%). The third was that songs provided a large amount of repetition with (90%). The fourth was that songs could lower students' anxiety toward learning English with (84%). Teacher' responses to statement twelve, in a way confirm these results as the teachers disagreed with this statement that songs were not very effective in teaching English to YLs with (88%).

Table 3. Problems that encounter using songs in teaching English in our primary classes.(n=50).

Statement		Strongly agree		Agree		Disagree		Strongly disagree		undecided	
		N	%	N	%	N	%	N	%	N	%
2	I believe that songs accelerate the memorization of vocabulary.	28	56	21	42	_	_	_	_	1	2
4	I believe that songs provide a large amount of repetition which results in automatic use of the target language.	25	50	20	40	2	4	_	_	3	6
8	I believe that songs are a highly motivating and entertaining way of teaching English, especially for young learners.	32	64	18	36	_	_	_	_	_	_
12	I believe that songs are not very effective in teaching English to young learners.	1	2	2	4	22	44	22	44	3	6
15	I believe that using songs can lower students' anxiety toward learning English.	17	34	25	50	4	8	2	4	2	4

Table 2. Teachers' thoughts about the effectiveness of using songs in teaching English in our primary classes (n=50).

As could be seen from Table 2, teachers' thoughts about the effectiveness of using songs in teaching English to YLs were explored by means of five statements. The analysis of the results for the second statement of the questionnaire revealed that almost all of the participating EFL teachers,

14	I believe that songs are very important in developing the listening skills of young learners.	29	58	19	38	1	2	1	2	_	_

Table 1 showed that, teachers' attitudes toward using songs in teaching (EFL) classes in Misrata were explored by means of five statements. The analysis of the results for the first statement revealed that almost all of the participating EFL teachers, (96%) believed that songs should be an essential part of the English language teaching curriculum for young learners, (2%) disagreed with statement one, and (2%) stated that they were undecided.

Results of the sixth statement indicated that the majority of EFL teachers, (86%) believed that songs presented many opportunities for young learners to show their skills in many language areas, (2%) disagreed with statement six and (12%) stated that they were undecided. The results of the ninth statement showed that, (94%) of the participants believed that because songs are usually 'performed' in groups, there was no feeling of shyness for the individual, (2%) disagreed with the statement nine and (4%) stated that they were undecided. The results of the eleventh statement, I think that teachers must use songs only for fun, and breaking down boredom. Showed that, (20%) of the teachers agreed with, (64%) disagreed with the statement eleven and (16%) stated that they were undecided (the highest percentage of indecisiveness in relation to teacher attitudes).

Finally, the results for statement fourteen indicated that (96%) of the participating EFL teachers believed that songs are very important in developing the listening skills of young learners and (4%) disagreed with the fourteenth statement.

Overall, it was possible to argue that the participating EFL teachers have very positive attitudes towards using songs in teaching English to YLs. And it could be said that this finding strengthened teachers' positive attitudes toward using songs in YLs EFL contexts.

analysis of open-ended questions. Frequencies and percentages were taken into account to analyze the data.

Results and discussion

The results obtained from the analysis of data for each item in questionnaire for teachers will be illustrated in three tables and a discussion about each table will follow.

Table 1. Teachers' attitudes toward using songs in teaching English in our primary classes. (n=50).

No	Statement	Strongly agree		Agree		Disagree		Strongly disagree		Undecided	
		N	%	N	%	N	%	N	%	N	%
1	I believe that songs should be an essential part of the English language teaching curriculum for young learners.	25	50	23	46	1	2	_	_	1	2
6	I believe that songs present many opportunities for young learners to show their skills in many language areas.	16	32	27	54	1	2	_	_	6	12
9	I believe that, because songs are usually 'performed' in groups, there is no feeling of shyness for the individual.	26	52	21	42	1	2	_	_	2	4
11	I think that teachers must use songs only for fun, and breaking down boredom.	3	6	7	14	25	50	7	14	8	16

In the same work, Murphey also presents different reasons why songs should be used in primary classroom. Some of these reasons and benefits include:
-Is easier to sing the language than to speak it.
-Songs act both in short and long term memory.
-Songs contain repeats that teachers can use.
-They are more motivating than repetitions in other texts.
-Songs lead students to identify themselves with the text.

They make the group relax, have fun at the same time they give harmony to the group. Also, Griffe, in "Songs in Actions" (1992), has proposed reasons for using songs in Primary classrooms:
-They set up a positive and relaxed atmosphere in the classroom.
-They are an actual input of the target language. In addition, you can work on the rhythm of language study.
-They have a cultural component so it can be used to work the history and culture of other countries.
-You can work as a more real text.
-Can be worked as complement for course material.
-The interest of the students in the songs can motivate them to participate in class, in the language itself and in the language learning process.

After these reasons on the use of songs for learning English, we can deduce that the use of songs in the Primary foreign language classroom has more advantages than disadvantages. We can also see that the use of this technique has affective, cognitive and linguistic reasons. These affective, cognitive and linguistic reasons for using songs are all grounded in learning theory, and provide insights into the benefits of using songs in Primary classrooms.

Limits of the research

The scope of the research was confined to the 2011-2012 academic years and to 50 teachers of primary schools and 30 students of one primary school in Misrata.

Data analyses

The data collected were analyzed on the basis of frequency and percentage. On the other hand, data analyzing method was applied to the

Similar to the questionnaires, the semi-structured interviews will require the interviewees to clarify their attitudes towards using songs and explain their reasons for accepting or rejecting these techniques. Interviews were restricted five teachers among who was the teacher of the class under investigation. The interviewees' responses were recorded in notes during and after the interviews. The interviews were conducted during my last visit to the school. The interviews consisted of open questions to find out more information that might not appear from the questionnaires.

Several activities were designed for using songs (downloaded from, www.dreamenglish.com) to teach English, which used in the investigated class. I examined the effectiveness of the activities observing and registering in field notes and video recording students' attitudes or reactions, and changes in oral production when they engaged in such activities. Video recording of the activities was done in English classes: Those were used in the first stages and during the implementation of activities using songs in English. They allowed us to observe and analyze aspects such as reactions or attitudes toward the proposed activities and the changes in students' oral production. Each one of the activities was recorded, in video, and we took field notes for each English class. These let me identify students' attitudes and the changes in their oral production.

Advantages and disadvantages of using songs

Below are some advantages and disadvantages that authors have studied about the use of songs in Primary classroom. Murphey (1992), in his work "Music and Songs" exposes some disadvantages of the use of the songs:

-Teachers do not take the music seriously.

-It can disturb adjacent lessons.

-You can lose control of the class easily.

-The vocabulary of the songs is too poor.

-Expressions are different to the rules of grammar and this can lead to make mistakes.

-Teachers do not know how to develop material successfully.

-A teacher or student may not like singing.

- The songs go out of fashion soon.

conducted in a primary school in Misratah city and includes two main groups: EFL teachers and students in one classroom in the primaryclass. It aims at providing a solution to students' low speaking proficiency in English and to the complexity of working with a large number of students per class.

Research questions

The present study aims to answer the following questions:

- What are the Libyan teachers and students' attitudes towards using songs in teaching EFL to young learners (YLs)?
- What do Libyan EFL teachers think about the effectiveness of using songs in teaching EFL to YLs?
- What are the problems encountered in terms of content?
- How can songs promote students' oral production?
- How do students react towards the proposed activities using songs in English?
- What are the suggestions and views put forward by the teachers and students as to teaching English through songs?

Methodology

Participants

The study included fifty (50) teachers of primary schools of Misrata city. They were chosen randomly, to respond to a questionnaire of fifteen statements, and one classroom of thirty (30) students, aged between 11 and 12, from the 5th grade of a primary school. The students were taught by one of the 50 teachers. The reason for including other teachers was that other classes were taught by different teachers, and it would be helpful to investigate whether they shared the same attitudes to get a clear picture of this particular context.

Instruments

To collect data from teachers, questionnaires and interviews were employed. The researcher attended some classes to observe, for more understanding, video recording of the activities for English classes. Those were used in the first stages and during the implementation of activities using songs in English.

to by students outside the lessons, and well-written, from a native speaker point of view. Additional considerations regarding level should be taken into account, too. When introducing songs to a low level class, these songs should have a limited vocabulary, no more than 16 lines of text and lots of repetitions. “Songs for students of the intermediate level should contain manageable load of vocabulary, limited total text length and should not be heavily embedded” (Lems 1996).

There are two processes involved in listening, and both can be used when songs are played in the classroom. The activity selected for a particular song will determine which of these processes is active. Cullen (1999) states that the first is bottom-up processing, where the listener builds up the sounds into words, sentences and meaning. The second is top down processing, where the listener uses background knowledge to understand the meaning of a message. Practicing both of these processes is essential for developing listening comprehension.

There are many techniques for teaching English songs. It is hard to say which skills are unique. Teachers can use gap-filling, predicting, piecing together, spotting mistakes, translation, comprehension questions, dictation, and discussion of song theme or role playing, among others.

As illustrated, I believe that songs, rhymes and games are wonderful materials in that respect. They are comprehensible, enjoyable, authentic and full of language we need in real life. They are part of our lives and they are around us. All we need is to share them with our students with a little planning before we enter the class. In the light of the above research, this study investigates the attitudes of some Libyan teachers and students towards using songs for teaching English.

The aim of the study

The issue of using songs in teaching English classrooms has grown in importance in all over the world. However, in Libyan public schools, the issue has not received any attention and no studies have been carried out to identify the role of songs in learning English. Since research to date has paid no attention to this issue in the Libyan context, I have been motivated to undertake such investigation to find out the attitudes of Libyan teachers and students towards employing songs in EFL classrooms. The study will be

listening comprehension. This theoretical rationale will focus on the reasons for using songs in Primary classrooms by proving their efficacy as a learning tool.

Some authors have studied this technique to verify this effectiveness. Medina (2002) thinks the main advantage of using songs and music is the enjoyable experience they bring to students and the relaxed atmosphere they create in a class. The more relaxed the students, the more receptive to learning they are. In addition, through songs, learners are exposed to authentic examples of the second language. It is also important to know that music and songs in the classroom can stimulate positive associations to the study of a language, which otherwise may only be associated with exams, frustration and corrections. Also, not every student will have the opportunity to go abroad to practice English in real life, but there are opportunities to listen to English in a useful way. Among others, Rixon (1993) suggests that pop music is a relation with the English speaking world.

Lake (2003) supports the idea of using music and songs in the English lessons for various reasons. As he suggests, language and music are closely tied together in the brain when processing pitch, rhythm and syntactical phrasing. Music provides a fun and relaxing way to acquire process and produce English. Through songs, language learners get to see the beauty and variability of English and therefore they become more interested in the English language. Music also helps them to understand some cultural differences and the various pronunciations of English.

Brown (2006) agrees with other authors on the listening skills and cultural knowledge benefits music gives to students and teachers of English, and adds another important value of the use of music in a language classroom. There is a lot of music that was written specially for (ELT), now days a lot of TV channels product and present such songs, although these have met some criticism in that they lack originality and musical appeal.

Lems (1996) suggests that a most important aspect is that teachers should like the songs that they want to use and they should also want to share them. It is also important that the chosen songs contain words that are easily comprehensible. To be able to provide oral practice, it is necessary to use songs with enough repetitions. Songs should be popular, likely to be listened

Literature review

Linguists define language as an instrument used by human beings to communicateand interact with others. Nevertheless, Spanish music therapist Patxidel Campo (1997) asserts that in any oral interaction only 15% of the information issued corresponds to verbal language, while 70% of the message is performed through body language; the final 15% belongs to intonation, the musical character of language. This importance of body language can be easily observed by watching a television debate with the volume turned off. The body language clearly indicates the mood and attitude of the members, and even their agreement or disagreement with what the other speakers are saying. (Fonseca 2000).

Music and language share a number offeatures. On the one hand, both come from the giving out of sounds; on the other hand, they are used together by authors/speakers to convey a message, although language is much more perfect than music, whose effect is principally emotional. In addition, music and language have basic characteristics in common, for example pitch, volume, prominence, stress, tone, rhythm and pauses. A more shared characteristic of language and music is that we learn both of them through exposure.

It is necessary for students to have a positive attitude in regard to learning..Krashen (1982) explains that forbest learning to occur the affective filter must be weak. A weak affective filter meansa positive attitude towards learning. If the affective filter is strong the learner will notsearch for language input.

A positive atmosphere has provided to language learning.Teachersare responsible for finding this positive environment,and songs are one method for achieving this weak affective filter that teachers need topromote language learning. Using rhythm, chanting and songs can increase theattention and interest of the students while motivating them to learn.Saricoban and Metin (2000) have found that songs can develop the four skill of language: reading, speaking, writing and listening.

Songs usually stick to the students' minds, and unlike anything else; are not forgotten so easily. Therefore, the use of songs in a classroom should be to teachers’ advantage, providing a number of various activities to practice

relaxing, and provides a nonthreatening atmosphere which soothes learners. In fact, there are a number of reasons introduced throughout the literature for using songs in the classroom. Particularly, there are number of affective, cognitive and linguistic reasons. Songs, according to many scholars, Martin (1983); Mitchell (1983); Jalongo& Bromley (1984); McCarthey (1985); Medina (2000) are among the best ways of teaching a foreign language(EFL). Singing can build students' confidence by allowing them to enjoy a degree of fluency in English before they have achieved it in speaking. Moreover, songs can be incorporated into all language skills (listening, reading, writing and speaking). Using songs or music in English fields may contribute to language acquisition in several dimensions. For instance, songs or music can attract children's attentions in affective aspect, in the linguistic aspect also singing activity has a great benefit to develop the phonemic awareness abilities and speech sequence. I believe that songs are one of the essential tools facilitating language learners' motivation and influence their emotion, such as reducing anxiety. Young learners need to have fun with English, thus they must be engaged in enjoyable activities which are designed specifically for young learners, such as songs, chants and storytelling. In addition, teachers must use approaches for teaching language within a meaningful context and effective techniques for making language input comprehensible and encouraging student participation. Students enjoy singing songs which introduce vocabulary, intonation, pronunciation, grammar, culture, and more, all in a format that is fun for pupils and they will remember them for a long time even after class is over.

For learning a song students have to use their listening skills. This activity will improve their ability to hear and understand words and sentences. Their comprehension will also increase as they analyse the meaning of a song.Songs are authentic and meaningful material because they often provide frequent repetitions, tell a story, or provide comments about life. Songs can also be used to teach a variety of language items such as sentence patterns, vocabulary, pronunciation, rhythm, adjectives, and adverbs. All of these activities can play an important role in enhancing language learning.

The Attitudes Of Teachers And Students Towards Using Songs For Teaching English In Misratah Primary Schools

Abdelkareem A. Ben Mustafa*

Abstract: This paper examined the attitudes of Libyan primary school teachers and students towards using songs as a facilitating tool for teaching English in classes. The study is divided into two parts; the first part is based on a questionnaire which was administered to 50 English teachers of primary schools in Misrata who were chosen randomly. For more understanding five teachers were interviewed. The second part was based on observation to a primary class. For more accuracy, a video-recording was used for the class. The objective of this study was to show how songs can help students to learn and enjoy English at the same time; for teachers, to know to deal with the large number of students per class complexity and how to use these activities in classes.

The result showed that both teachers and students had positive attitudes for teaching and learning English through songs. Comments added by the teachers and students are included and evaluated in the study. This study also suggested that song activities should be widely applied in teaching different grades, such as high level learners or even elder learners learning.

Key words: Songs – affective reasons – cognitive reasons – linguistic reasons – motivation - vocabulary – skills – communicative competence – learning – English language.

Introduction

The value of songs in motivating students to learn English is widely recognized by English as second language (ESL). Songs have the capacity to motivate learners and they can be used in adult English classes to increase vocabulary, expand cultural knowledge; and they make language lessons enjoyable. Singing songs makes the language classroom entertaining and

* Department of English, Faculty of Education, University of Misurata.

Kunbis, A. M. (1987). Moajam al alfath al mushtarekah fi al luga al arabiyah. Lebanon: Lebanese Library. “Lexicon of the Reciprocal Pronunciations in the Arabic Language”

Leech, G. (1981). Semantics: the Study of Meaning. Second Edition, Harmondsworth: Penguin.

Lyons, J. (1977). Semantics. Vol. 1. Cambridge: Cambridge University Press.

Palmer, F. R. (1981). Semantics. Second Edition, Cambridge: Cambridge University Press.

Richards, C. J. & Schmidt, R. (2002). Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics. UK: Pearson Education Limited.

Riggs, W. F. (1999). Homonyms, Heteronyms and Allonyme: A Semantic/Onomantic Puzzle. Retrieved from: http://www2.hawaii.edu/~fredr/homonymy.htm

Saeed, J. I. (2003). Semantics. Second Edition, UK: Blackwell Publishing.

Ullmann, S. (1962). Semantics: an Introduction to the Science of Meaning. Oxford: Blackwell.

We have seen that the word **fataha** has so many meanings. Some are abstract and others are concrete meanings, which are used in the entire Arabic world. However, it has been widely debated whether all these meanings have come from the same source or are derived from the same origin.

Conclusion

In conclusion it can be said that homonymy, especially when it is not restricted to homography and/or homophony but also happens to appear within the same word class, often leads to confusion, ambiguity and misunderstandings as homonyms with totally different meanings can make sense in the same utterance. Making sense, theoretically, of the homonymy-polysemy distinction has proven extraordinarily difficult. The difficulty becomes apparent when one reflects on what might be involved in clarifying the distinction between "related" and "unrelated" meanings, for the supposed senses are closely interrelated, at the very least they are all closely related to the mind. Moreover it is sometimes not easy to distinguish between polysemy and homonymy, as the polysemy of a word is caused by extension of a word's primary meaning. On the other hand, the word's ability to acquire multiple senses and various roles is a proof of how alive the language is.

References

Aljarem, A. & Ameen, M. (1951). Albalaga Alwatheha: Albayan, Almaa`ni, Albadeea. Egypt: Educational Press. "The Clear Rhetoric: Elocution, Meanings, Oratory"

Cruse, D. A. (1986). Lexical Semantics. Cambridge: Cambridge University Press.

Hanks, P. ed. (1986). Collins Dictionary of the English Language. Second Edition, London & Glasgow: Collins

Hirst, G. (1987). Semantic Interpretation and the Resolution of Ambiguity. Cambridge: Cambridge University Press.

Karaa al namel, (310 H). Almonajed fema etafaka lafthahu wa ekhtalafa maanah, Saudi Arabia: Althahran Publishing. "Almonajed in the Same Pronunciation and Different Meanings"

The writer try on publish the book.
'The writer is trying to publish the book.'

Here yaamel means the writer finished writing the book and looking for a publisher.

4. Howa sawfa yaamel kula ma fi weseehi.
   He will do every what in effort his.
   'He will do his best.'

The meaning of yaamel here is to do.

Another famous polysemous word is the verb **fataha** that means opened, as Kunbis (1987) mentioned:

1. Fataha al waladu al bab.
   Opened the boy the door.
   'The boy opened the door.'
2. Al umda fataha a tareeg al jaded.
   The mayor opened the road the new.
   'The mayor gave a permission to use the new road.'
3. Fataha a raaees al ejtemaa.
   Began the president the meeting.
   'The president began the meeting.'
4. Al jaieesh fataha al belad.
   The military invaded the country.
   'The military invaded the country.'
5. Fataha lahu bakhtahu.
   Predicted to him fortune his.
   'His fortune was predicted.'
6. Al hawaa al naqi fataha shahiyatahu ala al akel.
   The air the fresh gave appetite his on the food.
   'The fresh air gave him an appetite on food.'
7. Fataha safha jadedah maa sahibihi.
   Opened page new with friend his.
   'Started a new relationship with his friend.'
8. Fataha baina al khassmain.
   Adjudged between the two opponents.
   'To adjudge or decide between two opponents.'

'I named him Yahya to stay alive'

The third and fifth words in the original sentence have the same type, form, number, and order of letters, but completely different meanings. The first is **a proper male name** "actually it is the name of Prophet John the Baptist", while the second word is a verb **to live**. Accordingly, here are some examples of a perfect homonymy in Arabic language that could be proper names:

The Arabic name	**Its meaning**		**Male/female**
Jamilla	Beautiful	"adj"	Female proper name
Zahra	Flower	"N"	Female proper name
Warda	Rose	"N"	Female proper name
Saeed	Happy	"adj"	Male proper name
Osama	Lion	"N"	Male proper name
Saber	Patient	"adj"	Male proper name

To consider polysemous words in Arabic language: one example is the word **Aien** which means eye, could mean water spring, spy, one who has been envied, money or gold, the right thing, the same thing, etc. One of the most used polysemous words in Arabic is the word **Yaamel**, whose extensive meaning is to work. This word has many senses and meanings and no one can ignore all its different meanings because they are all used in very wide areas. Let us examine some examples:

1. Al fallah yaamel fi mazraatahu.
   The farmer work in farm his.
   'The farmer works in his farm.'

The verb yaamel in this sentence could mean grow, plant, plough…etc.

2. Howa yaamel be al ganoon.
   He achieve in the law.
   'He achieves the law.'

The verb yaamel here means that that person is a lawful man.

3. Al katib yaamel ala nasher al ketab.

with each other. From Palmer's point of view (1981), the problem is how to decide when we have polysemy and when homonymy. If we have a written form with two meanings, are we to say that it is one word with different meanings (polysemy) or two different words with the same shape (homonymy)? He illustrates that dictionaries usually base their decision upon etymology. If it is known that identical forms have different origins they are treated as homonymous and given separate entries; if it is known that they have one origin, even if they have different meanings, they are treated as polysemic and given a single entry in the dictionary. But he considers this far from satisfactory. He says that the history of a language does not always accurately reflect its present state. He exemplifies that we should not usually relate **pupil** (student) with the **pupil** of eye, or the **sole** of a shoe with the fish **sole**. These words are historically from the same origin, and are examples of polysemy. Yet in the language of today they are pairs of unrelated words, i.e. homonyms.

6. Homonymy and polysemy in Arabic language

According to many researchers, there are a huge number of polysemous and homonymous words in Arabic language. The dictionary titled "Almonajed fema etafaka lafthahu wa ekhtalafa maanah", which is written by Karaa al namel, (310 H) included 900 homonymous and polysemous words. In fact the phenomenon of the multiplicity of significations for the same verbal unit is very common and familiar not only in the Arabic language, but in many languages. In poetry, for instance, the words' ability to express multiple senses is one of the basic features of the human speech.

Aljarem and Ameen (1951), explain homonymy in the Arabic language as words which are pronounced alike but have different meanings. They classified it into two types. The first is a perfect homonymy where the two words share four features: the same kind of letters, same form, same number of letters, and the same order. The second is an imperfect homonymy where one of the words differs in one of those four features. Let us consider the following examples:

Ana samaitahu Yahya le yahya.
I named him Yahya to live

polysemous if it has two or more extended meanings whose extensions differ somewhat but which clearly share a common semantic core.

4. The Difference between homonymy and polysemy

The problem of identifying the difference between homonymy and polysemy is well-known in semantics. Saeed (2003) states that there is a traditional distinction made in lexicology between homonymy and polysemy. He indicates that both of them deal with multiple senses of the same phonological word, but polysemy is invoked if the senses are judged to be "related". In addition, Hirst (1987) proposes that homonymous words are those whose meanings are "unrelated" to each other, like the bark of a tree and a dog's bark; and polysemous words are those whose meanings are more closely related, like the verb 'open' with its senses concerning unfolding, expanding, revealing, making openings in, and so on. A word can be both polysemous and homonymous: the adjective 'right' has several senses concerning correctness and righteousness, but also senses concerning the right-hand side. But the question arises here of what "**related**" means. Leech (1981) proposes two answers to this question, a historical answer and a psychological answer, which do not necessarily coincide. He says that two meanings are historically related if they can be traced back to the same source, or if the one meaning can be derived from the other; two meanings are psychologically related if present-day users of the language feel intuitively that they are related, and therefore tend to assume that they are different uses of the same word. He cites some examples for English from Ullmann, (1962) which are **ear** as an organ of hearing and as a head of corn, and **weed** as a wild useless plant and as a mourning garment worn by a widow. In both these cases, he argues, the etymologies of the two meanings are quite different. Nevertheless, people often see a metaphorical connection between them, and adjust their understanding of the words accordingly. Thus what from a historical point of view is a homonymy, resulting from an accidental convergence of forms, becomes reinterpreted in the context of present-day English as a case of polysemy.

5. Difficulty in determining polysemy and homonymy

As a matter of fact it is really not easy to recognize the difference between polysemy and homonymy because their relations are interlocked

4. What are homonymy and polysemy?

4.1 Homonymy

According to Richards and Schmidt (2002) homonymy is defined as words which are written in the same way and sound alike but which have different meanings. For example, the English verbs lie in you have to lie down and lie in don't lie, tell the truth have the same spellings and pronunciations but different meanings. In addition, Hanks (1986) adds a second point in his definition of homonymy, which is "a person with the same name as another".

Homonyms are sometimes called homographs or homophones. According to Richards and Schmidt (2002) homographs are words which are written in the same way but which are pronounced differently and have different meanings, such as the English words **lead** /li:d/ in **Does this road lead to town?** And **lead** /led/ in **Lead is a heavy metal**. Homophones are words that sound alike but are written differently and often have different meanings. For example, the English words **no** and **know** are both pronounced /nəu / in some varieties of British English and the words **bear** and **bare** are pronounced / beə‹r›/. It is stated by Hanks (1986) that a homophone is "a written letter or combination of letters that represents the same speech sound as another: **'ph'** is a homophone of **'f'** in English". So, homophonous words have identical sounds but entirely different meanings, not sharing a core meaning. Some further examples from English are **meat** and **meet**.

4.2 Polysemy

Polysemy, according to Richards and Schmidt (2002) is defined as having two or more closely related meanings, e.g. **foot** in:

He hurt his foot.

She stood at the foot of the stairs.

The foot is the lowest part of the human body just as the lowest part of the stairs. Looking at Hanks (1986), polysemy is an "ambiguity of individual words". Thus polysemy means 'multiple meanings'. A knife that has been honed is **sharp**. A mind that has been trained to think through things and be incisive and not muddled is also said to be **sharp**. A person who speaks incisively, directly, and abruptly is **sharped tongued**. So a word is

Lyons (1977) indicates that conventional dictionaries are essentially lists of what might be called lexical entries. Each of these entries is introduced by a head-word in its standard orthographic representation; and the lexical entries are alphabetized in terms of their head-word. He considers the alphabetisation as no more than a technique for listing the entries according to a conveniently applicable, but theoretically irrelevant, principle. He adds that the head-word of a lexical entry in conventional dictionaries of English is typically both the citation-form of the lexeme and also the stem-form, to which various suffixes may be added in order to produce other inflexional forms of the same lexeme. Therefore, the lexeme or the lexical item, which is the smallest unit in the meaning system of a language that can be distinguished from other similar units, can occur in many different forms and is regarded as the same lexeme even when inflected. For example, in English, all inflected forms such as **give**, **gives**, **given**, **giving**, and **gave** would belong to the one lexeme **give**. And according to Cruse (1986), a lexeme is a family of lexical units; a lexical unit is the union of a single sense with a lexical form; a lexical form is an abstraction from a set of words forms which differ only in respect of inflections. A lexeme is usually a single word, but may be a phrase in which the meaning belongs to the whole rather than its parts, as in verb phrases **tune in**, **turn on**, **drop out**.

Considering the fact that a word, phrase, or sentence that has more than one meaning is said to be ambiguous, we should pay more attention to the lexical ambiguity. Some words or lexemes can have several meanings, e.g. **face** meaning: “human face”, “face of clock”, “cliff face”. Also the word **bank** in:

He will put his money in a bank.

She is sitting on the bank of the river.

This lexical ambiguity of the words **face** and **bank** is called polysemy or homonymy. Subsequently, in the study of word meaning it is considered a very significant issue to identify these two notions and discriminate the difference between them.

has to do with the etymological derivation of words. Words that are historically derived from distinct lexical items are taken to be homonymous. The second criterion for the distinction between homonymy and polysemy has to do with the ‘‘relatedness/unrelatedness of meaning.’’ Linguists say that all natural languages have homonyms and polysemous lexemes. Arabic language too abounds in such lexical items. This paper, besides throwing light on the difficulties of determining the meanings of such lexical items, also discusses a few standard Arabic examples to show the problems that exist in Arabic language.

2. Significance of the study

Though there have been considerable number of research studies and discussions in recent years, concerning the multi-semanticity of words in natural languages, in the field of applied linguistics, psycholinguistics, semantics and literature, the clear distinction between polysemy and homonymy still remains difficult for both the teachers and learners, because of the inherent ambiguity in these lexical items**.** This article examines ambiguous nature of polysemy and homonymy, with examples, both in English and Arabic, and throws further light on the difficulty concerning them, which enhances the significance of this article.

3. Lexemes and Lexical Entries

When someone wants to learn another language or even to seek information about a language, he is likely to look in a dictionary in order to search for the meanings of those words that together build up various sentences, according to specific grammatical rules. However, to be able to understand their meanings, we have to know how to use dictionaries and how words are organized and sequenced. Riggs (1999) assumes that lexicographers need criteria to distinguish different words from each other even though they are spelled the same way. This usually hinges on etymology and, sometimes, parts of speech. He supposes one might think that that firm (steadfast) and firm (business unit) are two senses of one word (polysemy). However, this is not the case. Lexicographers class them asdifferent words because the first evolved from a Latin stem meaning throne or chair, and the latter from a different root in Italian meaning signature.

Ambiguity Concerning Homonymy and Polysemy: Difficulties in Determining Their Meanings

Dr. Omar Albukbak [*]

Abstract

This review article examines the difficulty in determining the homonymous and polysemous lexical items, because of the ambiguous nature inherent in these lexemes. It starts by showing what lexicographers need to do in order to put words together into a dictionary, and how conventional dictionaries list lexical entries. Next the paper presents the views of some research scholars, which explain the ambiguous nature of homonymy and polysemy. Presenting some arguments about how homonymy and polysemy are related to each other, the paper states the difference between them. In the second part, the paper discusses, polysemy and homonymy, with clear examples, in standard Arabic language, and the difficulties the Arabic lexicographers face in making entries of such lexical items. The paper concludes that in spite of several research studies on homonymy and polysemy, the difficulty in determining these lexemes still exists, because of the ambiguous nature inherent in them.

1. Introduction

It is not always possible to distinguish polysemous lexical items from homonyms, and whenever this distinction is made, often, subjectivity prevails. The lexicographer's knowledge of the etymological development of the lexical items is of vital importance. In fact, the lexicographer shows the distinction made by entering homonyms separately in the dictionary, i.e. as two or more different lexical items even though they have the same spelling and/or pronunciation, while a polysemous lexical item is entered as one lexical item with its definition showing all its multiple meanings, i.e. two or more meanings attached to one lexical item. Lexicographers follow two criteria while determining the meanings of these lexemes: The first criterion

[*] Department of English, Faculty of Arts, Misurata University

Editorial Board

General Director:

Dr. Ajjdin Ahmed AbdAlali

Editor-in-Chief:

Dr. Mohamed S. Sasi

Editorial Assistant:

Mr. Ibrahim El Nihwi

Advisory Committee:

Prof. Agil M. Al Barbar
Prof. Mohammed H. Abu-baker
Prof. Abdulla M. Al Ashhab
Prof. Ahmed A. Habrih
Prof. Mohammed Ben Ehmaidah
Dr. Mustafa M. Abushaala
Dr. Taher M. Masoud
Dr. Mohammed H. Mahjoub
Dr. Ibrahim M. Abukhattala
Dr. Muftah M. Bashir

Scientific Journal of Faculty of Education

Biannual refereed journal issued
by the Faculty of Education, Misurata University
Misurata - Libya

Volume 2 – Issue 4
December.2015